المقدّمة

عرف العرب الّنغم في إنشاد الشّعر حداءً وتعبيراً ونوحاً، وهي الأجناس الثلاثة الّتي استعملوها في أولى خطواتهم في هذا الميدان، فتغّنوا أولاً في حداء إبلهم ليساعدوها على تحمل الجهد والتعب في السفرالطّويل، وليساعدوها أيضاً على تحّمل الجوع والضمأ عند فقد الكلأ والماء، وليبعثوا فيها النشاط والعزم والقوة.

وحركة سير الإبل تعتبر إيقاعاً موزوناً تعلّم فيها العربّي– على ما اشتهر من أخبار وافتراضات – مبادىءالتّرنم على ميزانه وأصوله، وإنّ انسجام ميزان الشّعر وإيقاعه وتناسق تفاعيله وتناسب أجزائه كان – على ما يبدو – من العوامل الأساسّية في وجود الموسيقى الفطرية في خطواتها الأولى.

وحياة الصّحراءتمثّل حياة الفطرة في صفائها، وتصوغ أبناءها صياغة خالية من التكلف، وتمهد لهم سكينتها الشاعرية والفضاء الرحب، تلك الموسيقى الفطرّية الّتي تجاوبت مع النفس الإنسانية في مشاعرها الخالية من التعقيد.

والوحشة بين رمال الصّحراء وهضابها تدعو العربّي إلى تلّمس أسباب التّسلية والإناس وسدّ الفراغ وفي مقدمتها الغناء وهو أساس الشّعر، وبما أن موضوعنا هذا يدور حول الشّعرالبدويّ في ليبيا، ولا شك في أّنه واسع المسالك، كثير الألوان متنوع الموسيقى الّتي تتطلبها الحياة اليومّية العامة، من هنا كثرت فيه الأوزان الّتي تميزت باستعمالاتها المختلفة وبحورها الخفيفة وكثر التّشطيرات داخل كلّ بحر.

والشّعر البدويّ في ليبيا من أكثر الأبواب طرقاً من قبل الشّعراء، وهو يمتاز بأسلوبه وإيقاعه النغمي الّذي لا يختلف كثيراً عن أسلوب الشّعر الفصيح، ويجاريه في كثير من الخواصّ الفنية ، حيث يمتاز باعتماده على موازين بحور الشّعر ليس بشكل اعتباطي كما يصوره البعض، بل بشكل قابل للتّحليل والفهم الموضوعّي في ضوء مراجعه العربّية الفصيحة.

كما يمتاز بثراء أغراضه ومواضيعه، ويلفت الانتباه فيها –فضلاً عن الجانب الفني – ما بينها وبين أغراض الشّعرالعربّي القديم ومواضيعه من صلات واضحة لكل ناظر بصير بالشّعرين معاً، وهذا أبرز مبرّرات مشروعنا في بحث العلاقة بينهما.

واستعمال الشّعرالبدويّ في ليبيا اللّهجةالعامّيةأعطاه سراً وقابلية للحفظ والفهم، وسهّل عملية تناقله وتداوله بين النّاس بصورة كبيرة.

والشعر البدويّ في ليبيا هو الأداة المعبرة عن الحياة الشعبية وأحاسيس النّاس رجالاً ونساءً، وهو الصحيفة الشعبية المتداولة في كلّ الأوساط، والأكثر اتّصالاً بعواطف النّاس وأهوائهم، ولا غرو فالشعر بمثابة لسان حال الشّعوب حيث كان دائماً قريباً من أفهام الجماهير بلغته السهلة البسيطة ومضامينه المعّبرة عن الشّعور الإنسانّي، فعبر بذلك حواجز الزّمانوالمكان محققّاً ذيوعاً وانتشاراً وخلوداً على مدى الزّمان.

ونحن في هذه الدراسة لا نُريد أن يذهب إلى تقعيد اللّهجة العامّية في محاولة للتقّليل من شأن الفصحى والدّعاية للعامية، فهذه ليست غايتنا، ونحن حريصون كلّ الحرص على اللّغة الأم وعلى قدسيتها وصونها وتكريمها، والأهتمام بالتراث الشعبي بأنواعه لا يغّير اللّغة الفصحى ولا يؤثّر فيها سلباً بحال من الأحوال، ولا يعنى اهتمامنا بالتراث البدويّ الشعبي انصرافاً وبعداً عنالتّراث الفصيح، وإنما محاولة اثباته أنّالتّراثالبدويّ الشعبي اللّيبّي هو جزء لا يتجزى منالتّراث الفصيح وفرع من فروعه.

ودراسةالتّراثالبدويّاللّيبّي ونشره، يشكل اسهاماً جادّاً في ربط الماضي بالحاضر وإطلاع الأجيال الجديدة على ما امتازت به الأجيال السابقة من قيم وعادات وتقاليد في المناسباتالمختلفة من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نعرف ونطّلع على أحداث اجتماعّية وتاريخّية تعكس جزءاً من سلوكّية أسلافنا، لأن الشّعرالبدويّاللّيبّي أقلّتكلّفاً من نظيره المتخصّص في الشّعر الفصيحالّذي غالباً ما يخاطب في آثاره وأعماله وأدبه طبقة معّينة

من النّاس، فيما ترى الأوّل يخاطب الطبقات البسيطة وهذا ما جعله أكثر صدقاً من غيره في التعبير عن أوضاع الجماهير ومعاناتها.

ولا يقلّالشّعرالبدويّاللّيبّي شأناً عن الشّعر الفصيح في إلهاب المشاعر الوطنية والقومية، في تعبئة النفوس ضد الظلم والتسلط ونقد الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة ، ولو تتبعنا أخبار شعوب كثيرة لوجدناها تُعنى بتراثها وتدّونه ليكون في متناول الأجيال المتعاقبة بوصفه جزءاً من ماضيها.

ولا يمكن لأيّ شخص مهما تكن ثقافته وتطلّعاته أن يتنكّر لتراث أمّته العربيّة وآدابها الشعبية، ففيهتتجلّى شخصيّتها الإنسانيّة والحضاريّة، وفائدة التراث لا تقتصر على أمّة معّينة، بل هي مِلك للإنسانية جمعاء.

ونحن نعتزم في هذا البحث محاولة تأصيل الشّعرالبدويّاللّيبّي في بيئته الشعريّة العربيّة القديمة، وذلك بدراسة أغراضه وموضوعاته وأساليبه وخصائصه الفنّية، بالنظر إلى أصولها الفصيحة ومقارنتها بها، وإبداء ما ينبغي ابداؤه من أحكام واستنتاجات في ذلك. عليه وجب توضيح رسم بعض المفردات في الشّعرالبدويّاللّيبّي وإن كان غالبها له أصول في اللّغة الأم.اللّغةالعربيّة الفصحى، كتخفيف النبر والهروب منه أحياناً كثيرة، والنحت والإبدال والقلب وحذف آخر بعض الكلمات حبّاً في الاقتصاد بالكلام، منها:

١. تكتب كلمة "لصحاب" بدلامن الأصحاب بدون ألف التعريف وبدون همز أحياناً، وهي ظاهرة الهروب من النبر.

٢. يكتب حرف الجر "في" في بعض الأحيان بحذف الياء، وحرف الجر "على" أحياناً "عَلْ" بحذفالألف عندما تدخل على الكلمة غير المعّرفة بـ"ال" التعريف، وتكتب "ع" أحياناً بحذف اللام والألف عند دخولها على الكلمة المعّرفة بـ "ال".

٣تخفّف الهمزة أو تقلب لما يناسب الهمزة لقولهم "وين"بدلاً من أين وقولهم "وِلف"بدلاً من "إلف" وقولهم : "الْبِلْ"بدلاً من "الإبل"، وقولهم "جيت"بدلاً من "جئت" وكذلك في "فار – بير"بدلاً من "فأر – بئر".

٤. بعض المناطق اللّيبّية وبخاصة في المدن وإن كانت قليلة، حيث تقلب "الذال" إلى "دال" لقولهم "ديب" في "ذئب"، وتقلب "الثاء" إلى "تاء" في قولهم "تعلب" بدلاً من "ثعلب".

٥. تستخدم البادية اسم الإشارة "هذي وهذيك" بدلاً من "هذه – وذاك" في بعض المناطق، وتحذف أحياناً الذال بدلاً من "هذا الّرجل"، وكذلك يستخدمون "هوينه – وهوينهم" بدلاً من " ذاك ".

٦. تستعمل اداة الشرط "لوما" بدلاً من "لولا" في بعض المناطق.

٧. وتستعمل لفظة "مامن وكّمن" بدلاً من " كم من" من السؤال أو للّدلالة على الكثير من أيّ شئ.

٨. تعامل البادية المثّنى معاملة الجمع في الغالب.

٩. تستبدل البادية أحياناً ميم الجماعة في الفعل الماضي إلى "واو" يقال "كتبتوا" بدلاً من "كتبتم" في بعض المناطق.

١٠. الحرف المضّعف غالباً ما يقلب إلى ياء كقولهم " شديت – مريت "بدلاً من "شددت – مررت".

١١. تستعمل البادية في مناطق كثيرة عبارة "يا ريت" بدلاً من "ياليت".

١٢. وفي منطقة الوسط تضيف البادية حرف "النون" للأفعال في حالة أن يكون الفاعل جمع مذكر أو مؤنث ولا يعدونها نون نسوة بل يعدونها نون توكيد كقولهم: "يكتبن – يسعن – يشترين" بدلاً من "يكتبون ويكتبن – يسعون ويسعين – ويشربون ويشربن".

والأراضياللّيبّية متسّعة فالبادية بالشرقللّيبّي لها بعض الاختلافات في بعض المفردات ونطقها عنها في الغرب وكذلك الأمر بالجنوب والوسط.

خطّة البحث:

المقدمة :تتناول عرضاً لموضوع البحث.

مشكلة البحث :

مشكلة البحث : قلة الدراسات النقدية والتحليلية للشَعر البدوي الـليبي ،وقلة الكتاب والباحثين في هذا المجال ، وإنعدام دور النشَر والمجالاَت الدورية التي تعتني بالتراث عموماً .

أهداف البحث: دراسة الشّعر البدويّ في ليبيا دراسة تحليلية وجماليّة وتاريخيّة في علاقته بالشّعر العربّي الفصيح، والظهور به بالمظهر الّذي يستحقّه على غرار دراسة الفولكلور العالمي. والتّراث الشّعبي لا يتمتّع بحظّ كبير مثل الأدب الفصيح، بل إن كثيراً منه لا يزال محفوظاً في صدور بعض كبار السّنّ، وما جُمِع منه يحتاج إلى تبويب ودراسة، ووضعه في مكانه تحت أغراضه ومسمّياته الّتي يجب أن يكون فيها، حتّى يصل إلى ما وصل إليه غيره من تراث الشعوب الأخرى الخالدة.

حدود البحث : الحدود الزمنية للشعر البدوي الليبي ما بين ١٧٠٠ – ٢٠١٠م ، أما الحدود المكانية : شعراء البادية الليبية.

منهج البحث : المنهج الوصفّي التّحليلّي المقارن.

الدراسات السابقة :لم أجد أي دراسة في هذا الموضوع.

المدخل:يتناول حجم المدّونة وأهّميتها ومظاهر العلاقة بين الشّعرالبدويّواللّيبّي والشعر العربّي الفصيح.

الفصل الأّول: أغراض الشّعرالبدويّواللّيبّي.

المبحث الأّول : الأغراض الّتيتتعلّق بالإنسان.

أ- الفخر

ب- المدح

ت- الرّثاء

ث- الهجاء

ج- الغزل

المبحث الثّاني :الوصف وما له علاقة بالطّبيعة الجامدة والمتحرّكة.

أ- وصف الأطلال والوقوف عليها.

ب- وصف الرّحلة

ت- وصف الإبل

ث- وصف الخيل

ج- وصف الطّبيعة

ح- وصف بيت الشّعر

خ- وصف الصّقور

المبحث الثّالث : الشّعر الإنسانّيوالاجتماعّي.

أ- الشّعرالاجتماعّي

ب- الشّعر الديني

ت- الحماسة ومعارك الجهاد

ث- الشّكوى

ج- الحنين

ح- الشّعرالقوميّ

الفصل الثّاني: الأوزان والإيقاعات للقصيدة البدوية.

المبحث الأوّل : هندسة القصيدة البدوّية اللّيبّية من حيثالتّوزيعوالتّركيب.

المبحث الثّاني : الأوزان والقوافي.

الفصل الثّالث: العلاقة بين الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح من خلال الصّورة والتمثيل.

المبحث الأّول : الشّعرالبدوّياللّيبّي والصورة الشعرية .

المبحث الثّاني: العلاقة بين الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح من خلال الصّورة والتمثيل .

الفصل الّرابع: المعجم والأسلوب.

المبحث الأّول : المستوى اللّفظي.

المبحث الثّاني :المستوى التّركيبي للجملة.

الخاتمة : النّتائجالّتي توصلت إليها في هذا البحث.

مستخلص البحث :

يتناول البحث نبذة تاريخية عن اسباب ظهور اللحن والزيغ عن الإعراب ومدى تأثر القصيدة البدوية في ليبيا بالموشح الأندلسي والزجل العربي .

وتتناول أغراض الشعر البدوي الليبي وهي تكاد تكون نفس أغراض الشعر العربي الفصيح ، أَما الشكل الهندسي للقصيدة البدوية تكون عمودية او زجلية وكلاهما لا يخرج عن بحور الشعر الخليلية وزناً وقافية ، وللصورة تشابه إلي حد بعيد حتي يظن الدارس أنها الصورة نفسها في مواطن كثيرة لأن المشبه به واحد وهو مظاهر الطبيعة الصحراوية ، ومحافظة المفردة البدوية علي أصولها العربية القديمة رغم الفارق الزمني والمكاني مع تشابه تركيب الجملة في الشعرين .

والنتيجة هي لا يوجد اختلاف كبير في أغراض الشعر البدوي الليبي عن الشعر العربي الفصيحخ ، وكذلك التشابه الكبير في كل من الوزن والقافية والصورة الشعرية والمعجم اللغوي للمفردة البدوية الليبية وتركيب الجملة ،

أَما الأختلاف الكبير الظاهر هو الزيغ عن الإعراب وظاهرة اللحن في الشعر البدوي الليبي إضافة إلي اللكنة التي تختلف من منطقة إلي أخري .

ABSTRACT

The study tackled a historical brief of the reasopns of appearing the solecism and the deviance of parsing, and the effect of the Bedwin poem in by the terza rima and the Arab Zajal. Also it tackled the purposes of the Libyan Bedwin Poet , which nearly to be as same as the Arabic eloquent poet, regarding the geometric form of the bedwin poem is vertical or zajali , and that both of them don't come out of AL-Khalil Poet meters, meteric and rhymetic, and that the poetic image is quite so similar, even that the researcher thinks it is the same image in many spots, becasue the simliar to is one, which is the desert nature aspects, as well as that the bedwin vacabulary has kept its ancient Arabic origins,despite the time difference with similiarity in the syntax in the two poets.

The result of study is that there is no big ifference in the purposes of the Libyan Bedwin Poet and the Arabic Eloquent poet , as well as there is a big similiarity in the poetic metere,the rhyme, the poetic image and the vovabulary of the Libyan Bedwin and the syntax.

Regarding the clear big diffenrce is in the deviance of parsing, the solecism phenomena in the Libyan Bedwin poet as well as the accent which differentiates from area to area

التمهيد

مدخل إلى دراسة الشّعرالبدويّاللّيبيّ

لكي ندرس اللّهجةاللّيبيّةالعامّية الّتي هي عماد الشّعرالبدويّاللّيبيّ، يجب علينا الرجوع إلى تاريخ اللّحن ولو نبذة سريعة، فاللّحن هو أصل مادّةاللّهجةاللّيبيّة ، بل هو العامّية الأولى . إذ الزّيغ عن الإعراب بدأ منذ زمن بعيد ؛ أيّ مع بداية قيام الدولة الإسلاميّة وانتشار الإسلام الواسع.

فالبداية كانت على عهد النّبي عليه الصّلاة والسلام، ابتداء من بلال بن رباح ولكنته الحبشّية وصهيب ولكنته الروميّة وسلمان ولكنته الفارسّية ، والعرب ليُسوا على درجة واحدة من الفصاحة. لأن التباين لابدّ أن يؤدّي إلى ظهور اللّحن بين المتعرّبين بعد الإسلام.(١)

وهناك من يعود باللّهجات العربّية اليوم إلى ما قبل الإسلام لوجود اللّهجات العربّية المختلفة والمتباينة ، ودرج اللّغويّون العرب على تسمّية كلّ لهجة من تلك اللّهجات العربّية باسم القبيلة الّتي تلهجها ؛ مثلا لهجة هذيل والأزد وقيس والأمصار وتميم وغيرها من القبائل الّتي كانت لا تتكلّم لهجة واحدة ، فقد كان لأهل اليمن لغتهم الخاصّة . ولبقّية أهل الجزيرة العربّية لغتهم ،حتّ ى قال أبو عمرو بن العلاء (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربّيتهم بعربّيتنا).(٢)

لأهل اليمن لغات تختلف عن اللّغةالعربّية ، واختلاف اللّهجات لا يعني بالضرورة اختلافا في اللّغة، حيث أنّ اللّهجات تختلف باللّفظ والتّغيير والإبانة . في حين أنّ اللّغةالعربّية هي لغة واحدة ، والاختلاف في مخارج الحروف وطريقة لفظها وتحريكها برفعأو فتح أو كسر أو إدغامها وتحريكها لا يجعل منها لغات متباينة ، أّما عند الكتابة فلا يمكن أن تكتب على أساس لفظها .

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط/٤، ١٩٧٤م، ص ٢٣٤.
(٢) طبقات الشّعراء، لابن سلام الجمحي، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٩.

يتّضح أنّ اللّغةالعربيّة تسير في اتجاهين ؛ أوّلهما وجود اللّغة المشتركة الّتي نظّم بها الشّعراء ، والثانية وجود اللّهجات الّتي يتحدّث بها أبناء القبائل حديثهم اليومي .

فالعلاقة بين اللّغة واللّهجة هي علاقة الخاص بالعام ، فاللغة تشمل عادة على عدّة لهجات لكلّ واحدة منها خصائص نابعة من ميراث البيئة، غير أنّ جميع هذه اللّهجات تشترك في مجموع من الصّفات اللّغويّة والعادات الكلاميّة الّتي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات ، وتيسّر التفاهم بين أبناء هذه اللّهجات.

ومن وجود اللّهجات العربيّة المختلفة والمتباينة قبل الإسلام وبعده، يمكن أن نستنتج أنّ هناك أدب وشعر مؤلف بتلك اللّهجات لا نعرفه ولم يصل إلينا بسبب عدم تدوينه والتركيز على اللّغةالعربيّة الفصحى الموحدة؛ لأنّها أبرزاللّهجات وبها يتفاهم جميع العرب من مشرقها إلى مغربها كما يحدث اليوم للشعرالّذي كتب باللّهجات العربيّة العامّية .

كثر اللّحن عند الإسلام بسبب عوامل كثيرة ؛ منها الاختلاط بين العرب وغيرهم من الفرس والروم والنبط بعد أن دخلوا هؤلاء الإسلام .

وبعد الفتوحات الّتي شملت كلّاً من الشام والعراق وفارس والهند وإفريقيا والأندلس، ثّم يأتي دور المدن الّتي يكثر فيها الأعاجم وكثرة الجواري من أعجميّات ومولّدات، وتفشّي الجهل بسبب ترك أهل المدن دراسة اللّغة والنحو ، والجوازات في الشّعر بدأت اضطراراً ثّم تعّم بطول القراءة والرواية .

لم تكن لغات سكّان الأقطار المفتوحة هي الّتي تأثّرت بالاختلاط ، بل اللّغةالعربيّة نفسها تأثّرت بهذا الاختلاط وانحراف الألسنة بها وخروجها عن قواعدها وفساد بعض عاداتها الكلاميّة ، فكانت ظاهرة نشوء اللّحن.وأول مظاهره الأصلّية على الألسنة العربيّة: إسقاط حركات الإعراب وترك التصريف، لأنّ هذه الحركات تتطلب قدرا من التّنبيه ومن الالتفات يكاد يستنفذ المتكلّم في إبانته عمّا يريد الإبانة عنه ، فكان لا يجد في نفسه فضلا من الجهد يبذله في إقامة هذا التصرّف الإعرابّي .

وهناك مظهر ثان من اللّحن في اللّغةالعربّية وهو استعمال الألفاظ العربّية في غير ما وضعت له ، ومقصورة عليه ، كما يحدّثنا الجاحظ (تـ ٢٥٥ هـ) أنّ عبيد الله بن زياد قال مرّة : " افتحوا سيوفكم " يريد : سلّوا سيوفكم . فاستخدم لفظة أخرى لم يكن من عادة العرب أن تضعها في هذا الوضع. (١)

واتسع نطاق اللّحن بعد أن كثرت الظّواهر الّتي ذكرنا رغم حرص بعض الخلفاء والصفوة وخاصة في القرون الأولى ، ولكن حفظت لنا كتب الأدب بعض الظواهر في اللّحن نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: كان الفرزدق (تـ ١١٠ هـ) يلحن في أشعاره، وكان عبد الله بن يزيد الحضرميّ البصريّ يعترضه وينسبه إلى اللّحن الحضريّ، حتّى هجاه بقوله:(٢)

لو كان عبد الله مولى هجوته ولكنّ عبد الله مولى المواليا

فقال الحضرمي : لحنت .. ، ينبغي أن تقول : مولى موالٍ

وكان الحجّاج بن يوسف الثقفّي (تـ ٩٥ هـ)كثير اللّحن ، ويستدرك اللّحن بعد اللّحن، أّما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان لحّانا.(٣)

وقالوا:(قال بشر بن مروان وعنده عمر بن عبد العزيز لغلام له: ادع لي صالحا، فقال الغلام: يا صالحاً ، فقال له بشر: ألق منها ألف، فقال عمر: وأنت فزد في ألفكألفا).(٤)

ويقول المأمون:(أنا أتكلّم مع النّاس كلّهم على سجّيتي إلاّ علي بن الهيثم ، فإني أتحفّظ إذا كلّمته لأّنه يعرف في الإعراب).(٥)

ولم يقتصر اللّحن على الطبقات العامة والطبقات الحاكمة وإنما يتعداها إلى الطبقات العالمة ، فالروايات تتحدث عن خطإ أبي حنيفة إذ سأله رجل: ما تقول في رجل أخذ صخرة

---

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار الصعب ، بيروت،(ب.ت)، ج/٢، ص/٣١٩.
(٢) اللّهجات العربيّة في التّراث ، أحمد علم الدّين الجندي ، الدار العربيّة للكتاب ، ١٩٨٣م ، ص / ٢٥٠.
(٣) تاريخ الأدب العربيّ ، د .عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / ٣ ، ١٩٨٠م ، ص / ٣٨ .
(٤) البيان والتبيين ، الجاحظ ، (م . س) ، ج / ٢ ، ص / ٣١٩.
(٥) اللّهجات العربيّة في التّراث ، أحمد الجندي، (م . س) ، ص / ٢٤٢.

فضرب بها رأس رجل فقتله ، أتقيده ؟ قال: لا، ولو ضرب رأسه بأبا قبيس، كما تتحدّث عن خطأ الحسن البصريّ في قراءة الآية الكريمة (فتنزلت به الشياطون).[١]ووضع الجاحظ بابا للحن البلغاء ، وقال من اللّحانين البلغاء خالد بن عبد الله القسري وخالد بن صفوان الأهتمّي وعيسى بن المدوري،[٢] ويقول الجاحظ في مكان آخر: " وكان مهدي بن مهلهل يقول: "حدّثنا هشام" . مجزومة ، ثّم يقول: "ابن" . ويجزمه ، ثم يقول: حسان. ويجزمه"[٣].

إذا كان هذا الحال في النّثر فلا بدّ من أن يكون في النّظم أكثر ، ولكن لم يصلنا منهإلاّ القليل بسبب اعتناء المهتمين بالأدب الفصيح وترك الأدب والشعر العامّي ، فلم يجد من يعتني به لاستهجان الصفوة من اللغويّين للهجة العامّية منذ بداياتها ، ولذلك لا نستطيع أن نتتّبع شعرنا باللهجة البدوية، ولا أن نتبّين متى نشأ وظهر، وكيف تطوّر في تاريخه الطّويل. ولكن نحاول أن نشير إلى بعض الظواهر ذات الصلة ببدايات اللّهجة العامّية.

فنجد بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م) كتب بعض الأبيات باللغة العربّية، ولكنها بألفاظ وعبارات لا ترتقي على عامّة النّاس ، كقوله[٤]:

ربـــــاب ربـــــة البيـــــت تصـبّ الخـلّ فـي الزيـت

لهـــا عشـــر دجاجـــات وديـــك حســـن الصـــوت

أو أبيات شعبّية صرفة كقول إبراهيم الموصلي[*] (ت ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م) ؛ المغّني المشهور ، وهو يغّني أبيات شعبّية وهو ثمل[٥]:

---

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، (م . س)، ج / ٢ ، ص / ٣٢٢ ، انظر : سورة الشّعراء، الآية ٢١٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٣٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص: ٣٢٣.
(٤) ديوان شعر بشار بن برد، جمعه وحققه:السيد بدر الدّين العلوي،دار الثقافة،بيروت،١٩٨١م، ص ٥٢.
(*) إبراهيم ميسون الموصلي وأمه من بنات الدهاقيق وأحد أشهر المغنين في العصر العباسي ، ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م ، توفي ابوه وعمره ثلاث سنوات ، ولقب بالموصلي لإقامته بمدينة الموصل ، تربى عند بني تميم والتحق بالكتاب فلم يتعلم شيئا بسبب شغفه وحبه للغناء ، ولهذا لاقى محاربة من أسرته ، فاشتهر أمره وتنقل بين الخلفاء إلى أن توفي في بغداد سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، انظر : كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، مجلد ٥ ، دار الثقافة ، بيروت ، ص / ٢٢٩ ، قارن :الموسوعة الموسيقية، حسين مدوري، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٧ م ، ص / ٨٨ .
(٥) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، (م . س) ، ج / ١ ، ص / ٢٣٧
(*) أشناس التركي : كان من القادة الشجعان ذوي البأس ، صحب المأمون في غزو الروم ، وصحب المعتصم في فتح عمورية ، وبلى في المعركة بلاء حسنا ، ولاه المعتصم على مصر سنة ٢١٩ هـ ، وخلع عليه الواثق لقب السلطان ،

أنـا جيـت مـن طـرق موصـل أحمـــــل قلـــــل خمريـــــا

مـــــن شـــــارب الملـــــوك فـــــلا بـــــد مـــــن ســـــكرية

وهذا الخليفة المعتصم ، طلب من أشناس التركي(*)(ت ٢٣٠ هـ) أن يحضر له كلباً واحداً للصيد ، فبعث له واحداً ، فوجده أعرجا ، فردّه . فكتب إليه أشناس(١):

الكلـــــب أخـــــذ جيّـــــد مكســـــور رجـــــل جبـــــت

ردُّ جيّـــــــــد كمـــــــــا كلـــــبٌ كنـــــت أخـــــذت

فأجاب المعتصم بالله :

الكلـــــب كـــــان يعـــــرج يـــــوم لّـــــذي بـــــه بعثـــــت

لـــــو كـــــان جـــــاء مجبّـــــر أجبـــــر رجـــــل كلـــــب أنـــــت

وهذا عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجّاج(*) يكتب أبياتا ذات موضوع هابط، وهو يطلب شعيرا لدابّته(٢):

كميتـــي اصـــهل فقـــال نعـــم بالســـمع يـــا ســـيّدي وبالطاعـــة

نعـم ولكـن أيـن الشـعير تـرى ؟ فقلـــت هـــو ذا يجـــبهم الســـاعة

قـــال فممـــن ؟ فقلـــت مـــن رجـــل قـد صـار فـي الجـود حاتمـا بـاع

فلما بعث إليه المسؤول بالشعير قال :

كـــال لـــي ابـــن المعـــدّل بـــــــالقفيز المعـــــــدّل

مـــن شـــعير بـــلا تـــرا ب نقـــــــي مغربـــــــل

مـــــا رأى مثلـــــه فـــــلا نـــــا قضـــــيما لدلـــــدل

وألبسه تاجا ووشاحين وأول من لقب بهذا اللقب ، وتوفي سنة ٢٠٠ هـ ، انظر دولة بني عباس ج٢، شاكر مصطفى، وكالة المطبوعات في الكويت ، ص ٤١٨.

(١) الشّعر الشعبي العربيّ، د.حسين نصار، دار الرائد العربيّ، بيروت، ١٩٨٢م، ص/١٥٤.

(*)عبدالله الحسن بن أحمد بن الحجّاج.

(٢) الشّعر الشعبي العربيّ ، د . حسين نصار، ص / ١٥٦ .

يتبّين أنّ مثل هذا الشّعرالّذي لا يترفّع عن أيّ موضوع ، ولا يترفّع عن أيّة عبارة ولا يأبى أيّ صورة ولا يهتّم بالعبارة الّتي تعرفها الفصحى أو لا تعرفها ، ولا يفرق بين موضوعات شعرية وأخرى غير شعريّة ،وما إن جاء العصر العباسي حتّى فشت العجمة وجرى اللّحن على كلّ الألسن إلاّ القلّة من أصحاب الفصاحة الّذين أصبح يطلق عليهم بألقاب النحوي أو اللّسانالعربّي القحّ. وبعد مجيء القرن الّرابع دخل اللّحن من أوسع أبوابه إلى البادية العربّية، ولم تسلم منه إلاّ المناطق البعيدة إلى أن عّم تدريجّيا على كلّ أصحاب لغة الضاد. (١)

هذه العوامل الّتي أّدت إلى فشو اللّحن في كلّ الطبقات ، ووصل خطره إلى القرآن، دفعت المهتمين إلى أن يتّجهوا إلى رأب الصدع ، فقادتهم إلى نشأة قواعد النحو على يد أبي الأسود الدؤلي ت(٦٩ هـ) .

ظهور الموشّحات :

في أواخر القرن الثالث الهجري ظهرت حاجة الجماهير إلى شعر يصلح للغناء، فيه السهولة والبساطة، وفيه البعد عن الأغراض التقليدّية ، لذا ظهرت الموشّحات كلون من ألوان الشّعر الشعبي في الأندلس ،على يد مقّم بن معافي القبري(*)وهو من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وجاء بعده عبادة القزاز(**)الّذي برع فيه.(٢)

---

(١) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ، (م . س) ، ج / ١ ، ص ص / ٢٤١ ، ٢٤٥

(*)مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواي ، وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، وهو مخترع الموشح ، وزعموا أنه لم يسبقه إليه أحد من معاصريه ، وقد أصاب اسمه تحريفا وتصحيفا في عدد من نسخ مقدمة ابن خلدون وطبعاتها ، فظهر على الشكلالآتي : مقدم بن معافي الفريري ويجب أن يقرأ القبري عوضا عن الفريري نسبة إلى قرية قبرة في الأندلس ، انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، مجلد ٧ ، ص / ٦ ، قارن: في الأدب الأندلسي، جودت الركابي ، دار المعارف ، هامش ص / ٢٨٧ .

(**) ابن عبادة القزاز، شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية، أول من برع في هذا الفنّ، وحدّد أصوله بعد ظهوره، وهن من نسج على منوال ذلك الطّراز، ورقم ديباجه ورصّع تاجه، وكثر الخلط بينه وبين عبادة ماء السماء، انظر ذخائر العربيّ، المعرب في حلى المغرب ج ٢حقّقه وعلّق عليه شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٣منقّحة ١٩٨٠، ص: ١٣٩.

(٢) المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، دار العودة، بيروت،(دون. ت)، ص ٤٩١.

وفي القرن الرّابع الهجريّ تبلورت الموشّحات ووضعت لها القواعد والأصول ، ثم انتشرت من بلاد الأندلس إلى بلاد المشرق العربيّ (القاهرة الفاطمية ، وبغداد العباسية) وكثر الوشّاحون والدارسون لفن التوشيح ، ثم جاءت مرحلة أخرى سادت فيها الموشّحات كلّ البلدان ، مستخدمة اللّهجات المولّدة وا لدّارجة ، قاصدة بذلك السّهولة والبساطة واليسر .

وإذا رجعنا إلى الموشّحة لمعرفة بنائها الفّني لرأينا أ ّنها تتكّون من مقطوعات ، وكلّ مقطوعة تتكّون من مجموعة أقفال أو غصون ، وخرجة ودور .

فالأقفال هي مجموعة من أبيات الشّعر متتالية ليس لها عدد محدود ، حيث تتراوح بين اثنتين إلى ثمانية أقفال ، وربّما زادت على ذلك ، والأقفال عادة ما تكون متّحدة القافية .

أّما الخرجة فهي القفل الأخير في المقطوعة يتّحد في وزنه وقافيته مع جميع المقطوعات (الموشّح كلّه) ، لكّنه مع باقي الأقفال قد يختلف في الوزن والقافّية. بينما الدور مجموعة الأقفال في المقطوعة عدا القفل الأخير الّذي هو الخرجة [١].

وعادة ما يبدأ الموشّح ببيت من الشّعر يسّمى المطلع (المذّهب) ،إلاّ أّنه لا يلزم تقفية مصراعي هذا المطلع ، فإذا ما بدأ الموشّح بهذا المطلع ، فإنه يسّمى الموشّح التّ ّام، وإذا ما بدأ بدونه ، فإّنه يسّمى الموشّح الأقرع .

وقد قال ابن خلدون : ت (١٣٣٢م – ١٤٠٦م) "أّما أهل الأندلس، فلّما كثر الشّعر في قطرهم وتهذّبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فّناً سّموه الموشّح ، ينظمونه أسماطاً أسماطا ، وأغصاناً أغصانا .....، واستطرفه الّناس جملة الخاصّة والكافّة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها في جزيرة الأندلس مقدّم بن معافى القبري... وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ّربه صاحب كتاب العقد الفريد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أّول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية.. "[٢].

(١) تاريخ الأدب العربيّ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط / ٢٨ / ٢٠٠٨م ، ص / ١٣٠ .
(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص: ٤٩١.

ومن موشّحة الوزير أبو عبد الله بن الخطيب[*] (ت – ٧٧٦ هـ)[1]:

المطلع

جـــادك الغيـــث إذا الغيـــث همـــا يـــا زمـــان الوصـــل بالأنـــدلس

لـــم يكـــن وصـــلك لاّ حلمـــا فـــي الكـــرى أم خلســـة المختـــلس

الدور

إذ يقـــول الـــدهر أســـباب المنـــى تنقـــل الخطـــو علـــى مـــا ترســـم

زمـــرا بـــين فـــرادى وثنـــى مثـــل مـــا يـــدعو الوفـــود الموســـم

والحيـــا قـــد جلـــل الـــروض ســـنا فســـنا الأزهـــار فيـــه تبســـم

الخرجة

وروى النعمـــان عـــن مـــاء الســـماء كيـــف يـــروي مالـــك عـــن أنـــس

كســـاه الحســـن ثوبـــا معلّمـــا يزهـــى منـــه بـــأبهى ملـــبس

تجد أنّ للمطلع قافيتين ؛ واحدة بصدري البيتين وهي الميم ، والثانية بعجزي البيتين وهي السين، أمّا الدور فهو يتكّون من ثلاثة أبيات بقافية تختلف عن قافية المطلع بالصدر والعجز، فلصدر الأبيات الثلاثة قافية واحدة وهي (النون)، وفي عجز الأبيات الثلاثة قافية واحدة وهي الميم ، أمّا الخرجة فتعود قافيتها إلى قافية المطلع (الميم) و(السّين) .

وتكثر الأوزان والشّكل للموشّح وتتعدّد اعتباراً من القفل الّذي يكّون بيتاً واحداً من شطرين أو ثلاثة شطرات أو من بيتين أو أكثر وهكذا الأدوار والخرجات .

الزّجل:

(*) لبيان الدّين محمد بن عبدالله بن الخطيب ولد في لوضه من أعمال غرناطة لسنة ٧١٣هـ وكان كاتباً التحق بأبن الحجاج يوسف سلطان غرناطه ٧٣٣-٧٥٥ هـ فاستكتبه ثم استوزره واخذ يده في شؤون ملكه فاتسع نفوذه وضخم أمره ثم وزرة ابنه محمد الخامس ابن ابي الحجاج بعد وفاة ابنه، واتهم بالخيانة والزندقة ففر إلى المغرب وسعى اعداؤه حتّى سلموه فسجن بفاس ومات بسجنه ٧٧٦هـ، انظر تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيات، دار الشرق العربيّ لبنان بيروت طبعة جديدة ص ٣٢٣، والأدب الأندلسي جودت الركابي، دار المعارف هامش ص ٢٩٠، ونفح الطيب ج ٨، كتاب الوفيات ص ٣٧٠.

(١)المقدمة ابن خلدون، ص ٤٩٥، ونفح الطيب ج ٧ ص ١١، والأدب الأندلسي ص ٣٣٣.

يرى ابن خلدون أن الزّجل ولد من رحم الموشّح ، فيقول:"إنّه لما شاع فنّ التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه ، وترصيع أجزائه، فنسج العامة من أهل الأمصار على منواله ، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة ، لم يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوا فنّا أطلقوا عليه اسم الزّجل ، والتزموا النّظم فيه على مناحيهم ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتّسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة ، وأوّل من أبدع في هذه الطريقة الزجلّية هو أبو بكر بن قزمان(*) ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس، لكن لم يظهر خلالها في معانيه ورشاقته إلاّ على عهده"(١)

إذ يعتبر الزّجل الامتداد لفن الموشّح ، وانتشر في جميع البلدان كالعراق والشام ومصر، ويعتبر كلّ ما أعرب موشحا وكل ما خلا من الإعراب زجلا(٢). ويقول صفّيالّدين الحلّي في مكانة الزّجل بين فنون الشّعر الأخرى : (هو أرفعها رتبة ، وأشرفها نسبة ، وأكثرها أوزانا ، وأرجحها ميزانا ، ولم تزل إلى عصرنا هذا أوزانه متجدّدة ، وقوافيه متعدّدة، ومخترعوه أهل المغرب ، ثم تداوله النّاس بعده ..... وإنّما سمّي هذا الفن زجلاً لأنّهلا ُيلتذّ به وتفهم مقاطع أوزانه، ولزوم قوافيها،حتّى يغنّى به ويصوّت، فيزول اللّبس بذلك).(٣)

والزّجل لغة بالتّحريك .اللّعب والجلبة ورفع الصوت ، وخصّ به التّطريب .....، وقد زجل زجلاً ، فهو زجل ، وزاجل ، وربما أوقع الزاجل على الغناء ، قال وهو يـُغنّيها غناء زاجلاً ، والزجل : رفع الصوت والطرب ..... وأيضا هو الصوت ، يقالـ سحاب زجل: إذا كان فيه الرعد(٤).

(*)أبوبكر بن قزمان القرطبي ت ٥٥٥هـ ١١٦٠م ، يعد ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء الالتفاتة إلى المعنى، أول من برع في هذه الطريق الزجلية وان كانت قيلت قبله بالأندلس، ولكن لم يظهر حلاها ولا انسكبت معانيها واشتهرت إلى في زمانه، نفح الطيب ، ج٧ ، ص ١٤، وفي الأدب الأندلسي، الركابي، هامش ص ٢٩٨.

(١) المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٩٧.

(٢) العاطل الحالي والمرخص الغالي ، صفي الدّين الحلي ، تحقيق : د . حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥ – ٦.

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : زجل ، ص ٣٠٢.

أّما في الاصطلاح فهو ضرب من الشّعر تتعدّد قوافيه وأوزانه تبعا لرغبة ناظمه كما أّنه يعتمد في هيكله على الخرجة بخلاف القصيدة العمودّية الّتي تعتمد على المطلع أّولاً . ويقول (السيد خميس) في الشّعر العامّي في مصر:"الزّجل شعر يصاغ في فقرات تسّمى أبيات ، وتبدأ مقطوعته ببيت يعرف (المركز) تليه (أغصان) ذات قافية واحدة وغصن واحد ، يتكّون الغصن منها من ثلاثة مصاريع أو أكثر، ثم يقفيها ببيت في نفس وزن المركز وقافيته يربط الأغصان بالمركز" [١].

وقد نسب بعض المؤّرخين الزّجل إلى ابن قزمان المتوفى ٥٥٤ هـ ، وقيل بل مخترعه ابن غرلة[*] استخرجه من الموشّح ، وقيل بل يخلف بن راشد إمام الزّجل قبل أبي بكر بن قزمان ، وكان ينظم الزّجل القوي من الكلام ، فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق، مال النّاسإليه وصار هو إمام الزّجل ، وقيل بل مخترعه مدغليس[**].[٢]

أول من نظموا الأزجال جعلوها قصائد على أبحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض ، لا يغايره بغير اللّحن ، واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية ، ولما كثرت واختلفت عدلوا عن الوزن الواحد العربّي إلى تفريع الأوزان المتنوعة وتضعيف لزومات القوافي ، ليكون ذلك فنا لهم بمفردهم ، ولحنوا تلك القصائد بألحان طّية السماع ، رائقة في الأسماع ، متناسقة في الأنغام والإيقاع . وهذا يمنح ناظمه كثيراً من الحرية ولا يقيده بصورة محدودة ، فأوزانه وقوافيه متعّددة بخلاف بقّية فنون الشّعر الأخرى[٣] .

---

(١) العامي في مصر ، سيد خميس ، مطابع روز اليوسف ، ط / ١ ، ١٩٩٨م ، ص / ٣٠.

(*) ابن غرلة الشّاعر المغربي، وهو من أكبر أشياخهم بنظم الموشح والزجل، ورد هذا الاسم في المراجع بصورة مختلفة مثل ابن غرله، ابن غزلة، ابن عزلا، ابن غزال، ولم يوجد ما يرجح احدهما، انظر العاطل الحالي والمرخص الغالي هامش ص ١١.

(**)مدغليس حمدين الحاج ابو عبدالله وكان في دولة بني عبدالمؤمن وهو شيخ الزجاليين بعد ابن قزمان وكان مشهوراً بالانطباع والصنعة في الازجال، وكان أهل الاندلس يقولون: ابن قزمان في الزجاليين بمنزلة المتنبي في الشّعراء ومدغليس بمنزلة ابي تمام بالنظر إلى الانطباع والصناعة واسم مدغليس اسم مركب من كلمتين اصله مضغ الليس، والليس جمع ليسه، وهي ليقة الدواة، وذلك أنه كان صغيراً بالمكتب فمضغ ليسه وهي خرقة توضع في الدواة، فسمي بذلك، انظر العاطل الحالي ص ١٣، قارن: المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط ٣، ص ٢١٤، قارن نفح الطيب ج ٣ ص ٣٨٥.

(٢) انظر : العاطل الحالي ، صفي الدّين الحلي ، ص ١٣ .

(٣) ينظر: العاطل الحالي ، ص١٤ – ٢٢.

وتاريخ الزّجل القديم وصلتنا تسميته وبعض نماذجه من العصور العباسّية المتأخرة، ولغته مزيج بين الفصحى والعامّية أيعامّية تلك العصور، أّما ألحانه فلا نعرف بالتحديد كيف كانت ، ولا ندري حدود ارتباطها عندنا اليوم بجذوره القديمة تلك ، وأولع المشارقة بالزجل وأكثروا من أوزانهحتّ ى قالوا : صاحب ألف وزن ليس بزجال ، والمتأخرون من أهل هذا الفن يقولون إنه لم يتصل بهم أكثر من خمسين وزنا، والزجل اليوم أحد أنواع الشّعر العامّي الباقّية.(١)

ومن أمثلة الزّجل يقول مدغليس(٢) :

مطلع :

لاح الضـــياء والنجـــوم حيـــارى فقـــم بنـــا ننـــزع الكســـل

شـــربت ممزوجـــا مـــن قـــراع أحلـــى هـــي عنـــدي مـــن العســـل

الدور :

يـــا مـــن يلمنـــي كمـــا تقلـــد قلـــدك الله بمـــا تقـــول

يقـــول بـــأنّ الـــذنوب مولـــد وأنـــه يفـــد العقـــول

الأرض الحجـــاز يكـــون لـــك راشـــد اش مـــا ســـاقك لـــذي الفضـــول

الخرجة أو القفل:

مَأُنـــبْ لِـلْحَـــجِّ والزِّيـــارَا دَعْنِـــي فِـــي الشُّـــرْبِ مِنْهَـــل

نْ لَـــيْسَ لَـــهُ قُـــدْرِه الاسْـــتِطَاعَا لذِيَّـــة أُبْلَـــغْ مـــن العمـــل

فالمطلع هو ركيزة القصيدة وهو قافيتها الثابتة في كلّ الخرجات ، أّما الدور فهو يختلف من دور إلى آخر في قافيته ، وهذه قصيدة زجلّية لأبي الحسن علي بن محّمد الشاطبي في زجله الّذي مطلعه : (٣)

(١) الاشعار والاغاني الشعبية، د.حسين ابو عليوي، ص ٢١.
(٢) نفح الطيب ج ٢،ص ١٦.
(٣) العاطل الحالي والمرخص الغالي ، ص ٢٩ .

المَسَـــرَّاتْ كَثِيـــرَهْ والأفـــراحْ أهْنـــا نحـــتجْ نصـــرِّفْ الأمـــداح

ويقول في أقفال بيت منه :

جَنّـــا صـــارتْ بـــلادكْ الأنـــدلوسْ

وجـــوه أهلهـــا بحـــال الشـــموس

لـــسْ شـــيْ مـــا يشـــتكو مـــا عاشـــو بـــوسْ

قـــدْ عطـــاهمْ مـــن الخطـــوبْ الســـراحْ

وعرف الليبيون خصوصاً وشمال إفريقيا عموماً – على الأرجح – القصيدة الزجلية قبل الزّجل الأندلسي بكثير ، وذلك عن طريق قبيلتي سليم وهلال، اللّتين انتشرتا على طول الشمال الإفريقي ، من برقة في ليبيا مروراً بتونس إلى الجزائر، وعرفوا الأزجال الأندلسيّة بعد سقوط الأندلس نهائياً ، وعودة عرب الأندلس إلى شمال إفريقيا واستيطانهم بها ، وكلّ ما دّونه ابن خلدون في مقدّمته من أزجال في شمال إفريقيا هي النوع الأوّل القصيدة الزجلية، هذه القصائد الّتي قيلت بألسنة ولهجات كلّ منطقة . ووردت نصوص شعرية كثيرة في مدونات الكتب التاريخيّة العربيّة ، يقول ابن خلدون: (كان الشّعر موجودا بالطبع في أهل كلّ لسان لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن ، وتقابلها موجودات في طباع البشر، فلم يهجر الشّعر بفقدان لغة واحدة ، وهي لغة مضر، الّذي كان فحوله وفرسان ميدانه حسب ما اشتهر بين أهل الخليقة ، بل كلّ جيل وأهل كلّ لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ..... وأهل المشرق من العرب يسّمون هذا النوع من الشّعرالبدويّ ، وربما يلحّنون به ألحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقّية، ثم يغّنونه ويسّمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران).[١]

وأورد ابن خلدون شعراً لامرأة قتل زوجها من نواحي حوران بعثت إلى أحلافه من قيس تحثهم بطلب ثأره[٢].

(١)المقدمة، ابن خلدون، ص ٥٨٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩١.

تقـــــول فتـــــاة الحـــــي أُمسـســـــلامة بعـــين أراع الله مـــن أرثـــى لهـــا

تبيـت بطـول للّيـل مـا تـألف الكـرى موجعـــة كـــأن الشـــقاء فـــي مجالهـــا

علـى مـا جـرى فـي دارهـا وأبـو عيالهـا بلحظـــة عـــين البـــين غيَّـــرْ حالهـــا

فقـدنا شـهاب الـدّين بـا قـيس كلّكـم ونمـت عـن أخـذ الثـأر مـاذا مقالهـا

أمّا شعر هلال وسليم لا يختلف في الواقع عن الشّعر الفصيح ، فلغته عربّية اختلطت بشيء من اللّهجة الدارجة في شيء من التحريف الجزئي للكلمة الفصيحة في النطق وفي الإعراب، أمّا موازين الشّعر فبقيت هي نفسها الموازين المعروفة عند العرب ، وهذه قصيدة نقلها لنا ابن خلدون في مقدّمته لخالد بن حمزة شيخ الكعوب ، من أولاد أبي اللّيل من سليم من أبناء القرن الثامن للهجرة وهو يعاتب فيها أولاد مهلهل ويجيب شاعرهم شبل عن أبيات فخر عليهم فيها بقومه(١):

يقـــولُ وذا قـــولُ لمصـــابِ الّذي نشـــا قـــوارع قيعـــان يعـــاني صِـــعَ ُها

يـــريحُ بهـــا حَـــادِي الُمصَـــاب إذَا انْتَـــى فنـــون مـــن إنشـــادِ قَـــوافِي عِ ُها

محَيـــرةُ مُخْـــارة مـــن نشـــادنا تحـــدى بهـــا تمـــام الوشـــا مـــا تهُ ها

مغربلـــة عـــن ناقـــد فـــي غضـــونها محكّمـــة القيعـــان دابـــي ابُ ها

وهـــيض تـــذكاري لهـــا يـــا ذوي النـــدى ـــوارع مـــن شـــبل وهـــذي جوابُ ها

ونلاحظ لفظة عامّي أو عامّية تطلق على هذا النوع من الشّعرالّذي يتحلل من قواعد الإعراب وبأسلوب اللّهجة السائدة في أيّ قطر ، ولعلّ الشّعر العامّي في أغلب أقطار الوطن العربّي هو الزّجل لاقتران وجوده بالغناء والتطرب وخصوصا أنّ السامع لا تطُربه موسيقى الوزن والقافية وإنّما من الحرّية الّتي أتاحت للشاعر عدم التقّيد بالأوزان وبطريقة

(١)المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٨٦.

محدودة في التفعيلة ، فكلّ هذا أتاح له أن يعبّر عن حياة النّاس العادية فكان أسرع وصولا إلى مشاعرهم ووجدانهم ، فكلّ من المطلع والأغصان والأقفال أو البيت والدور والأحمال تنوعت وتركت للشاعر حرّية الحركة.

فالشعر باللّهجات المحلّية له بلاغته وجماله وقوته وطلاوته وقدرته على براعة التراكيب والتقديم والتأخير .... إلخ، وعدم الإعرابلا يقف حجرة عثرة في طريق بلاغة الشّعر بأيّ لهجة أو لغة كانت ، ففي هذا الموضوع يقول ابن خلدون : (ولهؤلاء العرب في هذا الشّعر بلاغة فائقة ، وفيهم الفحول .... فالإعراب لا مدخل له في البلاغة ، إنّما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ، ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس، وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه، فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحّت الدلالة ، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحّت البلاغة ، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك ، وأساليب الشّعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلمة ، فإنّ غالب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميّز عندهم الفاعل عن المفعول والمبتدأ عن الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب[1].

بداياتالشّعرالبدويّباللّيبيّ باللهجة العاميّة

إنّ ما وصل إلينا من الشّعرالبدويّباللّيبيّ والذي تطوّر وبخاصّةٍ الملزومة والمسّس والطبيلة تشبه في هياكلها وتراكيبها الموشّحات والأزجال الأندلسيّة من حيث الطوالع والأدوار والمكّبات الّتي جلبها الأندلسيّون معهم إلى ليبيا في هجراتهم المتعددة.

والشعر البدويّباللّيبيّ تأثر بالموشّحا ت والأزجال الأندلسيّة من الناحيـة الهيكلّية والشكلّية فقط ، ولم يتأثر في معانيه وأغراضه وأصوله وألفاظه بتلك الأجزال، بل اقتصر تأثره على القوالب فقط ، فالشّعر البدويّباللّيبيقي بدويّاً في جملته لحمل القبائل العربيّةاللّيبيّةالبدويّة إلى

(١)المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٨٣.

الصّحارى والأودية والتلّال تحمل حيواناتها وأمتعتها متنقّلة من مكان إلى آخر طلباً للكلأ وموارد المياه، مثلما كان أسلافهم بالجزيرة العربيّة قبل هجرتها إلى شمال إفريقيا حاملة معها أشعارها ومعانيها وعاداتها وتقاليدها الظاهرة في أشعارها القوّية الرصينة، ولذلك يشاهد المطّلع والباحث في الشّعرالبدوّياللّيبيّالصّورة الجميلة الّتي لا تختلف كثيرا عن الصّورة في الشّعرالعربّي القديم ،وألفاظه جلّها عربيّة فصيحة، اللّهم إلاّ الزيغ في الإعراب.

تبلور الشّعرالبدوّياللّيبّي منذ قدوم بني سليم وبني هلال والهجرة العكسيّة من الأندلس إلى ليبيا، وأخذ في التفاعل وامتزجت اللّهجات وظهر الشّعرالبدوّياللّيبّي المعروف بمظهره الّذي نشاهده اليوم .

ولكن ضاعت أغلب النصوص القديمة لهذا الشّعر لعدم الاهتمام به وإهماله لأنهم يرونه فاقداً كلّ المزايا في نظر الرّواة والأدباء والنّقّاد القدماء ، فلم يجد من يعتني به، لذلك لا نستطيع أن نتتّبع نشأة وتطّور شعرنا البدوّياللّيبّي والأحداث الّتي مرّت عبر تاريخه الطّويل .

ولم تصل إلينا قصائد مطّولة أثناء الحكم العثماني الأوّل أو قبله ، وكلّ ما وصل إلينا إمّا أن يكون في فترة الحكم القره ماللي أو العصر العثماني الثّاني .

وأقدم ما وصل إلينا أبيات عن طريق محاورة دارت بين كلّ من القرّي(*) وحبيب(**)في شكل شفرة سنة ١٦٧٠م في تجريدةحبيب، حيث نبَّه حبيب فيها القرّي إلى الاحتياطات الآمنة له ولأهله أثناء المعركة، فيقول(١).

(*) القرى: كان رجل ثرى وصديق للشيخ عبدالمولى شيخ قبيلة العبيدات، واتصل بحبيب ابن صديقة الشيخ عبدالمولى وساعده بالمال والمشورة ولازمه خلال المعارك إلى أن حقق هدفه من رد ثأر أبيه وطرد قبائل أولاد على من الجبل الاخضر إلى مرسى مطروح بمصر على أيام حكم المماليكالّذين كانو يساعدون قبائل أولاد علي في حربهم ضد قبيلة العبيدات وحكم الاسرة القره مانلية في ليبيا، انظر تجريدة حبيب، تحقيق صلاح الدّين محمد جبريل منشورات دار الكتاب اللّيبيّ بنغازي، ليبيا، ط ٢، ١٩٩٥م، ص ٣١.

(**) هو حبيب عبد المولى ابن شيخ العبيدات [عبد المولى]الّذي له حظوة مع الأسرة القره مانلية بطرابلس واحد الاعيان وقتل من قبل الحامية بمدينة درنة بمساعدة أولاد علىالّذين يحملون عداء مع قبيلة العبيدات بالجبل الاخضر وثارات قديمة فإخذ ابنه حبيب على العمل لرد ثار أبيه، واتصل بإدارة الحكم في طرابلس وطلب من الوالي القره مانلي مساعدته في القضاء على قبيلة أولاد على فأعد له عدة الحرب وطلب من قبائل "زليتن ومصراتة وورفلة وتاجوراء" وزحفت القوات البرية من طرابلس بمحاذاة القوات البحرية بالقرب من الشاطئ إلى ان وصلت لي المنقطة الشرقية وهزمت قبائل أولاد على شر هزيمة وطردت إلى الأراضي المصرية المتواجدة إلى يومنا هذا. انظر تجريدة حبيب من ص ٣١ إلى ٣٧.

(١) التسلسل التاريخي للموروث منالتّراث والشّعر الشّعبياللّيبيّ، أ.مفتاح رجب صبره، مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ص ٣٢ – ٣٣.

يـــا شِـــيخْ مـــا كُنـــتْ ذهّـــابْ ... ْولا فـ يـــــكْ شـــــيْ مِ الْياشَـــــهْ[1]

خُـــذْها علـــى زِينَـــةْ الـــدِّابْ ... ْوخلّـــــي الْنســـــا عِ الّباشَـــــهْ[2]

رَوّدْلهـــــا ديـــــرْ وَرْكـــــابْ ... ْحَلاَّبْتـــــهْ فـــــي هَشَاشَـــــهْ[3]

ـلِّـــي حَشُـــوْهَا فِيـــه ســـيَّاب ... بعيـــدْ عـــنْ كُشِـــيشْ الحَنَاشَـــهْ

فـردّ عليـه القـرّي بأبيـات يلفـت فيهـا انتباهـه إلـى الأمـاكن والطـرق الآمنـة الّتـي يجب أن يسلكها عند تنظيم صفوفه للقتال محددا له ساعة الهجوم، يقول:

ـهَ ـــا مَـــع ُرقْبَـــةْ الـــدَّم ... نجْـــعِ الَعـــُو غاشْـــياتَهْ[4]

رِيـــتْ الـــثّلْم وِيـــنْ مـــا هَـــدْم ... ُهـــو مَقْحَـــزْه ُهـــو ْمباتَـــهْ[5]

ْوجـــاْء للْمخِيلِ ـــي وِرَســـْم ... ْوجَـــنْ يَلِعْـــَن رايْداتَـــهْ[6]

فـي للّيـل وقْـتْ مـا الفجِـرْ علّـْم ... فـــي نـــوْم العـــدْو هاجْماتَـــهْ[7]

ووصلتنا أبيات للشاعر علي بن عبد الله الطالب[*]حيث أخذه الحنين إلى عائلته وأولاده ، فيقول:[8]

(١) ذهّاب : قليل الخبرة / اللياشة: عدم المعرفة.
(٢) زينة الداب: أفضل الدواب يعني الخيل والإبل/ النسا ع الدباشة: ترك النساء والاطفال على الامتعة في بعد عن موقع المعركة.
(٣) رود : بحث لها عن مكان آمن.
(٤) رقبة الدم : موقع
(٥) ريت : رأيت ، الثلم : اسم الموقع ، مقحزه مباته : مكان المبيت والإقامة.
(٦) المخيلي : اسم الموقع وحدد له الهجوم مع الفجر.
(٧) هاجماته: يتم الهجوم عليه.
(*) هو علي بن عبدالله الطالب من مواليد ١٦٩٠م بالرجبان قرية البراهمة منطقة الشرشارة، توفى بمدينة مرزق حوالي سنة ١٧٤٥ ، ينظر تغاريد في الغربة ص ١٠.
(٨) تغاريد في الغربية، أبوبكر مصباح صقر، النادي الثقافي بالحوامد، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١٠.

فــزان عــلْ وطنــي بعيــد جْباهــا والله لــولا الخــوف مــا نهْواهــا[1]
نهْواهــــــــــــــــــــــــــا[1]

* * *

لــــو كــــان مــــاني خــــايف مــا نَقْطْعــهْ رمْــلاً يْــدير حفــايفْ[2]

مــا يقْطْعــهْ كــانْ لنّعــام ِرايِــفْ رْقابــهْ صــواري شُــقُفْ عــلْ مرســاها[3]
مرســــــــــــــــــــــــــاها[3]

وْعــلْ عيْلتِــي حــسَّ الــدليلْ مْرايــفْ ــــا تِنُعصَــــمْ عيلَــــهْ بــــلاَ باباهــــا[4]

فيأخذه الحنين إلى موطنه الأصلي الرجبان الّتي تبعد عن منطقة فزان، ويشير إلى أن مجيئه إلى فزان هو نتيجة خوف من الوالي التركي الّذي استدعاه إلى هناك لأجل العلاج لأن الشّاعر "كان طبيباً يعالج بعض الأمراض" فيقول: لولا الخوف لم آتِ وأقطع تلك الرمال العاتية كالجبال الّتي لا يسكنها إلاّ النّعاملّذي تشبه رقابه صواري البواخر في مراسيها، ويقول في الآخر: إنني أشعر بحنين إلى عائلتي والعائلة لا يمكن أن تتجمع وتتبع الطريق السوي بدون أب.

ووصلتنا أبيات من منطقة الجنوب اللّيبيّ من الشّاعرأحمد قنانه من قرية زيغن بالجنوب ، عاصر يوسف باشا القره ماللي (١٧٩٥م – ١٨٨٢م) وكان من ندمائه لعدّة سنوات ، وتربطه به صداقة ، وله عدد من القصائد الّتي تتسم بالحكمة ، وهاهو ذا يطلب من يوسف القره ماللي أن يخفف الضرائب على فزان عاصمة الجنوب اللّيبيّ ، قائلا[5]:

فــــــزا ن ســــــيدي رُدْ بالــــــكْ منهــــــا[6]

(١) فزان: هي منطقة بالجنوباللّيبيّ، علْ : على ، وطني: بلادي، جباها بعدها ، مانهواها: لن ادخلها.
(٢) رملاً : رمال بين طرابلس وفزان، يدير: يتراكم، حفايف : مرتفعات.
(٣) زرايف : مجموعات، صواري شقف: جمع سارية المراكب البحرية، المرسى: مرسى السفن.
(٤) عيلتي: عائلتي، حس: أشعر به، الدليل:التفكير، مرايف: مشتاق.
(٥) صدى الجهاد اللّيبيّ، ص ٤٦.
(٦) سيدي: يا سيّدي، ردّ: انتبه لها وادفع عنها الهلاك، البال : القلب.

بـــلا مـــوتْ يـــا ســـيدي تبِـــي تـــدفنها

حيث يطلب منه تخفيف أو أعطاء منطقة فزان من الضرائب فيقول: رد بالك : أيّ أعتنِ بها فهي في حاجة ماسة إلى المساعدة وإلا إنك سوف تقوم بدفنها وهي حيّه قبل أن تموت.

وهذا الشيخ غومه بن خليفة المحمودي (ت ١٨٥٨ م)، حامل لواء الثورة ضد الحكم العثماني ما يزيد عن ربع قرن ، وله العديد من القصائد الّتي تحثّ على القتال، وقد قال عندما أسرته القوات التركية وهو مكبل في الباخرة محمولا إلى الآستانة في قصيدة زجلية على وزن بورجيلة:[١]

جِزْنَـــاهْ خَـــطْ بْخَـــطْ زَيْ النيلَـــهْ اوْفِتْنَـــاهْ بَـــرْ الْعِـــزْ ومْراحِيلـــهْ[٢]

* * *

جِزْنَـــــاهْ فـــــي الشـــــرَّاقَه طَعْنَـــاهْ خَـــطْ بخَـــطْ قَلبِـــي تَاقَـــه[٣]

مُـــوعِي عَلَـــى رُوسْ اللْحِـــي دَفَّاقَـــهْ شَـــابِيبْ مِـــنْ بَعْـــضَ السّـــحَايبْ سِـيلَهْ[٤]

سِـــيلَهْ[٤]

* * *

جِزْنَـــــاهْ مَالَـــــهْ جُـــــرَّهْ والْكَـــافْ يبْعِـــدْ والْبَحَـــرْ يتْعَـــرَّى[٥]

ـــابُوا الـــدَّبَايرْ كَامِلَـــهْ فِـــي مَـــرَّهْ الصَّـــقَرْ دِيمَـــا انْحَصَّـــلَهْ الحِبِّيلَـــهْ[٦]

---

(١) صدى الجهاد الليبيّ ص ٤٣.
(٢) جزناه: تم اجتيازه، النيلة: صبغ أزرق اللون، بر : الدّيار
(٣) الشراقة: الباخره لانها تشق الماء وهي كالشارق بالماء، تاقه: تاقة، التاء مقلوبة عن الطاء، أيّ له طاقة وسِعة صدر تسَع ذلك.
(٤) دفاقة : تدفقت وسالت، أشابيب: جمع شؤبوب، السحايب جمع سحاب.
(٥) جزناه : اجتزناه، ماله: ليس له، جره: اثر، الكاف: من الكهف ويعني بها الجبل، يتعرى : يظهر.
(٦) الدباير: التدابير، ديما: دائما، تحصله: يقع في، الحبيلة: الشبكة.

يقول اجتزنا هذا البحر الأزرق الّتي يظهر لنا خط بخط كلون النيلة وهي "مادة صباغة زرقاء" وتجاوزنا بلاد الحب ونجوعها ومراحيلها وبواديها.

ويعيد في كلّ بداية بيت قوله "جزناه" في شيء من اللوعة والفراق أيّ اجتزنا البحر في (الشراقة)وهذه التسمية تأتي من "الغصة بالماء" فالرجل البدوّيلّذي لا يعرف البحار يرى نفسه فيه كالشارق أو الغاض بالماء، وهو يتوق إلى الرجوع أو الخروج من الماء لا بل قلبه هو الّذي يتوق لذلك ودموعه تنهمر كشآبيب المطرعلى ذقنه.

ثم يعود من جديد في البيت الأخير ويفتتح بقوله اجتزنا هذه المياه الّتي لا أثر تتركه على سطحهحتّ ىيتقفى أثرنا، وكلّما دخلنا الماء ابتعدت الشواطئ والجبال ويظهر لنا البحر، وكل التفكير والتدابير لم تسعفنا حيث غابت الحيل والحلول، وينهي البيت بحكمة قائلاً "دائما الصقور تقع في شباك الصائد".

مسمّيات الشّعرالبدوّياللّيبيّ

يطلق الّناس في ليبيا على هذا النوع من الشّعر عدّة مسميات لا تختلف كثيراً من مكان إلى آخر ، ومن بينها:

١. **الشّعر:** يطلق الليبيون على منظوم القول شعراً ، يقولون فلان شاعر وله شعر جميل، يقول أحد الشّعراء اللّيبيّين في المهجر بمنطقة الفّيوم بمصر [١] :

يـا بَاشَـةْ الفَيُّـوْم مـاذِي شَـاعِرْ اْنـَواطِي الّنظـر عَـارِفْ زَمـاذِي وَاعـرْ [٢]

وهنا يتبّين أنّ مصطلح الشّعر يطلق على الشّعرالبدوّياللّيبيّ كما يطلق على الشّعرالعربّي الفصيح .

٢. **القصيدة:** طلق على الوحدة المتكاملة مثلها مثل القول العربّي الفصيح تماما .

---

(١) القصائد العشر الأوائل لمهرجان الفاتح للشعر الشعبي، الكتاب رقم ١، اللجنة العليا لمهرجان الشّعر الشعبي، المركز الجماهيري لتوثيق الشّعر الشعبي والتراث، مطابع اديتار الدار العربيّة الإيطاليّة للطباعة والنشر/إيطاليا ط١ ، ٢٠٠٠م، ص / ١٣ .

(٢) باشا: لقب تركي يطلق على بعض المسؤولين، الفيوم، مدينة في مصر، ماني شاعر: لست بشاعر، نواطي الّنظر: اغض الطرف، واعر: صعب.

٣. **النّظم :** مثل هذه اللّفظة لا تجدها الآن إلاّ بين المثقّفين الّذين يطلقونها على الشّعرالبدويّواللّيبيّ كما يطلقونها على الشّعر الفصيح ، ولكنّ أجدادنا يطلقونها على القصيدة البدويّة اللّيبيّة كقول الشّاعرأحمد بن دلّة[١]:

لَيا حَكِيتْ لَكْ بالشّعْر كَرَّهكَرَّه اْيُوخْ فِيهْ شَرَحْ خَلِيلْ والْبُخَارِي[٢]

والْبُخَارِي[٢]

لَيا جَاكْ نَظْمِي ما تْبِيحْ اْسِرَّه بَاكْ تْعَرَضْ نِسْمتَهْ لِلْوَارِي[٣]

يقول إذا قمت وشرحت لك بالشعر خطوة خطوة وفكرة فكرة يكون صعبا على علماء التفاسير والأحاديث ، وهذا النّظمالّذي بعثت به إليك شعراً ، فإنّه به أسرار خطيرة فلا تُفشيها. وفي الشطر الأخيرة يرسم صورة جميلة ، فشّبه هذا الشّعر بالعطور، ويحذّره من أن تعرّض للرياح فتفسد قيمتها ، والشاهد في قول الشّاعر (نظمي) يعني به شعري .

٤. **الغناء** ينطق اللّيبيون هذه الكلمة بشيء من الإمالة يقولون (أُغْنِي) بمعنى غناء الّذي قوامه اللّحن والطرب ، تقول امرأة في أغنية (غنّاوْة) الرّحى[٤][٥]:

ماذِيشْ بالِي فِي لُغْنِي وانْغَنِّي غَلْبَةْ رَحَى يَا خَالْقِي عاوِنِّي[٦]

ابتدأت الشاعرة بيتها بقولها (مانيش) أيّ لا أرغب ولا أحبّ ولا نيّة عندي في الغناء ، ولكن ما يصدر عنّي من غناء الآن ما هو إلاّ نتيجة القهر والغلبة من (الرّحى)

---

(١) صدى الجهاد، القشاط، ص ٢١٠.

(٢) ليا: إذا، حكيت: اخبرت، كرة كرة : فكرة فكرة:

(٣) جاك : اتاك، نظمي: شعري، تبيح: بوح، نسمته: رائحته، للواري: الرّياح.

(٤)أغاني الرّحى هي أبيات شعرية مشهورة في الشمال الإفريقي لا يعرف لها قائل ، وهي من شعر النساء ، ومن عادة البدوإلاّ يّفصحوا عن أسماء النّساء الشاعرات ، لهذا كان كلّ شعر (الرّحى) مجهول القائل . وهذه الأشعار تتغنى بها المرأة ليلاأثناء طحن الحبوب ، وهي عملية خاصَّة بالنساء ، ترسل من خلال هذه الأغاني رموزاً ورسائلَ إلى أهلها وعشيرتها وحبيبها وتبثّ من خلالها شوقها وأحزانهاالّتي تصل إلى أهلها وعشيرتها عبر الركبان .

(٥) قصائد العشر الأوائل (م.س)، ص ١٤.

(٦) مانيش بالي: لا ارغب في شيء، الغني: الغناء، غلبة الرّحى: صعوبة وتعب وقهر من عملية طحن الحبوب، عاوني: عاوني: اعينني.

(*)هو عبد الله محمد محمد سالم الزناتي ، من قبيلة الزناته من غرب ليبيا ، ولد في مدينة العسَّة سنة : ١٩٠٠ م، وتوفي بمدينة رقدالين سنة ١٩٧٢ م ، وهو شاعر مجيد ، ولكن لم تجمع أشعاره في ديوان ، ومازالت تتناقله الرواة ، وقد أخذت ترجمته من قريبه الأستاذ أبو بكر الزناتي .

وهي آلة مصنوعة من الحجارة تطحن بها البدوية اللّيبيّة الحبوب الّتي تُعتَمد عليها في تغذية الأسرة ، وقد طلبت العون من الله أن يعينها على القيام بمهمّتها الشاقة .

ويقول الشّاعر عبد الله الزناتي(*)(١).

وَهاهُو الشّاعر ما بَقَى لَهْ شَانْ اِيجِي قَاصْدَكْ تْنزُرْ عَلِيهْ يخَافْ(٢)
اِيْ رَوَحْ كسِيدْ بْعبرتَهْ مَلْيانْ يِجِيبْ مَا يِرْمِي عَلِيكْ الْقَافْ(٣)
قُولَّهْ يغَنِّي عَلِيكْ افْلَانْ اِيحَكْ قُفْتَهْ وِيقولَّكْ خُرَّافْ(٤)

يقول الشّاعر: الشّاعر اليوم لم تبق له قيمة، يأتي (يجِي) ويجْعلك مقصدا له (قاصدك) فتعامله بجفوة وترفع صوتك في وجهه (تنزر عليه)، فيخافك ويخشاك. ويعود (يروِّح) كسير الخاطر (كسيد) ، والعبرة تملأ مقلتيه ، ويأتي (يجيب) بكلّ ما تحمله القافية (القاف) من هجاء. ويقال له: يهجوك (يغني) فلان، فيحكّ رقبته من الخلف، ويقول هذا هذيان كناية على عدم الاكتراث والبلادة، والشاهد في هذه الأبيات قوله يغني.

يقول ابن سيّده (عندي أنّ الغزل والمدح والهجاء إنما يقال في كلّ واحدة منها: غنّيت وتغنّيت ، بعد أن يلحّن فيتغنّى به)(٥)، يقول حسان بن ثابت: (٦)ت (٥٤هـ – ٦٧٣م).

تغنى بالشعر ما دمت قائله إنّ الغناء بهذا الشّعر مضمار

ومن قول جرير فيغسان السليطي بن كليب عندما قالوا له بعض منبنيكليب هذا غسان السليطي يتغنى بنا أيّ يهجونا ، فقال(١):

---

(١) قصائد العشر الأوائل، (م.س)، ص ١٤.
(٢) ها هو: هوذا، ما بقى: لم يبق، شأن: شأن، يجي: يأتي، تنزر: ترفع صوتك في وجهه.
(٣) يروح: يعود، كسيد: كسير الخاطر، يجيب: يأتي، ما يرمي عليك: ما يرمي، به عليك. القاف: القافية.
(٤) وتقوله:وتقول له، قُفِدْتَه: خلف رقبته، ويقولك: ويقول لك، خراف: كالخرافة.
(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادّة: غنا، ص ١٤٠.
(٦) وجدت البيتين بديوان حسان بن ثابت الانصاري تحقيق بدر الدّين حاضري، محمد حجاجي، دار الشرق العربيّ، الطبعةالثّانية ١٩٩٨م ص ٨٠.

عضَّــيْتُم علينــا أم تغذّيــتم بنــا أن أخضــر مــن بطــن الــتلاع غميرهــا

٥. **الكـلام:** يقول اللّيبيون للشعر البدويّاللّيبّي (كـلام) بمعنـى الشّعر، كـأن يقول أحـدهم فلان كلّام ويتكلّمأيّ شاعر أو له كلام جميل أو كلامه كثير، يعني بذلك الشّعر، يقول الشّاعر ،عبد الله الزناتي[٢]:

كَـــــلَامْ الزِّنـــــاتِيْ الفَنَـــــانْ لِيْـــــهْ شَـــــايْدَهْ فـــــي بْـــــلاَدَهْ[٣]

مْرَتَّـــــبْ مـــــوزونْ ميـــــزانْ لا ناقصَـــــــــــهْ لا زْيَـــــــــــادَهْ

يقول مفتخرا بشعره بأّنه صاحب فنّ ، وله (ليهْ) مكانة مرموقة (شايده) في بلاده ، ثّم يمتدح شعره بأّنه شعر موزون ومقفّى ومرتّب حسب قوانين الشّعر لا توجد به زيادة ولا نقصان ، والشاهد في قوله : (كلام الزناتي) بمعنى شعر الزناتي .

يقول ابن منظور في لسان العرب في مادّة (كلم) الكلمة : تقع على قصيدة بكاملها... يقال : قال الشّاعر في كلمته ، أيّ في قصيدته ، قال الجوهري: الكلمة القصيدة بطولها[٤].

٦. **القول:** يقول الليبيون للشعر: القول، وللشاعر (قّوال)، وعنده قول كثير، وفلان عنده (راس قول) ، يقول الشّاعر الغّنايْ غنّية[*][٥]

ـولِي عَلَـى لَجْـوَادْ وَأهْـلَ اللُّومَـهْ والنـــاسْ تفـــرقْ كـــلّ حَـــدْ وارْسُـــومَهْ[٦]

يبدأ الشّاعر بقوله : شعري (قولي) على أصحاب الجود والعطاء (لجواد) ،الّذين يقّرون اللوم وملامة الأصحاب ، والناس تعرف وتفّرق بين الرجال ، وتعرف مكانةكلّ

---

(١) لسان العرب: مادّة: غنا.
(٢) قصائد العشر الأوائل، ص ١٥.
(٣) كلام: شعر، ليه: له، شايده: مكانه مرموقة.
(٤) لسان العرب، مادّة كلم، ص ٥٢٤.
(*) هو علي بن خليفة غنيّة، وقد اشتهر بلقب الغنايّ منذ حداثته، ولد في بني وليد "ورفلّة" سنة ١٨٨٩م، وتوفي بها سنة ١٩٧٨م، وهو شاعر من الطبقة الأولى، انظر كتاب الشّعر الشعبي، ج ٢، جمع د. علي برهانه منشورات اللجنة الشعبية للثقافة والاعلام الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ص ١٠.
(٥) قصائد العشر الأوائل، ص ١٦.
(٦) قولي : شعري، لجواد: الأجواد أيّ الكرماء، اللومة: اللائمة، رسومه : مكانته.

واحد (حَدْ) وقيمته وبماذا يقدّر بين أقرانه (رسومه)، والعرب تقول : قوَّالْوقَوَّالة من قوم قوالين ، من كثرة القول ، والثَّرْثَارَة :الكثير الكلام ، البليغ في حاجته(١).

٧. **التقذير**: تقال هذه اللّفظة بمناطق شرق ليبيا يقصد بها قرض الشّعر ، فيقال : تقذير، وفلان يقذّر، أيّ يقول الشّعر ويقرضه ، وهذه اللفظة بهذا الجذر لا تحمل معنى الشّعر ولا شيء له علاقة بالشعر ، ولكن بعد تتّبع هذه الظاهرة وجدت أنّ هذه الكلمة حدث بها شيء من التغيير مثل الكثير من الكلمات المحرّفة على الأصل وعن اللّغة الأم، فحدث بها إبدال وقلب في آن واحد ، وهذه الظاهرة معروفة عند العرب ، وخاصّة الحروف قريبة المخارج .

فالإبدال : يحدث إذا تجاور حرفان لهما علاقة مخرجيّة ووصفيّة، وتتناسب أصوات الحروف في لهجة قبيلة من قبائل العرب يحدث فيها إبدال ، ومن هذه الحروف مثلا: (ق . خ . ذ . ظ . ض . ح . ع) ، كقول العرب في : (وقته . وكته) و (أخنّ . أغن) و(تلعذم . تلعثم) والإبدال عند العرب كثير .

أّما ما حدث في لفظة (يقذّر) من إبدال هو إبدال حرف الذال بدلا من الضاد قريبة المخرج منها.

ثّم حدث أمر آخر ، وهو القلب ، الّذي هو معروف أيضا عند العرب ، وهو تقديم وتأخير في بعض حروف الكلمة الواحدة ، فتنطق على صورتين بمعنى واحد ، كقول العرب : (جذب وجبذ) و(ما أطيبه وما أيطبه) و (جرف هارٍ وهاير) و (صاعقة وصاقعة)[٢].

وكلمة (قذر) الّتي اتّفقنا على ما حدث فيها من إبدال ؛ الضاد بدل الذال ، حدث أيضا فيها القلب ، الضاد بدل الراء وتأخر حرف الراء ، من هنا كان أصل الكلمة (قرض) وهو المعنى الحقيقي لقرض الشّعر ، وبالتالي فكلمة يقذر هي مقلوبة عن كلمة

---

[١] لسان العرب، مادة : قول، ص ٥٧٣.

(٢) انظر :اللّهجات العربيّة في التراث، أحمد الجندي، ص٦٤٧.

يقرض ، وما حدث في هذه اللفظة له ما يماثله في اللّغة الأم و اللّهجات العربّية الأخرى بما في ذلك اللّهجةاللّيبّية .

حجم المدوّنة :

إن المتتبع لمسيرة الشّعرالبدويّباللّيبّي، والشعر باللّهجات العربّية الأخرى على امتداد الوطن العربّي يعدّه اللغويون العرب ذا مرتبة متدنّية ، بحيث لقي أعراضاً وإهمالاً ومحاربة من قبل شعراء الفصحى ، وأمثالهم من النقّاد والدارسين والباحثين ، فلم يعن أحد بجمع مثل هذا التّراث الضخم الّذي برز فيه شعراء أجادوا وأبدعوا، ولولا أّنهلم يتأكل لبقى واستمّر إلى يومنا هذا على ما هو عليه لأعطانا صورا عن كونه موسوعة تساعد على دراسة أوضاع وأحوال أسلافنا وأجدادنا ، ولما تعرض إلى كثير من الاندثار والضّياع والتغّيير والزّيادة والتبّديل والتحوير لـِ مَا بَقِيَ منه ، فعدم إمكانية الطّباعة ، وعدم اهتمام الحكّام والمسؤولين بالشعر البدويّ المكتوب باللهجة المحلّية ساهم في ضياع أغلبه لأّنه يمثل حالة الشّعب ولا يمثّل الحاكم ، على عكس الشّعر الفصيح الّذي يمثّل الحاكم .

ومن هنا نقول أنّ الاستفادة من الأدب الشعبي عامّة والشعر خاصّة في ليبيا تعدّ مسألة غاية في الأهمّية لدراسة ومعرفة أحداث تاريخّية واجتماعّية تعكس جزءا من سلوكّية أجدادنا ، لأن الشّاعرالبدويّباللّيبّي أقل تكلّفاً من نظيره المتخصّص في الشّعر الفصيح، الّذي غالبا ما يخاطب في أعماله وآدابه طبقة معّينة من النّاس ، بينما نرى الأّول لا يخاطب إلاّ الطبقات البسيطة ، وهذا ما يجعله أكثر صدقا من غيره في التعبير عن أوضاع الجماهير ومعاناتها . والشعر البدويّباللّيبّيخاصة له محّبوه ومريدوه ومتذّوقوه يمثّلون مساحة واسعة لأن عناصر الثقافة الشعبية منتشرة ومهيمنة على حياة النّاس اليومية، وهي تمنح كلّ جماعة خصوصّيتها الثّقافية . وتضفي على كلّ منطقة طابعها المحلي المميّز لها.

والقصد من تدوين هذا النوع من الأدب بصورة عامّة ، هو أن نذيعه بين عشّاقه ومحّبيه، فضلاً عن كونه يصلح اليوم ومستقبلاً ليكون مادّة لعلماء الاجتماع والتاريخ، وهذا

النوع من الأدب يحلّ أحيانا محلّ التاريخ في تسجيل أحداث الماضي وسماته، لأّنه يعكس واقع الحياة اليومية وما يحدث فيها من تفصيلات دقيقة فضلاً عن كونه يحمل قيماً اجتماعّية. والشعر البدويّ في ليبيا يعدّ مصدراً رئيساً من مصادر توثيق حركة الجهاد اللّيبّي ، وأّنه يشكّل قيمة تاريخّية كبيرة حيث نجده سجلّاً لأغلب ملاحم الجهاد والمعارك الّتي خاضها أجدادنا مع العدّو الإيطالي ، تحمل تفاصيل دقيقة على كلّ معركة تقريباً ، وتحمل أسماء القادة، وأسماء الشهداء وعددهم ، والمكان والزمان لكلّ معركة، ولمن كانت الغلبة ، وعدد المجاهدين ، والأعداء ، والآلات ، وأدوات الحرب، والخسائر ، والأسرى ، وتصوير حالة المجاهدين ، والمصاعب الّتي واجهتهم ، والمراسلات بينهم ، وحالة من بقي تحت الحكم الإيطالي ، وفضح من تعاون مع العدّو، ووضع المنفّيين إلى الجزر الإيطالّية .

وحفظ لنا الشّعرالبدويّاللّيبّيكثيرا من المعارك الداخلية بين القبائل داخل الحدود وخارجها بسبب المياه والمراعي ، وسلب الإبل ، وحرث الأراضي الزراعية عند هطول الأمطار الموسمّية .

والمتتبع للشّعر البدويّاللّيبّييقف على الحالة الثّقافّية للمجتمع ، والحالة الأخلاقّية الّتي تظهر بوضوح في كثير من القصائد تدعو إلى الخير ومساعدة المحتاج، ورفع المظالم، وتدعو إلى مكارم الأخلاق ، والإقدام والفروسّية ومدح البطولات الجماعية والفردية وما تحمله من قصص بطولّية ومن حكم وأمثال .

وذكر لنا الشّعر أنواع الملابس للرجال والنساء في قصائد المدح والغزل فلم يترك أمراً يتعلق بالأزياء والملابس إلاّ وذكرها الشّاعر، اعتبارا من الإبرة إلى السلك إلى النسج من عباءة وأزياء المحبوبات وغيرها ، ومن خلال الشّعر ندرس الحالة الّنفسّية للمجتمع ، ومعتقدات الّناس ، وماذا يحبّون وماذا يكرهون .

ونعرف من خلال الشّعر أيضاً البيئة الجامدة والمتحرّكة وما تحمله من أودية وجبال وصحاري وأشجار وحيوانات وطيور ورحلات أجدادنا إلى الجنوب لجلب التمر، ورحلات الصّيد ، ووصف الّرحلة .

ويحمل هذا النوع من الشّعر الكثير من الجماليات من خلال أغراضه ودراسة صوره وبيانه وبديعه وما تحمله من تجديد وتقليد ، ودراسة البنية اللّغويّة وتركيب الجمل وما تحمله من تقديم وتأخير ، وإيجاز وقصر ، وطريقة إعرابه وصرفه ، ودراسة الأصوات ومخارج الحروف ، ودراسة الإيقاعات الموسيقيّة، وقوافيه وعروضه وأوزانه وعيوبه ومميزاته.

ودراسة شعراء هذا اللّون من الشّعرالّذين لهم دور في التاريخ ، سواء كانت هذه الشخصيات دينّية أو قياديّة .

وخلاصة القول: إنّ هذه المدونة حجمها كبير وتحتاج إلى جهد مضاعف من الباحثين والدارسين لجمع وتحقيق هذا النوع من الشّعر .

مظاهر العلاقة بين الشّعرالبدويّاللّيبّي والشعر العربّي القديم

تتكلّم البادية في ليبيا اللّهجةاللّيبّيةبشيء من الطلاقة أكثر منها في المدن والّتي هي بدورها لا تختلف كثيرا عن اللّهجة البدويّة ، لأن معظم الشّعباللّيبّي وسكّان المدن من أصل قبائل بدوية ، ولازالت تربطهم علاقة وثيقة بقبائلهم في البادية. واللهجة اللّيبّية هي مادة الشّعرالبدويّ في ليبيا ، ووسيلة التعبير لدى الشّاعر ، ومبلغ استمتاع السامع .

فمن خلال دراستي لهذه اللّهجة اتضح لي أنّ العامّية المستعملة في غالبّيتها عربّية فصيحة ، مع شيء من التغيرات الّتي طرأت عليها ، أّما بسبب تغيير اللكنة أو الطريقةالّتي تلفظ بها ، ونلمس التفاعل بين اللّهجة واللغة الأم ، فالألفاظ مشتركة، والمعاني متقاربة، وبخاصة بعد العودة إلى أصل هذه المفردات ، والعودة إلى المعاجم كما سنقوم بدراسة هذه الظاهرة لاحقا .

ويقول الأديب محمد المرزوقي عن اللّهجة في الجنوب التونسي، وهي نفس اللّهجة بمنطقة غرب ليبيا: (أغلبها عربي باق على أصله ، ولو أّنه غيرمعرب)[1].

(١)الأدب الشعبي في تونس، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٦٧ م، ص ٥٧.

ويقول مفتاح رجب صبرا: (اللّهجات الّتي اصطلحنا على تسميتها بالعامّية ليستإلاّ لغة فصحى متطورة مسايرة لبيئة ثقافية ، ومسايرة للعصر الّذي يتعامل فيه الّناس باللسان)[1].

والشعر البدويّ في ليبيا ينتهج هذه اللّهجةالّتي هي ذات جذور عربّية الأصل والمنبت والولادة ، وإن ما حدث لهذه الكلمات من تحريف وتغيير هو بفعل الزمن ، والدارس للشعر البدويّاللّيبّي يجد أنه وليد الشّعرالعربّي القديم ،حيث أخذ منه الألفاظ والتراكيب والبناء والمعاني والصور ، ويشاطر الشّاعرالبدويّاللّيبّيالشّاعرالعربّي القديم في كثير من المناحي ، فالبيئة متشابهة ، والحيوانات تكاد تكون نفسها ، والنظام القبلّي متطابق، والحروب على موارد المياه والمراعي ، وافتخار القبيلة بشعرائها والاعتماد على رواية الشّعر والأمّية السائدة .....إلخ ، أّما الاختلاف بين الشعرين فيظهر في المستوى النحوي والصرفي، حيث تخلّصت اللّهجةالعامّية في ليبيا من الإعراب وهو مصدر صعوبة في اللّغة، واختزلت من الضمائر وأسماء الموصول ، إذ أسقطت ضمائر اللواتي باسم موصول واحد هو (اللّـي) وطابقت بين الفعل والفاعل ، كما أغرقت اللّهجة في المستوى الصوتي إغراقا بّينا، فابتدأت بالساكن في بعض الكلمات مما اضطرنا إلى أن نسبقها بهمزة وصل، وهناك ظاهرة أخرى لابد من التطرق إليها في هذا المجال ، وهي ارتباط اللّهجة البدوية العامّية في ليبيا باللّهجاتالعربّية القديمة. أيّ لهجات القبائلالعربّية قبل الإسلام– ارتباطا قوّيا ، لوجود بعض الظّواهر فياللّهجةاللّيبّيةالّتي لا يمكن تفسيرها إلاّ في ضوء اللّهجات العربّية القديمة، لانتقالها على ألسنة الّناس في الأجيال الذاهبةحتّى وصلت لنا، وهي ظاهرة في شعرنا وأحاديثنا وأمثالنا ، حيث نجد اللّهجةالعامّية في ليبيا تسير من الصعب إلى السهل ومن الخشن إلى الناعم ، ومن المعقّد إلى الميسّر، ومن المزخرف إلى البسيط . وهذا ناتج عن حاجة الّناس إلى التعبير عن أفكارهم بسهولة وبساطة ووضوح ، ونزوع البدو إلى الاقتصاد في الكلام ، ومرجعه إلى قرب مخارج الحروف وإلى لهجات القبائل العربّية القديمة ،

(١)التسلسل التاريخي للموروث منالتّراث والشعر الشعبي اللّيبيّ، تأليف مفتاح رجب صبرا، دار الكتب الوطنبية – بنغازي ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٠.

فالكثير من الألفاظ العامّية ، بل أغلبها أصيلة في لهجة قريش أو غيرها من القبائل القيسّية والأسدّية والتميمّية والهذلّية والطائّية واليمنّية ... ، وذلك لأنّ القبائل العربّيةالّتي هاجرت من الجزيرة العربّية إلى آفاق الأرض الواسعة كانت من أصول مختلفة، لذلك اختلفت اللّهجات العامّية العربّيةفي تلك الأصقاع تبعا لأصلها، وأذكر هنا قول الدكتور أحمد علم الّدين في كتابه اللّهجات العربّية فيالتّراث:(أنّ العامّية الحديثة أقدم من الفصحى على الزمن)[١].

فإذا كانت العلاقة بين اللّهجة البدوية في ليبيا والعربّية الفصحى كبير، فالأمر مع اللّهجات العربّيةالقديمة أكثر اتصالاً وأقوى رابطة، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

١. **<u>النّبر</u>**:المراد بالّنبر هو تحقيق الهمز من عدمه ،واللّهجاتالعربّية القديمة مختلفة في تحقيق الهمز، فبعضها تحقق الهمز، وبعضها تسهله ؛ كقريش مثلا تهرب من النبر، وتتحاشاه لأجل التسهيل ، ُروي أنّ رجلا قال للنبي ﷺ(يا نبيء الله) بالهمز، فقال له: (لا تنبر باسمي) أيّ لا تهمز[٢].. وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قوله: (نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا أصحاب نبر)[٣].

والقبائل الّتي تتحاشى النبر يقولون في: (الرشأ . رشا) و(إسادة . وسادة) و(جبرائيل جبريل) و(بئر . بير) و (رأس . راس)[٤].

ومن القبائل الّتي تحقق الهمز مثل : تميم وعكل وأسد وعقيل وقيس بن سلامة، ومن القبائل الّتي تميل عن البعد عن الهمز هي : الحجاز وغابرة وهذيل وأهل المدينة والأنصار وقريش وكنانة وسعد بن بكر[٥].

واللهجة اللّيبّية تنفر من النبر إلى حرف لّين يناسبه ، أو زيادة في المدّ، أو تغيير اللّفظ بلفظ يخلو منه ، بحيث يحمل المعنى نفسه. والأمثلة في الشّعرالبدويّاللّيبّي كثيرة ، تقول امرأة في أغنية الّرحى[١]:

---

(١) اللّهجات العربيّة فيالتّراث ، د . أحمد الجندي ، (م ، س) ، ص / ١٣٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص / ٣١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص / ١٢٨ ، ٣٢٥ .
(٤) معجم الألفاظ العامية، د. عبد المنعم سيّد عبد العال، ط / ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج / ١ ، ص / ٢٧.
(٥) اللّهجات العربيّة فيالتّراث ، د . أحمد الجندي ، ص / ٣٣٦ .

خَطْـــــروا عَلَـــــيَّ مَخـــــاطيْر والـــــ ـــرَّاسْ فـــــــوقْ الْوســـــــادْه

نَـــــزَلْ دَمِـــــعْ عينِ ـــــي بَعـــــاثِيْر مِنِّـــــــــي بِـــــــــلا غيـــــــــرْ رادْه

نجد كلّا من كلمتي (الرأس والإسادة) في الشطر الثّاني من البيت الأّولوردتا بدون همز ، وهكذا يتّم الهروب من النبر في اللّهجةاللّيبيّة . ويقول الشّاعر ضوعبد الناصر الميلوسي(*)(٢):

يُـوْمْ فيـهْ جَبْهـاتْ الْقتـالْ اشْـطانْ مقامـــــاتْ بيـــــرْ مْقَطَّعـــــاتْ رَشَـــــا

فكلمة (اشطأن) المهموزة في الشطر الأّول وردت بدون همز، وكذلك (البئر والرشأ) المهموزتان ؛ وردتا بدون همز .

٢. **الإبدال:** يكثر في الأصوات المتجانسة عند العرب، كقولهم : (الصراط والسراط) و(صقر . سقر . زقر) و(شحّات . شحّاد) ومثل هذا يكثر في الشّعرالعربّي القديم والأدب بصورة عامّة (٣).

وهذه الظاهرة منتشرة في اللّهجةاللّيبيّة عامّة ، والشعر خاصة ، ومن أمثلة ذلك قول الشّاعر ضو الميلوسي(٤):

وْمـــازالْ ســـيفِي بُوشْـــفارْ هْنُـــودْ وْمـــازالْ سَـــرْزي فـــوق مِ الْغَبْـــرَا(٥)

حيث نجد ورود كلمة (سرزي) بالزاي بدل الجيم لوجود إبدال بالكلمة الّتي أصلها السرج .

وقول الشّاعر محمد سعيد القشاط (**)(١):

---

(١) هجاوي الرّحى ؛ دراسة ونصوص ، عبد السلام محمد شلوف ، مكتبة الفضيل للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ٢٠١٠ م، ص / ٢٩ .

(*)هو ضو عبد الناصر الميلوسي من مواليد منطقة تيجي ، سنة ١٩٤٤م ، ينتسب إلى قبيلة الصيعان بغرب ليبيا ، حاز على عدّة ترتيبات وجوائزفي الداخل والخارج ، انظر : الدّورة التثقيفية الأولى للشعراء المتميزين ، اللجنة العليا لمهرجان الفاتح للشعر الشعبي ، ٢٠٠٨ م ، طرابلس ، ص / ٦

(٣) قصائد العشر الأوائل ، ص / ٤٤ .

(٤) اللّهجات العربيّة في التّراث ، ص / ١٢٨ .

(٥) قصائد العشر الأوائل ، ص / ٣٩.

(٥) هنود: السيوف الهندي، سرزي: سرج الفرس، الغبرا: الفرسالّتي ذكرت في كتب الأدب الجاهليالّتي تسابقت مع الجواد داحس.

بــانْ التمــايِمْ والحَلَــقْ لمَّاعــهْ وْدبْلِــجْ ذْراعَــه بــانْ يشــعِلْ ضَــيَّهْ

حيث حدث إبدال في كلمة (دملج) العربّية بالباء بدل الميم ، فكلّ من التمائم والحلق والدملج هي أنواع من الحلي والزينة للنساء ، فهي ظهرت تلمع أمامالشاعر، مزينة للرأس والصدر والذراع وكأنها ضياء تلمع .

ويقول المهاجيللّيبيّ(*)(٢):

ياريــــتْ خُــــوتِي ثلاثــــينْ وْلادْ عمّــــــــــي بزايِــــــــدْ

نــــاكلُوا خبِــــزْ بالــــدينْ لا نلِبْسُــــــوا جــــــردْ بايِــــدْ

ورد إبدال بالكلمة الّتي استهلّت بها الأبيات ، فكلمة (يا ليت) الدالة على التمني جاءت على غير المعهود ، فأبدلت اللّهجةاللّيبيّة الياء إلى راء ، فيقولون في يا ليت(يا ريت).

٣. **<u>الإمالـة</u>:** تتحول بـالألف نحو الياء والفتح نحو الكسر ، فالفتح لأهل الحجاز ونجد، وتنسب الإمالة إلى القبائل الّتي عاشت وسط الجزيرة وشرقها منهم : تميم وأسد وطي وبكر بن وائل وعبد قيس وتغلب(٣).

وترجع أسباب الإمالة للتناسب بين أصوات الكلمة والانسجام بين أصوات اللّغة ليستقيم بها الكلام في بيئة ما .

(**) هو محمد بن سعيد القشاط ، من مواليد الجوش سنة ١٩٤٢ م ، وهو أديب وشاعر معروف ، من قبيلة الصيعان غرب ليبيا ، انظر : معجم الأدب الشعبي في ليبيا ، عبد الله سالم مليطان ، دار مدار للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م ، ص٢٩.

(٢) معجم الأدب الشعبي في ليبيا ، د .عبد الله سالم مليطان ، دار مدار للطباعة والنشر والتوزيع والانتاج ، طرابلس - ليبيا ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٥ ، ص / ١٣١ .

(*) المهاجاة : أبيات حماسية مجهولة القائل ، تقال ملحونة من متخصصين في قوة الصوت وجماله في ساحات القتال عند الحروب تدفع بالمقاتلين إلى الأمام وتبث فيهم الحماس للقتال .

(٣) هجاوي الرّحى، عبد السلام شلّوف ، ص / ٧٦ .

(٣) انظر : معجم الألفاظ العاميّة ، د . عبد المنعم سيد ، ج / ٢ ، ص / ٨٩ .

(*) هو محمد عبد الرحمن الحامدي، عاش في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، لم يعرف تاريخ ميلاده، وهو من شعراء الطبقة الأولى ، هاجر إلى تونس إبّان الاستعمار الإيطالي وعاش في مدينة دوز بالجنوب التونسي، وهي موطن قبيلة المرازيق وموطن العلامة المفكر النحوي الأديب الشّاعر المشهور عبد الله بلحاج حفظه الله ، حيث كانت تربطه بهم علاقة وطيدة ، وأثناء عودته إلى أرض الوطن قبض عليه ، واستشهد على يد أعوان الإيطاليين سنة ١٩١٧ م . انظر : مقدمة ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي، تحقيق : ضو ربيع ، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ م .

توجد الإمالة أيضاً في اللّهجة اللّيبيّة مع تفاوت ، فهناك قبائل تبالغ في الإمالة تقول في ماء (مِي)بكسر الميم وسكون الياء ، وهناك من يخفّف الإمالة، فينطق الماء (مِي) بتخفيف الياء، بحيث تنطق بين الألف والياء، شبيهة بحرف (E) الفرنسية، وهناك قبائل تنطقها كما هي دون إمالة مع تخفيف الهمز في المهموز، فتقول مثلا في ماء (ما) وسماء (سما)والأمثلة على من يُميل كقول الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*)(١).

كَانْ الغني يِغني بديثْ خواجهْ منينْ العُني ما جابْ حتّى حاجهْ

يبّين الشَّاعر في هذه الأبيات بقوله: لو كان (وكان) مع اختصار حذف اللام، الغناء (الغني) الّتي حدثت فيه الإمالة، يؤدِّي إلى الثراء لأصبحت غنيا، ولكن الشّعر لم يأت بشيء .

٤. **<u>التقارب في مخارج الحروف</u>**: يوجد في بعض القبائل خلط بين الحروف قريبة المخرج كالتاء والثاء ، والدال والذال ، والسين والصاد ، والزاي والسين ، والظاء والضاد ....إلخ وغيرها من الحروف ، فالعرب تقول في (المبعوث المبعوت)، و(التذبيح التدبيح) و(أسد أزد) و(خمدت النّار همدت النّار) و(صراط سراط) و(السدغ الصدغ) و(عظّته الحرب عضّته الحرب)(٢).

وما حدث في اللّهجات العربّية القديمة، يحدث نفسه في اللّهجة اللّيبّية ، فهناك قبائل ومناطق تنطق الذال (دال) والثاء (تاء)، وأخرى تعطي لكلّ حرف حقّه، وإن كانت هذه القبائل قريبة من بعضها إلى درجة الاختلاط، فمثلا المدن الساحلّية تسهّل الذال إلى دال والثاء إلى تاء، وكذلك الأمر في المدن الّتي تقع على الجبل الغربي، أّما القبائل الّتي تقع بقدم الجبل وسهل الجفارة ؛ أيّ بين الساحل والجبل تعطي لكلّ حرف

(١) ديوان الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي ، ص / ١٥٣ .
(٢) انظر : معجم الألفاظ العاميّة ، د . عبد المنعم عبد العال ، ص ص / ٥١ ـ٥٧ .

حقّه ، لأنها قبائل بدوّية رحّل . فالشاعر مسعود الحجّام (١٩٤٤- ٢٠٠٩م) ، من مدينة الرياينة ، على سفوح الجبل الغربي،يقول[١]:

فيـــــهْ القُنفُـــــدْ والتعْبـــــانْ وْفيـــــهْ دِيـــبْ يْهُـــوهِي مـــا بـــاثْ

فيقول في القنفذْ بالذال المعجمة (قنفد) بالدال ، ويقول في الثعبان بالثاء المثلثة (تعبان) بالتاء ، ويقول في الذئب بالذال المعجمة (ديب) بالدال ، مع تخفيف الهمز، وهي ظاهرة شبه عامة في أغلب مناطق ليبيا .

والشاعر رحومه الخويلدي(*) في أبيات من قصيدة أرسلها إلى المجاهد محمد افكيني(**) وهو مهاجر إلى مدينة صفاقس التونسية ، يقول[٢]:

فرْسَـــانْ كـــانْ صـــارْ النكـــدْ تدَّرْبـــهْ سَّـــــابقوا مـــــا يِعِرْفـــــوا ردَّان[٣]

يْظـــلْ دَكْ بالمشْـــرَبْ وْراسْ الحَرْبـــهْ تَعْـــدي ثوالـــثْ رايْحَـــهْ وْثـــواني[٤]

وْكُـلْ مـن تحَكَّـكْ يقْلعـوا لـهْ جَرْبـهْ يِطْلـــوه بالعرعـــارْ والقطـــران[٥]

والشاعر يصف مجموعة من الفرسان تحت قيادة المجاهد محمد افكيني ، وهم أشداء لا يردون على أعقابهم (ردانـي) إلى إن تصبح المعركة بالسلاح الأبيض

---

(١) الدّورة التثقيفية الأولى للشعراء المتميزين ، ص / ١١٥ .

(*) هو رحومه محمد امحمد الملقب بالخويلدي بن رحومه بن علي بن عون ، (الجد الأوّل للباحث)، من مواليد منطقة قصر الحاج بقدم الجبل ، وهو من قبيلة السِّبْعة ، واحدةقبائل المحاميد السليميّة ، حيث يعود نسبه إلى بني سليم، لا يعرف تاريخ ولادته، وقد توفي سنة ١٩٥٤ م، كان شاعرا من الطبقة الأولى، ومجاهدا، حضر أغلب معارك الجهاد، وله شعر كثير فيه، انظر تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر، ص / ٢٨.

(**) محمد فكيني: هو محمد خليفة فكيني الرجباني من قبيلة الرجبان المعروفة بالجبل إحدى القبائل العربيّة الطرابلسية المعروفة له ذكر حسن في الجهاد الطرابلسي من سنة ١٩١١م إلى سنة ١٩٢٣م ولما تغلب الطليان على الطرابلسيين سنة ١٩٢٣م انتقل إلى فزان وبقى فيها إلى سنة ١٩٢٩م وفي هذه السنة أحتل الطليات فزان المرةالثّانية، فأنتقل إلى تونس واستقر به المقام في قابس سنة ١٩٣٤م وبها توفي في مارس سنة ١٩٥٠م، انظر أعلام ليبيا، تأليف الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي الطبعةالثّالثة ٢٠٠٤م ص ٣٣١.

(٢) تغاريد في الغربة، أبوبكر صقر، ص ٢٨.

(٣) كان: بمعنى إذا، النكد: الشدة، تدربي: دخول المعارك والصبر في الحرب وقت الفرار، ردّ ان: لا يرتدّوا.

(٤) يظل: بمعنى سيكون، الرك: الضرب عن قرب، المشرب: مقدمة البندق، تغدي: اغتدى أيّ ذهب ولم يعد إلى الموت ثلاثة ثلاثة وإثنان إثنان.

(٥) تحك: من الحك أيّ التعدي وظلم الآخرين على سبيل المجاز، يقلعوا: يرفعوا عنه سبب الحك وهو عادة الحرب، يطلوه: من الطلاء.

والحراب ،حتّى تأخذ الموت (تغدي) من الطرفين اثنان اثنان وثلاثة ثلاثة ، ويصور أصحابه في صورة جميلة ، كمن يطلي النوق الجرب الّتي يشير بها على الأعداء، والبدو يطلون النوق الجرباء بمستخلص نبتة العرعر ومادة القطران ، والطالي يقسو عادة على النّاقة الجرباءحتّى يدمي جلدها ، وهي لا تتحمل هذا العلاج لدرجة أنها لا تعود ثانية إلى المكان الّذي طليت فيه ، كما يقول المثل الشعبي: (الجرباءما ترجع لمطْلاها). وفيصّورة رسمها الشّاعر من قدرة وتحكم وقّوة لأصحابه، ومعاناة لأعدائه .

وبعودتنا إلى الشّاهد في هذه الأبيات وفي كلمتي الثوالث والثواني وذلك لورود حرف الثاء المثلث في كلّ من اللفظتين .

٥. **<u>الاختصار والنحت</u>:** يوجد الاختصار عند كثير من القبائل العربّية، فمنهم من يقطع آخر الكلمة، ومنهم من يختصر حرفا أو أكثر في منتصف الكلمة بالخطف والحذف، فهذه قبيلة بلحرث بن كعب ؛ تحذف نون التثنية من (اللذان واللتان)، بل نجدها تحذف في صورة أخرى اللام والألف من (على) الجارة ، إذا وليها ساكن، فيقولون: (ركبت علفرس) في على الفرس، وهكذا على هذا المنوال ، وعمان يقولون : (مشا الله كان) بدلا من (ما شاء الله كان)[١]، وهذه الظاهرة موجودة في اللّهجةاللّيبّية ، وهذا الشّاعر الرويعي موسى صالح يقول [*][٢].

تُلــولات مــن دوسْ الضــيوفْ كلابــهْ وكلِــنْ امَّاسَــهْ م المســنْ إيكــالْ

الشّاهد في قوله (م المسن) وقد حذف حرف النون من كلمة (من) للاختصار الّتي أصلها من المسن الّذي تشحذ وتسن به السكاكين، كناية عن الكرم المفرط ، لأن السكاكين تستعمل للذبح والنحر، كما توجد كناية ثانية في الشطر الأوّل تعني الكرملتعود الكلاب على إستقبال النّاس فأصابهم الجبن كقول العرب: (فلان جبان

(١) اللّهجات العربيّة في التّراث ، د. أحمد الجندي ، ص / ٧٠٢ .
(*) هو الرويعي موسى صالح الفاخري من مواليد الجبل الأخضر شرق ليبيا سنة ١٩٦٣ م ، وهو أحد الشعراء المتميّزين في مهرجانات الشّعر الشعبي ، انظر : الدّورة التثقيفية الأولى ، ص / ١٢ .
(٢) قصائد العشر الأوائل، ص ٥٤.

الكلب) بل زاد على ذلك بقوله (داس) داس فعل ماضي فصيح في البيت لفظا ومعنى يعنى كثرة المشي وحركة الضيوفحتّ ى أن الكلاب استأنست بذلك فلم يحرّك لها ساكناً .

وقوله أيضا في القصيدة نفسها :

نَـبَابَهْ يْتَبِّـعْ فـي خُطَـا شِـيَّابهْ ثقِيـلْ حِمْلُهُـمْ عَـالغيرْ مـا يِـتْشـالْ

الشّاهد في قوله (ع الغير) بدلا من (على الغير)، فحذفت اللام والألف اختصارا في الكلام .

وتستعمل أحيانا الهاء بدلا من اسم الإشارة هذا وهذه ، يقال (ها الّرجل) بدلا من هذا الّرجل، يقول الشّاعرأحمد كريميد و من كبار شعراء قبيلة الصيعان وذلك سنة ١٩١٥م عندما سمع بعودة الأتراك إلى ليبيا لتحريك عجلة الجهاد ضد الغزاة الطليان[١].

زَعْمَـهْ هـا القـولْ للّـي جـانِي يْتْبِـرِ ـث بـ ـأذن الله[٢]

كُرْسـينَا يَرْجَـعْ عْثْمـانيْ والطليـانْ خُطـاهْ[٣]

والشاهد في قوله:(ها القول) بدل هذا القول؛ اختصارا، والشاعر يقول في هذه الأبيات: هل ترى (زعمه) هذا القول الّذي أتاني (جاني) أريده أن يكون صحيحا (ثابتا)حتّ ى يعود الأتراك إلى كرسي الحكم الّذي كانوا يشغلونه ويتم طرد الإيطاليين منه.

وتختصر اللّهجة البدوية في ليبيا كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة ، لميل البدو إلى الاختصار، كقولهم (منين) بدلا من (من أين ؟) ، وقولهم (علاش) بدلا من (على أيّ شيء؟)، وقولهم (لين أو لن) بدلا من (إلى أن) ، حيث تقول أغنية الّرحى[٤]:

---

(١) صدى الجهاداللّيبيّ، القشاط، ص ١٦٠.
(٢) زعمة: هذا القول هل يكون صحيحاً أم العكس بمعنى "هل ترى" القول: الشّعر، جاني، جاء إلى وبلغني.
(٣) كرسينا: حكمنا، يرجع: يعود، خطاه: بعد عن الكرسي فالهاء نعود على الكرسي.
(١) هجاوي الرّحى ، عبد السلام شلوف ، ص / ٢٩ .

اللـــي كارْهَـــكْ ويـــشْ بيْـــديرْ واللـــــي حابَّـــكْ ويـــشْ دايـــرْ[1]

اللـــي مْصـــوْرَهْ الله بيْصـــيرْ ســـــوى ربَـــحْ والا خســـــايرْ

الشّاهد في الأبيات قولها (ويش) بدلا من (أيّ شيء) .

ويقول الشّاعر ضو الميلوسي [2]:

ومـــازالْ صـــامدْ فـــي المكـــانْ صـــمودْ لـــينْ بينـــا يحكـــم الله قضَـــى

الشّاهد في قوله (لين) بدلا من (إلى أن) ، أيّ إلى أن يقضي الله بيننا .

٦. **<u>إسقاط حركات الإعراب</u>:** توجد هذه الظاهرة المعروفة باللّهجات العربّية القديمة الّتي تسقط حركات الإعراب كقبيلة تميم مثلا ومن جاورها كبكر بن وائل وتغلب ، فإنها تعمل على حذف حركات الإعراب ، يقول الدكتور أحمد علم الّدين الجندي: (إنّ ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتميم البدوية ، حيث أنهم يميلون إلى السرعة في النطق الّذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد ، وهو ما يهدف إليهالبدويّ بعكس الحجاز المتحضرة الّتي تهدف إلى إعطاء كلّصوت حقّه من الوضوح والبيان)[3].

والشعر البدويّاللّيبّي هو أيضا بدوره يسقط حركات الإعراب تسهيلا واقتصادا في الكلام، بقصد أو بدون قصد. فيسكن آخر كلّ الكلمات، ويعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب، كأغنية الّرحى:[1]

زيـــنْ النخَـــلْ فـــي العـــراجِينْ وْزيـــنْ المَـــرَا فـــي السُّـــوالِفْ

وْزيـــنْ الـــذهَبْ فـــي المـــوازينْ انْ كـــان طـــاحْ فـــي ايـــدين عـــارفْ

---

(١) الّلي :الّذي،ويش: أيّ شي، يدير: يعمل.

(٣) هجاوي الرّحى، عبد السلام شلوف، ص / ٤٣.

(٣) اللّهجات العربيّة في التّراث ، د . أحمد الجندي ، ص / ٢٤٦.

[1] قصائد العشر الأوائل ، ص / ٣٨ .

بْنـــادِمْ بـــلا مـــالْ مسْـــكينْ كـــلّ مـــا يْـــديرَهْ مْخـــالِفْ

فجمال النّخيل في كبر شماريخه (عراجينه) وجمال المرأة في طول ضفائرها (السوالف)، وتزيد أفضلية الذهب في زيادة وزنه (الموازين) شريطة أن يكون بيد من يقدّره ويعرف قيمته (عارف)، وابن آدم (بنادم) يكون مسكينا بدون مال، وكلّ ما يقوم به من عمل (يديره) يكون مخالفا في نظر الآخرين لا لشيء إلاّ لأنه فقير (مخالف) ، والشاهد في هذه الأبيات نلاحظ أنّها جميعها تنتهي بساكن على طريقة تميم ومن جاورها.

٧. **لفظ (اللي):** اسم موصول يدل على الواحد والواحدة والاثنين والاثنتين وجماعة الذكور وجماعة الإناث وتتفق على استعمالها معظم اللّهجات العربيّة الحديثة، وهذا لا يأتي بدون مقدّمات في اللّغة الأم ، فلابد من أن يكون له جذور وأصول في الفصحى، ووجود هذا اللّفظ في لهجاتنا معتمدٌ على ما يأتي :

أ. إمّا أن يكون أصلها (الّذي وما يتفرع منها) وقطعت الذال وما بعدها وبقيت (لّـ) ترخيما ، والقطع ليس غريبا على اللّغةالعربيّةالأصل، فطيّ تقطع اللّفظ قبل تمامه، فيقولون: (يا أبا الحكا) يريدون (يا أبا الحكم). وربيعة يقطعون نون (اللذين واللتين)، يقولون (اللذا واللتا)، ثم أحيلت فتحة (الـ) المشددة المفتوحة إلى كسرة مشدّدة مشبعة فصارت (اللي).

ب. وإما أن يكون أصل (اللي) (الـ) ثّم ضعّفت مع إشباع ، والعرب تعتبر (الـ) اسم موصول كقول الفرزدق[1].

مـا أنْـتَ بـالحكمِ التّرْضـى حكومتـه والأصـيلُ ولا ذي الـرأيْ والجـدلْ

أيّ بالحكم الّذي ترضى به حكومته .

(١) شرح ابن عقيل، بهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقلي الهمداني، تحقيق:محمد محي الدّين عبد الحميد، ج/١، ص١٥٧ .

ج. أو أصلها من (اللّاء) وعمل فيها التخفيف بالهمز ، وقياسها على بعض القراءات تجعل بين بين كما يقول الكميت[1]:

كانت من اللأ لا يعيرها ابنها إذا ما الغلام الأحمق الأم عيّر

إنّ تخفيف الهمزة من (اللاء) ونطقها (اللأّ) بغير همز تسهيلا ، مما ساعد اللّهجات الحديثة على إمالة اللام وإشباعها فصارت (اللي) واستعملناها اسما موصولا يدل على المفرد والمثنى والجمع[2].

من خلال ما تطرقنا إليه نلاحظ أنّ مظاهر العلاقة بين الشّعرالبدويّواللّيبّي والشعر العربّي القديم كبيرة إلى حد بعيد ، وإن كانت هنالك ظواهر مختلفة عن الفصيح إلاّ أن أغلبها له جذور في العربّية، هذا من الناحية الشكلية ، والدلالية ، أّما العلاقة الأكبر فهي في الأغراض الشعرية والبناء والتراكيب والصور والأخيلة، وسوف نتطرق إلى هذه الظواهر في ما سيأتي من فصول ومباحث.

ولا بد أن نذكر بعض الاختلافات بين الشعرينحتّى يتسّنى للقارئ التعامل مع هذه النصوص ، والطريقة الّتي يتم بها قراءة الشّعرالبدويّ في ليبيا ، فأحيانا يزاد حرف أو أكثر في الكلمة على الأصل، فمثلا يزاد حرف على (لفظ رجل) يقال (راجل) بزيادة ألف تسهيلا وتمشيا مع حركه الراء ، وقد يكون خوف الاختلاط بينها وبين (الّرجل) بمعنى القدم، لعدم اعتماد العامة على الحركات ، وقد تكون بمعنى (الراجل) الّذي يرتحل على أقدامه ضد الراكب ، فالصفة أصبحت تطلق على كلّ جنس الذكور من البالغين.

وتقول اللّهجةاللّيبّية في لفظة (معي) تصبح (ْمعايْ) بزيادة ألف، ويزاد حرف الياء في لهم ، فتصبح (ليهم) .

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدي ، تقديم داوود سلوم ، عالم الكتب ، ط/٢، ١٩٩٧م، ص / ١٨٦.
(٢) انظر:معجم الألفاظ العاميّة، د. عبد المنعم سيد، ص٩٢. قارنإللّهجات العربيّة في التّراث، ج/٢، ص٦٩٢.

وتقول اللّهجةاللّيبيّة في لفظة (أّول) المجرورة بالباء (بأّول) فتنطق (بوَّلْ) بتضعيف الواو ، وقد يكون هروبا من النبر كما هو في لفظة أين تلفظ (وين) ولفظة (إلْفْ) تلْفظ (ولْفْ) وقولهم (أمَّيَّهْ) في (ماء) وهذا يسري على أغلب الكلمات الّتي يوجد بها همز بأول الكلمة أو وسطها أو آخرها كما أسلفنا .

وتقول اللّهجة البدوّية (احنا .حِنَّا) في (نحن) ، والحروف المضعفة غالبا ما يقلب ثانيها إلى ياء ، مثل : (شددت ومددت وعددت وقّررت) تلفظها اللّهجة: (شدّيت، مدّيت، عدّيت، قّريت)، وذلك من أجل الهروب من ثقل تكرار حرف واحد مرّتين لصعوبته على عضلات مخارج الحروف.

وتستبدل ميم الجماعة في الفعل الماضي إلى واو ، يقولون في (ذهبتم ، وكتبتم، وقرأتم) (ذهبتو ، كتبتو ، وقرأتو) .... وهكذا في كلّ ميم تلحق هذه الأفعال .

وغالبا ما تعامل اللّهجةاللّيبيّة المثنى معاملة الجماعة ، وتستعمل (الهاء) بدل (هذا) و(هذه) ، يقال: (ها الّرجل) بدلا من (هذا الّرجل) ، وليس معنى هذا إن اللّهجة لا تستعمل (هذا وهذه) بل نادرا ما تستغني عليهم (بالهاء).

وتستعمل أحيانا في بعض المناطق اسم الإشارة (هذي) بدلا من (هذه) ، وأيضا (هاكْه) و(هذيك) بدلا من ذاك وتلك ، وأيضا تستعمل بعض القبائل لفظة (هذوك) و(هذين) في قبائل أخرى ، بدلا من هؤلاء ، وتستعمل أحيانا(هوينْه) و(هّوينهم) بدلا من (ذاك) .

وكلّ هذا نسبي ويختلف من منطقة إلى أخرى ، فالقبائل في شرق ليبيا تختلف عن تلك الّتي في أقصى الغرب والجنوب .

كما تُوجد ظاهرة أخرى غريبة ، لا يوجد لها شبيه في اللّغة الأم ، وهي تسكين أّول بعض الكلمات ، تزيد الظاهرة في المدن عنها في البادية، وهذه الظاهرة لا تكون في الكلمات الّتي ثانيها ساكن ، ويسري على الأفعال كما هو موجود في الأسماء، ومرجع ذلك إلى ميل اللّهجةاللّيبيّة إلى الإكثار من السواكن والهروب من كثرة المتحركات المتتالية، إلى

زيادة في موسيقى الكلمة،حتّى أنه يلتقي الساكنان في لفظة واحدة ، وخصوصا في آخر الكلمات لوقوف العامة على الساكن في أخر كلّ لفظة ، فأغلب الكلمات تتكون من أسباب خفيفة ، وقليل من الأوتاد ، والفواصل شبه معدومة في اللّهجةاللّيبيّة ، لذلك نجد أنّ الشّعرالبدويّاللّيبّي يتركز على البحور كثيرة الإيقاعات والموسيقى ؛ كالرجز والمتقارب والمستدرك، لأنها ذات إيقاعات قريبة ، ولأن الشّعرالبدويّاللّيبّي شعر غنائي ، يتغّنى به ويلحن ، ومن مثل الكلمات الّتي تبدأ بساكن قول اللّهجة في الفعل (يغني) (ْيغني) وفي الأسماء مثلا ، يقال في سليمان (ْسليمان) لذلك نسبقها بهمزة وصل .

ورغم هذه الاختلافات في الشّكل ، فالعلاقة بين الشّعرالبدويّاللّيبّي والشعر العربّي القديم كبيرة في أصل الكلمات المعجمّية ومظاهر الطّبيعة ومسّمياتها ، والحيوانات وفوائدها ومسمياتها،والحاجة لها، والإبل خصوصا ، وكذلك الطيور ومسّمياتها، والتشابه في شّح المياه والمراعي ؛ هذا من الناحية الشكلية ، أّما الصّورة ، فتكاد أن تكون قريبة إلى حدّ بعيد، وخاصة في التشبيهات والاستعارات لأنها من مصدر واحد، فالتشبيهات في الشّعراللّيبّي تشبه الشّعرالعربّي القديم؛ لأنهما متشابهان في البداوة والأمّية والاعتماد على الرواية، وحياة الصّحراء وقسوتها ، وطقوسها وحيواناتها وشح موارد المياه ، وقلة المراعي ، وكثر الحروب بسبب الماء وطلب الكلأ وتشابه النظام القبلي، فكلّ هذا وغيره له الأثر في الصّورة الشعرية القريبة من الشّعرالعربّي القديم، وسنذكر هذا بشيء من التفصيل في الفصول اللّاحقة.

الفصل الأوّل
أغراض الشّعر البدويّاللّيبيّ

المبحث الأّول: الأغراض الّتي تتعلّق بالإنسان.

١. الفخر

٢. المدح

٣. الرّثاء

٤. الهجاء

٥. الغزل

المبحث الثّاني: الوصف وما له علاقة بالطّبيعة الجامدة والمتحرّكة.

١. وصف الأطلال والوقوف عليها.

٢. وصف الرّحلة

٣. وصف الإبل

٤. وصف الخيل

٥. وصف الطبيعة

٦. وصف بيت الشّعر

٧. وصف الصّقور

المبحث الثّالث: الشّعر الإنسانيّوالاجتماعيّ.

١. الشّعرالاجتماعيّ

٢. الشّعر الدّينيّ

٣. الحماسة ومعارك الجهاد

٤. الشّكوى

٥. الحنين

٦. الشّعرالقوميّ

الفصل الأوّل
أغراض الشّعرالبدويّاللّيبيّ

طرق الشّعرالبدويّاللّيبيّ جميع الأغراض الّتي طرقها الشّعرالعربيّ الفصيح وخاصة الشّعر الجاهلي الّذي يشاطره في أمّيّة الشّاعر والاعتماد على الرواية الشّفوية، وعلى السّمع، كما يقوم على الارتجال، معتمداً في الغالب على القوالب الجاهزة والنمط السائد، من تراكيب وصور وتعابير مكّونة أصواتاً في ذهن الشّاعر تتداعى إليه بسهولة عند الحاجة إليها.

تناول الشّاعرالبدويّاللّيبيّ أغلب الأغراض الّتي تناولها أسلافه خلال العصر الجاهلي، كالفخر والمدح والرّثاء والهجاء والغزل، والوصف، والحكمة بل زاد عليه في بعض الأغراض كغرض الشّعرالاجتماعيّ والدّيني والقومي والجِّهادي الّتي تطلّبها الموقف.

المبحث الأوّل: الأغراض الّتي تتعلّق بالإنسان

أولاً : الفخر:

هو إبراز الفضائل الشخصيّة وإبراز فضائل القوم، والمآ ثر القبلّية والقوميّة والدينّية.وهو من توابع العصبّية القبلّية، والشّاعر يفتخر بقومه أو بنفسه من شرف الأصل والشّجاعة والكرم وكثرة العدد.

والفخر الذاتي والفخر القبلي يصعب الفصل بينهما فالدائرتين الذاتية والقبلية متداخلتين، لأنّ الشّاعر غالباً ما يعبّر عن نفسه من خلال قبيلته أو قومه.

ففي الفخر الذاتي تجد أنّ الشّاعريفتخر بشجاعته وعفّته وحسبه ونسبه ومكانته بين قومه، وكرمه، وإن كان أقلّ بكثير من الفخر الجّماعيّ القبلّي، ويعدّ الفخر الذّاتي ضمن القبلي، لأنّ الشّاعر يتكلّم من خلاله عن قبيلته، وغالباً ما تجده يقول: "نحن" أو "قمنا" وهكذا حيث يصدق عليه ما يصدق على قومه،حتّى أنّه يصعب التفرقة بين الفخر الذاتي والقبلي، وقد يكون السبب في ذلك أنّ البدو لا يميلون إلى أن يشكروا ويمدحوا أنفسهم، فيتركوه لغيرهم لكي يمدح مآثرهم وأفعالهم.

وعلاوة على ذلك فإنّنا نجد بعض الشّعراء يتجاوزون الفخر بالقبيلة إلى الفخرالقوميّ والديني أمام الأمم الأخرى.

فالشّاعر ضو عبد الناصر الميلوسي (*)يفتخر بقومه من خلال نفسه قائلاً[1]:

وَمَازَالْ سَيفْي بِ وشَفَارْ هَنْ دْ وَمَازَالْ سَرّجِي فُوقْ م الغبرا[2]

(*) تم التعريف بالشاعر ، ص ٦ .

(١) القصائد العشر الأوائل ، الكتاب رقم ١ ، ص٣٨، ٣٩.

و مَازَلْتْ صَامِدْ فِي الْمكَانْ صُمُودْ بيْنْ بيِنَّا يُحْكْمْ الله قَضَى

فالشّاعر يفتخر بقومه من خلال نفسه، موجهاً كلامه إلى الغرب وعربدة الغرب على الوطن العربّي مذكراً آياهم بتلك الأيام الخالية الّتي كانت فيها صولات وجولات العرب من آسيا إلى أوربا. ذاكراً لهم: بأن ذاك السّيف كما عرفتموه مازال من نوع السيوف الهندية "هنود" ومازال حاداً قاطعاً، ولازالت سروجنا على ظهور الخيل، وأشار إلى الخيل بذكر تلك الفرس الّتي قامت الحرب بسببها مدة أربعين عاماً بين عبس وذبيان وهي "الغبراء"، مذكّراً آياهم بمكانة الخيل عند العربوأهميّتها.

ويكرّر في أول كلّ بيت الفعل "مازال"مؤكداً على الثّبات وشجاعة ومكانة وإيمان سلفه، ويربط فعل "مازال" بالصمود "صامد" في المكانالّذي انطلقت منه تلك الرِّسالات والفتوحات الّتي عّمت المشرق والمغرب قائلاً: إّتي على العهد إلى أن يقضي الله بيننا. ويستمر الشَّاعر في القصيدة نفسها:

أنا الْغَضَبْ فِي يُوْم الْوَغَى يقُودْ لَهَا لِيُهْ جَحِيْم لَظَى[1]

أَنا الْغَضَبْ فِي يُوْم السَّلَفْ مَرْدُودْ نَهَارْ فِيهْ دْم الصَّامِدِيْن سَخَا

أَنا الْغَضَبْ فُوقْ تَرَابَا الْمْدُودْ مَن ْوَاقْشُطْ لِبَكْر لِصَنْعا

يفتتح هذه الأبيات بقوله: "أنا الغضب" وكم تحمل هذه الكلمة من شدَّة حماس الشَّاعر وغضبه ، حيث أشار بانه هو الغضب الّذيتّقد وترتفع فيه النّار واللّهب وكلّ ما تحمله النّار من تسميات مثل: ("يقد–لهب–جحيم – لظى")كلّ هذه التسميانلا تطفئ له غلاً على حال الأّمة. ويشير في البيت الثّاني إلى هذا الغضب الّذي كان بسبب عربدة الغرب،وسيأتي

---

(٢) مازال: لازال، بوشفار هنود: هندى مشفر، م الغبرا: من الغبراء.
(١) ميقود: يستعر، ترقى: ترتفع، لهاليبه: من اللهب.

اليوم الّذي يردّ فيه – على ما ناله من ظلم ومهانة – إلى الأعداء، يوم يعطى فيه الدّم بسخاء وكرم ،إلى أن يعيد حقّه المسلوب كاملاً .

ويشير في غضبه بأّنه غضب يغطي كلّ تراب الوطن العربّي من المحيط إلى الخليج، أيّ: من نواقشط على المحيط إلى ديار بكر واليمن فهنا يشير بوضوح بأّن هذا الغضب هو غضب كلّ عربي وليس غضب الشّاعر وحده بل غضب الأمة من خلاله.

أَنـا ريـحْ صَرْصَـرْ فـي مَـدَايْنْ هُـودْ . ـَـدَّمْ قْصُـوْر الْعـاجْ عَ الْبُغَـا[٢]

أَنـا مـزَنْ مَتْرَكَـبْ غَـيـفْ رْعُـودْ .ِيذِـي وْبـيِنْ الْفَـاتِحْيِن ضَـحَى[٣]

كّرر الشّاعر في افتتاح كلّ بيت بالضمير المنفصل "أنا" ولكن هذه المرّة لن يكون هو الغضب بل هو ريح صرصر الّتي تهدم كلّ ما يأتي في طريقها، لا تترك أخضر ولا يابساً ، فتسوي القصور العاجّية بالأرض على من فيها دون هوادة، والبيت الأخير يقول: أنا مزن يحمل وسائل الدّمار من رعود وصواعق عنيفة قاتلة، ويشير إلى أن ما بينه وبين أعدائهإلاّ القليل من الوقت، وهذه المهزلة لن تطول أكثر.

من الملاحظ أن الشّاعر تجاوز وسائل الفخر المعهودة كالكرم والحسب والّنسب وكثرة العدد، بل افتخر بقّوة الأّمة واستعدادها وغضبها رداً على ظلم وقهر معسكر القوى العظمى الّتي تقتل وتضرب يومياً إخوة لنا في العراق وفلسطين والصومال...إلخ.

وهذا النوع من الفخر رغم أّنه فردي في ظاهره يفتخر فيه الشّاعر بنفسه لكّنه فخر جماعي قومي عربي يشعر بما يعانيه الوطن العربّي من ذلّ وقهر.

ومثل هذا النوع من الفخر كثير في حين يقلّ الفخر الفردي بالمعنى الشخصي.أّما الفخر القبلي أو العائلي أو القوميّفيكثر في الشّعرالبدويّواللّيبّي، فهذه امرأة تفتخر في " أغنية الّرحى"[١].

---

(٢) ع البغا: على البغاة.
(٣) متركب: مرتفع من ناحية قدوم السَّحاب الممطر عادة.
(١) هجاوى الرّحى ، ص٦٦.

إنْ صَـــارْ الْمعـــيَّط مَـــعَ للّيـــل جُـــو حَسَـــرْ فُـــوق الْفَرِيـــدْه[٢]

ـــــوم ـــــا مَـــــا يْهَ ـــــابُوْه كِيـــف الْوِلَـــدْ كِيـــفْ سِـــيدْه[٣]

تفتخر بأهلها وهم شجعان يدافعون عن القبيلة لا يخافون الموت يحبون ركوب الخيل، وإن حدث شيء بالقبيلة وصار الصراخ بين أفرادها مع مجيء اللّيل وهو وقت الغارات على الإبل، فيأتي كلّواحد من أفراد القبيلة على ظهر فرسه المختارة المنتقاة بعناية وهم عارئُ وا الرؤوس وهي عادة غير مقبولة في الحياة العادّية ، ولكن عند الدفاع عن الدّيار فهي مستحسنة، لأنّ المقاتل يأتي المعركة على عجل من أمره دون أن يرتدي كلّ ملابسه، وجميعهم لا يخافون ولا يفكرون في العواقبحتّ ى أن الابن يتساوى مع والده في القتال وركوب الخيل لا تفرق بين كبير وصغير. وتقول أخرى في هذا الغرض مفتخرة بكرم أسرتها[٤]:

ا ْنوصِّـــيكْ يَـــا خَـــاطَر للّيـــل مـــــائُوحْ بـــــينْ النَّزَالِ ـــــي[١]

اْشَـــدْ عَـــلَـــى نَجـــعْ هَلْنـــا ا ْيْقُـــوكْ والْمِيـــرْ غَـــالِي[٢]

فهي توصي كلّ طارق وكلّ ضيف ليل لا يتيه ويتعب نفسه في السير بين البيوت والدور، بل عليه أن يسأل على ديار أبيها وإخوتها وأقاربها، فإنهم يقدمون للضيوف كلّ وسائل الراحة والعطاء ، ويقومون على خدمتهم ويقدّمون لهم الطّعام والشراب في سنوات القحط والجفاف، عندما يكون الطّعام قليلاً وغير متوفر وثمنه مرتفع، فضيوف أبيها وإخوتها لا ينظرون إلى قلّة الطّعام وارتفاع ثمنه.

والفخر القبلي والجماعي في الشّعرالبدوّياللّيبّي زاد على الفخر العربّي الفصيح بالموضوعّية

(٢)إن صار: إذا حدث، المعيّط: المستصرخ في طلب النجدة، معاللّيل: مع مجيءاللّيل وقت الغارات عادة، جو: أتوا، حُسُّر: عاريئو الرؤوس ، الفريده: صفة للفرس.

(٣)يوم الثنا: أيّ يوم الحرب وهو أن يثنى على الأبطال فيها، ما يهابوه: لا يخافوه، كيف: أداة تشبيه، الولد: الابن، سيده: والده.

(٤)هجاوى الرّحى"م-س"، ص٦٩.

(١) نوصيك: أوصيك، خاطر اللّيل: ضيفاللّيل، اتوخ: الدواخ وهي الحيرة والدوار ، النزالى، مضارب القوم.

(٢) انشد: اسأل، النّجع والمنتجع: منازل تهل القبيلة، هلنا: أهلنا.

والخصوصيّة، فنجد بعض الأحيان شاعراً يمدح الكبار من رجال القبيلة على ما يمتازون به من حكمة وتدبير وتجربة، ويفتخر بالشباب وما يحمله من قوّة وعنفوان وفروسيّة، ويفتخر بنساء القبيلة وما يقمن به من عمل وما يمتزن به من عفّة وشرف، وهذاالنوع من الفخر – وإن وجد في الشّعرالعربّي الفصيح – لم يصل إلى هذا التفصيل والنضج. والشاهد على مثل هذا الفخر قول الشّاعر عبد الباسط أغنية(*) في قصيدته المسماة الوادي الّتي تجاوزت الثلاثمائة بيت، يفتخر بشيوخ القبيلة وكبار السّن[١](٣).

عَـــرَبْ شَـــايبْ نَجْمَـــةْ فَنَّـــاص عَلَـــى الشُّـــورْالّلْ الـــتَّهَابْ(٤)

وقُـــورْ ابـــيَض شـــيه بَقَّـــاصْ مصَـــفِّيهُم لِحْيـــهْ وَشْـــنَابْ(٥)

اْمغِيـــرْ اشْـــنَابْهِفِيـــهْ عَكَـــاسْ .ـــى حَـــدَّه يِرْكَـــزْ لْعُقَـــابْ(٦)

يفتخر بقبيلته وقومه بأنّهم يمتازون برجال ومشائخ كبار يشبهون النجم اللاّمع الّذي يرشد التائه في الصّحراء أو البحار، وكلّ واحد من هؤلاء الكبار يمتاز بالوقار وله شعر أبيض جميل يغطّي لحيته وشاربه، إلاّ أنّه يمتاز بشارب قويّالشّعر يأخذ انحناء طرفي الشارب إلى أعلى، وهذا الشارب تقف عليه الصقور والعقبان فلا ينثني، وهذه عادة يفتخر بها البدو قديماً تتمثل في طول وقّوة شعر الشارب وأغلب الظن أنّها عادة ورثوها العرب عن الأتراك العثمانيين، ويستمر قائلاً :

فَقـــي مَـــا يَلْـــبَسْ غِيـــرْ خَـــوَاصْ اقُـــــولْ لاّ نْمَعَـــــةْ حـــــلاَّبْ(١)

سَـــوَارِيهْم صَـــمَّهاَ خَـــاصْ ؛سَـــايحْ لَكْمَـــاْم ولْرقَـــابْ(٢)

(*) عبد الباسط محمد غنيه شاعر معاصر من مواليد بني وليد ١٩٧٦م حاز على الترتيب الأوّل في مهرجان، الشّعر الشعبي في دورته الثّانية وبهذه القصيدةالّتي استشهدنا منها بهذه الأبيات، انظر الدّورة التثقيفية الاولى، اللجنة العليا لمهرجان الشّعرالشعبي، ص٢١.

(٣) الدّورة التثقيفيّة الأولى لمهرجان الشّعر الشعبي ، ص٧٣-٧٤-٧٥-٧٦.

(٤) نجمة قنّاص: النجم اللاّمع، اذل: كالدليل، الذهّاب: الّذي تاه في الارض لا يعرف له مكان.

(٥)شيبه بقّاص:شيبابيض ذو لمعان جميل، امصيفّهم، تم تصفية الشّعركلّه إلى اللّون الأبيض بدلاً من الأسود، اشناب: شوارب

(٦) امغير: غير، اشنابه: شاربه، عكاس: انحناء طرفي الشارب إلى اعلا، لعقاب: العقاب.

(١) خواص: خاص، تقول: أداة تشبيه، حلّاب: نبات ينبت في القيظ تأكله الشاة والضباء في حضرة يسيل منها لبن اذا قطع منها شيء انظر لسان العرب مادّة "حلب".

هذا الشيخ الّذي يرمز به لكل مشايخ القبيلة فهو فقيه يرتدي زيّاً أبيض من أفخر أنواع القماش خاصاً به، وهذه الملابس تشبه في بياضها ونقائها وصفائها ذلك اللّبن الّذي يخرج من شجرة (الحلاب) عند خدش أو قطع جزء منها ، وشبهها أيضاً بالدّمع على سبيل الاستعارة، وهذا الزّي صُمِّم من قبل مصُمّم أزياء خاص، فهو زيّ متسع يمتاز به الأجداد وهو زيّ أبيض كبير واسع فسيح ، وأكمامه واسعة طّويلة تصل إلى الأرض أحياناً ، ويستمر مفتخراً بالآباء قائلاً :

قَـــي قَـــايْم للـــدَين أَســـاسْ اْوشَـــايلْ عَـــنْ ســـيّدْه لكْتَـــابْ[٣]

اْبغيـــرْه مَـــا يَعْمـــرْ مِجْـــلاَسْ لاّ غِيـــرْ مقَاعِـــدْ لَصْـــوابْ[٤]

فهو فقيه قائم بكلّ أساسيّات أمور دينه من صلاة وصوم وزكاة وحجّ وشهادة وعطاء وصدقات، وهو فوق هذا حامل كتاب الله عن أبيه، ولا يعمر نادي للاجتماعات الهامّة بدونه ولا يكون إلاّ في الأماكن الّتي فيها فائدة للجميع، مجالس العقلاء وأصحاب الرأي والمشورة وقال أيضاً :

خَبِيـــرْ عَلَـــى الـــنَّجْم الشَّـــقّاصْ قَطَـــاوِيْ دَايـــسْ كـــلّ ْـــرَابْ[١]

رَزِ يـــنْ رَزَانَـــةْ حَمْـــل اْنَحَـــاسْ اْمَخَّـــكْ فـــيْ بَطْـــن أمَّـــهْ طَـــابْ[٢]

ْولاَ يُحُـــوسْ ليـــا غِيـــرَهْ حَـــاسْ ولاَ يْثْرثَـــرْ لاَ هُـــو هِيضَـــابْ[٣]

---

(٢) فسايح: فسائح أيّ فسيحة الأكمام والرِّقاب.
(٣) فقي: فقيه، قايم: قائم، شايل: حامل، سيده: أبوه ، الكتاب: القرآن.
(٤) بغيره: بدونه لا يعمر نادٍ، مقاعد، مجالس، لصواب: مجالس العقلاء وأهل الرأي الصائب.
(١)النجم الشقّاص: النجم الظاهر الّذي لا يتحول عن مكانه وتهتدئ به السفن، قطاوي: نسبة إلى القطاة وهي كناية عن الخبرة، دايس كلّ تراب: سار على كلّ الأرض كناية عن الخبرة بها.
(٢) رزين: ذو عقل متزن فهو غير خفيف العقل بل عقله يزن حمول من النحاس، محتّك في بطن أمه: اكتسب العقل بالوراثة.
(٣) لا يحوس: لا يخلط في كلامه وفي اموره، هيضاب: ثرثار وارتفاع الاصوات دون نتيجة.

فهو خبير في كلّ دروب الصحارى والأودية يعرفها ليلاً كما يعرفها نهاراً عن طريق النجوم، وخبرته هذه الّتي تشبه خبرة القطاة الّتي لا تتوه عن فراخها بالصحراء دون نقطة دالة، وهذه الخبرة مكتسبة لأنّه يعرف هذه الأماكن معرفة جيدة وخبرها على رجليه، وأيضاً هو ذو عقل متزن يزن حمول النحاس بل يزن الجبال منذ ولادته وكأنّما ناله بالوراثة، وهولا يقول إلاّ القول الحسن، القول المحكم المتزن، لا يخلط في كلامه، لا يثرثر، لا يرفع صوته بالكلام، فهو قليل الكلام ولا يقول إلاّ الحكمة والصدق.

ويقول:

يـــا غَـــابُوا فـــي الـــرَّأْىِ خَـــلاَصْ ... اْيجيـــبْ هُـــوَّ لاِّـــي عَـــنْهُمْ غَـــابْ[٤]

نَبيـــهْ عنْـــدُه بالجّـــاىْ إحْسَـــاسْ ... تْقُـــــولْ عَنَّـــــه مَكْشُـــــوفْ الحَجَابْ[٥]

قْتِـــي كانـــه فِيـــهْ قَصَـــاصْ ... مـــا يُجْبـــرشْ عَلَـــى لِعْيـــابْ[٦]

يقول: عندما تحير القبيلة وتصل إلى طريق مسدود، يأتي هو بما غاب عنهم من رأي سديد، وهو نبيه ويفكّر في الأمور القادمة ويعرف بإحساسه وتجربته ما يحدث عادة بالقياس، ويصيب في كلّ مرة وكأنّه مكشوفة أمامه الحجب، وهو لعلمه بأمور دينه وعلمه بالكتاب والسُّنة يفتي عند الحاجة، ويحكم بالقصاص على من أخطأ في حقّ أحد أفراد القبيلة أو النّجع أو الأمّة، وهو لا يعمل عملاً غير متكامل أو ينحاز إلى أحد على حساب الآخر، وهذا ما أشار إليه بقوله:(لا يجبر المكسور على عيابه عن سبيل المجاز).

ويقول:

عَـــدُولْ عِنْـــدُه لِعْبَـــادْ سَـــوَاسْ ... ـــعَ الْمتْخَطِـــي مَايرْطَـــابْ[١]

وْلا صَـــاحَبْ كيـــفْ ولاَ كَـــاسْ ... ولا اللاِّـــي بـــالجُّوَهْ لَعَّـــابْ[٢]

---

(٤) ليا: اذا، غابوا في الرأي: لم يصلوا إلى حل نهائي، يجيب: يأتي، اللي:الّذي.

(٥) بالجاي: بالامر القادم، تقول: أداة تشبيه "مثل"، مكشوف حجاب: يعرف ما خلف الحجب بالفراسة.

(٦) ما يجبرش: من جبر العظم الّذي كسر وهو اسلوب مجازي أيّ ، لا يقوم بعمل غير كامل ولا يداهن في الحق في غير الحق.

(١) عدول: صاحب عدل، لعباد: العباد وهم عباد الله أيّ الناس، المتخطي: المخطئ، ما يرطاب: لا يعرف اللين.

وْلا فيـــــهْ اْيســـــيَّر وَسْـــــوَاسْ وْلا هُـــــو لِشُـــــيْهه َـــــرَّابْ[٣]

فهو رجل عدل لا يفرق بين النّاس في أحكامه فهم متساوون أمامه القريب منهم والبعيد، ولا يلين مع المخطئ وإن كان ابنه أو أخيه، وهو لا يعرف للخمر طريقاً في شبابه كالآخرين، وليس بالغني الّذي يبذّر ويلعب بالأموال يميناً وشمالاً، ولا ينطاع لوساوس الشّيطان مع بعده عن الشّبهات ويستمرّ قائلاً :

وَمـــا عُمْـــرَهْ سَـــلَّمْ لِلْنـــاسْ قَـــوِيْ عَزْمـــه مَـــا هُـــو شَـــوَّابْ[٤]

ســـخي جِيَّـــدْ مَـــا هْـــو قَفَّـــاصْ بَشُـــوشْ و بالْخَـــاطرْ شَـــرْهَابْ[٥]

وهولا يعرف اليأس إليه طريق، فعزمه قويّ لا يخلط بين الأمور، وهو كريميعطيكلّ ما لديه لضيوفه، ويقابلهم بالابتسامة والبشاشة وطلاقة الوجه.

نلاحظ من خلال هذه الأبيات الّتي افتخر فيها الشّاعر بكبار القبيلة أنّ أغلب المفردات والألفاظ المستعملة فصيحة الأصل رغم عدم استعمالها في المعجم اللّغويللّذي نتحدث به اليوم بالوسط الثقافي ولا نعرف هل هي فصيحة أم عامّية أم دخيلة؟ ويتضح من خلال العودة إلى المعاجمبأنهاعربيّة الأصل.

ويفتخر الشّاعر في القصيدة نفسها بشباب القبيلة منذ الصغر إلى أن يشتد عودهم قائلاً :

عَـرَبْ عَيِّـلْ مَـا فِيـهْ خَصَـاصْ عَلَـــى صُـــغْرُهْ خَـــاتْ لَحْـــزَابْ[١]

فَتْنِـــي لاَ هُـــو قَصَّـــاصْ وْلاَ ســـارَقْ لاَ هُـــو كـــذَّابْ[٢]

ينعت الكبارُالشّباب بقولهم: "عيل صغير" لهذا أخذ الشّاعر هذه الصفةكاسم للشباب وخاصة الصغار منهم في أوّل أبيات الفخر. والبدو يقولون عن الحيّ أو النّجعأو القبيلة

---

(٢) كيف وكاس: كناية عن شرب الخمر، بالجوهر: الجواهر أيّ ليس من الاغنياء.
(٣) بعيد عن وساوس الشيطاين وعن الشبهات.
(٤) الياس: اليأس، شوّاب: من شؤب بمعنى الخلط.
(٥) سخي: كريم من السخاء، وجيد:من الجود والكرم، قفّاص:بخيل لا يخرج كلّ ما عنده، يشوش: خفيف متسرع، الخاطر: الضيف لأنّه يخطر خطوراً دون علم مسبق، شرهاب: بشوش فرح مبتسم.
(١) عربً: الحي أو القبيلة أو القوم، عيل: شاب صغير جاءت من العيال الصغار، خصاص: لا خصاصة فيه لحزاب: الأحزاب "القرآن"
(٢) لافتني: من الفتن، أيّ ليس من اصحاب الفتن والشرور، قصّاص: كثير السؤال.

"عرب" فلان أوعرب القبيلة الفلانّية فكلمة (عرب) تعني هنا القبيلة أو القوم، وهؤلاء القوم لهم شباب صغارالسّنّ متكاملي العقول لا ينقصهم شيئ، رغم صغرهم فهم يحملون كتاب الله.

وشباب القبيلة من خلال هذا "العيل" ليسوا من أهل الفتن والدّسأو نشر الكراهية بين النّاس،ولا يحبون الثرثرة وكثر الأسئلة عن أمور لا يسأل عنها عادة، وهم يمتازون بالأمانة والصدق في كلّ الأمور، وقوله:

قَـــوْي عُـــودَه كأنّـــه فـــاسْ نَكيـــرْ يْقَـــعْ فـــي الصُّـــلاَّبْ(٣)
جَـــرَى نَمَّـــهْ بـ رُكَـــانْ حَمـــاسْ وْلاَ يْكَبْكَـــبْ لاَ هُـــو هَيَّـــابْ(٤)
طُمـــوحْ وَمـــا يعْـــرِفْ لَـــهْ يَـــاسْ وحْ لهَ دْفَـــهْ تْقُـــولْ شْـــهَ ابْ(٥)

فهو شديد العود كالفأس من المعدن الجيد الّذي لا يهاب شيئاً ، يقتلع كلّ ما يأتي في طريقة من حجارة صلبة وغيرها، ويغلي دمه في عروقه ويسري فيه الحماس كالبركان الشديد ولا يعرف الخوفإليه طريقً ، ولكن كلّ شيء بمقدار، فلا يدفعه شبابه إلى الهلاك أو أن يقدم على عمل دون دراسة، واليأس لا يعرف إليه طريقً فيتقدّم على هدفه دون تراجع كالشهب. ويستمرّ في قوله:

فَصِـــيحْ كَلاَمَـــهْ اْقُـــولْ رَصَـــاصْ عَلَـــى الْكِفَّـــهْ اْيُقِّـــي الجَّـــوَابْ(١)
شـــجِيعْ لْيـــا قَـــالْوا تَـــرْدَاسْ ضَـــارِى تْقُـــولْ وحُـــوشْ الْغَـــابْ(٢)

فهو فصيح في كلامه لا يهادن في قول كلمة الحق، يقول كلمته كالطلقة الّتي تخرج من البندقية، لا يتراجع ولا يخطئ في كلامه وكأّنه ينتقيه انتفاءويزنه بكفّة الميزان، لما فيه من الدقّة والصواب والاتزان، وفي كلّ المواقف يتّصف بالشجاعة والحكمة خاصّة عندما

(٣) ذكير: نوع المعدن الجيد، يقلع: يقتلع، الصلاّب: الحجارة الشديدة الصلبة.
(٤) بركان حماس: شدة حماسة كالبركان بداخله، يكبكب: الّذي لا يتراجع ويطرح نفسه ويرتمي في الهوة وهي فصيحة، هيّاب: لا يخاف ولا يتقي شيئا.
(٥) الياس: اليأس .
(١) رصاص: جمع رصاصة لصنعها من معدن الرصاص، الكفّة: الميزان، ينقّى: يتخيّر ويختار.
(٢) شجيع: شجاع، ليا: إذا، ترداس: ردس بمعنى الضرب وهنا جاءت بمعنى دخول الخطر والحرب.

يتطلب الأمر ذلك ، وإن حدث القتال والدكّ بكلّ أنواع الأسلحة فهو كالوحوش الضارية لكثرة شجاعته وفتكه بأعدائه، شبّه المفرد بجماعة الأسود والنمور، ثم يقول:

كَـــــرِيْمَ وَلاَ دَانَـــــاْهُ فَـــــلاَسْ اجْـــــوَادِي بالْخَـــــاطْرْ رَحَّـــــابْ[٣]

يْجـــري لَـــهْ مِـــنْ غِيـــرْ امْـــدَاسْ اْيجِيبَـــــهْ وْهُـــــو ديمَـــــا جَيَّـــــابْ[٤]

وهو كريم كآبائه وأجداده، لا يعدم ما يحتاجه الضيوف، ولم يكن في حاجة إلى المال، فهو كثير الجود، دائم الترحاب بالضيوف، وعندما يرى الضيف عن بعد يخرج إليهجارياً حافياً لم ينتبه إلى لبس حذائه – وهي كناية عن الكرم عند البدو– ويأتي به إلى المضيفة وهذه عادة من عاداته ورثها عن آبائه كما ذكرنا في مدح الكبار من القبيلة.

ثم ينتقل الشّاعر للفخر بالأمهات والزوجات والجّدات فيالقصيدة نفسها قائلاً :

عَزِيـــزَهْ وُ ـــو فضْـــيتْ لَكْيَـــاسْ خُلْوَجَـــــه دَيمَـــــاعَ الْغيَّـــــابْ[١]

نهَ ـــــا لاَجَـــــبَّنْ لاَ مَـــــاصْ للـــي رَبّـــتْهُ مْنَـــاسْ اْنقَـــابْ[٢]

حَنِينَـــهْ وَاجـــدْ لِـــينْ خَـــلاَصْ حَنَـــــانْ الـــــدّنيا فِيهـــــا ذَابْ[٣]

فالقصيدة طويلة ومتفّرعة واخترتُمن الفخر بالجدَّات والأمهّات هذه الأبيات الّتي يصف فيها الأم أو الأخت أو الزوجة بأّنها دائماً عزيزة مكّرمة، ولو عّم الفقر وعّمت الحاجة،وهي كالناقة الخلوج –الّتي فقدت ولدها – عند غياب أحد أفراد الأسرة وإن لم يصبه مكروه، فهي من صنعت الرجال وقامت على تربيتهم التربية السليمة منذ الرضاعة والمهد إلى الرجولة والكمال، ويصف حنانها الزائد وكأّنها مستودع لحنان كلّ الكون ويقول :

سَـــقِيمَهْ مَـــا تَخْطَـــى لِقَيـــاسْ وَلاَ ادِّيـــرْ اللِّـــي بِـــهْ تِنْعَـــابْ[٤]

(٣) لاداناه: لم يدنُ منه، فلاس: الحاجة وعدم وجود المال، جوادي: كثير الجود، رحّاب: كثير الترحاب بالضيوف.
(٤) من غير مداس: من غير أن يرتدي حذاءه، يجيبه: يأتي به، ديما: دائماً.
(١) فضيت: فرغت، لكياس اكياس النقود، ديما:دائماً ع الغيّاب: على الغياب.
(٢) لاجبّن لاماص:اللبن لم يصبح جبناً ولم يصبح ماء أيّ لم يتجمع بفعل البكتيريا لقلة الرضاعة ولا ماءً لكثر الرضاعة وقلة التغذية .
(٣) حنينة: حنونة، واجد:كثيراً.

وِلاَ ـــــــــرِّي لِـلاَّيـــــــــج راسْ سَـــــوَاء لاَفـــــي وَالاّ لْقـــــرَابْ(٥)

ـــــوَمْهْلِـــــنْ يـُوفُـــــوا لْنْفَـــــاسْ شَـــــرْفَـها لِـلطَّمـــــاعْ سَـــــرَابْ(٦)

وهـي ذات أخـلاق رفيعـة عاليـة تعـرف بالاسـتقامة لا تخطـئ ولا تتجـاوز العـادات والأعراف، ولا تقوم بعمل مشين يحسب عليها وتعاب به، ولا ترى لها رأساً حاسراً عارياً أمام الأقارب قبل الغربـاء، وهـي ذات استحياء وخجل إلـى أن تفقد آخر نفس ويتولاّ ها الله، ومن يعتقد أن ينال من شرفها ولو بكلمة أو نظرة رضا في غير محلها، فهو كالذي يجري وراء السراب لينال منه مبتغاه.

وأحياناً يفتخر الشّاعر فخراً عاماً بكلّ القبيلة على عادة الشّعراء العرب القدامى، فيقول في القصيدة نفسها ولكن في مقطع آخر منها مختلف القافية في أوّل ا لأبيات لأنّ القصيدة من نوع الشّعر الزجلي ذو المطلع والأبيات والخرجة والقفل:

الْـــوَادِي اللِّـــي حَـــامُوهْ اسْـــيـُودْ اَجَاوِيـــــدْ خْزَامَـــــاتْ كَهَـــــرْ (١)

يْجُـــوا فُـــوقْ سَـــمِيحَةْ لِـبْـــدُودْ لاّ حِيـــلْ الْمـرْكُـــوبْ نَكَـــرْ (٢)

يشيد الشّاعر بالوادي الّذي هو عنوان القصيدة "وادي بني الوليد" مدينة الشّاعرولكن من خلال قراءة القصيدة نجد أنَّ الوادي رمزٌ إلى الوطن أو البلد الّذي ينتمي إليهاالشّاعر فهو تحت حماية رجال كالأسود يجودون بالمال والدماء وهم كالخزام للأعداء يقودونهم حيث شاءوا ، بخاصة الكفرة المستعمرين من خارج الحدود، ويأتي كلّ فارس يمتطي جواده يعلوه

---

(٤) سقيمة: من الاستقامة، لقياس: ما يقاس عليه من عادات وتقاليد القبيلة، ادّير: تعمل أو تقوم بعمل أ شيء، اللي:الّذي، تنعاب: ما يعيبها.

(٥) اللايج: يقول اللّسان: مادّة "لجج" ولجة القوم: أصواتهم، واللجة واللجلجة اختلاط الاصوات، وعلى كلّ فهي كناية عن جنس الرجال: مقلوبة عن "ولج" وهي بمعنى الدخول والخروج، أيّ بمعنى من يدخل أو يخرج من الغرباء، راس:رأس ، الّلافي:الّذي جاء بالمصادفة ويعني بها الغرباء لقراب: الأقارب.

(٦) حشومه: خجوله، لن: إلى أن، يوفوا: ينتهوا، لنفاس: التنفس.

(١) حاموه: تحت حمايتهم، صيود: تطلق عند الليبيين على الأسود لانها مفترسة ولها الصّيد وحدها بالغابةالّتي تتواجد بها، ويقال للواحد منها "صيد"، خزامات: جمع خزام وهو الحلقةالّتي توضع في أنف البعير يقاد بها، وهنا من باب الاستعارة وتشبيهم بها.

(٢) يجوا: يأتوا، سميحة لبدود: ذات البدود الجميلة كناية عن الخيول، حيل: أغلب.

سرجاً تحته بدة رقيقة مزركشة توضع بين الجواد والسرج، وأكثر هذه الخيول من جنس الذكور الّتي يفتخر البدويّ بركوبها لقوّتها وتحّملها، وينتقل الشّاعر إلى الكرم والجود قائلاً :

عَـــرَبْ سَـــامِرْ دَيمـــا مِيقُـــودْ اجْـــدَارِيْ لاَ فُـــوقْ ا ْيَسْـــمَعْ (٣)

اجْـــوَادْ وبِـــالُّوجُودْاتْجُودْ ْـــوَفِّي فِـــي ا عْبَـــارْ الْخَـــاطَرَ (٤)

ويشير إلى القبيلة بذكر لفظة (العرب) بأنّهم أصحاب نار دائمة الاشتعالوالوقود وخصّ بالذكر أنواع الحطب بأّنه حطب شجرة جبلية تدعى "الجداري" شديدة الاشتعال ولا تنتهي بسرعة ولها جمر شديد الحرارة، وكثرة النّار تدلّ على كثر الطّهي،وكثر الطّهي يدلُّ على كرم القبيلة، ثّم أشار إلى ما يريد– وهو الجود والكرم – حيث يقدّمون للضيوف ما بأيديهموما باستطاعتهم، بل يزيدون على ما يحتاجه الضيف في مبالغة كرمه ، في كناية جميلة، ويقّدم لهم الطّعام في قوله:

زَلاَفِـــي وَقْصَـــاعْمِـــن الُّعـــوْد ا ْيُجُـــو كِيـــفْ ا ُـــونْ الطَّـــايْر (١)

وَبَـــازِينْ ا ْمَـــرَادَعْمَقْـــدُوْد منا ْيَـــدِينْ سَـــمَاحْ حَرَايِـــرْ (٢)

ومِسْـــلاَنْ بطُولَـــه مَعْـــدُوْد وَسَـــمْن وزِبْـــد وَمْـــر وَدْر (٣)

يقّدم الطّعام والمرق في أواني مصنوعة خصّيصاً من الشجر يقّدمونها ممتلئة. وكأّنها عيون طائر، لأّن عيونه بارزة، وخاصّة أكلة البازين الشعبّية اللّيبّية، توضع على شكل نصف دائرة بارزة إلى أعلى تشبه عين الطّائر، ويعلو الطّعام شاة كاملة ناضجة تسمَّى "مسلان" وهذا الطّعام وضع من نساء متخصصات في إطعام الضيوف لانهّناعتدن على كثرة الضيوف وتقديم

(٣) سامر: الدّار، ديما: دائماً، ميقود: دائمة الوقود، اجدارى:شجرة جبلية ذات جذور صلبة قوية، لا فوق: إلى أعلى، يسمعر: يستعر .
(٤) اعبار: تزيد في الوزن، الخاطر: الضيوف.
(١) زلافي: الأواني تستعمل لحمل الزيت والمرق، يجوا: يأتو بها، كيف: أداة تشبيه بمعنى مثل، عيونالطّائر: ممتلئة من باب التّشبيه.
(٢) بازين: أكلة شعبية ليبيّة تصنع من الشّعير واللحم والمرق، مرادع: مصنوع بطريقة جيدة، مقدود: أجادوا صنعه.
(٣) مسلان: هو كلّالعمود الفقري وظهر الشاة كاملاً يوضع على القصعة ناضجاًويقدم للضيوف من باب الكرم .

الطّعامل‌هم باستمرار، وهؤلاء النسوة خيرة زوجات وبنات زعماء القبيلة وساداتها، ويقدّم قبل الوجبة الرئيسة وبعدها وجبات خفيفة من السمن والزبد والتمر واللبن وهذا ما يقتنيه البدويّ.

نلاحظ من خلال ما تقدّم أنّ أغلب الألفاظ عربّية فصيحة دون علم الشّاعر أنّها ذات أصول عربّية ولكّنه وجد أجداده يتكلمونها فنقلها عنهم دون زيادة أو نقصان، وأحياناً نجد كثيراً من الألفاظ والكلمات ذات الأصول العربّية لكّها غير مستعملة اليوم بين الطبقات المثقفّة والفضاء التعليمي الجامعي إلاّ بالعودة إلى المعاجم اللغوّية، مع اختلاف الإعراب والنطق والتفخيم والترقيق والإمالة.

ثانياً: المدح:

المدح من الأغراض القديمة، وكان فردّياً يصوغ آيات الثناء على الممدوح مع كثير من المبالغة، وهذا الثناء مما يستحسن من الأخلاق النفسّية كرجاحة العقل والعفّة، والعدل والشجاعة.

والمدح من الأغراض الشعّرية الّتي برزت بشكل واضح في الشّعرالبدوّيواللّيبّي، وهو يعني الثناء على الممدوح وذكر خصاله الحميدة، مثل الكرم والجود، والعطاء والتسامح، والصفح، والحلم والحكمة، ورجاحة العقل والصبر، وطهارة النفس وعزّتها، وحسن الخلق، وحماية الجار والمحافظة عليه. وطبيعة الإنسان تحبّ المدح والثّناء والإطراء فكانت عاملاً مساعداً في شيوع هذا الغرض الشعري، وهذه الصّفاتتصلح أن تكون مجالاً للفخر أيضاً لاسيما فيما يتعلّق بالكرم والجود والعطاء، فموضوعات الفخر تشبه إلى حدّ كبير موضوعات المدح لما بينها من صلة، ولكنّنا فصلنا بينها لغايات الدراسة.

والمدح قد يكون في مدح القادة أوالملوك أوالرؤساء، وقد يكون في مدح الرّجل الشهم الكريم.

فمدح القادة والملوك والأمراءغالباً ما يركّز حول صفات الكرم والجود والشجاعة والقوّة ووصف مجده وعزّته، وقوّة سلطانه وقد قضى التطّور في الشّعرالبدويّاللّيبّي على هذه الظّاهرةووجّهه إلى مدح البطولات الشعبيّة، والمآثر القوميّة، ولا يخلو أيّ زمن من شعراء التكسّب بالمدح وبخاصّة مدح الموسرين والقادة.

أّما مدح الرّجل الكريم الشهم فتقلّ فيه صفة الشجاعة والبطولة، لأّنها غالباً ما تقترن بالقادة والزعماء، أّما مدح غيرهم فغالباً ما يكون بصفة الكرم والفّة والصبر والحلم والجود والحماية والحياء وحسن الأدب والخلق الكريم، وهي صفات متشابهة بين الممدوحين.

مدح القادة والزعماء والملوك: يقول في هذا الصدد الشّاعرالبدويّاللّيبّي عبد الحفيظ اليوسيفي(*) مادحاً احد القادة العرب في قصيدة زجلّية قائلاً في مطلعها(١):

يَا مَنْ رَسَمْتَ الْعَدْل وَالْحُرِّيَّة عَلَى الْقَلَبْ وَالْعَالْم شَهْ دْجُمْلِيَّه(٢)

فالشّاعر يمدح ممدوحه في مستهلّ قصيدته موجّهاً الخطاب إليه مباشرة بأنه من رسم العدل والحرّية في قلوب الشعوب ويشهد له بذلك كلّ العالم، ثم يقول في مقطع قصيدته التالي :

يَا مَنْ رَسَمْتَ الْبْسَمَة وَيَامَنْ و عِنْدَه الصَّعَبْ سَاهَلْ حَسْمَه(٣)

احْنَا شَعَب رَجَّعْت الْحَيَاة بِجَسْمَه جَاء الأَمَلْ مِنْ بَعْد الشَّقَى وَالْعِيَّه(٤)

(*) هو عبد الحفيظ عبدالله عبد الحفيظ احديده، من قبيلة أولاد أبي سيف شاعر أكثر شعره في الوطنيات، توفى عام ٢٠٠٢م، انظر/ مقدمة المرحول، عبد الحفيظ البوسيفي، مطابع الثورة العربيّة، طرابلس، ٢٠٠١م.

(١) المصدر نفسه: ص١١٤.

(٢) جملية: جملة وكل جمعهم.

(٣) يامنو: يامن وزيادة الواو تستعمل عادة للمحافظة على الوزن.

(٤) جا: جاء، العيّة: الاعياء والتعب.

استهلّ المقطع كما استهلّ المطلع بأسلوب النّداء ، وغرضه من ذلك شدّ الانتباه والخصوصيّة بأنَّ ممدوحه هو من رسم البسمة على شفاه ووجوه الملايين، وهو من يسهل عليه حلّ المشاكل الصعبة، فالشعب كان ميتاً وهو من بعث الحياة في جسده من جديد على سبيل المجاز، وهو من أتى بالأمل بعد طول رجاء وتعب ومعاناة، ثم انتقل إلى المقطع الثّاني :

يـــاَمذُو رَايـــــه صَـــــاَيْ وَيـاَمَنْ بَذِيـت الْعـَدْلْ هَـاللِّي غَايـبْ[٥]

وَيـــاَمذُو خَلِّيـــت الـــدّخيلْ ذَهَايـــبْ بـــحْ عَلَـــى شُـــور الـــتَّلاَفْ تَفَيَّـــه[٦]

وَيـــاَمَنْ امْخَلِّـــي الْخَالَـيـــاتْ خَرَايـــبْ عَمـــاْر بَعـْدَمـا كَانَـتْ خَـلاَ مِخْلِيَّـه[٧]

كعادته بدأ مقطعه بأسلوب النداء للممدوح الّذي يصفه بأّنه ذو رأي صائب في كلّ الأمور، وأتى بالعدل الّذي كان مفقوداً، وهو من طرد الاستعمار وفلول الدّخلاء إلى غير رجعة يهيمون على وجههم في أصقاعالأرض، وهو من حوّل الأرض الخاوية الّتيلا عمار فيها، إلى عمار بمزارعها وبيوتها وطرقها الجميلة، ثم انتقل إلى المقطع الثالث :

يـــا مَـــنْ قَضَـــت الْعـــالْم بـــاَمذُو ضِـــد الْمُعْتَـــدِي وَالظَّـــالْم

وَيـــاَمَنْ خَلِّـــيت الصِّـــعِيبْ امْـــوَالْم وَيَامَنْ رِيـــد الْخِيـــرْ لِلْبَشْـــرِيَّة[١]

بـــاَمذُو لِـصْـــحَاب السَّلاَمَاتْ سَـــالْم وَيَامَذُو وعِـــدُو اَنـــكْ جَلُـــوا جِمْلِيَّـــة[٢]

يرى الشّاعر في ممدوحه المنقذ الوحيد للعالم في شيء من المبالغة، وهو من يتصدّى لكلّ ظالم ومعتد، وهو من ذلّل الصعاب حتّى أصبحت لّينة وسهلة تلائم كلّالّناس ، لأّنه يريد

---

(٥) هاللِّي:الّذي.

(٦)خَلِّيت: تركت، ذهايب: يسير إلى غير هدى، رايح: من الضياع، شورا لتلاف: طريق التلف والهلاك، تفيِّه: ضاع كل ما يملك.

(٧) خرايب: خراب، عمار: عمرت الأرض، خلا مخليّه: خالية لم يوجد أحد بها.

(١) موالم: يلائم الجميع.

(٢) جمليّه: جميعهم.

الخير كلّ الخير للبشريّة، وفي الوقت نفسه يسالم من يسالمه ويعادي من يعاديه.وهكذا يستمرّ الشّاعر في زجلّيته إلى أن ينهي فكرته ويرضى سامعيه وممدوحه.

مدح الرّجل الكريم الشّهم: يكون لغرض يشدّ الآخرين إليه، كعمل عامّ يعمّ خيره كلّالنّاس، أو قضاء حاجة للشاعر فيكافئه بما يملكه وهو شعره ليرفع من قدره ومكانته، فهذا الشّاعرميلاد المشاي(*)الملقّب بالبحر الأزرق في قصيدة مدح على وزن"أبو رجيلة " يقول في مطلعها(٣):

وَلَـدْ لَصَـلْ قَاعَـدْ كِـي سَـبيلِ الْعـادَه اْيفَـرَّجْ عَـى الْقَلْـبْ الْحَـزِينْ كَسَـادَه(٤)

يمدح الشّاعِر أحد المسؤولين بالمنطقة الّتي يقطنها، قام بمساعدته في أمور حياتّية واصفاً إّياه بأّنه رجل من رجال الأصل، لازال على عادته وعادة أجداده لم تغّير فيه المادة شيئاً ، لأّنه يفرّج كرب كلّرجل أتى عليه الفقر والحاجة، فالممدوح يخفّف أحزان القلوب الموجوعة الفقيرة. ويستمر في المقطع الأّول:

ـــــــاَ زالَـــــــت الْبِيتيَّـــــــه اْنظَـــافْ الضَّـــما ْبِ والعقـــول الْحَيَّـــه(١)

لْياجِيـــتْ قَاصَـــدْ حَاجْتَـــكْ مَقْضَـــيَّه يَخـــافُوا عَـــى سَـــبَّ لقَفَـــا وَعْـــوَادَه(٢)

عَـــرَبْ سِلْسَـــلَةَ مَتْأَصْـــلَه ونقيِّـــه كـــلّ مِـــنْ قَصَـــدْهُمْ بَلَّغُـــوا مُـــرَادَه(٣)

رِيـــتْ كـــلّ وَاحِـــدْ بُـــوهْ عَقَّـــبْ مِيَّـــه مَشْـــكُورْ مِنِّـــي فَضَـــلْكُمْ يَـــا سَـــادَه(٤)

يقول الشّاعر: لازال هناك رجال من بيوت عريقة تمتاز بالقلوب والضمائر النظيفة وإذا أتيتهم طالباً حاجة، تقضى إليك في الحال، كرماً منهم، وخوفا من السبّ في غيابهمحتّى لا

(*) ميلاد سالم عقاب المشّاى ولد بمنطقة يفرن ١٩٢٨م شاعر أمّي له ديوان شعر مطبوع، يقول الشّعر بجميع أغراضه خلصة الغزل لأنّه شاعر كان يحيي الأعراس، انظر ديوان الشّاعر: ديوان البحر الازرق للشعر الشعبي، الشّاعر ميلاد سالم عقاب المشاي، إشراف عيسى الفامه، الشركة العامة للورق والطباعة، الطبعة الاولى، ١٤٢٤م.

(٣) ديوان الشّاعر ص١٩٣ .

(٤) ولد: ابن، لصل: الأصل، قاعد: لازال على عهده، كي: اداة تشبيه "كـ" .

(١) مازالت البيتيه: ما زال هناك رجال أهل بيوت كرم.

(٢) ليا: إذا، جيت: أتيت، قاصد: واضع منهم مقصداً لك، سب القفا: القدح في غياب المقدوح فيه من قبل الآخرين ، اعواده: ذكر ما قاموا به من عمل مشين في تكراره وإعادته بين النّاس.

(٣) سلسلة: سلالة ، متأصّلة: من أصول كريمة.

(٤) ريت: ليت، بوه: أبوه، مية: مائة.

تتناقله الّناس في أشعارهم بين البوادي والقرى ، والناس تحسب للشعراء ألف حساب حتّى لا تسبّ أعراضهم، وورثوا عن آبائهم وأجدادهم في سلالات تحمل هذا الكرم، وما أتاهم أحد إلاّ وكانت كلّ حوائجه مقضيَّة. ثم يدعو متمنياً لو كان أبو الممدوح أنجب مائة ولد يماثله في الكرم والعطاء، وينهي مقطعه بشكر فضل الممدوح وأسرته الّتي أورثته هذه الخلال الحميدة، ويستمرّ في المقطع الثّاني قائلاً:

مَـــــازَالْ فِيـــــهْ اصْـــــقُوره شَـــرِيفْ عَمـُـــْم وِيجبَّـــرُوا الْمكسُـــوَره(٥)

عَـَــى الْعـَـدْل دِيمـــا اقْلُـــوبْهُ ْم مَعْمـُـوَره ـــا ذُصْـــرَه الْظْلُـــوْم كا نـــه نَـــادَى(٦)

الله لا ْيطَفِّـــى مِـــنْ عَـــيهْم نـــوَره دِيمـــا نَبُـــوهُم لْفَقِيـــر اسْـــنَادَه(٧)

أيّ لازال هناك رجال كرماء سادة كالصقور، أصحاب أعمال شريفة، وهم بمساعدتهم للمحتاج والفقير المعدوم كالطبيب الّذي يجبر من كُسِرت يده أو ساقه، وبخاصّة في تلك الأيام الغابرة الّتي كان معدوماً فيها التقدّم الصحي معدوماً لا وجود للمشافي والمصحّات بالبادية، ويضيف بأنّ لهم قلوباً عمرت بالعدل والدّفاع عن المظلوم عند طلب النجدة ،ثّم يدعو لهم كعادته طالباً من الله أنْ لا يطفئ لهم نوراً ،لأنهم سندٌ للفقراء، ويقول في مقطع آخر:

مَـــ ـــازَالْ فِيـــــهْ رَسَـــــاوي عَـَــى الْحَـــقْ دِيمَـــا عَمـُـــْم مسَّـــاوي(١)

اْيـــدَلوك عَ الشَّـــوْر الصَّـــلاحْ الضَّـــاوي يفَضَّـــوا عَـَــى الْقْلـــب الْحَـــزِينْ اذكَـــادَه(٢)

لِـَيـــاجِيتُهْم عَطشَـــانْ تَمْشِـــي رَاوِي ْيفَكـــوكْ مِـــنْ سَـــامِرْ قُـــوي مِيْقَـــادَه(٣)

---

(٥) ما زال، لا يزال، فيه صقوره: هناك رجال كالصقور، يجبروا المكسورة: جبر خواطر المحتاج على سبيل المجاز.

(٦) ديما:دائماً، معمورة: عامرة، كانه: إذا، نادى : من ينادي ويستغيث.

(٧) نبوهم: نريد منهم، اسناده: سند.

(١) رساوي: رواسي كالجبال، ديما:دائماً، مسَّاوي: من المساواة والتساوي.

(٢) ع الشور: أيّ الطريق الصالح وعمل الخير، الضاوي: المضئ، يفضّوا:يخففّوا أحزان الآخرين ، انكاده: من النكد والحزن.

(٣) ليا: إذا، جيتهم: أتيت إليهم وأقدمت عليهم، تمشي: تخرج من عندهم، راوي: من الارتواء ريان، يفكوك: ينقذوك، سامر: نار قوي ميقاده: النّار المتّقدة الحارقة.

مِـنْ فَضَـلْهِ مْ تَسْـمَعْ كَـلاَمْ اْيـدَاوِي زِيـــدِي عَـــيهِ مْ زَعْـــرَدِي يـــاَدَاده[٤]

فالشّاعر يكّرر لفظة (لازال) في بداية كلّ مقطع، والتكّرار يفيد الّرد على من يقول: انتهىالكرم وغاب، لأنّ النّاس اليوم يبحثون عن المادّة وعدم الانتباه إلى الفقراء ومساعدتهم، فكأّنه في حوارمعهم بأنّ هناك رجالاً لازالوا على عهد الآباء والأجداد، كالجبال الرواسي يعملون على إعلاء كلمة الحق والكرم، ويشيرون على الآخرين بالرأي السويّ الّدال إلى طريق الصلاح، ويخفّفون من أحزان الآخرين، وكلّ من أتاهم في حاجة ما، قضيت حاجته في إشارة إلى أنّ العطش ينتهي عند الكرام، ويخرجون المحتاج من ضيقته كمن ينقذ المهدّد بالحريق الّذي تلفُّ به النيران من كلّ جهة على سبيل التمثيل، ويعطون الكلام الجميل الشافي للمحتاج لكي يخفّفوا عنه أحزانه، ويطلب من النساء أن يزغردن على هؤلاء القوم، لأنّ في الزغاريد عادة حميدة عند البدو، ولا يزغردن إلاّ على الفارس الشجاع الّذي يقوم بعمل من أجل الآخرين وإن كان فيه هلاكه، وهكذا يختم الشّاعر هذه الأبيات الّتي اخترناها من قصيدة طويلة في المدح.

وفي قصيدة زجلية أخرى للشّاعر نفسه يمدح رجل قام بمساعدته اسمه "علي حميده" تتكون من مطلع وأغصان.

يقول في المطلع:[١]

قِـديْم سَـابْقَه مَـا هِـي عَلِـيكْ جَدِيـدْه وَلَـدْ بيـتْ يَـا سِـيْدِي عَلـي حمِيـدْه[٢]

واضح من خلال هذا المطلع أن الشّاعر يمدح على حميده واصفاً إّياه بأّن الكرم قديم متأصّل في أسرته وفي شخصه ، ليس بالجديد الطارئ أو المتصنّع الحديث، فهومن أسرة وسلالة وعائلة كريمة مُقدراً إّياه بقوله : "يا سِيدِيْ"، إلى أن يقول في المقطع الأّول:

صَـــــادِقْ عَلِـيـــــكْ كَلاَمِـــــــي ذَكَّرتْني إّيـــتْ فُـــوقْ مَقَـــامي[٣]

(٤) فضلهم: كرمهم وعطاؤهم للمحتاج، كلام يداوي: كلام يشفي، زيدي عليهم: اثني عليهم وأعيدي الزغاريد.
(١) ديوان البحر الأزرق للشعر الشعبي، ص٢٠٢.
(٢) سابقة: في السابق، ما هي : ليس، ولد بيت: ابن سلالة شريفة من بيت كريم.
(٣) عليّت: رفعت، مقامي: مكانتي.

يَّحْتَ نـــــي وْفَ رَّجْتَ هـــــا قُ ـــــدَّامِي مِــنْ دَرَجَــةْ الْمُحْــدَارْ والتَّصْــعيدَه(٤)

الله يـُحْفَظَــكَ وَاجْعَــلْ حَسُــودَكْ عَــامِي كَتَ ـــفْ مْقَ يَّـــدْما يِمسَّـــكْ بِيـــدَه(٥)

فقولي ومدحي وشكري لا رياء ولا تملّق ولا تقرّب فيه ، فهو من صميم قلبي،لأنّك رفعت من قدري ومقامي بين النّاس ، ورفعت عنّي الغُبن، وحلَّ الفرج مكان الشّدّة، بسبب المركوب الّذيأهديتني إيّاه، ثم يدعو كعادته على حسدة الممدوح بالشرِّ وفقد البصر وشدّ اليدينوالقدمين بالحبال والقيود، كناية عن عدم قدرتهم على الممدوح وبُعد خطرهم عنه، ويستمرّ ماداحاً :

قَلْبـــــكْ رَحِـــــيْم وْطَيَّـــــبْ وَضْــلَكْ عَلَــى سَــن الْكَبْيِــر اهْ يَّــبْ(١)

حَيــاالله حَيَّــكْ يَــا نصَــير الشِّــيِّبْ هَــاللِّي عَليــهْ الْمــوتْ مُــوشْ بَعيــدَه(٢)

الـــــرُّكْ بِينْ بَـــــاوُا والنَّظْرَاقْرِيَّـــــبْ قَرِيــبْ خَالْقَــه يَــأَمْر عَلَــى تَسْــقِيْه(٣)

بــدى الْفَكْــر غَــدِي كــلّ يــُوْم يْغَيَّــبْ وَالْمُلـــــك مُلْكَـــــه وَالْعبيـــــدْ عَبِيـــــدْه(٤)

أنتأيّها الرّجل لك قلب طيب رحيم بخاصة على كبار السّنّالّذين هم مثلي ، لقد وضعت عليهم مهابة وأصبحتُ بفضلك مُهاب الجانب. ويدعو كعادته بالحياة لكل حيّ الممدوح، واصفاً ممدوحه بنصير الكبار والعجزة الّذينيقترب ويدنو منهم الموت والهلاك،وأثره واضح بالركبتين والنظر المتهالكين، والفكر المتذبذب بين الذهاب والمجيء ، وكلّ هذه الآثارتؤدّي إلى أن الله قد يأمر قريباً بتوديع هؤلاء للدنيا والانتقال إلى الآخرة، وهو من صنع الله وحده لأنّ كلّ الملك

(٤) قدّامى: امامي، المحدار: النزول، والتصعيده: الصعود ضد الهبوط والنزول.

(٥) حسودك: الحاسد لك، عامي: من عَمِيَ ذهاب البصر، امكتف: من كتفه شدّة يديه إلى خلف بالحبال مقيّد: وضع بيديه القيد والغلال، ما يمسّك: من امسك بالشيء وتمسك به أيّ تعلق به.

(١) مهيّب: مهابة.

(٢) الشيب: جمع المشيب والاشيب أيّ كبير السّنّ، هاللي: هذاالّذي، موش: ليس.

(٣) الركبين بادوا: أيّ هلكوا، قريّب: قصر النّظر، يامر: يأمر، تسقيده: فياللّسان مادّة "سقد"أضمر الفرس، وسقّد الفرس، أضمره، وخرج صباحاً يسقد الفرس أيّ يضمره وهنا بمعنى الخروج، الخروج من الدّنيا، وتوديعها.

(٤) بدى: بدأ ولكن حدثت بها إمالة، وتعني أصبح، يغيّب : يغيب.

والعباد ملكه وعبيده فله الأمر في الأوّل والآخر، وهذا النوع من الضعف الّذي يبديه الشّاعر لتقدّمه في السّنّ قد يؤدّي إلى رأفة واستجداء عاطفة الآخرين من باب التكسّب بالشعر، فهو من الّذين يُحْيون الأعراس.

غير أنّه يوجد عدد من الشّعراء ممن مدح عن رغبة لا رهبة ولا طمع ، يمدحون من فعل شيئاً يصعب عن الآخرين فعله ، كانتصار في معركة ، أو إكرام لعدد كبير من الضيوف، أو ما شابه ذلك.

وأخيراً انتقل المدح من مجاله الضّيّق إلى مجال أوسع، فصار الشّعراء يمدحون رجال الدولة ورؤساء الحكومات، ويواكبون الأحداث الجارية في القطرأو الوطن الكبيرأو العالم أجمع، فواكبوا الحرب العربيّة الإسرائيليّة، والحرب الجزائريّة والعراقيّة وغيرها من هموم الشّعب مادحين من يقدّم عملاً جريئاً لصالح الأمّة والوطن.

ثالثاً: الرّثاء:

ربّما كان الرّثاء أقرب الأغراض جميعها إلى طبيعة الشّعر، فهو زفرات تلتهب وأفئدة تضطرم، ودموع تخرج تسقي الخدود، وعبارات وجدانية يلفظ بها الشّاعر ويحسّها في لحظة من لحظات الصدق، وعصارة حزن تطهّر القلب والفكر وتسمو بالروح.

ويقف الشّاعرأمام الموت موقف المتأثر بفقدان عزيز، أمّا لصلة ودّ ، أو قرابة تربطه به، أو لصلة تقدير وإعجاب ، وشعور بخسارة وطنّية ، أو اجتماعّية، أو إنسانّية، أو لمكانة المتوفى بين قومه .ونشأ الرّثاء مع نشأة العاطفة الإنسانية في القلوب الملهمة تتحرّك وتنفعل أمام نكبات الدهر وعصف يد الموت بالأعزّاء.

والرثاء في صورته العامّة قريب جدّاً من صور الفخر والحماسة والمدح، لأنّه هو مدح الميت بالخصال الّتي يفتخر ويمتدح بها، كذلك مناقب الميت وفضائله، وهو غالباً ما يكون ترتيبه بين الأغراض بعد الفخر والحماسة والمديح.

ويوصف المرثي بكثير من الصّفاتالّتي وصف بها الأبطال في الفخر والحماسة، من كرم وجود وسخاء، وشجاعة وقوّة وحماية الجار والدفاع عنه، وإغاثة الملهوف، والتسامح

والعفو، والحكمة وصحّة الرأي والسّيادة وغيرها من هذه الصّفات البّراقة الجميلة، وهذا كلّه يدلّ على حزن الشّاعر على فقد هذا أو ذاك.

وينقسم الرّثاءإلى قسمين : رثاء النفس ورثاء الآخر:

أ. **رثاء النفس:** قد يرثيالشّاعر نفسه عند شعوره باقتراب الأجل، وهل هناك اروع من أن يصوّر الإنسان شعوره في لحظات حياته الأخيرة ؟ وهل هناك أكثر حرارة من أحاسيس إنسان يرثى نفسه ؟ كأن يحكي عن ذكرياته في أيّامه السالفة، ويقارن بين الأمس واليوم، ويذكر العيوب الّتي كثرت فيه، ومثل ذلك قول الشّاعر ميلاد المشاى.[1]

شَايبْ بَديتْ انعِزْ فِي النُّوضَانْ ضَفِّي عَلَيَّ السِّتْرَ يَا سَتَّارْ[1]

بِيَّا بَرَكْ لا مَشِي لاَ جَيَّانْ الرّكْبِينْ بَاوُا والنَّظَرْ أُقْصَارْ[2]

كِيفْ مَا يطيبْ الزّرعِي الْفَدَّانْ فِيهْ الْمَنَاجَلْ عَامْلَه بَازَارْ[3]

يقول الشّاعر: أصبحتُ كبير السّنّ غير قادر على النهوض من مكاني، وما طلبي من الله إلاّ أن ويسترني في الدّنيا والآخرة، بعد أن أصبحتُ عاجزاً عن الخروج والدخول، والذهاب والإياب كما كنت سابقاً ،في صورة جميلة ، شبّه الزّمن فيها بالجّمل العاجز الّذي برك في نصف الطريقبأحماله ولم يعدّ قادراً على النهوض، وذلك بسبب هلاك ركبتيه وقصر الّظر منه،ثم أتى بصورة أخرى جميلة حيث شبّه نفسه بالزرع الّذي هرم في مزرعته بعد أنكان غضّلاً أخضر، وهو يشبهه في هرمه والمناجل تعمل عملها فيه.

---

(١) ديوان البحر الأزرق للشعر الشعبي، ص١١٦.

(١)شايب: شائب-بديت: أصبحت، تعز: من عزّة غلبه، النوضان: النهوض .

(٢) بيّا: بي، لامشي لاجيّان: لا ذهاب ولا إياب.

(٣) كيف: مثل ، الفدان: هنا بمعنى المزرعة، المناجل: جمع منجل، عاملة: تعمل، بازار: الهيج والضرب بالعصا.

ب.**رثاء الآخر**:وقد يكون الرّثاءللقادةوالزعماء والأبطال ، وهو ذو أهمّية في نفسيّة القوم عامّة لأنّهم بذلك فقدوا أبطالاً وفرساناً لهم صفاتهم الكريمة والحميدة، فلابدّ من الحديث عنهم وعن مآثرهم وبيان فضلهم، وأيّ عين لا تدمع وتحزن عند موت بطل شجاع مقدام، فالشّاعر الحلّافي(*) يرثى المجاهد أحمد الشريف(**)(٤):

تَ ـــى إنْ عَـاشْ قْـرُوْن لاَحَـانْ الْقَـدَرْ بِّـــي نِـــدَا رَبَّـــه بَـــلاَ تَـــأخِيرْ(١)

تَـــوفَى رَسُـــول الله مِـــنْ وَحَّـــد الْبَشَـــرْ بَعـــدْ شِـــرْك وَمْعَانَـــاتْ وَتَبْعْثِيـــرْ(٢)

وُبَـــوبكْر مْـــاَتْ، وْمَـــاتْ سَـــيِّدْنا عُمَـــرْ وْعُثْمَـــــانْ وَالإِمَـــــامْ والزُّبِيـــــرْ

يشير الشّاعر في الأبياتالأولى معزّياً نفسه بأنّ كلّ الخلائق فانية ولم يبق إلاّ عمل الإنسان، ولنا عزاء في وفاة أفضل البشر محمد، عليه الصّلاة والسلام والخلفاء الراشدين والصحابة الأبرار – رضوان الله عليهم – والإنسان مهما عاش ومهما طال به العمر فلابد من الموت ثم يعود إلى المرثي يعدّد مناقبه قائلاً :

وَا مَـا تَـلا الْقُـرآنْ فِـي سَـاعَةْ السَّـحرْ وَوَرَادْ لِـــين الْفَجَـــرْ دَارْ بهيـــرْ(٣)

وَياماهَـدَى مِـنْ نَـاسْ كَـاذُوا فِـي خَطَـرْ بَعـدْ رَبْ شَـايْط دَلّهْ مُـعَ الْخيـرْ(٤)

(*) الشّاعر حسين محمد الحلافي "١٩٠٥م -١٩٧٤م" شاعر مرموق، فشعره يدور حول المواضيع الوطنية أثناء الهجرة إلى مصر، انظر قصائد الجهاد ج١/ سعيد عبد الرحمن الجنديري/ سالم حسين الكبتي/ مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الطبعةالثّانية ١٩٨٧، ص١٨.

(**) المجاهد أحمد الشريف ولد بالجغبوب ١٢٩٠هـ-١٨٧٣م توفى بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع ١٣٥١هـ-١٩٣٢م، اشرف على حركة المقاومة ضد الغزو الإيطالي في برقة، وحارب الانجليز على الحدودواللّيبيّة المصرية سنة ١٩١٧م، سافر إلى تركيا ثم استقرّ بالسعودية إلى أن وافته المنيّة، انظر جهاد الأبطال في طرابلس الغرب/ الطاهر الزاوي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعةالثّانية ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ص٢٩٢.

(٤)ديوان حسين الحلاّفي، تحقيق وشرح د.يونس عمر قّوش، الهمّالي شعيب الحضيري، مجلس تنمية الابداع الثقافي الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٩٥.

(١) ندا: نداء.

(٢) تبعثير: تبدد وتفرق.

(٣) وياما: لفظة تدل على الكثرة، لوراد: الاوراد وهي مجموعة من التسابيح، لين: إلى أن، دار: ظهر، بهير: من بهر أضاء حتّى غلب ضوؤه ضوء الكواكب.

(٤) شايط: التهبت واحترقت، ع الخير: على الخير.

يشير الشّاعر في هذين البيتين إلى تدّين الأمير أحمد الشريف السنوسي ومداومته على تلاوة القرآن بآخر اللّيل وحمله للأوراد والأذكار والتسابيححتّى طلوع الفجر، وكم من أناس هداهم إلى طريق الخير والبعد عن القتال الدائمبين قبائلهم بسبب مورد ماء أو أرض حراثة أو مرعى أو ما شابه ذلك بين العمومهوالجيران والإخوة، ويستمر في ذكر مآثره قائلاً :

وَيا طُولْ مَا عَانَى مَشَقَّاتْ السَّفَرْ و مَا مِنْ صَحَارِى خَاضَها وَسرِير (٥)

يا طُولْ مَا صَام النَّهَار وا فَطَرْ عَلَى جُغْمَةْ أميِّه وُرصْ شَعِيرْ (٦)

ويا طُولْ مَا كَافَحْ وَيا طُولْ مَا صَبَرْ ولَكِنْ مُرَادْ الله وِيش يْدِيرْ (٧)

يشير الشّاعر إلى طول معاناة الشيخ أحمد الشريف أيام الجهاد والتّنقّل من مكان إلى آخر عبر الصّحاريالشّاسعة والأخطار الّتي تكّبدها خلال هذه الفترة الجهاديّة الطّويلة، من أخطار العدو والطبيعة الصحراويّة القاسية الأيام والليالي الطوال دون ماء ولا طعام إلاّ القليل كأقراص خبز من دقيق الشعير، وهو يقاتل ويصبر على كلّ هذه الأمور الصعبة بين جبهتين شرستين، هما الجبهة الانجليزيّة على الحدود المصريّة اللّيبيّة والجبهة الإيطالية على طول البلاد وعرضها.ويعيدالشّاعر ذلك كلّه إلى أمر الله وقدرته، والإنسان لا حيلة له مع قدرة الله –سبحانه وتعالى– ويشير إلى عدم خضوعه بقوله:

ى مَا تَعبْ لاَلاَنْ لاَ طَاعْ الكَفَرْ لاَحطْ فِي كِفَّه طَّاهُو لِيرْ (١)

جَاهَدْ وهَاجَرْ لِينْ ميجَالَه حَضَرْ جْوَارْ النَّبِي بُوفَاطِمَة الْباشِيرْ (٢)

وكلّ ما قاساه المرثي لم يثبط من عزيمته ولم يقلّل من جهده مع كلّ وسائل الإغراء بالجاه والمال،لم يلن ولم يطع الأعداء ولم يأخذ منهم أيّنوع من النقود والعملات طيلة فترة الجهاد الّتي

(٥) يا طول:تدل على الكثرة، مشقّات:جمع مشقّة، ما من :تدل على الكثرة، خاضها: قطعها وصارع أهوالها، سرير: السرير الملك المتسع من الأرض.

(٦) جغمة: قليل من الماء أو غيره من السوائل يرتشفه الإنسان مرة واحدة، أميّة: ماء، قرص شعير: خبز شعير.

(٧) ويش يدير: ماالّذي يفعله الإنسان مع قدرة الله

(١) علي ما تعب: كلّ ما تعب، لاحط: لا وضع، لير:من الليرة وهو عملة ذهبيّة، ويعني المال.

(٢) لين: إلى أن، ميجاله: موعد أجله وهو موعد وفاته.

خاضها ، إلى أن هاجر ومات جوار الحبيب محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– وتكثر مثل هذه المراثي، فالدواوين مليئة بمراثي في شيخ الشهداء عمر المختار عند إعدامه عام١٩٣١م بعد مقاومته للاستعمار الإيطالي مايزيد عن عشرين سنة، والمجاهد خليفة بن عسكر قائد المقاومة بمنطقة نالوت الذي أُعدم سنة ١٩٢٢م بعد مقاومته للاستعمار الإيطالي عشر سنوات، والزعيم جمال عبدالناصر بعد وفاته عام١٩٧٠م عقب وقوفه مع كلّ حركات التحرّر في الوطن العربّي ،وغيرهم من الزعماء القوميّين والوطنّيين والإسلاميّين والمحليّين.

ولا يخرج رثاء الأقارب عن ذكر الصّفات السابقة من مدح الميت بالصفات الحميدة في حياته، ولكن لفقد الأقارب أثر أكبر في نفوس الشّعراء، إذ طغى الإحساس بالحزن والألم وعظم المصيبة على مشاعرهم حتّى أصبح الفقيد هو المحور الرئيس الّذي يدور النص حوله.

وغالباً ما نجد تشابه أشعار شعراء المراثي كبيراً، فلا اختلاف يذكر في رثاء الآباءوالأبناءوالأصدقاء عن الصّورة والصفات في رثاء الزعماء، لأن المرثّي كائن اجتماعّي يملك احترام نفسه والآخرين، فالشّاعر فضيل الشلماني(*) يرثي خاله(**)قائلاً: في قصيدة زجلّية(١):

مرحوم منغيّب وجاور صيرهبعكوت مدّرادعمقوشديره (٢)

يفتتح الشّاعر القصيدة بهذا المطلع على وزن "أبو رجيلة" مترحّماً فيه عن المرثّيالّذي طال غيابه ونزل مقبرة ((الصيرة))بدلاً من ظهر جواده وسرجه الجميل وديره المزركش البديع، ووضع الشّاعر مقارنة بين تلك المقبرة المهجورة البعيدة وبين ركوب الخيل صحبة فرسان القبيلة ،وتلفّه كوكبة من أقرانه وأصحابه وأقاربه وهو كالبدر بينهم، ثم ينتقل إلى المقطع الأّول بعد المطلع:

(*) فضيل حسين الشلماني "١٩٠٠،-١٩٧٢م"شاعر مجيد من شعراء مدينة بنغازي، أُعتقل في أحد معسكرات الاحتلال الإيطالي، انظر مقدمة ديوان الشّاعر فضيل حسين الشلماني، تحقيق الدكتور يونس عمر فنّوش، الهمالي شعيب الحضيري، منشورات مجلس تنمية الابداع الثقافي، ليبيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(**) عياد صالح الشريف توفى ١٩٤٦ بمنطقة جردينة، المصدر نفسه،ص١٤٦.

(١) المصدر نفسه ص١٤٧.

(٢) صيره: اسم المقبرة الّتي تواريه، كوت:في اللّغة القصير ،والبدو في ليبيا يطلقونه على الحصان القوي، مترادع: جميل متكامل، وفي اللّسان مادّة "ردع" الرَّدْع اثر الخلوق والطيب في الجسد، وقميص رادع ومَرْدوعٌ ومُرَدَّعٌ: فيه اثر الطيب والزعفران، منقرش: الزركشة مأخوذة عن النقش والزينة، الدير: كساء رقيق يوضع تحت السرج أو البردعة.

مَرْحُـــوم مِـــنْ غيّـــبْ عَـــى وَشْـــنَاتَهْ وْتَ مَّـــتْ الصِّـــيرَة مَسْـــكَنه وَمْبَاتَـــه(٣)

مـــا سَـــلّك الْواحَـــلْ أيَّـــامْ حَياتَـــه و مَـــا شَـــاوُرُوهْ وتْعَـــوا تَـــدْبيرَهْ(٤)

عَشَـا كـلّ ضَـافْ وِيـنْ خَـصْ مَقَاتَـهْ تَمـاً الْعـامْ قَحِـيطْ شَـاحطْ مَيـرْه(٥)

بْقَـــي قـــاعَه فُـــوقْ مِـــنْ فَتّاتَـــهْ طَعـام غَـزَرْ مَـا يقْـدَرْ كَـرِيم اْيـدِيرْه

يطلب الشّاعر الرحمة للمرثّي، الّذيغّيبة الموت عن أطفاله،وصارت مقبرة الصيرة سكناً له، ويعود لذكر مآثرهحيث أنّهكثيراً ما خلّص المحتاج والمهموم الواقع في المشاكل، وكثيراً ما أخذوا عنه المشورة والرأي السديد السليم لحكمته ورجاحة عقله، وهو الّرجل الكريم الّذي تسبق موائده الضيوف عندما يقلّ الطّعام ويصبح شحيحاً ، خاصّة في السنوات الّتي لا مطر فيها ولا طعام إذ كان ، يقدّم خلالها موائدكثيرة من الطّعام والفتات واللّحم في حين لا يقدر غيره عن تقديم مثل تلك الوجبات للضّيوف.

وأحياناً يكون الّرثاء جماعّياً يرثي فيه الشّاعر مجموعة من المفقودين في كارثة من الكوارث أو معركة من المعارك أو حادث من الحوادث، وهذا الشّاعر جبريل البرعصي(*) يرثى شهداء معركة بئر بلال والبريقة يوم العاشر والحادي عشر من يونيو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرون في قصيدة من الوزن "المسدّس"(١)(٢):

عَظّمَاللهأجْركُمفيالاخْيارْ شَايِ خاكْبار ْادَّاعُوعَلَىالرُّوشَقُّوا النّار(٣)

---

(٣) وشناته: يقال للاطفال والصغار لعائل العائلة "واشون" ووشناة" وتستعمل في أكثر من قطر، ولا أعرف مدى فصاحتها إلاّ بمعنى الضعف والهزل من "الشّنُّ والشنون"، تمت ، انتهت ، مسكنه ومباته: سكناه ومبيته .

(٤)سلّك:خلّص وفك الضيق، الواحل: مأخوذة من الوحل وهو من وقع في مشكلة، شاوروه: أخذوا عنه المشورة، تدبيره: أخذوا بمشورته .

(٥) عشا: عشاء، خص: قل، مقاته: القوت، تما: تم، قحيط: القحط، شاحط: من شحط: الشدّة والبعد.

(*) هو جبريل مازق عاشور الرعيدي البرعصي عاش بين (١٨٥٦م-١٩٦٨م) من قبيلة البراعصة شرق ليبيا شارك في الكثير من المعارك ضد الاحتلال الإيطالي، وتم نفيه إلى الجزر الإيطالية ضمن الآف الليبيّين، انظر معجم الأدب الشعبي في ليبيا، عبدالله سالم مليطان، ص٢٩٣.

(١) المسدّس: يتكون من مطلع ومجموعة مقاطع، وكل مقطع يتكون من ست شطرات.

(٢) قصائد الجهاد، ط١، ص٨١.

(٣)الاخيار: الافضل، ادّاعوا: تداعوا حيث أدغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما".

يُقدّم الشّاعر التعزية في الّذين استشهدوا من أبناء القبيلة ورجالها في معارك الجهاد غير آبهين بالقوات الغازية، وشقّوا صفوف العدو ودكّوا حصونه ونكلّوا به دون خوف أو تراجع إلى أن نالوا الشهادة، وينتقل الشّاعر إلى المقطع الأوّل:

عَظَّمَ اللهُ أجرَكُمْ في رِجَالٍ مَاتُوا عِيَالَ الجِيَابَةِ الثَّنِيِّ وَمَعْكَةْ لَا لَ(٤)

مِنْهُمُ المُلْعُونْ قَشْعُوشَ الوَذَاقَ المَرَارْ لَمْ وَالنَّقْطْ كُلَّهُمْ فِي نَهَارْ(٥)

يبدأ كعادته بتعظيم الأجر والتعزية للقبيلة في هؤلاء الرجال الأشاوس المتميّزين بين كلّ القبائل بالشجاعة والعقل الراجح ، وكما ذكر سابقاً بأنّهم كبار السّنّ ليسوا بالصغار كما أشار هنا أيضاً ، وأتوا بالفعل الكبير والعمل الشجاع الّذي يفرض على الآخرين أن يثنوا عليه في هذه المعركة - معركة بئر بلال – الّتي انتصر فيها المجاهدون وفرّ العدو أمامهم .

وذاق طعم الهزيمة المرة وجمع كلّ مواقعه في يوم واحد وهرب إلى الساحل في أنكر هزيمة، وينتقل إلى المقطع الّذي يليه:

عَظَّمَ اللهُ أجرَكُمْ في سَرِيِّهَا هِيَ شُوَيِّهْ لَا طَلِيلَا قَ ابَلَتْ عَ الْحَطِيَّه.

حَطَّ فِي رَهَا بِالْفَ رَسْ وَالْوَلِيَّه إِيمَانَا اكْبَ ارْفُ وَقَالْمَ نَاشِيتْ تَوَلَّا دَّارْ .

بدأ المقطع الثّاني كاسابقه برفع درجة الأجر في هذه المجموعة الكثيرة الّتي لم تتعامل مع العدو ، ولم تستسلم له، ولم تدخل تحت طوعه ولم تتواجد بالأماكن الّتي يتواجد بها العدو إلاّ على صهوات الجياد في قتال خلف أميرها الّذي أقسم بفرسه وزوجته يميناً ألّا يلوي لفرسه عناناً إلاّ خلف مواقع العدو الّتي ذكرها بالاسم وهي "المناشين" .ونلاحظ مدى مكانة الفرس والزوجة عند البدويّ إلى درجة أنّه يقسم بهما ، فهما عرضه ومستقبله وحياته ،حيث قدّم كلّ ما يملك من أجل الوطن بل قدّم حياته فداء له وللدّين.

---

(٤)جيّابة: يأتوا بـ، الثنى: العمل البطولي الّذي يثنى على من قام به، دعكة: معركة من قولهم دعك الخصم أيّ ليّنه ، بلال: بئر بلال اسم موقع يقع بالمنطقة الشرقية من ليبيا.

(٥)الملعون: من اللعن يعني المستعمر الايطالي، قشّع: من انقشع وزال، شال: أخذ ما لديه وهرب وهي من شَلْتُ الشيء رفعته، ذاق المرار: تذوّق طعم مرارة الهزيمة، وَلّمّ: جمع، النقط: نقاطه مواقعه، في نهار: في يوم واحد.

وكما يكثر الرّثاء الفردي والجماعي، هناكأنواعأخرى مثل رثاء المدن، فالشّاعر مصطفى عبيد الهوني (*) يرثي مدينة المرج عقب زلزال عام ١٩٦٣م في شهر رمضان الكريم مغرب ١٩٦٣/٢/٢١قائلاً (١):

وَجْعِ ـي الْمَـرَجْ لَكِـ نْ وِيـشْ فِيـدِي مُـ ـــــرَادْ الله رَبَّ الْعـــــــالَمِينْ (٢)

كَـــانْ بِكيـــتْ مَـــا يْفَـ ـــعْ غَرِيـــدِي اجْعَلْنـــــا الله بِـــــين الصَّـــــابِرِينْ (٣)

يتوجع الشّاعر بسبب ما حدث للمرج من دمار وكثرة الأموات من الرجال والنساء والأطفال، هذه المدينة الّتي سوِّيت بالأرض، ولكن مرجع الأمر إلى الله وحده في ما حدث، لأنّ الإنسان قاصر علىعمل أيّ شيء، والبكاء وكثر النحيب لا يجدي، وما على الإنسان إلاّ التضرع إلى الله أن يعطيهالصّبر على هذه المصيبة الّتي حلّت بالمرجوأهله، ويستمّر:

أيلِـينْ الْقَـلَـبْ لُـو كـانْ مِـنَ حَدِيـدِ يْجُـــود بْكُـــلْ مَـــا فِيـــدَه يْعِـــينْ

يَـا رَمَضَـــانْ يَـا الشَّـــهر السَّـــعِيدِ اتْعُـــودْا بْخِيـــرْ وَحْنَـــا طْيِـــينْ

نرِيـــد الصّـــبر يَـــارَبِّي رَصِـــيدِي انْلاَقَـــي بِيـــهْ نَكْبَـــاتْ السّـــنِينْ

اوْخَـــافِي الله يَـــا نَفْسِـــي وْزِيـــدِي إِيمانَـــكْ بِيـــهْ هُـــو الْحُصْـــن الْحَصِـــينْ

فالقلب يلين ويذوب كما يلين الحديد تحت شدّة الحرارة،إلاّ أنّ القلب عندما يرى هذا الوضع الّذي حدث لمدينة المرج يجود ويعطي كلّ ما يملك ، فالإنسان لا يبخل أمام هذا الدمار بكلّ ما في يديه ليكون عوناً للمنكوبين. وينادي شهر رمضان الكريم الّذي حدثت فيه

(*) مصطفى عبيد الهوني (١٩٠٤م-١٩٨٣م) ولد في منطقة هون، حفظ القرآن الكريم انتقل إلى المرج عام ١٩٢٥م، احترف التجارة، ثم انتقل إلى إجدابيا واستقر به المقام في مدينة بنغازي حيث توفى بها، له مساجلات كثيرة مع الشّعراء، ونُشر كثيرٌ من قصائده في بعض الصحف، له ديوان،انظر معجم الأدب الشعبي في ليبيا/عبدالله مليطان، ص٢٣.

(١)ديوان الشّعر الشعبي، مصطفى عبيد الهوني/ جمع محمد مصطفى الهوني، دار ليبيان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص١٥٢.

(٢)وجعني المرج: آلمني حال المرج، ويش فيدي: ماذا يكون بيدي.

(٣)غريدي: نحيبي، اجعلنا الله: يطلب الله أن يعطيه الصّبر.

هذه المصيبة أن يعود بخير على الأمّة، ويطلب من الله تعالى أن يكون الصّبر رصيده لكي أن يتّقي به نكبات الزمن، ويعود موجّهاً الكلام إلى نفسه بأنْ تخاف الله وتزيد في خوفه، لأنّالإيمان هو حصن المسلم من كلّ آفات الدهر.

وظهرت أنواع أخرى من الرّثاء ، وإن كانت قليلة ولكنّها ظاهرة يجب الإشارةإليها، إذ هناك من يرثي جواده أو جمله أو شيئا عزيزاً عليه مثل بيته أو مزرعته ، فغومه المحمودي(*) يرثي فرسه الّتي سقطت في إحدى المعارك يقول(١):

لْولاَ مَناقد لَلاّتِ كْعْسِيدِكْماندّهكسَلمْرلَهِيبْ اْيكِيدِكْ (٢)

هنا يوجّه الشّاعر كلامه إلى فرسه وهي ملقاة على الأرض قائلاً لها: لولا ملامة النساء وخاصّة زوجتي الّتي تقوم على علفك وتربيتك، لما دخلت بك هذه المعركة الشديد الملتهبة الّتي كنت على يقين أنها معركة خاسرة فيها هلاكي وهلاكك، لأنّها أكبر منّي ومنك، ويقول في المقطع الأوّل:

يَـــــوْلاَ حَشَـــــــمْ لَلاّتِ ـــــــكْ مَـــا نْـــدَهْكْ طَـــافور فِيـــهْ إمَّاتِ ـــكْ(١)

وْ يَـــاكْلُوا لَـــذْيابْ مِـــنْ دَفّاتِ ـــكْ وْلاَ يَضَّـــلُوا طْرَحَـــهْ إنْعَـــالْ مِـــنْ اْيـــدِكْ(٢)

لولا الخجل والاستحياء من النساء ما كنت أن لأدخل بك في محكّأكبر منك وأعرف أن فيه هلاكك، ولولا هُنّ لماأكلت الذئاب من جانبيك، ولما فكت نعالك من يديك ورجليك وأنت غير دارية بما يجري حولك.

(*) هو الشيخ غومه بن خليفة، صاحب ثورة عارمة قام بها على العثمانيين دامت ربع قرن إلى أن تم قتله بعد أن جرح في معركة "بوادي أو آل" بالغرب من ميدنة درج وأخذ رأسه إلى اسطنبول وكان ذلك عام ١٢٧٤هـ- ١٨٥٨م ، انظر مقاومة الشيخ غومه المحمودي للحكم العثماني في ايالة طرابلس الغرب، محمد امحمد الطوير، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الطبعة الاولى ١٩٨٨م.

(١) انظر الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م، ص١٠٦.

(٢)مناقد: من الانتقاد والملامة، للتك: سيدتك، سِيْدَكْ: سَيَّدَك، ماندهمك: غشيهم دهمتهم الخيل، سامر: نار، لهيب: لهب، يكيدك: أكبر من قدرتك .

(١)حشم:الخجل، للاّتك: سيداتك، طافور: من طفر بمعنى وثب وثبة كبيرة ليست في محلها، امّاتك: موتك.

(٢)لذياب:الذئاب، دفّاتك: الدفّ الجنب أيّ جانبيك، طرحة نعال: المجموعة الكاملة من نعل الفرس ويقولاللاّسان في مادّة (طرح)، والتطريح:بعد قرر الفرس في الأرض وإذا عدا، ومشى متطرحاً، أيّ متساقطاً.

ونرى حفيد الشيخ غومه ينتهج طريق جدّه لأمّه، فالمجاهد محمد سوف المحمودي(*) يرثى فرسه في إحدى المعارك ضدّ الغزو الإيطالّي يقول(٣):

نَهَ ـــارْ قِصَـــرْمِيُوكْ وحَضْـــرَتْ يُ وَمَـــكْ ابُوا الـــزَّرَاري اللِّـــي عَلِـــيهُمْ لُوَمَـــكْ(٤)

أيأن هذا اليوم الّذي كان فيه هلاكك ، ما كان ليحدث لو حضروا الثّرية الّذين يعدون الملامة ويقرأون عواقب الأمور ولا يعرفون للهرب والخوف طريقا.

وهذا شاعر آخر يرثى نخلة يقال لها " عين الجديدة" بالقرب من منطقة الُجوش الّتي تقع قرب مدينة بدر غرب ليبيا، وهي نخلة طويلة القامة أنس النّاس لرؤيتها، ولكّنها سقطت بفعل الرّياح العاتية، يقول هذا الشّاعر المجهول(١):

مَـــالاَه عَـــلْ عِـــينْ الجَّدِيـــدَة طاَحـــتْ أكْمِـــلْ عُرْهَـــا مَـــعَ لَـــوْلِينْ وَرَاحَـــتْ(٢)

يقول يا حسرتاه على تلك النّخلة الطّويلة الّتي يأنس لها كلّ أهل المنطقة ومن يأتي إلى هذه القرية، لأنّها تدلّ على مكانها من البعد كعلامة دالّة للمنطقة وكأنّها أرادت أن ترحل – بسقوطها– مع أصحابها الّذين كانت تأنس إليهم فأرادت اللّحاق بهم.

المتأمل لكلّ من غرض الفخر والمدح والرثاء يلاحظ أنّ أغلب الصّفات الّتي تتردّد باستمرار بين شعراء البادية هُما صفتا الشّجاعة والكرم وهما الغالبتان على الصّفات الأخرى، والسبب في ذلك يعود إلى الحياة البدوّية والصحراوّية المعتمدة على الزراعة البعلّية المعتمدة بدورها على الأمطار الموسمّية،وتربية الحيوانات، وإلى طبيعة البادية والاعتماد على موارد

(*)هو محمد بن الحاج محمد اللاّفي المحمودي حفيد الشيخ غومة بن خليفة لأمّه، من قبيلة، المحاميد المشهورة في طرابلس الغرب، ولد في وادي سوف بأرض الجزائر ١٢٢٤هـ أثناء هجرة جدّه غومة في السنة الّتي قتل فيها ، ولقب بـ "سوف" لمكان مولده بوادي سوف، كان فارساً وبطلاً حارب إيطاليا من سنة ١٩١١م إلى أن هاجر إلى مصر سنة ١٩٢٤م حتّى وافته المنية بمدينة الاسكندرية سنة ١٩٣٠م، انظر جهاد الأبطال في طرابلس الغرب/ الطاهر الزاوي ص٢٢٨.

(٣)الادب الشعبي في ليبيا، القشاط، ص١٠٧.

(٤)نهار: يوم، ميعودك: موعد مماتك، الذراري: الابناء من قولهم ذرية الرّجل، لومك: الملامة .

(١)الأدب الشعبي في ليبيا، القشاط، ص١٠٧.

(٢)مالاه: لفظ يدل على التحسر، علْ: على، عين الجديده: اسم النّخلة، طاحت: وقعت وسقطت، لوَّلين: الأوائل من الآباء والأجداد، راحت: انتهت.

المياه الشحيحة والمراعي، والتقّل من مكان إلى آخر بسبب الجفاف وقلّة المطر وطبيعة طقس الصّحراء الحارّ صيفاً والبارد شتاء، فكلّ هذا يؤّديإلى الحروب بين القبائل من أجل المراعي وموارد المياه وازدياد السنوات العجاف وانتشار الفقر والعوز بين النّاس، كلّ ذلك يدعو إلى الطّعام والكرم ومدح هذه الخصال الحميدة،ثم يأتي دور الدفاع عن القبيلة ومكتسباتها وحيواناتها مما يؤّدي إلى مدح الشجاعة والفروسّية ولبطولات، وقلّة المدح بالصفات الأخرى مثل السماحة والحلم والتسامح وغيرها، وإن كانت موجودة ولكن بنسب مختلفة من شاعر إلى شاعر ومن مكان إلى آخر.

وإنّ مجموع هذه الصّفاتالّتي تتكّرر في أغلب هذه الأغراض، أخذ الشّاعر يرّددها بصور مختلفة، فهي الّتي يحبّ الإنسان أن يفعلها في حياته وأن يُنعت بها، وإن كانت هذه الصّفات واحدة تقريبا، سواء في الفخرأو المدح أو الرّثاءفأغلبها معانٍ تقليدّية لا جديد فيها، محفوظة في قوالب جاهزة لكلّ شاعر، والاختلاف بين الشّاعر المثقّف والأّمي قليل إلى حدّ ما، وأيضا بين الشّاعرالّذي عاش في القرن قبل الماضي والقرن الحالي.

رابعاً: الهجاء:

تستفزّ العداوة الشّاعر أحيانا فتحرّك مشاعر التمّرد فيه فيطلق نفسه لتندفع ثائرة، ويجسّد هذه النقمة من خلال شعره.

وتستفزّ الشّاعر– أحيانا أخرى– انحرافات ومساوئ يقوم بها المهجّو غير العداوة واحقادها تهزّ الشّاعر وتثيره ليشهّر ويهجو.

والهجاء هو الشتم – بخلاف المدح – وقد كان للعداء بين القبائل دور في إذكاء الهجاء وعلَو منزلته، ومن هنا كانت للشاعر أهمّية وقيمة في القبيلة،لأّنه يعدّ سلاحاً ضد الأعداء يعمد إلى إضعاف قواهم والنيل منهم، ورفع هّمة قومه من خلال شعره، وللهجاء مكانته في المجتمع القبلي إلى يومنا الحاضر.

والهجاء هو ذكر مثالب المرء وقبيلته، ونفي المكارم والمحاسن عنه، وهناك صلة بين الفخر والحماسة والمدح وموضوع الهجاء، لأنّ كثيراً من معاني الفخر والحماسة والمدح تتحول إلى هجاء إذا ما سلبها الشّاعر من العدو وأثبت له ضدها، فإذا كان المادح يعمد إلى إثبات صفات حميدة للممدوح، فإنّ الهاجي يعمد إلى نفيها عنه، سواء أكان هذا الهجاء فرديّاً أم قبلّياً جماعّياً .

والهجاء يقف عن الصّفات المذمومة كالغدر وعدم الوفاء والجبن والبخل واللؤم والفرار من المعركة وعدم حماية الجار ورعايته، وسوء الخلق، والقعود عن الحرب والهزيمة، وأوصاف خلقّية كثيرة. والشعر القبلي الجماعّيأشدّ خطورة وأكثرأهمّية .

أحياناً يغلب على بعض الهجاء السب والكلام الفاحش، ولكّنه في الشّعرالبدوّياللّيبّي قليل الاستعمال فذوق العصرلا يسيغه ، وقلّ أيضاً الهجاء الفردي سوى بعض المداعبات غير المفحشة، إلى أن تطّور هذا النوع ودخل باب النقدلا الهجاء، وتكمن وراء الهجاء الناقد أحيانا معانٍ توجيهّيةمن شأنها أن تنّبه إلى كلّ فضيلة وخير، والنفور من كلّ باطل وشّر.

وقد يكون الهجاء أحياناً أسلوباً من أساليب التربية، إذ هو في حقيقته تصوير لأخطاء المجتمع وما به من خصال ذميمة وانحراف عن الصواب، فعندما يذّم الإنسان البخيل فهو حثّ على الكرم والجود، وهجاء الجبان دعوة إلى الشجاعة والدفاع عن الوطن والذود عن الحمى . وأحياناً لا يراد بالهجاء سبّ الأعداء أفراداً أو جماعات، بل يهدف إلى إثبات عكسها للشاعر وقومه.

ويعود تفسير أهمّية الهجاء إلى سرعة ذيوعه وانتشاره، وعادة لا تجد قصائد المدح والحماسة القبول مثلما تجده قصائد الهجاء ،لشدّة تعلّقها وشغف النّاس لسماعها، ويعود أيضاً رواجه وشهرته إلى قصره فمعظمه أ بيات أو مقاطع محدودة، تصّوب كالسّهام

المسمومة، وهي سهام تغمس في الرذائل الّتي يرفضها المجتمع ويزدريها مثل الجُبن والبخل وما إلى ذلك، وهذه الأمور العامّة تصدق على الهجاء في كلّ زمان ومكان، منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا.

والهجاء في الشّعرالبدويّاللّيبّي لا يختلف كثيراً عن الشّعرالعربّي الفصيح وإن وجد خلاف يكون في الآتي:

أولاً : التّسمية:يقال الهجاء في الشّعرالبدويّاللّيبّي "الشني" أو "الشنا" بشيء من الإمالة أو الفتح من منطقة إلى أخرى، فيقال "فلان يشني"فلاناً أو شناه" وما استعمل لفظ الهجاء إلاّ حديثاً خلال السنوات القليلة الماضية بعد انتشار التعليم.

وهذه اللفظة لم تأت من فراغ بل جاءت بمعنى المبغض، يقول لسان العرب[١] في مادة "شنا": شنأ: الشَّناَءةُ من الشناعة:البُغض" شنئ الشئ وشنأه: أبغضه، وتشانؤوا أيّ تباغضوا" وفي التنزيل الحكيم: "إن شانئك هو الأبتر"[٢]أيّ مبغضك هو الأبتر.

ثانياً :يولّد الهجاء "الشنا" عداوة مستديمة تتوارثها الأجيال من الآباء إلى الأبناءوالأحفاد وهذه العداوة تعيش ما عاشت تلك القصائد الهجائية، لهذا يتجّنب النّاس الخوض في مثل هذه القصائد ويتجّنبون تدوينها.

ثالثاً: هذه الأسباب منعت المهتمين بجمع الشّعرالبدويّاللّيبّي من تدوين قصائد الهجاء بالدواوين الفرديّة والجماعيّة وأيّ منشورات من أجل الجمع والدراسة إلاّ ما ندر، أو أبيات لم يعرف لها هاج، أومهجّو، كقول غنّاوة الرّحى[٣]:

يـــاَرَبْ خلّـــصْ عَلَـــى خِيـــرْ لِـــينْ نَخْلصُـــوا مِـــنْ جَبـــاهُمْ[٤]

ـــاسْ يُحْرصُـــوا عَلَـــى الطّيـــرْ مِـــنْ خُـــوْف يَاكُـــلْ عَشَـــاهُمْ[٥]

(١) لسان العرب ، مادّة "شنا" .
(٢) سورة الكوثر آية ٣.
(٣)هجاوي الرّحى، عبد السلام شلّوف، ص٧٦.
(٤) جباهم: البعد عنهم من جبا عن الشيء:توارى عنه، واجبيته إذا واريته، انظر اللّسان مادّة "جبا" .
(٥) يحرصوا: من الحراسه، ياكل: يأكل، عشاهم: طعامهم.

فالشاعر هجاء قّوما نزل بهموجدهم يطردون الطير المهاجر من أكل مزارع القمح والشعير البعلّية، حيث نظر إلى هذه الطريقة على أّنها نوع من البخل، فطلب من الله البعد عنهم.

ولخصوصية هذا الغرض وقلّة التدوين فيه نكتفي بنصين، أّولهما في الهجاء الفردي، يقول في هذا النوع الشَّاعر الكبير حسن لقطع(*) يهجو الشَّاعر علي بوفلاّ قة(**): بعد أن هجا آخرين يقول(١):

طِ ـــي فِلاَّقَ ـــه مِسْـــكِيْنْ ظَـــقْ لاَ نَاشـــد لاَ مَشْـــوْدْ(٢)

بَحْـــثْ بَحْثَـــه ـيس لْسِـــكِّيْنْ للِّـــي فِيـــه الجَّـــزَارْ اِقُـــوْدْ(٣)

في إشارة إلى الشَّاعر علي أبو فلّاقه بأّنه مسكين التفكير والعقل، قام بالّرد نيابة عن غيره وهو غير معني بما حدث بين الشَّاعر وبين الآخرين من مساجلات وهجاء وحدث له ما حدث بالأسطورة الشعبّية الّتي تقول: أّن هناك تيساً أرادوا ذبحه، فلم يجدوا آلة لذبحه فأخذ يبحث بالأرض حتّى استخرج من تحت التراب سكيناً ذُبِحَ به، في صورة تمثيلية جميلة ، ويقول:

الُمْســـلْم لاَطَـــق السَّـــنِّيْنْ تُـــوْب و كَـــانْ بَخِيـــلْ اْيُجـــوْدْ(٤)

وْهُـــو وِيـــنْ أشْـــرَفْ عَ السّـــبِعِيْنْ دَعْ رَدْ مَـــعَ الجِّهـــلْ اْردودْ(٥)

(*) حسن لقطع هو حسن الفاخري المشهور بحسن لقطع ولد حوالي عام ١٨٧٢م توفى ١٩٥٢م وسبب شهرته بهذا الاسم أنّه كان فاقداً، الأصبعين من يده اليمنى- وكان ّلّيا لا يعرف القراءة والكتابة ولكنّه كان سريع البديهة متوقد الذكاء، حرفته الشّعر الّذي اتقن صناعته، قضى معظم حياته في مدينة اجدابيا ورغم أنّه تزوج ثلاث مرات إلاّ أنّه لم يترك أبناء من بعده، واشتهر بالهجاء اللاّذع، انظر ديوان الشّعر الشعبي، المجلد الأوّل، لجنة جمع التّراث، كلية الآداب، منشورات جامعة قاريونس، مطبعة المكتبة المركزية بنغازي ١٩٨٨م، ص٢٢٥.

(**)علي بوفلاّقة شاعر فحل من شعراء مدينة اجدابيا عاصر الشَّاعر حسن لقطع.

(١)ديوان الشّعر الشعبي، ج١، ص١٤٠، ١٤١.

(٢)مسكين: ليس بالفقير المحتاج للمال ولكن الفقير عقلياً، نطق: نطق بالشعر، ناشد ومنشود: سائل ومسئول من قولهم ناشدتك الله أيّ بمعنى السؤال.

(٣)اللي: الّذي.

(٤)طق: وصل

(٥)ع السبعين: على السبعين، قرع: رجع

. ُ ـــــوارْ الشّـــــيبْ تُسُـــــودِينْ اقُـــولْ ا ْيغَـــرَّي فِـــي كَرُمـــودْ(٦)

يقول لـه: إنّ المسلم عندما تتقدّم بـه السّنّويشارف على الستّين عاماً من عمره يعود إلى الله ويتوب إليه، وإن كان بخيلاً يعطي ويتصدّق ويجود بما يملك ولكن المهجو عندما اشرف على السبعين من عمره عاد إلى جهله الأوّل، فأخذ يصبغ شيب رأسه وشاربه بالصبغ الأسودحتى ليقال عنه: أنّه صغير السّنّ ، وشّبه المهجّو وهو يلوّن ويصبغ شعره كالذي يزركس الهودج من الداخل والخارج لكي يناسب العرائس، ويستمرّ في وصفه لصبغة شعره:

او َيْركَـــبْ فِـــي اشْـــنَابِه تَـــدْهِينْ و َيطْلاَهُـــمْ غُـــنْج وَبَـــاُرودْ(١)
او َمحْرَمتَـــهْ فيهـــا هَـــذينْ َدبَـــشْ وَاتـــي دِيمَـــا َمجْبُـــودْ(٢)
َـــلاَثْ َمكَاحِـــلْ وَمْـــرَاتِينْ ْومِـــرْودْ عَـــاجْ و مِـــرْدودْ عُـــودْ(٣)

وهو دائماً يتفقد شعره وخاصة شاربه لخذاً في صبغ شعره بالصباغات السوداء الّتي تشبه الدخان الّذي يعلق بالقدور ودقيق البارود الأسود، وكلّ هذه الأشياء جعل من منديله حافظاً لها، وهي دائمة الجهوزّية، ويكون أيضاً بمنديله مكحلة الكحل ومرودان أحدهما من العاج والآخر من العيدان ويعمل كلّ هذا من أجل الآتي :

شـــدَ ع الْهَ جَّالَـــه وِيـــنْ لِّـــي مَبْـــعْ وَاللِّـــي جَلُمـــودْ(٤)
ْيصَـــبِّي بِـــينْ الصَّـــفَّاقِينْ ْوَيـــدْعَ الصَّـــفْ بْطُـــودْ(٥)

(٦)نوار الشيب: استعارة بياض الورد للشيب، تسودين: صبغ بالأسود، اتقول:بمعنى كأنه، يغرّي، يلّون ويزكرش، كرمود: اسم محلي من أسماء الهودج.

(١) يركب: من باب المجاز العمل بالصباغ والفرشاة، اشنابه: شاربه، تدهين: العمل على دهن الشّعر الابيض وصباغته باللون الاسود، يطلاهم:أيضاً من الطلاء، غنج: سواد الدخان الّذي يعلق بالقدور، يقول اللّسان: "الغناج دخان النؤور الّذي يجعله الواشمة على خضرتها ليسودّ وهو الغنج أيضاً، انظر اللّسان مادّة "غنج" واستعملها الشّاعر على سبيل التّشبيه.
(٢) المحرمه: المنديل وهو قطعة من القماش صغيرة، هذين: هذه الاشياء الّتي ذكرت دبش: المقتنيات الّتي يحتاجها، واتي: جاهز، ديما:دائماً، مجبود: مستخرج وجاهز.
(٣) مكاحل: جمع مكحلة وعاء حمل الكحل، مِرود: بكسر الميم الّذي يكتحل به، مراتين: مرآتان.
(٤) ينشد: يسأل، الهجالة: المرأة الّتي توفّى عنها زوجها، وين:أين ، مِتْبَع: مُرْضَعْ يتبعها صغيرها، جلمود: بدون أطفال على سبيل الاستعارة لأنّ الأرض الجلمد، ذات الحجارة فهي لا تنبت ولا تثمر، انظر اللّسان مادّة " جلمد".
(٥) يصبيّ: تسعمل هذه اللفظة للوقوف في المنقطة الشرقّية من ليبيا، وقد تكون اخذت من صبأ النجم والقمر يصبأ أيّ طلع وخرج انظر اللّسان مادّة "صبا" الصفّاقين: جمع للمصفّق الضاربيديه على بعضهماحتّى يحدث صوت، ع الصف: على الصف، علود: العلوَدُّ من الرجال الغليظ الرقبة.....وقيل الغليظ، وسيد عِلْوَدّ:رزين ضخين، انظر اللّسان مادّة "علد".

وكلّ هذا من أ جل النساء والسؤال عليهنّ سواء إن كنَّ باولادهنّ أو دون أولاد، أو كنّ أرامل أو مطلّقات، وهو يبحث عنهنّ من عرس إلى عرس خلال إحيائهللحفلات بالشعر والتصفيق، في مجموعات متصافّة وتردّد في أشعار، وهو من بينها صحبة مجموعة من الشّباب وهو يزيد على تلك الصفوف بحركته الزائدة وكبر سنه وحجمه بينهم، ويردّد مغّنياً لكلّ أنواع الغزل موجّهاً كلامه إلى تلك النسوة اللاّئي حضرن العرس. ويقول:

اِقُـــــولْ لْبُـــــوْر عَـــــرَاجِينْ جَضَـــــارَى جَـــــالَنْ عَ الْقْصُـــــوْدُ

خَـــــذِي مِنَّـــــي هَـــــالْجَوَاذِينْ عَطَـــــاه اللهْ بِغِيـــــرْ احْـــــسُوْدْ

يقول في النساء متغزلاً وواصفاً آياهن بغزرة شعورهنّ الكثيف الّذي يشبه النخل وعراجينه المثقلة بالثمار، وهو يصفّق في حركات متتالية وكأّنه صحبة رفاقه خيولاً جامحة –من باب التّشبيه– دون قدرة للفارس للسّيطرة عليها، والمهجّو أخذ هذه الرسائل والصحف لّتي تنتشر كالنار في الهشيم وتتناقلها الركبان والرواة، وكأّنها عطاء من الله يستحقّه المهجو لما قام به من اعتداء على الهاجي، وهذا العطاء لا حدود لكثرته .

ومن خلال ماتقدّم نلاحظ أنّ الشّاعر تجاوز السقف المتعارف عليه والمتداول بين الشّعراء في هذا الغرض، حيث وصف المهجو بصفات لا تتّفق مع صفات الّرجال، كأنواع الصباغة والكحل والمراود والمرآة والمنديل ودخوله حلقات الشّباب والرقص والغناء ومخاطبة النساء، وهو تجاوز سنّ السبعين من العمر، وكان الأجدى به أن يتوب ويعود إلى الله ويتصدّق ويبعد عن الشبهات ، ولكّنه خالف ذلك فوصِف بصفات نسائّية وصفات شبابّية لاتليق بمقامه وسّنه .

أّما الهجاء الجماعي، فهو أنواع منه: الهجاء القبلّي والعائلّي، وتجّنب الشّعراء الهجاء القبلي لخصوصّيته الاجتماعّية وحساسّية النظام القبلي، ولكن لجأوا إلى نوع آخر قد يؤّدي

الغرض، وهو هجاء جماعي ولكّنه في الإطار القوميّ، فالشّاعر أحمد محمد الخويلدي(*) أثاره وضع الأّمة العربيّة ومالاقته من هزائم وتخلّف وخذلان، وتخلّ عن بيت المقدس، وما يعانيه العرب في العراق والصومال ولبنان وليبيا وغيرهما من التراب العربّي، موازناً بين اليوم والأمس، في إشارة إلى تلك الفتوحات والغزوات الّتي نشرت الإسلام في آسيا وأوربّا مروراً بأفريقيا، وسبب هذه النكسة في نظر الشّاعر هم قادة العرب الّذين هجاهم في جزء من قصيدة وطنّية قوميّة، وإن كان هذا النوع من الهجاء يدخل تحت قالب التحريض، يقول(١):

ذُكْرْ فِـيَ ماضِـي مَـاَدَامْ لاّ ـي تَوَّمالِيـهْ وجُـودْ(٢)

اْمِنـينْ كَـاَنْ عَسَـلْ فـي لْـاَمْ وُمـرْ فْـي رِيقَـةْ كـلّ حَسُـودْ(٣)

قَعـدْ كَـانْ حَكَـاوي وَوْهَـامْ وخُـرَّافْ عَلِينَـا مَـرْدُودْ(٤)

استهلّ الشّاعر مقطعه هذا بذكر ماضي الأّمة الّذي لم يدم طويلاً وأصبح لا وجود له اليوم، فقدكان قديماً انتصاراً يفتخر به كلّ عربّيويتلذّذ طعم النصر كلّ مسلم، وشّبهه بالعسل في فم كلّ عربي، ومرّ كالعلقم في فمكلّ عدّو وحاسد.أّما اليوم لا فائدة ترُجى منه خلال هذه الهزائم المتوالية والتراجع إلى الخلف والجبن والخذلان، فكلّ تلك الأخبارلا تسمن ولا تغني من جوع، وما هي إلاّ أوهام نعيش على ذكراها، وخرافات كخرافات العجائز الّتي تردّدها كلّ يوم وكلّ ليلة، وهي مردودة علينا الآن، لأّن مثل هذه الأّمة المهزومة اليوم لا يصدّق احد أّن لها تاريخ.

ثم ينتقل بطريقة جميلة إلى موضوعه الهجائي بقوله:

(*) أحمد محمد رحومة الخويلدي من مواليد١٩٦٠م شاعر معاصر من قبيلة السبعة احدى قبائل المحاميد بالغرب اللّيبيّ، يجد نفسه في الشّعرالقوميّ والوطني والاجتماعيّ وله قصائد كثيرة في هذا المجال، وهذه الأبياتالّتي اخترناها من قصيدتهالّتي تحصل بها على الترتيب الثالث على مستوى ليبيا، انظرالدّورة التثقيفّية الأولى ص٨٩.

(١) المصدر نفسه ص٩١-٩٥.

(٢) نذكر: أذكر أو أتذكر، مادام: لم يدم ، توّ: من التو بمعنى الآن.

(٣) امنين: حينما،لغُّام: الافواه.

(٤) قعد: بقى: حكاوي: أخبار، خّراف: من الخرافة.

.ذ ْخَبَّرَمـــــــــــــلِي نَمَّـــــــــــــاْم عَـلَـــــى وَاقَـــــعْ ثَابِـــــتْ مَوْصُـــــوْدْ[1]

بأنه سيتكلم عن واقع العرب ولكن ليس بقصد الذّمّ والقدح بل هو واقع معروف للجميع فالعرب أصبحت كالآتي:

الشَّـــيْخ أُخْتَـــلْ مِـــن الْحَاخَـــاْم وخَـــاف الْحَـــاكْم مِـــنْ لِـيْكُـــوْدْ[2]

خَلَّـــوا عَـــنْ مَسْـــرَى لِـيمـــاْم بَـــدَتْ فُوقَـــه نَجْمَـــةْ دَاوودْ[3]

اْقُـــولْ مَـــا صَـــلُّوا فِيـــهْ قِيـــاْم وْلاَ خَـــــــــرُّوا للهْ سُـــــــــجُودْ[4]

فالأّمة والفقهاء والخطباء أصابهم الوهن والذعر والفساد خوف من علماء وقساوسة بني إسرائيل، وخوف حكام العرب أيضاً من الحزب الحاكم في إسرائيل المعروف "بحزب ليكود" وهؤلاء جميعاً تخلّواعن بيت المقدس وتركوا الأمر لإسرائيل تسرح وتمرح بأراضينا المقدسة، وكأنّ المسلمينلم يصلّوا فيه يوماً ولا سجدوا ولا شدّوا إليه الرحال، ثّم يقول:

و بَاعُو هَـــا بِيَعـــاْنْ أغْنَـــاْم .جَـــزَّارَه مِـــنْ غِيـــرْ قَـــوْد.

مِـــنْ غِيـــرْ وَسَـــائلْ لِـعْـــلاْم اْنَـــافَقْ وَالدَّابَـــت مَجْحُـــوْدْ[5]

وهؤلاء الحكام باعوا الأّمة كما تباع الأغنام إلى الجزَّارة، ولكنّ الأغنام تباع بالنقود إلاّ أنّ الأّمة تباع دون مقابل، وكلّ مايُسمع كذب ونفاق من وسائل الإعلام،أّما الحقيقة فهيغيرموجودة، نكرت مع معرفتها للجميع، ثم يستمّر قائلاً :

لاَ حَـــرْب وْلاَ سَـــحْب اْقَســـاْم وْلاَ جَبهَ ـــــه وْلاَ فيـــــهْ صَـــــوْد

(١) يِرُخَبَّرْ: سأخبركم، ماني :لست.
(٢) اختل: من الخلل: الفساد والوهن في الأمر ،انظراللّسان مادّة "وهن".
(٣) لِمام: الإمام، بدت: أصبحت.
(٤) تقول: كأنّ
(٥) من غير وسائل اعلام: لا يوجد غير وسائل الاعلام، الثابت: المؤكد، مجحود: من جحد:من كالانكار.

بـ ـــــينْ الَبْصـــــــرَةَ والـــــــدَّمَّامْ عَســـــاكِرْ وَجْيـــــوْشَ النَّمـــــرُودْ[١]

فْصَـــحْراء كَـــانْ هَواهَـــا سَـــامْ وَرْمالَهَـــا سَـــامِرْ مِيقُـــــودْ[٢]

بَـــدَتْ بَـــرَدْ عَلِـــيهم وَسَـــلاَمْ لِـ يهمبِـــــــالْبْتُرولْ اْ جُـــــــودْ[٣]

فالحكام سلّموا بيت المقدس بدون ثمن، لم يواجهوا ولم يحاربوا ولم يستعملوا أيّ نوع من أنواع الأسلحة ، ولم يصمدواحتّى أماما لأعداء، وليس فلسطين فقط بل اليوم القوات الأجنبّية منتشرة بالخليج العربّي والعراق خصوصاً ، وتلك الصّحارىالّتي كانت ملتهبة، يصعب على الأعداء دخولها، لرياحها الحارة القاتلة ورمالها المتقّدة، ورجالها الّذين كانواكالأسود في الدفاع عنها، أصبحت اليوم برداً وسلاماً عليهم، وتعطيهم من خيراتها وبترولها، وتحرم أبناءها من خيراتها، وهذا يسري على كلّ الوطن العربّي ليس العراق فقط كقوله:

مِـــن الـــدَّارْ الْبيضـــا للشَّـــامْ عَـــرَبْ كـــلّ َواحـــدْ سَـــاكِنْ هُـــودْ[٤]

اصْـــبَحْنا فِـــي عَتْمَـــهْ وظَـــلاَمْ وصَـــــرْنا فِـــــي رِدَّه وَجْمـــــودْ

ـــن اصْـــحابْ الْفِكْـــر الْهَـــدَّامْ ـــي ظَـــلْ عَلَـــى خْطَـــاهْ غَـــودْ[٥]

اللِّـــــي لِـ لُسْـــــتَعْمَرْ خَـــــدَّامْ يَـــــاقْ تَحَـــــرَّكْ بِـــــالْكودْ.

وكلّ ما قيل يسري على الوطن العربّي من المحيط إلى الخليج، فكلّ شعب من هذه الشعوب يقبع في دياره ، لا يعلم ما يدور حوله وما تعانيه الأّمة ، من ظلمة وجمودوردّة إلى الخلف وذلك بسبب حكّام هذه الأّمة أصحابالأفكار الهّدامة الّذين لازالوا على ظلالهم وعنادهمولا يهّمهم منأمر الأّمة شيٌءإلاّ مصالحهم

(١) جيوش النمرود: جيوش الرئيس الامريكي بوش.
(٢) فصحرا: في صحراء، سامر:نار، نسبة إلى نار السمر ليلاً بالبوادي.
(٣) بدت: أصبحت.
(٤) هود: منحفض من الأرض، وقد تكون من هود: بمعنى السير أو السكن أو النوم.
(٥) عنود: عنيد لمن يعرف الشيء فيأباه ويميل عنه .

الخاصّة ومصالح أسيادهم الّذين نصّوهم ودعموهم لكي يكونوا حملاً ثقيلاً على رقاب الشّعب، ويحرّكهم المستعمر كما يريد ومتى يشاء كالبيادق لصالحه وصالح اسرائيل، ويستمرّ قائلاً :

اْجـــــيهم لاَوَامـــــرْ بِرْقَ ـــــاْم وِلـ ـــــيهْمَفْهُ ـــــوْم الْمَقْصُـــــودْ[1]

لاَ حِيَّـــــرْهُم صُـــــوتْ إِبْتَ ـــــاْم ْولاَ عْيـــــاطْ وتَشْـــــرِيحْ اخْـــــدُودْ[2]

ْونْسَـــــوْن تَبْكِـــــي طُـــــولْ الْعَـــــاْم ُعَـــــاذِي فِـــــي لَيَّـــــاْم السُّـــــودْ[3]

فهؤلاء القادة تأتيهم الأوامر أّولاً بأّول،وكلّ أمر يحمل رقماً ، وهم يعرفون ما يجب عليهم فعله، ويعرفون مقاصد سادتهم، وكلّ ما يجري في الوطن الكبير لا يعنيلهم شيئاً ، فلا يكترثون لأصواتالأيتام وصريخ النساء الثكلى، وبكاء المحتاجين والجياع، وكلّ ما يهتّمون به أنفسهم وسادتهم، ويستمرقائلاً :

واللاَّجِـــي سَـــلِكْنْ فِـــي اخْيَـــاْم مِنْـــــدَيَارَه مـــــدَّه مَبْعـــــودْ

ا ُيناشَـــدْ طَـــاَمعْفِـــي الْحُكَـــاْم و هُـــمَّ فِـــي الْبـــاَرَاتْ اقِـــودْ

ويشير الشّاعر إلى اللّاجئين بالخيام على طول الوطن العربّي، ما يزيد عن سبعين سنة إضافة إلى هوم الّلاجئين من العراق ولبنان والصومال جميعهم يعانون حرّ الصيف وبرد الشتاء وهم لا يدرون ما يدور حولهم ولا يسمعون المنادي ، لأحد الأسباب الآتية: إّما سكارى أو أنّ لهم ما يشغلهم عن شعوبهم كما يقول:

---

(١) تجيهم: تأتيهم، برقام، بأرقام.
(٢) لاحيّرهم: لم يحرّك مشاعرهم، عياط: الصياح والبكاء والجلبة والغضب، تشريح الخدود: تمزيق وتقطيع اللحم من العضو بالأضافر،انظراللّسان "شرح".
(٣) نسون: نساء، تعاني: من المعاناة.

اقْصُورْوَسَـــــــيَّارَاتْ افْخَـــــــامْ اسْـــــــتِقْبَالْ وْتَكْـــــــرِيمْ وفُـــــــودْ

وْفِيـــــهْ افْخَـــــرْ وَجْبَـــــاتْ طَعَـــــامْ لَحَـــــمْ خَـــــرْفَنْ وَلْحَـــــمْ قُعُـــــودْ(١)

وْسَـــــهْرَاتْ و دَبْكَـــــه وأُغَـــــامْ وجَلْسَـــــاتْ عَلَـــــى أُوتَـــــارْ الْعُـــــودْ(٢)

فهم غير مبالين في قصورهم الفخمة وسيّاراتهم الفارهة واستقبال وفود الكذب والزيف والنفاق، وتقديم الموائد الفاخرة من مختلف أنواع الأطعمة واللّحومالمتعدّدة ومجالس اللّهو من سهرات ورقص وغناء فرق متنّوعة من كلّ الأقطار، في الوقت الّذي تعاني فيه شعوبهم من الفقر والحاجة والحرمان والطرد واللّجوء والبكاء، وهم جل تفكيرهم في أملاكهم وأموالهم وتوريث أبنائهم من بعدهم، هذا وجاء في قول الشّاعر:

وْكَـــانْ اقْصَـــرْ عُمْـــرَه وَنْقَـــامْ بَمْلَاكْتَـــــه وَلْـــــدَه مَوْعُـــــودْ(٣)

يْجِـــي وَلْـــد الْـــوَزَّه عَـــوَّامْ كأنـــــه اسْتَسَـــــاخْ اقْـــــرُودْ(٤)

خَيَـــالَاتْ اتْشَـــابَهْ لَصْـــنَامْ اقُـــولْ بَقَايَـــا قُـــومْ ثُمُـــودْ(٥)

أمّا إذا حضر أجل أيّ حاكم من الحكّام فابنه موعود باستلام زمام الحكم من بعده بالوراثة، سواء أكان النظام ملكياً أم إمارة أم سلطنة أم جمهورياً، دون أيّ رأي للشعب، فابن البطّ والوزّ يعرف السباحة على نهج والديه، وهكذا أبناء الحكّام لا منازع لهم في استلام زمام أمور البلاد، ولا يسمح لأحد أن يتفّوه بكلمة، فمصيره معروف مسبقاً، وليتهم قادرون على حماية الأرض والعرض، بل هم كالخيال الّتي توضع بالقرب من الغنمحتّى يخافها الذئب، ولا يخافهم احد إلاّ شعوبهم، فهم كالأصنام تماماً.

---

(١) خرفن: لحم خراف.
(٢) دبكه: رقصة شامية.
(٣) ونقام: أزيل من مكانه.
(٤) يجي: يأتي ويكون، ولدالوز: فرخ الوزّ.
(٥) خيالات: جمع خيال: وهو كلّ شيء تراه كالظل،أو خشبة يوضع عليها ثوب للغنم، إذا رأها لذئب ظن أنّها انسان، لصنام: الأصنام.

وهـذا النـوع مـن الهجـاء، وإن كـان هجـاء جماعّيـاً قـومّي يحمـل ثـورة غضـب علـى بعـض قـادة الـوطن العربـّي، حرصـاً منـه علـى الأّمـة والـوطن ، ومـا وصـل إليـه من إذلال وتفكّك وتشرذم.

خامساً: الغزل:

هـو حـديث القلـب، وعـرض لحـالات نفسـّية أّدت إليهـا صـلة حـب فأثـارت فـي الشَّـاعر كـوامن داخلّيـة ذاتّيـة، وحملهـا إلـى الكلمـة الشـعرّية تعبيـراً عـن حـالات خاصّـة، مردّهـا إلـى مـا يمكـن أن يـؤول إليـه ذلـك الحـبّ عنـدما يمـنح أو يمتنـع، عنـدما يتمـادى أو يقتصد في هذا المنح وذاك التمنع.

والشعر الغزلي نقل صادق لأحاسيسالشَّاعرأمام هذا كلّه، فضلاً عن كونه حديثٌ عن الحبيب وإسهاب في وصفه تأكيداً على سحره وفتنته.

وقد انتقل الشَّاعر إلى المرأة ليمايرى فيها من مظاهر فتنة وجمال إلى جانب ما يوجبه له ذلك، أو تتحرّك في نفسه علاقته بها من مشاعر وحالات متباينة.

ويشكل الغزل ركناً أساسّياً من أركان النّصّ الشّعريّ، وهو وصف المرأة من حيث:

أولاً : الصّفات الجسدّية المادّية الحسّية.

ثانياً : الصّفات المعنوّية العفيفة.

ثالثاً : المرأة الشّكل "زينة المرأة" وما ترتديه.

فقد تغنّىالشّعراءببعض الصّفات الجماليـة الجسدّية المادّية الحسّية للمرأة، ومنها: الوجه ولون البشرة، والعنق، والعيون، والخدّ، والشفاه، والخصر، والشعر، والقدم، والصوت، ويشّبه كلّ جزء من أجزاء جسدها بما يناسبه من مظاهر الطبيعة، كقولهم: وجهها الساطع كالشمس أو القمر، والشعر بالليل، والخدّ بالبرق. أّما وصف المحاسن الخلقّية المعنوّية النفسّية، ومكانة الحبّ العفيف بين الرّجل والمرأة فيأتي في المرتبة الأولى بالبادية والثانية بالحضر،

وقد يكون وجود هذا الشّعر مرتبط بالأخلاق العربّية المعتمدة على دعائم الاعتزاز بالشرف، وسمعة الأسرة وصيانة المرأة، فكان لابدّللرجال والنساء من العفةّ والتعفّ ف.

وقد يصف الشّاعر المرأة وصفاً معنوّياً حسّياً في قصيدة واحدة. وهناك نوع آخر من الغزل المعنوي، يبعد فيه الشّاعر عن وصف المرأة إلى الحديث عن حب المحبوبة، ويتألم من هذا الحب والعشق ويبكي الفراق والشوق والحنين إلى محبوبته، ويعّبر عن حزن شديد ويبعث في نفسه الألم واللّوعة والحرقة والابتهال، والمعاتبات البريئة .

وإن تشـ ّب بمفاتن فبإلماح خجول لا يخدش ولا يثير ،إّنهبوح عذري لا تكتنفه رغائب عارضة أو نزوات طارئة. والشّاعر البدويّ عندما يشتدّ به الشوق والجوى يلّمح تلميحاً ولا يصّرح تصريحاً ، ويحّمل الطير والنسيم رسائله وأشواقه لإيصال عواطفه وهيامه إلى حبيبته، أّنه متيّم ، وقليلاً ما يلتقي بمن يحبّ، فالفراق والهجران يأخذان جزءاً كبيراً من حياته، ولا يجد وسيلة للتعبير إلاّ الشّعرتخفيفاً عن كبته وحرمانه ، يفتح الشّاعر قلبه خلالها، ويغرف من محيط زاخر ، وينتقل كالنحلة أوالفراشة من زهرة إلى زهرة، ومن فنّ إلى فنّ، فمن الهلالي المقصّد إلى الموقف إلى الملزومة الزجلّية من "بورجيلة" و "المسدسّ" وأوزان كثيرة من أوزان الشّعرالبدوّياللّيبّي سنتناولها في الفصول القادمة.

وإن ذكر الشّاعرالبدوّياللّيبّي بعض الحواس المادية لمحبوبته فهو لا يعرف تلك الحواس بدقّة، لأّنه في الغالب لم يرها ولم يعرفها عن قرب، لأنّ البيئة والعادات والتقاليد بالمجتمع لا تسمح باللقاء بين المحّبين ، وإّنما يذكر ما يحبّ أن تكون عليه، فهو يصف المثل الأعلى للنساء وما أراده من المرأة أن تتّصف به من الصّفات، ولا يعني ذلك أن تنفي وجود مثل هذه الصّفات الجمالّية عند المرأة أو عدم لقاء المحبين مطلقاً .

والغزل في الشّعرالبدوّياللّيبّي يتصف بالطابع الحزين الكئيب ويبّرره شقاء الحياة وأتعابها بين الرمال الحارّة والصخور السوداء والصحاري الجرداء، وقسوة الطبيعة، واضطرارهم إلى التنّقل وعدم الاستقرار، فاللقاء بين الشّاعر وصاحبته لا يدوم طويلاً إن وجد، لا يلبث أن ينتهي فتنتهي أّيام الأنس والوصل وتزول السعادة الّتيتمتّ ع بها فترة من الزمن، ويحنّ

الشّاعر إلى أيام حبّه الأولى، وإلى طيف الحبيب الّذي فقده،وإلى الّديارالّتي عرفت أول لقاء بمن يحب.

والنوع الثالث من الغزل هو وصف زينة المرأة من حيث الزي والملابس وأنواعها وزركشتها وأسماء القماش وأنواعه وألوانه، ومن اين قدم ومدى ملاءمته من اتسّاع أو ضيق، ووصفالعطور وأنواعها وطيب رائحتها، والحلي وأنواعها ومسمّياتها، من أقراط وحلق وخلخال ودمالج وعقود، ومسميات المعادن الثمينة الّتي صنعت منها تلك الحلّي، من فضّة أو ذهب أو ألماس أو حجار كريمة، وإن كانت هذه الكمالّيات لا توجد عند محبوبته، ولكّنه يذكر ما يحب أن تكون عليه وما يصل إليه خيالهحتّ ى يفرغ ما بداخله من كبت، وهذا النوع أيضاً يكثر في الشّعرالبدوّياللّيبّي لأّنه يغنيه عن ذكر المفاتن الجسدّية الحسّية.

والشّاعر البدوّياللّيبّيعفيف بطبعه، عفيف في غزله، تظهر في شعره ملامح الرجولة، وحفظ الشرف والعرض.ولا يتحدّث عن الحبّ كفكرة مجرّدة عن معناه، ولكن كثيراً ما يشرح ويفسّر عاطفة الحبّ، ويبّين السبب. وهو يشبه إلى حدّ كبير الشّاعر الجاهلّي ويجاريه في أسلوبه الشّعري، وهذا الغزل على رقّته يخلو من الوصف المتهّور والصّدور المبتذلة وإن لم يخل من الوصف الماديّ الحسّي.

فالشّاعر يذكر الحواسّ الماديّة للمرأة وهو لم يعرفها كقول الشّاعرخطاب عقبة خطاب(*) يصف امرأة اسمها "سَدِّينا" لم يعرفها وإنما رداً على بيتورد إليه من شاعر آخر يقول:

سُـــبْحَانْ الُمـــولَى صَـــوَّرْهَا ... وَمَـــه بـُوصَـــافْ الْقَايـــلْ(١)

انـــه تَـــاق عَـيـــكْ بَشَـــرْهَا ... فِـــي رُومـــي وَرْدَاً وَخْلاَيـــلْ

بَـــارِقْ فِـــي مِزْنَـــه بِمطْرَهَـــا ... سِـــيَّلْ كـــلّ أُوطَـــانْ مَحايـــلْ(١)

مَـــاتْ شَـــهِيدْ اللَّـــي جَاوْرَهَـــا ... رِفِتْهَ ـــا جِـــتْ غِيـــرْ رَسَـــايِلْ(٢)

(*) خطاب عقبة خطاب المغربي، شاعر مجيد له قصائد جميلة في بعض الدواوين الجماعية لم ينل قسطاً من التعليم، لم اعثر له عن تاريخ ميلاد أو وفاة، إلاّ أنّه ولد ومات بمنطقة النوفلية، ومات زمن الاحتلال الإيطالي في الثلاثينات تقريباً، انظر ديوان الشّعر الشعبي الجزء الثّاني ص٣٣ .

(١) بوصاف القايل: حسب أوصاف المتحدث والناقل.

(١) بارق: برق، مزنة: مفرد مزن، محايل: من المحل وهو الجدب وانقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ.

يشير في البيت الأوّل بأن هذه المرأة لا يعرفها إلاّ من خلال ما سمعه عنها مع وصفه إيَّاها بالجمال والصورة الحسنة، ثم يصف بشرتها بالنقاء ويلفّها رداء أسود يزيد من ظهور بياض بشرتها وكأنّها: "بارق في مزنة ممطرة " أيّ شبّه بشرتها تحت الرّداء الأسود، بالبرق في السحابة السوداء الممطرة وهي صورة جميلة مركّبة، شبّه فيها البشرة بالبرق والرداء الأسود بالسحابة الممطرة الّتي هطلت على الأماكن الجدباء وهي تتلهّف للمطر، وهنا توجد صورة أخرى ، فحاجة الشّاعر إلى تلك المرأة كحاجة الأرض العطشى إلى المطر، ويصف موت المجاور لها بالشهيد، وهو يعترف بأنّه لا يعرف هذه المرأة إلاّ من خلال الرسائل الشعريّة الّتي وردت إليه من أحد أصدقائه "عِرْفتها جِتْ غير رَسايلي" أيّ ليس بيني وبينها معرفة إلاّ من خلال الرسالة الّتي وردتني .

وهذا شاهد آخر على أنّ بعض الشّعراء يصفون الحواس المادّية والجسدّية دون معرفة بالمرأة الّتي يتغزّلون بها إلاّ سماعاً ، فالشّاعر أحمدرفّه أحمد الشايب(*)يصف امرأة ويتغزّل فيها دون معرفة بها إلاّ من خلال ما سمع عنها وعن جمالها يقول(٣):

مْثَـــالْ مِنْـــامْخَلِّيني قَتِيـــلْ اعْيانـــه ضَـــرِيبْ قَلَـــبْ مْن عِنْـــدَه اْلمَـــاي اْسِـــيلْ(٤)

نْجِيـــبْ وَصَـــفْ مِـــنْ نُورَه غَطَـــا مِسْـــلانه اْقُـــولْ غَـــرَسْ فِـــي زَاعَـــبْ اثمَـــارْ نخيـــلْ(٥)

جَبِينْهَـــا كَمَـــا بَـــارِقْ شَـــكَعْ فِـــي اْمْزَانـــه عَلَـــى وَطَـــنْ عَـــامِرْ فِـــي عَقَـــابْ للّيـــلْ(٦)

عْيُـــونْ مِـــنْ اْمْجَـــدِّي فِـــي عَفَـــى وَدْيانـــه اْبَخَـــدَّه فَايِـــلْ صَـــابْغَاتْ اْبنِيـــلْ(١)

تَبَسَّـــمْ بِمضْـــحَكْ لُـــولْ مِـــنْ مُرْجَانـــه لاّ النُّطْـــقْ مَـــا عِنْـــدِي عَلِيـــه دَلِيـــلْ(٢)

---

(٢) عرفتها: معرفتها، جت: بمعنى كانت أو أتت ووصلت إليه عن طريق الرسائل الشعريّة من شاعر صديق له، رسايل: رسائل.

(*) أحمدرفّه أحمدالشايب، من قبيلة الجماعات ولد في زلّه سنة ١٩٢١م وتوفى ١٩٨٩م عاش متنقلاً بين منطقة الجفرة وفزّان، وعاش حياته على تربية الحيوانات والزراعة، يقتصر غالب شعره علىالغزل، وقد امتاز بجودةالوصف ودقّة التصوير في هذا الموضوع، انظر ديوان الشّعر الشعبي المجلدالثّاني، ص٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٥٦.

(٤) امثال: مثل، امخليني: ترك مني، اعيانه: عينيه، ضريب قلب: الضرب أو الطعن بالقلب، من عنده: منه، دماي، دمائي.

(٥) نجيب: أتى بي ، دوره: الشّعر، عطا مسلانه:غطّى كلّ ظهره، غرس: اشجار غرست، زاعب: مياه.

(٦) جبينها: عن الجبين، بارق: برق، شكع: لمع، عقابالليل: آخرالليل.

(١) امجدي: من له جدي وهو الغزال، نفايل: وشم، صابغات بنيل: أيّ شديدة الزرقة كالنيله وهي مادّة زرقاء تصبغ بها الملابس.

يقول الشّاعر موجّهاً الكلام إلى الشّاعرالّذي بعث له بيت غزل: إنّ هذه المرأة الّتي ذكرت تشبه تلك المرأة الّتي تركت منّيجثّة هامدة ،قتيل عينيها اللّتين طعنت بهما قلبي، وتركت دمائه تنزف، ثم يصف شعرها الّذي غطّى كلّ ظهرها، ويشّبهه بأشجار النّخيلالّتي تجري المياه من حولها، وغرست بمنطقة كثيرة المياه دائمة الجريان، ثم ينتقل إلى وصف جبينها الّذي يشبه البرق اللاّمع في مزنة ممطرة شديدة الضياء بآخر اللّيل على مناطق كثيفة الأشجار عامرةبأهلها، أّما العيون فهي عيون الغزال الّذي كُنّي عنه "بالمجدّي" وهو الّذي له جديان بالأودية والصحاري، والخدود يوجد بها وشم شديد الزرقة، أّما الأسنان فهي بيضاء لامعة لها بريق كاللؤلؤ والمرجان،حتّى يصل إلى الشّاهد من هذه الأبياتفي الشطر الآخير قائلاً :إلاّ نطقها وحلاوة كلامها وسلاسته ،فالشاعر لم يسمع صوتها قط ولم يعرفها، وما تطّرق إليه من وصف جسدي مادي ما هو إلاّ قوالب جاهزة متشابهة يتغزل بها كلّالشّعراء، من عرف محبوبته عن قرب، ومن لا يعرفها قط، فبالتّالي لا يعدّ الوصف الجسدي الماديّ للمرأة بعيب يعيب المرأة، لأّن الدارج بين النّاس وما يقال بالغزل ليس حقيقة، وأّنالشّاعر لم يعرف هذه الأعضاء والأطراف من المرأة ولكن هذا ما جرت عليه العادة.

الغزل الصريح: هناك نوع آخر هو الغزل الصريح ، يتعّرض فيه الشّاعر إلى وصف جسد المرأة وأطرافها وتشبيه كلّ عضو بما يشابهه من الطبيعة، والناس تتقّبله لانتشاره، وخاصة المناطق الشرقّية من ليبيا، لكثر إحياء الأعراس من قبل الشّعراءوقلّة هذه الظاهرة بالغرب اللّيبّي والجنوب، ويرجع تقبل النّاس إلى هذا النوع من الوصف إلى قدرة الشّاعر علىالتّشبيه والتصوير لمرأة غير معروفة وإن ذُكر اسم معين،إلاّ أّن هذه الصّور خيالّية غير حقيقّية ، ولا يمكن أن تكون هناك امرأة كالنخل في الطول وعيونها كعيون الطيورورقبتها كعنق الغزال وخصرها تضعه بين اصبعين من اليد الواحدة، والخدود كالبرق

(٢) تبسم: ابتسم، مضحك: الرباعيات من الأسنانالّتيتظهر عند الضحك، لُولْ: لؤلؤ، النطق: الكلام.

والشمس والقمر، والشّعر كالنّخيل ،يصفه مرّة بالجريد والسعف وأخرى بالعرجون ....الخ. فهذه الصّفات لا يمكن أن تكون في بشر لهذا تتقبّله النّاس لما فيه من مبالغة التّشبيه.

وهناك سبب آخر تتقبّل به النّاس الغزل الصريح وهو الترفيه وما يحمله لسرد قصص غرامّية جلّها من نسج الخيال، كنوع من التخفيف عن البدويّ بعد يوم عمل شاقّ، فهو يبحث عن شئ يخفّف عنه في أماكن لا تتوفّر فيها وسائل الإعلام والنوادي والمقاهي، لذلك يلجأ إلى الشّعراء يستمع إليهم ويحفظ عنهم ويردّد أشعارهم.

يقول الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*)في هذه القصيدة الرباعية(١).

نَفْسي بِتْفَدْ خَذَاهَا الْعِقْد و بَاُرودَه(٢)

مَعْقَلَ أنهدْ مَا مْنَعتَه عَسَّاسَه(٣)

مَابيَّ حّدْ كَانْ عنَايَة وفْرُهودَه(٤)

جُونِي بِزْنِدْ قَسْوا ظْهري نْقَاصَه(٥)

قال: لقد ضاقت نفسي، وأُخذتُ على حين غرّة من قبل فرسان على ظهور الخيل تحطمت كل الخناق والملاجئ الّتي كنت أحتمي بها، ولم تمنع عنّي كلّ تلك الحراسة الّتي تحيط بي من الهلاك المحتوم . وكلّ هذا الدمار والقتل ليس من قبل فرسان الأعداء ولكّنه من قبل سلاح "عناية" وصديقتها "فرهودة"اللّتين قامتا بطعني وإطلاق النّار عليَّ من أسلحتهما وهي عيونهماحتّى طُبت بالشلل التّام وكأنّ العمود الفقري منّي قد قُسم على نصفين ويستمّر واصفاً :

الْمحْزَمْ وَالْدَ صَارْ حدْ رُوجَه مَقْدُودَه(١)

سَاقُوه ومدْ فِيه ادَّاعُوا ريَّاسَه(٢)

(*) تم التّقديم له.

(١) ديوان الشّاعر ص٩١.

(٢) بتفد: من فدّ : من الضيق وعلو الصوت ، خذاها : أخذها ، العقد : الخيول المتسابقة في مجموعات منتظمة تشبه العقد .

(٣) المعقل: الملجأ والخندق، أنّهد:تحطّم وتكسّر، عسّاسه: الحراسة.

(٤) ما بيًّا حد: لم يؤثر أو يعتدى على أحد، عناية وفرهودة: أسماء نساء.

(٥) جوني: أتوا إليَّ، زند: جمع زناد، نفاصة: مقلوبة عن نصف، أيّ قسم ظهري إلى نصفين.

(١) المحزم: مكان الحزام وهو الخصر، القد: القامة، صار: أصبح، حروجه: الحروج ضيق الخصر، مقدوده: جمال القامة.

وَالْغَـــــــــثْ اسْـــــــــوَدْ اتْبـــــانْ قُرونَـــــه مَجْبُـــــوده[٣]

هِيـــــــــدُوقْ رَقَـــــــــدْ حْتَـــــه نَحْيـــــه بقاصَـــــه[٤]

فالخصر والقامة مكملان لبعضهما، من ضمور الخصر وطول القامة، فهو يشبه المركب الّذي اخذ في الانطلاق من قبل قادته بعد أن رُفِع شراعه.

أمّاالشّعرالطّويل الأسود الّذي تتدلّى جدائله وقرونه يغطّي أطراف الوجه، يشبه الظليم وهو يحتضن بيضة لّماعة ، شبَّه بها الوجه الّذي يلف به الشّعر الأسود كذكر النّعام((الظليم))، وأي تشبيه أجمل من هذا التّشبيه البليغ من رجل أمّي لا يعرف القراءة والكتابة، ويستمر في وصف الخدود:

وَالْخَـــــــــدْ وَقَـــــــــدْ رْقَـــاً يَلْمَـــعْ فِـــي رْعُـــوده[٥]

سَـــــــــحَابه امْبَـــــــــدَّدْ ضَـــــاوِي وَالّ يِـــــلْ تَماسَـــــه[٦]

جَـــــــــأْيِ هُمْ صَـــــــــدْ غَ زَالَـــة فـــي وَسْـــط الْمُهـــوده[٧]

عَـــــــــلْ رَاسْ سَـــــــــنَدْ فِـــــيهِ مْ يَحْـــــذُوا قَنَّاصَـــــه[٨]

أمّا الخدّ فهو يتّقد كالنار أو البرق الّذي يلمع صحبة الرعود الدائمة الّتي ينتشر سحابها الأبيض في ليلة مظلمة،حتّى يزيد لمعان البرق في مثل هذه الليلة، وهذه الصّورة لخدود صاحبتيه "عناية، وفرهودة" وهما مآرتان من مكان قريب منه، كأنهما غزالتان في صحراء أو

---

(٢) ساقوه وقد: وصف القامة بالمركب يساق من قبل ربّانه، ادّاعوا: تداعوا بمعنى تقدموا، ريّاسه: سائقيه.
(٣) الغث: الذوائب والشعر، قرون: جدائل، مجبودة: من جبذ المقلوبة عن جذب، تبان: تظهر .
(٤) هيدوق: من هيق، والهيقم والهيقل: الظليم، دحية:بيضة، بقّاصه: لمّاعة.
(٥) وقد : وقد الدّار والنار وقدت، برقاً: برق.
(٦) امبدد: تبدّد وانتشر.
(٧) جايبهم: جاء بهم، صد: مكان قريب، المهموده: الصّحراء والأرض الّتي لا نبات بها.
(٨) علْ: على، راس: رأس، سند:مكان متصاعد قليلاً كأنه سُند على بعضه، يحذوا: يجانبوا، قناصه: الصيادون، جاءت من القنص.

أرض خالية من كلّ شيء إلاّ أنّ الأرض متصاعدة قليلاً والصيادون يتسلّحون الفرصة عن قرب لكي يقتنصوا الغزالتين من حيث لا تشعران بقربهم منهما.

فالشّاعر يصف تلك الفتاتين بصفات ماديّة حسّيّة ظاهرة، وإن كانت عامة تصدق على كلّ امرأة،ولكنّه جدّد في الصّورة والتشبيهات على خلاف معاصريه،وإن كان هذا التجديد ليس تجديداً بالمعنى التّام بل كان تحويراً وتغييراً في بعض الصّور.

والشّاعر محمد أبو غماز(*)يقول في هذا الصدد(١):

وإنْ جـــتْ فُـــوقْ الـــرِّيحْ ادَّاوي حتْهَـــا مِـــنْ رِيـــحْ الجَّنَّـــه(٢)

والْفَـــمْ امْعَـــدَّلْ وَسَـــاوِي خَسَـــه مِلِّـــيمْ يسَـــدّنه(٣)

والشِّـــفَّهَياخُوي بَـــلاَوي بلاَلِـــي وسْـــطَاه امْغَّـــى(٤)

يقول: إن أتت محبوبته من اتّجاه قدوم الرّياح، فالرياح تأتي برائحتها العبقة الجميلة الّتي تشبه رياح الجنّة، فهي دواء للعليل والمريض، أمّا الفم فهو جميل صغير، إن وُضِعَت عليه عملة الخمس دراهم الصغيرة تساويه بالتمام، والشفاه حمراء كالسّير الّذي قدّ من الجلد ودبغ باللون الأحمرأوالصبغ الأحمر بعد صنعه صناعة جيّدة من قبل متخصّص في هذه الصناعة، ويستمرّ في وصفه قائلاً :

والرُّقْبَـــه بِـــدُونْ حَكَـــاوي شِيْشَـــه هَصْـــنُوعَه لِلْبَّـــه(١)

وَالـــزِّرْعَانْ سْـــيُوفْ عَصَـــاوي فِـــرْطَنْ بِـــينْ اصْـــفُوفَاقُوتًا(٢)

(*) محمد محمد أبو غمّاز ولد سنة ١٩٣٨م بمنطقة مصراته وتوفى سنة ١٩٨٩م، شاعر غزلي رقيق، انظر مقدمة ديوان غناوي وغناوي لشاعر العامية: محمد محمد أبو غمّاز، جمع سالمين محمد أبو غمّاز، دار مكتبة الشّعب، الطبعة الاولى ١٩٩٥م، ومعجم الأدب الشعبي في ليبيا، عبدالله مليطان ص١١٣.

(١) ديوان الشّاعر غناوي وغناوي ص٢٣.

(٢) ادّاوي: من المداواة والعلاج، جت: جاءت، فوق الرّياح: من اتجاه الريح، ريحتها: رائحتها، من ريح: من رائحة .

(٣) امعدل: من التقويم والمساواة فهو جميل، خمسة مليم: عملة نحاسية صغيرة، يسدنَّه: تسد فتحة الفم كناية على صغره.

(٤) بلاوى: جمع بلاء يبلوه بلاء بالمد يكون بالخير والشر، فيلالي: سير يقدّ من الجلد ويصنع ويصبغ ويستعمل في كثير من الصناعات كالاحزمة والحلي، اسطاه: من الاسطىالّذي صنعه، معنّى: معتنى بهذه الصناعة.

(١) بدون حكاوي: بدون حكايات وكثر كلام، شيشه:زجاجة، البنّه: اسم للروائح بالمنطقة الشرقية.

وفِيهـ ـــا اصْـــبَاعْ اقْـــلاْم غَـــاوي رُوقْ وْزَادُ و هُـــــــمْ بِالْحِنَّـــــــه[٣]

أّما الرقبة فلا خلاف على أّنها جميلة كالقارورة الّتي صنعت خصّيصاً للروائح،فلابدّ وأن تكون رائعة في الجمال، ولها ذراعان كالسيوف الجميلة الرائعة العاصية على الكسر والفلّ، الّتي سُلّتْ بين صفّي قتال أو بين جيشين كلّ منهما صنو للآخر، أّما الأصابع فهي كالأقلام الفاخرة الّتي لا يقتنيها إلاّ الأغنياء، وعلى جمال ونقاء وصفاء الأصابع ، فكيف يكون جمالها بعد أن زخرفتها وزينتها بالحناء؟ فلابد أن تكون قّمة في الجمال والروعة، ويقول واصفاً :

وهـ ـــا جُـــوفْ امْطبَّـــقْ خـــاوي تتّ ـــــى صُـــــبْعينْ ا ْشَـــــتَّنه[٤]

وْوَرَاكْ وْسِـــــــيقانْ اسْـــــــطَاوِي عْوصَـــــاتْ بَنـــــاهَنْ طَقّنـــــا[٥]

ولها وسط وخصر نحيل تلتقي حوله أصابع اليد الواحدة، ولها مؤخّرة تعتمد على ساقين كالعرصتين اللتين قام ببنائهما وهندستهما مهندس خبير وضعهما واشرف على بنائهما بإحكام وبراعة.

ويستمر الشّاعفي قصيدته واصفاً محبوبته جزءاً جزءاً وعضواً عضواً من شعرها إلى قدميها مروراً بكل عضو من أعضاء جسدها مشبهاً له بما يناسبه من الطبيعة، واعتمد في أغلب أبيات القصيدة على ذكر المشّبه في صدر البيت والمشبه به في العجز، والملاحظة الأخرى هي الإكثار من حرف النون "نون التوكيد أو النسوة أحياناً " في آخر بعض الكلمات وهذه الظاهرة موجودة بالمنطقة الوسطى والشرقّية من ليبيا على خلاف المنطقة الغربّية والجنوبّية.

وفي لون "أبو رجيلة" يقول الشّاعرأحمد الرمشاني البوسيفي(*): فيقصيدةزجلية[١]:

---

(٢) سيوف عصاوي: سيوف عاصية عن الكسر، فرطن:سلّت، صفوف قوتّه: كلّ صف قرين للآخر.
(٣) اقلام غناوي: اقلام من النوع الفاخر للأغنياء، روق: من راق الشراب صفا، الحنّه: الحنّاء.
(٤) جوف: وسط وخصر، مطبق خاوي: نحيل فارغ، يشدّنه: يشدّ الخصر باصبعين، أيّ تلتقي حوله.
(٥) سيقان: ساقان فالعامة تجمع ولا تثنى في الغالب، اسطاوى:الخبير الّذي قام بنائها، بناهن:الّذي قام ببنائهما.

يَـــا سِـــــي حَمَـــدْ لبَّـــاسْ للجِمَّانـــــه ظنَّـــكْ صِـــيفَه ا ْيجِـــيشْ فِـــي ردَّانـــا[٢]

يقول في مطلع هذه القصيدة الزجلّية موجهاً الكلام لنفسه أو لصديق يحمل نفس الاسم "حمد"سائلاً : أين تظن أن تكون محبوبته الّتي أشار إليها بما ترتديه من حُلي وحبات من فضّة يسّمى "الجُمان" ، هل المكان الّذي تقضي فيه صيف هذه السنة يكون بعيداً أم قريباً ؟ والقصد من ذكر فصل الصيف دون غيره من الفصول ، لأّنه تقام فيه الأعراس وتستقّر فيه النجوع على خلاف فصل الخريف الّذي تقوم فيه الّناس بحرث الأرض بعد هطول الأمطار، وكذلك فصل الشتاء تكون فيه الّناس بمواقع دافئة للحيوانات لأّنه موسم التوالد، وفصل الّربيعتتنقل فيه الّناسطلباً للكلأ ومواطن العشب. ثّم ينتقل الشّاعر بعد المطلع إلى المقطع الأّول من القصيدة الزجلية قائلاً :

يـــا سِـــــي حَمَـــدْ عَـــلْ بَـــالِـي وِيـــنْ نَاجـــدَه مُـــوَلي الذّ يـــابْ مَجَـــالي[٣]

ثِيثَـــه اخْبَـــالي عَكْسُـــوْه الْتَـــالِي ســـــدونيرمالي دَفَّقُـــــوا شُـــــطْبانه[٤]

هَلـــ ـوِيسْ بَـــالي النُّـــوْم مَـــا يَلْجَـــا ـِي .ـــــح النَّزالِـــــي بَاعَـــــدُوا فرْقَانـــــه[٥]

بدأ المقطع بأسلوب إنشائي (الّنداء) لشدّ انتباه السامع وأن كان المنادى هو الشّاعر نفسه أو صديقاً له حقيقة أو خيالاً، موضحاً ومفسراً ما جاء في المطلع ،وكثيراً مايخاطب البدويّ المحبوبة بخطاب المذكّر،كأن يقال للحبيبة "زول فلانه" أو "لّباس للخلخال" فيخاطب هذا الزول، وهو زول المحبوبة بالمذكر رفعاً لمكانتها وهروباً من ذكر الأسماء، فيقول: يا

(*) أحمد الرمشاني البوسيفي: تمت الترجمة له.

(١) المصدر نفسه، ص١٤٩.

(٢) ياسي: لفظ مقطوع ومختصر من ياسيد، لبّاس: كثير اللباس، الجمّانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعه "جمّان"، ظنّك: ماذا تظن، مصيفه: المكانالّذييقيم به صيفاً، يجيش: هل يمكن أن يكون، ردَّانا: بقربنا.

(٣) في بالي: في ذاكرتي وقلبي، ناجده، اجده،،مولى: صاحب، أنياب مجالي: انياب مجلوّه بيضاء لامعة.

(٤) غثيثه: جدائل وشعر، خبالي: كثيف ، عكسوه الّتالي: ظفروه إلى الخلف، سدوني: من سدن غطى، رمالي: رمال من الاوديةالّتيتغطيها الرمال، دفقّوا: من دفق الماء، شطبان: السيلان ومكان جلب الماء لرؤوس الأودية.

(٥) تهلويس: من الهلوسة وفقد الذاكرة، بالي: فكري وقلبي، ما يلجأ لي: لم يلجأ النوم إليَّ، نزالي: جمع نزله: المكانالّذي نزلت به الربوع والنجوع، فرقانه: فراقه.

سيّد أحمد، لبّاس عقود الجُمان دائماً معي وعلى بالي، ولا اعرف أين أجد صاحبة الأسنان المجلّوة البيضاء، وهي تتمنّى بتلك الضفائر والجدائل والشعر الكثيف الّذي غطّى كلّ الظّهر وكأّنه سيول من الأمطار ملأت الأودية قادمة من كلّ حدب وصوب، ممّا زاد طيفها في هروب النوم وجفاه منّي،وإني أُصبت بشيء من الهذيان بسبب أفضل نساء الكون وأفضل نساء النّجع، وكأّنها ملح هؤلاء النسوة جميعاً . وينتقل إلى المقطع التالي:

لَبَّـــــــــاسْ لِـلْمِيزُونَـــــــــــه ظَنَّـــكْ مَصِـــيفَه سِـــرتْ وَالاَّ دُونـــه[١]

مَسْـــمَحْ عْيُونَـــه وَالْطَـــقْ وَقْوُونَـــه لاَجْ فِـــي شُـــطْبانه[٢]

مـــاَ الَملـــفْ لُونَـــه شَـــفَّتَه قَرْعُونَـــه مَضْـــحَكْ اسْـــنُونَه تَـبْـــرْ فـــي مِيْزَانَـــه[٣]

يكّنى عنها بالمرتدية للحلّالثمين الّذيلا يشترىإلاّ عن طريق الوزن والميزان في إشارة إلى الذهب والفضّة، سائلا كعادته أين تظن مكان مصيفها؟ هل بمدينة سرت أم بمكان اقرب من سرت؟ وينتقل إلى التعريف بها واصفاً عيونها الجميلة، وحلّيها من حلق الذهب والفضّة، وتلك الجدائل الطّويلة الجميلة، فهي كالغزال الصغير الّذي يسرح ويمرح بين الأودية وروافدها، والبشرة تشبه قماش الملف، والشفاه تشبه شقائق النعمان حمرة "بوقرعون "، والأسنان كالتّبر في كفّة الميزان، ويستمرّ في هذه القصيدة واصفاً ومشّبهاً كلّ جزء من محبوبته، والقصيدة تعدّ من عيون الشّعرالبدويّ في التشبيهات والتقاطيع الجميلة والكثافةفي موسيقى الشّعر حيث نجده يشطّر كلّ شطرة إلى عدّة قوافي داخلّية زادت من روعة الموسيقى، فالسامع لهذه الأبيات من القصيدة الزجلّية وزن "بورجيله" لا يعتقد أّنها من هذا البحر لكثرة الموسيقى،إلاّ من كان على علم ودراية بتلك الأوزان الشعرّية البدوّية اللّيبّية،

(١) لبّاس: كثير اللباس، الميزونه:الّتي تشتري بعد الوزن كناية عن الحلىّ من الفضّة والذهب، دونه: أقرب منه.
(٢) مسمح: ما أجمل، مهرجونه: المهر: الصغير من الخيل، والجونه: الصّحراء، فمهر الصّحراء هو الغزال أو ابن الغزال، لاج: من "اليج" أيّ تردد، شطبان: من شطيب أيّ روافد الاودية.
(٣) الملف: نوع من القماش الفاخر، لونه: بشرته، قرعونه: من "بوقرعون": الاسم المحلي لشقائق النعمان.

فهي سهلة الحفظ وسهلة التنّقل، وأكبر دليل على ذلك حفظها إلى يومنا هذا بين الرواة إلى أن دونت سنة ست وألفين، وعمرها يزيد على القرن من الزمن.

من الملاحظ أنّ الغزل في الشّعرالبدوّياللّيبّيتناول فيه بعض الشّعراء جسد المحبوبة على سبيل التصريح لا يقصد من ورائه سوى المدح للمحبوبة وذكر ما كان جميلاً منها، وبيان صفات تحّبكلّ امرأة أن تكون عليها، كبياض الأسنان، وسواد الشّعر وطول القامة وارتداء أجمل الحلي، وإن كانت هذه الصّفات لا توجد بالمتغزّل بها، ولكن هذا ما يحّبه الشّاعر والرجل البدويّ بصورة عامة أن تكون عليه المرأة، وهذا ما جرت عليه العادة بأن يذكر الشّاعر محبوبته على هذه الصّورةالّتي يرغب أن تكون عليها، وإن كانت ليست كذلك، وهذا النوع من الغزل لا يخرج كثيراً عن الغزل العذريعند البادية اللّيبّية.

الغزل العذري: الشّعرالبدوّياللّيبّي ميل في أغلبه إلى الغزل العذري والتعفّف والهروب من الغزل الفاحش، لأنّ هذا النوع الأخير من الغزل لا يتمشّى مع عادات وتقاليد أهل البادية عموماً .

ويتمّيز الشّعر العذري بالبكاء على الأطلال، والحنين واللّوعة والبعد والفراق والحزن الشديد والنارالمتّقدة بداخله، كقول الشّاعر عبد الرحمن أبو نخيلة(*) في مطلع قصيدة زجلّية[1]:

نَارِكْللّيفِيالْقُلُوبِلِّعْتِيهِ اْمَعايكَارَوهكِيفْنَطْفِيهَا؟ [2]

يقول لصاحبته الّتي هجرته: هذه النّارالّتي أوقدتها بقلبي وهي تستعر كلّ يوم وتكبر داخلي، كيف لي أن أطفئ هذه النّار؟

فهو لا يرى إلاّ نار الحبّ والبعد والفراق تزداد بداخله ولا ينظر إلى الجوانبالماديّة والحسّيّة، وهذا الشّاعر صميدة رحومه الخويدلي(*) يخاطب نفسه[1]:

اصْبُرْلِيَاكُمْتْعِيكْالْقُدْرِهعَطْشانْقَلْبِياللّوِيلْوِيتَه [2]

(*) هو عبد الرحمن رجب أبو نخيلة، ولد عام ١٩٠٥م في بنغازي وتوفى عام ١٩٨٤م تلقّى تعليمه بالمدارس العربيّة والإيطالية ببنغازي،عمل في مجال الترجمة، ومستشارا تجاريّاً بالسفارة اللّيبيّة بروما، انظر معجم الأدب الشعبي في ليبيا، ص٢٧.

(١) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٢) اللي:الّتي، ولّعتيها: أوقدتي النّار بها، معاي: معي.

(*) اصميده رحومه الخويلدي ولد بقصر الحاج سنة ١٩٢٥م وتوفى سنة ١٩٥٣م له قصائد غزلية ليست بالقليلة رغم وفاته وهو في ريعان شبابه، وهو ابن الشّاعر ارحومة الخويلدي –الّذي ترجمنا له بهذا البحث - ، انظر تغاريد في الغربة أبو بكر مصباح صقر، ص١١٦.

(١) المصدر نفسه، ص٢٦.

حيث يقول لنفسه: أصبر وزد صبراً، لأنّ هذا حكم الله وقدرته لبعد الحبيبة، والفارق المكاني المتواصل الّذي لا ينتهي، على الرغم من عطش القلب وحاجته إلى المياه، زدته عطشاً وزدته منعاً للماء، وزيدت همومه واحزانه بعدم الوصل، فالشّاعر هنا يبكي الفراق واللّوعة والبعد، ويقسو على نفسهوعلى قلبه شعوراً منه بالوجد والفراق دون ذكر لمفاتن المحبوبة في شعر عفيف.

ويقول في هذا يقول الشّاعر عبدالكريم الخطابية(*):(٣).

الْعِيْنهمدتفٌوقالْوسَادْو نَامَتْ الْخَاطْرجَبْمْقَضْغلاهاقَامْتْ (٤)

يقول:أرادت العين أن تخلد إلى الراحة فوق الوِسادة بعد يوم شغل طويل وتعب كبير، إلاّ أنّه عندما ذكر وتذكر محبوبته هرب النوم وقامت العين ساهرة، وهذا ما هدف الشّاعر له من مواضيع الفراق والبعد والحنين وعدم النوم والقلق،في كلّ القصيدة، إلى أن ينتقل إلى المقطع الآخر:

فُـــــوْق الْوســـــــادَة و نَـــــــايم بهَـــا خَطَـــرْ مُـولَى الْقَـــرُونْ وَلاَيـــمْ(٥)

َـــالْ نَمَهـــَـــا شَـــبْهَـــةْ السِّـــيلْ الْعـــايْم فِـــي مِـــزَنْ مِـــدَّايرْعُـــوَده زَامَـــتْ(٦)

ـى بـُـو خجَـلْ فُـوقْ الكتُـوفْ عَـرَايْم كِـــي تَـهـــا زَادَتْ بُـكَـــا وَتْعَامَـــتْ(٧)

يعود الشّاعر إلى الموضوع الّذي ذكره في مطلع القصيدة، موضّحا أنّ العين عندما أرادت النوم على الوِسادة وخلدت إلى الراحة خطر طيف محبوبته، فانهمرت دموعه بغزارة كالسيل العارم المنهمر من قبل مطرغزير يلفّ سحابه كلّ دنيا الشّاعر ، تصحبها رعود قويّة،وهذا البكاء بسبب تذكّره لمحبوبته، وعندما أرادأن يتّخل متسلّحاً بعقله ضدّ عاطفته لكي يقّم نصائححتّ ى يمنع عينه البكاء، كانت النتيجة أن زادت في البكاء إلى أن فقدت البصر بسبب كثر البكاء

---

(٢) ليا: اذاء،ع اللويث: على اللويث، واللويثإلنبات الّذي قلّت رطوبته وهو بين اخضرار ويبس، لويته:زدته يبساً، أيّ : منعته عن الشرب.

(*) هاشم عبد الكريم الخطابية، من عائلة مريم قبيلة العبيدات ولد بطبرق ١٨٨٧م وتوفى بها ١٩٦٧م، انظر ديوان الشّعر الشعبي، ج٢، اعداد د. علي الساحلي، وسالم الكبتي، منشورات جامعة قاريونس، الطبعةالثّانية، بنغازي، ١٩٩٨م، ص٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٤) همدت: اخلدت إلى الراحة، الخاطر: ما خطر بباله، جبد: جذب اطراف الحديث والتذكر له، منقض: نقض العهد والعودة إلى الماضي، غلاهم: حبهم.

(٥) نايم: نائم، قرون: جدائل وقرون من الشّعر، ولا يم: جمع وليمة بمعنى قضبان من الشّعر.

(٦) شبهة: شبه، العايم: العائم:الماء الّذي يغطى كلّ شيء، مدّاير: ما يدور ويلف كلّ شيء، زامت: من زام صوت الرعد .

(٧) خجل: الشّعر الكثيف الملتف، الكتوف: جمع كتف، عرايم: اكداس واكوام من الشّعر على كتفيها ، كي: عندما وحين، بكا: بكاء.

والنحيب من الفراق والبعد وكثر الوجد والشوق، ومن الملاحظ أن الشّاعرالبدويّ في ليبيا لا يذكر اسم محبوبته ولا يقول "حبيبتي" بهذه اللّفظتعففاً من ذكر الكلمات الّتي تدل على الرّقة واللّيونة، فالبدوي بطبيعته غليظ ،شديد البأس لا يلين، والبكاء والدموع لا يتّفق الشّعراء حولها بل هناك مناطق في ليبيا يعيبون على الشّاعر أن يبكي ويضعف أمام عاطفته، وفي الغالب يشير إلى من يحبّ: بصاحبة الجدائل، أو الأسنان البيضاء...إلخ، ويقول في الموضوع نفسه الشّاعر محمد الهروج حمودة الأوّل(*) في قصيدة زجلّية مطلعها(١).

رَقّ الْغَـرَضْ جَايْـب سَـرِيبْ اغزيِّـلْ وْعَـادْ تَمْهِـنْ فُـوقْ الْوسَـادْ ايهْ يَّـلْ(٢)

يقول الشّاعر: ضعفت النفس وعادت تتذكر المحبوب وذكريات الماضي، تلك الأيّام الغابرة،أيّام الوصل والحبّ، وعند التذّكر لتلك الأيّام عاود الدمع سيلانه بغزارة فوق الوسادة، ويستمرّ ليفصّل في المقاطع التالية ما ذكره بمطلع القصيدة قائلاً :

جَايـــــب سَـــــرِيبْ غَلاَهَـــــا وْطَـــاشْ ذُمُّوَمهـــا وْجَـــدَّدْ الْعِـــينْ بكَاهَـــا(٣)

إنْ طَـــالْ هَجرهَـــا مَـــا هُنَـــاكْ غَيْـــر عَمَاهَـــا لاَ طِبِيـــــبْ يِبْرِيهـــــا عَلِيهاتْمَيَّـــــلْ(٤)

وَلاَ حَبِيـــــبْ تَشْـــــكِيلَه الْعِـــــينْ ابْـــــدَاهَا ـــــلاَفْ رَبْ خَالِقْهَـــا مُـــوشْ ابْخَيِّـــلْ(١)

حَسِـــــيه الله إنْ كَـــــانْ مَاداوَاهَـــــا طَوِيـــلْ الخَجَـــلْ مُـــولَى الْوشَـــامْ امْتَيِّـــلْ(٢)

(*) محمد الهروج حموده، قبيلة المغاربة عائلة حموده، عاش بمنطقة جبال الهروج أول القرن الماضي " ولم نتحصل له عن تاريخ ميلاد أو وفاة " ، يمتاز شعره بالقصائد التاريخيةالّتي يقف فيها على الاثار والديار، انظر كتاب الشّعر الشعبي المجلد الأوّل، جمع وتقديم، د- على برهانه، منشورات المركز الوطني للمأثورات الشعبية ، سبها الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ١١٠.

(١) الشّعر الشعبي، المجلدالثّاني، د.علي برهانه، ص١٠٩.

(٢) رق: ضعف، الغرض: القصد والنفس، جايب: أتى بـ، سريب: ذكريات وأخبار، الغالي: الحبيب، عاد: عاود، يهيّل: يسيل.

(٣) سريب: أخبار وماضى، غلا: حب، طاش:شرد.

(٤) ما هناك غير: لم يبقى سوى، يبريها: يداوي الجراح، تميّل: تميل وتلجأ إليه.

(١) تشكيله: تشتكي إليه، داها: ما تعانيه من داء ومرض ووجد، موش: أداة نفي بمعنى " ليس" بخيّلْ: تصغير للبخيل.

(٢) ما داواها: لم يقدم إليها الدواء للعلاج، الخجل: الشّعر، مولى: صاحب، الوشام: الوشم، منيّل: شديد الزرقة.

حيث قال: ضعف النّفس أتى بذكريات المحبوبة، عندها شرد النّوم من العين وعادت إلى البكاء والدموع، وإن استمرّت الحالة على ما هي عليه من الهجر والبعد لا مفرّ من فقد البصر، لأنّه لا أمل يرجى ولا طبيب ولا دواء يشفيحتّى الْتَجئ إليه والشّاعر يبكي فَقْدَ الأحبّة ويشكي البعدوقد يكون قربهم يخفف على العين لكي تكفّ عن البكاء ولا منقذ إلاّ الله الكريم فهو من يعطي الصّبر، والمشتكّي إليه، فهو من يحاسب المحبوبة الّتيأطالت الهجر إن لم تقدّم الدّواء والشفاء العاجل لإنسان فقد كلّ سبل الحياة، فالله وحده من يحاسب صاحبة الشّعر الكثيف والوشم الأزرق الجميل.

نلاحظ من خلال ما تّم ذكره من الغزل العفيف في الشّعرالبدويّاللّيبيّالإكثار من البكاء والفراق والبعد والحنين والوجد وزيادة الألم والمرض والحاجة إلى العلاج والوصل في أسلوب بلاغي رائع .

وهناك من يذهب إلى الغزل العذري بواسطة أخرى، كطلبه من الفقيه أن ينظر في كتبه لكي يقدّم إليه الوصفات الناجعة، من حجب وتمائم تقرّب إليه محبوبته، وكالالتجاء إلى الطبيب لكي أن يقدّم إليه العلاج لما يعانيه من وجد وحبّ، وفي هذا يقولالشّاعر ميلاد المشّاي(*) في قصيدة زجلّية(٣):

يَاسِي الْفَقِي بَرَّجْ وَحَلْ اكْتَابَكْ رَاهُو شَفَا لِلْعَاشْقِينْ احْجَابَكْ(٤)

يقول الشّاعر موجّهاً كلامه إلى الفقيه: افتح الكتب وانظر في الأبراج لعلّك تجد شفاء ودواء للعشّاق، واكتب لي وصفة بذلك من تمائم وحجب. ثّم ينتقل إلى شرح وتفصيل ما جاء في مطلع القصيدة:

يَاسِي الْفَقِي عَامِلْنِي اُطْلاّ خُوذْ الْمَالْ مَا تَشْغَلْنِي(١)

(*) ميلاد سالم عقاب المشاى ثم التعريف به.
(٣) ديوان البحر الازرق، ميلاد المشاى، ص٢٦٣.
(٤) برّج: انظر في كتب الأبراج ، راهو: ثابت ومجرب ومؤكد، شفا: شفاء، حجاب: الحجب.
(١) عاملني: عاملني معاملة المريض وأنظر في أمري، خوذ: خذ، لا يشغلي: لا أهتم بالأمر.

غَـلاَ الْبِنْـت يـا سِـيدِي الْقِـي ذَبْلِنـي اْيـدَكْ طويلـة الله ليَّـا جَابـكْ[٢]

والله يـا لـُولاَ الْغَنـي وَنْغَّـي مِـدَّه عَـيَّ اللّحـدْ حَجَـرَه شَـابِكْ[٣]

حيث يوجّه كلامه إلى الفقيه قائلاً: يا سيّدي عاملني معاملة المريض المنهك، وخذ ما تحتاج من أموال، لا يهمّ أيّ مبلغ تطلبه، لأنّ حب هذه الفتاة، أخذ منّي يا سيدي وذبلتُ كما يذبل الزّرع، ومن المعروف أنّك قادر ومتمرّس لا تقف عاجزاً أمام هذه الحالة الّتي بين يديك، وقد كنت محظوظاً، لأنّ الله أرسلك إليَّ، ويقسم بالله:لو لم أكن شاعراً اقرض الشّعر ولخفّف عن نفسي من خلاله لكنت تحت الأرض بين الموتى منذ زمن.

ويستمرّ في قصيدته على هذا المنوال يظهر شوقه وحبّه وغرامه عن طريق الفقيه يطلب منه في كلّ مرّة وفيكلّمقطع نوعاً من أنواع المساعدة إلى نهاية القصيدة.

وكثيرا ما يبعد الشّاعر العفيف عن ذكر مفاتن المحبوبة والتغزل الصريح إلى نوع آخر من الغزل العفيف، وهو ذكر الحلّي والملابس وأدوات الزينة من عطور وغيرها، ومدى استعمالها تعويضاً عن ذكر مفاتن الجسد ، كقول الشّاعر ميلاد المشّاي(*) في قصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات(٤):

لْقُصَّـه ِحْلَـفْ رِيـشْ ا غْرُبَّـه تِـهْفِـي فُـوقْ مِـنَ الْبْنُـونْ[١]

سَـالَفْ فَـاتْ اْرْكَابَـه جَبَّـى بزِيـتْ الزِّيتوَنَـه مَـدْهُونْ[٢]

وزَادَتَـه تَمَـايَمْ وَصْـخُبَّه حُوريـه مِـنْ رَبّ الْكُـونْ[٣]

---

(٢) غلا: الثمين ويقال فياللّهجةاللّيبيّة لمن تحبه غال وغالية وأصبح يطلق على الحب بقولهم "غلا البنت" أيّ حب البنت، ذبل: ضعف وذبل، يدك طويل: كناية عن قدرة الفقيه.

(٣) حجره: حجارة، الغنى: من الغناء يعني بها الشّعر، شابك: متشابك.

(*) ميلاد سالم عقاب المشاى تم التعريف به.

(٤) ديوان البحر الازرق، ميلاد المشاى، ص٢٣٥.

(١) القُصه: شعر الناصية وهنا يعني كلالشّعر، تحلف: قسم وتوكيد للتشبيه، غُربّه: جمع غراب، تهفى: تتحرك، الجبنون: الجبين.

(٢) سالف: شعر، جبَّى: نزل، مدهون: دهن بالزيت.

(٣) تمايم:نوع من الحلّي، صخّبه: جمع " صخاب " وهو عقد من العطور تصنعه النسوة للعروس تضعه برقبتها.

و صَـــــدْرُكْ بالْمِرْجَـــــانْ تَعَبَّـــــى عَـــــلْ لُـــــوْن بَلَـــــحْ الْعُجُـــــوْن(٤)

و كِسْـــــوَة وَخْنَاقَ ـــــاتْ وْلِبَّـــــه وَشْـــــرَه كِيـــــف الْبُوقَرْعُـــــوْن(٥)

يصف الشَّاعر شعر محبوبته ويشّبهه بريش الغراب، إضافة إلى طوله الّذي تدلّى إلى أن تجاوز الركبتين وهو يلمع بزيت الزيتون، لأّنه أفضل أنواع الزيوت زينة وعلاج وتغذية للبشرة والقضاء على كلّ أنواع الطفيليات والبكتريا، ثم ذكر أنواعاً أخرى من الحلّي ((كالتمائم وعقود العطور)) حتّى أصبحت تشبه حور العين، ثّم زيادة في الزينة بالمرجان الّذي يشبه البلح وهو يميل إلى النضج ، وأصبح بسراً قبل أن يكون رطباً ، ثم اكتست بالزي الفاخر وتزّين ت بالقلائد الفضّية والذهبّية في بشرة تشبه ورد شقائق النعمان.

فالشّاعر ابتعد على طريقته إلى التغزّل بالزينة وعدم التطّرق كثيراً إلى الجانب الجسدي الحسّي، ويعدُّ نوع من الغزل العذري العفيف.

(٤) المرجان: عقود من المرجان تزين الرقبة، عَلْ: على، على لون: كلون، تعبى: من التعبئة والكثرة.
(٥) خناقات: نوع من القلائد الذهبية، لبّه:أيضاً لقلائد توضع على الصدر،كيف: مثل، البوقرعون: شقائق النعمان.

المبحث الثّاني: الوصف ومالهعلاقة بالطبيعة الجامدة والمتحركة

الوصف هو تعبير عن وجدان الشَّاعر وشرح حال الشيء ، وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراد أو يشعر به.

يطلق الوصف على ما يمثّله الشَّاعر من مظاهر الطبيعة وظواهرها وما فيها من حيوانات، والإنسان وعواطفه وتصرّفاته، من أدقّ موضوعات الشّعر، لا ينهض به إلاّ صافي الذّهن سليم الفطرة.

فالوصف باب واسع يدخل فيه كلّ شيء وكما قال ابن رشيق: "الشّعرالاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"(١).

والوصف عمود الشّعر وعماده بل إنّ كلّالشّعر وصف، فالمدح وصف نبل الرّجل وفضله، والنسيب وصف النساء والحنين إليهنّ، والشوق إلى لقائهنّ، والرّثاء وصف محاسن الميت وتصوير آثاره وآياديه، والهجاء وصف المهجوّ وتصوير نقائصه ومعايبه، وهكذا تستطيع أن تدخل جميع فنون الشّعر تحت الوصف.

وبما أنّ أغلب هذه الأغراض سبق الحديث عنها في المبحث السابق، ولكن المقصود بالوصف هنا هو كلّ شيء لاحظهالشَّاعرالبدويّ في بيئته ما خلا الإنسان. وصور الوصف ومظاهره كثيرة يصعب على الدّارس تحديدها بشكل قاطع.

وأهم المظاهر الّتي وصفها الشّعراء وسجَّلوها في أشعارهم، الحيوانات كالإبل والخيل وحيوانات الصّحراء الأخرى، ومظاهر الطبيعة من برق ومطر وسحاب ورياض وأزهار ووصف الأطلال وما شاكل ذلك.

مع ضرورة الاشارة إلى أنّ النّص الشّعري الواحد قد يتضمّن أكثر من مشهد من مشاهد الوصف هذه.

---

(١) العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، والطباعة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، ص٢٩٤.

من ذلك نرى أنّ البيئة الصحراويّة هي الّتي أشعلت قريحة الشّاعر ودفعته إلى أن يشحذ لسانه وفرشاته ليرسم ما يراه أمامه من مظاهرها وظروفها وأحوالها ليعّبرعن ذاته من خلال شعره.

اولاً : وصف الأطلال والوقوف عليها:

من أهّم الأشياء الّتي وصفها الشّاعر، وافتتح بها قصائده هي الوقوف على الأطلال وذكر الّديارالّتي يصوّر من خلالها ظاهرة من ظواهر الحياة في تلك البيئة وهي الانتقال والرحلة، وهو يتعلق بانتقال الأهل أو القبيلة بنسائها وفتياتها اللائي كانت لهن علاقات مودة ومحبة مع أقرانهن من فتيان القبيلة وهم يتنقلون تمشياً مع ظروف الحياة الاقتصادية حيث البحث عن المراعي الخضراء من أجل مواشيهم عماد اقتصادهم، وبعد مرور وقت قد يطول أو يقصر، يمر بتلك الّديار وبقايا آثارها الّتي لا تخفى على عين المحب، بل يتعرّف عليها قبل غيره، حيث أّنه يشّم فيها رائحة محبوبته فيقف وقفة الوفاء واحترام الماضي، ويصوّر تعلّقه بالماضي في دهشة لمنظر الّديار الموحشة الّتي قد خلت من أهلها، منهم من يحنّ إليها ومنهم من يتمنى إلاّ يمرّ بتلك الّديار لأّنها تجدّد أحزانه،وإن كان هذا الأخير قليل كقول أغنية الّرحى:[١]

يـــا دَارَنـــا حِـــينْ جِيْتِـــكْ عَـَــىَّ اخْطَـــرْ زُولْ غَـــالِي

ـــــا ليِتْنـــــي مَالْقِيتَ ـــــكْ حِسَّـــــه يِـــافي لَجَـــالِي[٢]

تقول الأبيات: أّيتها الدار عندما أقبلت عليك وظهرتِأمامي خطرت ببالي أشياء قديمة وذكريات كنت أتمنَّى نسيانها، عادت من جديد وكأّنها حدثت هذا اليوم، فالشّاعر يتمنَّعدم مروره بالديار لكي لا تتجدّد جراحه القديمة.

والشّاعر الغناي غنية[*] يقول في هذا المعنى قصيدة زجلّية يقول في مطلعها[٣]:

يـــا دَارْ خَطَّرتِـــي اعْـــزَازْ عَـلِيَنـــا وْيَارِيتْنـــا لِـوَهـــا مْكُـــنْ مَاجِينَـــا[٤]

---

(١) ذاكرة قريه ج١، د.محمد سعيد محمد ص١٠٠.

(٢) حسّه: اشعر به، ريافي: تستعملاللّهجة البدوية هذه اللفظة بمعنى الحنين والشوق، لجالي: التجاءإليَّ سكن داخلي.

(*) تمت الترجمة له ، ص١٠١.

(٣) الشّعر الشعبي، ج٢، د. علي برهانه، ص١٣٥.

(٤)خطّرتن: ذكرتموني، اعزاز: احبّة، يا ريتنا: يا ليت، اوهام: التوهّم للديِّار بعد زمن طويل.

نجد الشّاعر موجهاً خطابه ومنادياً الدّيارعندما اشرف عليها وعرفها ورآها مرآى العين، حين ذكّرته ماضيه وأحبّته المقربّين منه في تلك الأيّام الخوالي عندما كان شاباً، فجدّدت فيه الأحزان والشوق، وما كان منه إلاّ أنّ تمنّى ألاّ يأتي إلى هذه الدّيارالّتي بعثت فيه تلك الذكريات، ثم ينتقل إلى المقطع الأوّل من القصيدة:

يا اُدَيارْ خَطَّ رْتَنْ عَلَيَّ أَحْبابِي لَ كُمْ حِينْ مَا قَابَلْشْ مَسْرَبْ غَابي[1]

غِير الْمَناصَبْ فِي الدّيار مَكَابِي لَى جَالَة الْكَاذُونْ فِي التّركينه[2]

وَيَا دُيَارْهَللِّي فِي الْعَوْشْرهابي اِيفَ رّجْ عَلَى اللَّى نَافْضِينْ عَوينه[3]

يكرّر النّداء للدّيار في حرقة ومحبّة لها ومعرفته القديمة وذكرياته معها، مما يؤدّي إلى أن يعاملها معاملة العاقل، لأنّه لا يراها مجرّد ديار،بل يراها كائناً حياً يخاطبها ويستمع إليها وتستمع إليه، وهي سبب تذكّره الأحبّة لارتباطه بهم عند لقاءاته الأولى معهم، فهذه الدّيار خلت من أهلها ولم تجدّد الطرق المؤدّية إليها منذ زمن، ولم يوجد بها إلاّ الأثافي السوداءالّتي حرقت بالنار لكثرة الطهي وإطعام الضيوف، بالقرب من مكان موقد النّارالّذي أصبح علامةلا تخفى، ثم يذكر الدّيار بمن كان بها تلك الأيّام، من فرسان القبيلة الّذين كانوا يذودون عن حمى القبيلة ويُرحّبون بالضيوف وهم مبتسمون، ويفرجون كربه من فرغ زاده ومركوبه ، فلا يشعر الغريب بينهم بعوز.

والشّاعر عمرو الجنجان (*) من الشّعراءالّذين وصفوا الأطلال وبكوا عليها، اخترنا من قصيدة زجلية له هذه الأبيات[4]:

خَطَّ رْتِي يَا دَارْ لهُ مْ يَّ قَبَلْ الْخَاطْرْ نَاسِيهْ[5]

بَعَدْ هَاوْنْ جَرْحَه وَنْضَمْ قَضْ غُوَنْ قَلِّ لْ وَالِيهْ[1]

---

(١) حين: زمن، ما قابلش: لم أر ولم يقابلني، مسرب: طريق، غابي: غير ظاهر.
(٢) المناصب: الأثافي، مكابي،: سقط على وجهة، جالة: جانب، التركينه: من ركن مال وسكن.
(٣) شرهابي: فرح بشوش، نافض:الّذي انتهى زاده جاءت من نفض الثوب، عوينه: ما أستعان به من زاد.
(*) عمرو الجنجان، ولد في منطقة سرت وتوفى بها أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، عاش بين اخواله القذاذفة،عائلة أولاد عمر، وينتسب لقبيلة أولاد وافي وهو من كبار الشّعراء بالمنطقة الوسطى، انظر كتاب الشعر الشعبي، المجلد الأوّل، د.على برهانه، ص٣٧
(٤) المصدر نفسه ، ص١٦٦.
(٥) الخاطر: العقل.

بَعـــدْ مالْنـــا قْبـــل افْطُـــمْ شَـــرَفْ تَـــاقَنْ لْوَهـــأم عَلِيـــهْ(٢)

خْطَـــرْ مُـــولَى الْعِـــرَبْ اصَّـــلْيم طَـــا حَـــايرْ قِيظَـــه رَاميـــهْ(٣)

يخاطب الشّاعر الدار الّتي كانت سبباً في تذكّره لصاحبته، بعد أن اصبحالجرح الّذي تركته فيه يشارف على الشّفاء، عاد إليه من جديد ، وأنّ ذاك المولود فُطم– وهو الحب – فظهر له من جديد بعد أن وقف على الدّيار ،وعادت له الصّورة القديمة، صورة المحبوبة وهي ترتدي الحلي والعقود الّتيتصدرأصواتاً تشبه أصوات القطا العطش الحائر في مورد الماء في يوم شديد الحرّ، ثم يستمرّ:

خَـــلاَ لَمِلكنَّـــه فِيـــهْ بَـــرَمْ عَلَـــى بِيـــتْ سْمَاحْسَـــادِيهْ(٤)

ولاَ دَارْ بَتْ اَويـــــتْ رُ ـــــمْ وَسَـــايدْ عُـــوَرْجهْ مْ بِيديـــهْ(٥)

زَعَـــمْ ويـــنْ رَحِلَـــه سَـــقَّمْ زَعَـــمْ ويـــن تَ بَاعَـــدْ ذَارِيـــهْ(٦)

زَعَـــمْ رَاحِـــلْ وِالاَّ قَـــايمْ زَعَـــمْ ويـــن الْيـــوْم جَلاَوِيـــةْ(٧)

يصف الشّعرالبدويّ أحياناً المحبوبة بصفة المذكر هروباً من الضعف أمام الحب، والنساء عموماً، ويقول عنها:المحبوب بدلاً من المحبوبة والعزيز بدلاً من العزيزة وزيادة لفظ "أبو" بدلاً، من "أم" كقولهم (أبو غثيث) أيّ شَعْر. وأبو دور وهكذا .

---

(١) هاون: خفّ وسهل، ٌلضم: شارف الجرح على الشفاء، نقض: نقض العهد ومرضه عاوده، غونن: من المغنى مقصود واحد المغاني وهي المواضع الّتي كان بها اهلوها.

(٢) فطم: فُطِمَ، تاق: بمعنى ظهر ووضح، لوهام: الدّيار لتوهمه ايّاها.

(٣) خطر: خطر بالبال، العرب:الحلّي، صليم:صلصلة الحلّي صوتها، حايرة من الحيرة، قيظة: القيظة الحر، راميه: أتى به.

(٤) خلا:لفظ تدل على الأسى والحسرة، كنّه: كأنه، برم:دار دوراناً، سماح: جميل وحسن، مساديه: من تسوية الثوب وحياكته.

(٥) دار: صنع وعمل، بتاويت: جمع البتات بالفتح متاع البيت، رقم:من رقم الثوب زينّة، وسايد: جمع الوسادة عورج:الانعطاف يميناً وشمالاً والمراد الزينة والزركشة بالحياكة والطرازة.

(٦) زعم: من زعَم بمعنى هل تظن؟ وين: أين، رحيله: المكانالّذي ارتحل إليه وأداة رحيله، سقم: سار واتجه، ذاريه: نسله وربعه وقومه "يعني المحبوبة".

(٧) راحل: ارتحل، قايم: قائم بالمكان، جلاوية: الاماكنالّتي لجأ وجلاء إليها.

وهنا يتحسّر الشّاعر على بعد محبوبته، وكأنّها لم تكن بهذه الدّيار في بيت صنع من الشّعر بإحكام، وكلّ متاع البيت من النوع الفاخر بما يحمله من زينة وزركشة قامت على صناعته بيدها ، ويعود بعد تحسّره إلى السؤال عن محبوبته وعن ديارها وأين أتّجه الركب في رحيله؟ وهل هو قريب أم بعيد؟ وهل هو مستقر اليوم في مكان ما أم مستمرّ في رحيله؟وأين تكون دياره اليوم؟ وهذا الأسلوب الإنشائي الاستفهامي الغرض منه إظهار الحسرة والأسى والحزن والفراق ويسترسل في وصفه للديار:

جَبْرَ عَقْلِي سَاعَةً واهْتَدَم خَطَرَ حَالَ زَمَانٍ أمْبَكِيهْ[1]

لَقَى نَايَهْ وَدِيارَاقْدَم اجْدِدْ غيرَ السَّافِي غَاطِيهْ[2]

حَدَرَ مَعْ الْعِينْ اشَرَّم تقاوى بِالسِّيلْ سَوَاقِيهْ[3]

أخذ العقل ساعة من الزمن يتذكّر ويعيد الذكريات القديمة الّتي كانت سبباً في بكائه ونحيبه لما وجده من بعد وتقادم الدّيار، وكأنّها لم تكن قديمة، وكأنه جديد العهد بها لولا الرّمال الّتي غطّت كلّ شيء، وتغّيرات حدثت بسبب عوامل الطبيعة ممّا زاد الدُّموع الّتي أنهمرت كالسّيول الجارفة جرت بها السواقي والأودية وشقّقت الأرض لكثر تدافعها، ويستمرّ في وصفه:

وَيَا دَارَةْ دَرْجَاحَ الْكَمْ اجْعَنْ بَعَدْ غُيَابَهْ تَارِيهْ[4]

اللهْ يَعْطِكْ مَا زْقَ يَغْشَمْ قَوِي سِيلَهْ الْفَارَغْ مَالِيهْ[5]

ويعود منادياً الدّيار في إضافة الدار إلى المحبوبة ، مكّنى عنها بطول ثيابها، ويدعو الله أن يلتقي محبوبته بعد هذا الغياب الطّويل ويكحّل برؤيتها عينيه، ثم يختم على عادة العرب بالدعاء على الدّيار بالمطر والسيول العظيمة القويّةحتّى يمتلئ كلّ مكان فارغ.

---

(١)جبد: تذكر وخطر بالبال.
(٢)ناى: بعد، إقْدَمْ: قديمة، السافي: التراب الّذي اذرته الرّياح، غاطيه:غطّى تلك الدّيار .
(٣)حدر: نزل وسكب، اشرم: التشقق والسيول، تقاوى: زاد غزارة وقوّة، سواقي: جمع ساقية.
(٤) درجاح: من التأرجح، اجعن:اللّهم اجعل، المراد به الدعاء، تاريه: من رأى بمعنى أن تنظري إليه .
(٥) يعطك: يعطيك، مازق: مزق الثوب والقطع والمراد السيل والمطر، يغشم: قوي يضرب كلّ شيء.

ثانياً : وصف الرّحلة:

يخضع الشّعرالبدويّاللّيبّي للشروط الّتي يخضع لها الشّعرالعربّي الفصيح، من حيث الأوزان والقافية والتفعيلة، ويحاكي الأسلوب ذاته في بناء القصيدة والوصف والمواضيع المتناولة، علاوة على ما في الشّعرالبدويّاللّيبّي من إيقاع موسيقي تكاد بعض القصائد تعزفه عزفاً .

ويتناول الشّاعر البدويّ الليبّي ما يتناوله الشّاعرالعربّي الفصيح من تعدّد الأغراض في القصيدة الواحدة أو المطولة الواحدة فيقف على الأطلال ويبكي ويصف الرّحلة والراحلة والطريق وكلّ ما يمرّ به في رحلته. ويكثر وصف الرّحلة في الشّعرالبدويّاللّيبّي ابتداء من الرّحلة القديمة عن ظهور الإبل والخيول إلى الرحلات الحديثة عن طريق السّيارات والطائرات وإن كانت الأخيرة أقلّ صدقاً وعاطفة.

يصف الشّاعر المتاعب الّتي تصادفه في رحلته من طول الطريق وما كابده خلالها والمشاقّ الّتي واجهته، كعادة العرب قديماً ، ثم ينتقل إلى موضوعه الّذي قطع كلّ هذه المسافات من أجله.

فالشّاعرعبد الواحد الجنجان(*) في وصف رحلته إلى محبوبته اخترنا منها هذه الأبيات الّتي تعبر عن وصف الرّحلة عند الشّاعرالبدويّاللّيبّي(١):

دُونِـــكْ كَـــمْ مـــن دُوْرْ وقُـــوْر وْكَـــمْ جَبْلْـــدَارْ تضـــاريسْ(٢)

بُيـــانْ اسْـــوْدْ دايْـــرْ نَمْثُـــوْر اسْـــوَدْ مِـــنْ لُـــونْ للّيلطَلـــيسْ(٣)

مَشْـــيَةْ ثِمـــنْ أَيَّـــام جبُـــوْر ومَـــا قَـــابَلْنِي فِيـــهْ وَرِيـــسْ(٤)

(*) عبد الواحد عبد اللطيف الجنجان، ولد حوالي سنة ١٨٨٩م وتوفي بالبحيرة في مصر مهاجراً سنة ١٩٥٩م وهو ابن عم الشّاعر عمرو الجنجان الّذي سبق التعريف له ، ينتسب إلى قبيلة أولاد وافي بالوسطاللّيبيّ، انظر قصائد الجهاد ، ج١، ص٧١.

(١) الشّعر الشعبي، الجزءالثّاني، د.علي برهانه، ص٦٧.

(٢) دونك: بعدي عنك وما يفصلنا عن بعض، دور: سلسلة جبلية طويلة، قور: مرتفعات أو جبل صغير، دار تضاريس: له تضاريس.

(٣) يبان: يظهر، دمثور: الدماثر: السهل من الأرض، وأرض دمثر: سهلة،انظراللّسان، مادّة "دمثر".

(٤) مشية: المسير إليه ، جبور: اجباري، ما قابلني: لم اقابل فيه، وريس: اورس الرمث أيّ اصفرّ ورقه بعد الادراك، أيّ لا منبوت فيه،انظراللّسان، مادّة "ورس".

يصف الشَّاعر المسافة الطّويلة الفاصلة بينه وبين محبوبته موجّها خطابه إليها، وكم كابد خلال هذه الرّحلة من مشاق تلك الجبال والمرتفعات المتوالية الّتي تربطها ببعضها سلاسل جبلّية كبيرة حيناً وصغيرة أخرى، وتضاريس مختلفة، وهي تُرى من البعد سوداء كالليل الدامس، وَقْطُعها يحتاج إلى سير متواصل لا يقل على الثمانية أّيام بأرض جرداء لانبات ولا شجر فيها، ولا طريق يصل بين هذه الصّحاري والأراضي المتباعدة، ثم يذكر الرّاحلة وماذا يجب أن يتوفر فيها من قوله:

الْغَايَـــةَ غِيـــرْ عَلَـــى زَعُمـــوْرْ مـــوَازِي مِـــنْ دَرْزْ عَلاَلِـــيسْ(١)

اللِّـــي مْرَبَـــعْ فـــي اْوَهَـــامْ غُـــرُوْرْ وَنَـــايشْ خَبْطَـــاتْ بَخَـــاذِيسْ(٢)

وَمَـــا عُمْـــرَهْ جَابَـــهْ مَجْـــرُوْرْ لِّـــي مَبْـــوتَـــهْ حَلْـــفِ وديـــسْ(٣)

وفُوقَـــهْ عَيِّـــلْ زِيـــنْ جَسُـــوْرْ وَمَـــا يَخْبَـــرْ كَـــانْ عَلَـــى الْقِـــيسْ(٤)

بعد أن ذكر الشَّاعر تلك المسافات الشّاسعة والأراضي المختلفة بين صحاري وجبال فلابدّ له من راحلة قادرة على طي الصّحارياالشّاسعة، فهو يصف اختياره لجمل سمين شديد القوة قليل الوبر، تم انتقاؤه من الإبل الغليظة الشديدة الّتي تركت لفترة طويلة ترعى الكلأ بالقرب من منطقة "غرور" وهذه المواقع أصابها المطر لعدّة فترات متوالية خلال عام مطير، وهذا الجمل لم يقترب من مواقع السّباخ الملحة والقريبة من القرى ومواقع سكن الآخرين، ولا المواقع الّتي يكثر فيها نبات "الديس" وهو من منبوتات الأراضي شديدة الملوحة والمواقع الّتي تكثر بها المياه

(١) الغاية: تفيد التمني والافضلية، زعمور: سمين قليل الوبر لسمنه يقول ابن منظور: زعر الشعروالريش والوبر زعراً وهو زعرٌ، ما زعر: قل وتفرق،انظراللّسان مادّة "زعر"، موازى: مختار ومنتقى، درز: مجموعة من الابل، علاليس: رجل وجمل عليسيّ أيّ شديد، انظر السان مادّة "علس".

(٢) مربع: قضى فصل الرّبيع، أوهام: أماكن، غرور: اسم موقع، نايش: تناولته، خبطات، جمع خبطة بمعنى ضرب المطر للأرض، بخانيس: مطر قليل يعاود من حين إلى اخر يقول ابن منظور: البخس ارض تنبت بغير سقى... والبخس من الزّرع بما لم يسق بماء عدٍّ انما استقاه ماء مطر،انظراللّسان مادّة "بخس" .

(٣) عمره: طيلة حياته منذ ميلادهحتّى الممات، جابه: اتى به، مجرور: لم يجر الماء ولم يكن من ركائب القوم، انظراللّسان، مادّة "جرر".

(٤) عيل:تطلق على الشاب المتكامل كما تطلق أحياناً على حديثي السّنّ، زين: جميل الفعل والمظهر، القيس: من القياس ومعرفة الأرض وتقدير مسافاتها.

دائمة الجريان، ولا المواقع الّتي يكثر بها نبات "الحلفاء" وهو نبات يكثر بالمرتفعات غير البعيدة عن السواحل البحرّية، وهي نباتات ولا تصلح لرعاية الإبل، ثم يعود الشّاعر إلى وصف الجمل الّذي يعلو راحلته شاب جسور شجاع ويعنيالشّاعر هنا "نفسه" ، لأنّ البدو لا يفضّلون قول "أنا"، وهذا الشاب ليس خبيراً الخبرة الكافية بالأراضي الّتي يقطعها، إلاّ أّنه أخذها عن طريق السمع، ومدى خبرته بالأراضي الأخرى الّتي تشبه هذه الأرض، وبعد أن وصف صعوبة الأرض ووصف الّراحلة يصل إلى وصف الّرحلة:

ـَقَدْ فِي الْيُوم الْشْهُوْر لِّي صبحّيْة يُوْم خَمِيسْ[١]

يا فَوَّجْ كِيف الْبابُوْر عَ دَرْب اْيدِيْر امَّاحِيصْ[٢]

مِنْ لِبْلاَدْ اذِينْ اثُوْر يْخَرّصْ فِي اتَه تَخْرِيصْ[٣]

اْيكُونْاَبَاتَه رِدَّ الدُّوْر لِّي يكْفِي عَلْ لُبَّاذِيسْ[٤]

بعد أن انطلق به الجمل صباح يوم الخميس–هذا اليوم الّذي يتبّرك به أهل البادية في رحلاتهم وأعراسهم– وهو مسرع كالمركب في هدوءه المعتاد مع تلك الدروب، ومقدّر للمسافة، والمكان الّذي سيبيت فيه، وهو على تقدير الشّاعريكون بالقرب من منطقة "الدور" الّتي تعلو منطقة "لُبَّانيس"، وتستمّر الّرحلة ووصف الشّاعرلها إلى أن يصل ديار محبوبته ثم ينتقل إلى غرض آخر وهكذا.

---

(١) اسّقد: انطلق، صبحية: صباح.

(٢) فوّج: السرعة، يقول ابن منظور/ الافاجة: الاسراع والعدو،انظراللّسان مادّة "فوج". البابور: المركب، درب: طريق، اماحيص: السرعة يقول ابن منظور: محص الصبي في عدوه يمحص محصاً: اسرع وعداعدواً شديداً،انظراللّسان " مادّة "محص" .

(٣) امنين : عندما أو حينما، يثور: ينطلق ويندفع كثورة البركان، خرّص: تقدير وتحزير بظن لا إحاطة،انظراللّسان مادّة "خرص" .

(٤) ردّ الدور: بالقرب من الدور وهو اسم موقع، يكفي: يميل ويعلو، عَلْ: على، لبّانيس: اسم موقع.

ثالثاً : وصف الإبل:

للإبل عند العرب مكانة خاصّة، ومنزلة في نفوسهم تكاد تصل إلى درجة التقديس، إذ يعتمدون عليها في مختلف شؤون حياتهم، في ظعنهم وإقامتهم، مطّيةً ورفيقاً في السفر، وهي مصدر زرق لهم من أكل وشرب وملبس وسكن، لهذا أخذ الشّعراء موضوعاتهم منها، يتناولونها في قصائدهم وأراجيزهم ، يتغّنون بها ويتبارون في وصفها وذكر محاسنها وخصائصها، وصفة أعضائها، وطريقة سيرها، ووصفوها وصف الصاحب لصاحبه لكثرة ارتباطهم بها، فهي رفيقة دربهم في سفرهم عبر الصّحراء، وهي مصدر قوتهم، فوصفوا سيرها وسرعتها وتنّقلها وتحملّها كما سبق ذكره، ووصف الشّاعر الجمل كفحل بين الإبل، وطريقة سيره بين الّنوق وشقشقته ، وهديره، والأصوات الّتي يصدرها، ووصفوا فوائدالإبل فرادى وجماعات والشّاعر عبد الباسط محمد عنية(*)من الشّعراء المعاصرين الّذينأسهبوا في وصف الإبل، حيث قال في الفحل(١):

مَعهـــا هَـــايِجْ بـُ ـــوفَطْرِينْ اْزَرَقْ مَـــاطَقُّوا فِيـــهْ عْقُـــلْ(٢)

عَـــى مَالَـــهْم النِّـــي سَـــمِينْ ـَكَعَّـــمْ مَـــا عَـــاشْ يـُنْقَـــلْ(٣)

اْمَعَّـــدْ ضَـــلِقي فِـــي الْعِـــرْنِينْ وْخَشْـــمَه فِـــي الْمِـــزْن اْيطَـــاوَلْ(٤)

وْرَأسَـــه اْقُـــوَل زِيـــرْ دَفِـــينْ ضَد ـــــخْ مَّـــــه الزِّيتْ اْمَغَّـــــلْ(٥)

وصف الشّاعر في بداية القصيدة الإبل عموماًحتّى يصل إلى وصف فحل الإبل الهائج زمن موسمالتّزاوج، وقد بزغ نابه منذ سنتين ، ولونه ازرق، غليظ الركب ، لم يحط

(*) تم التعريف بالشاعر.

(١) الدّورة التثقيفية الاولى ص٦٠-٦١.

(٢) بوفطرين: الجملالّذي بزغ نابه سنتين، يقول ابن منظور: وفطر ناب البعير يفطر فطراً: شقّ وطلع فهو فاطر انظراللّسان مادّة "فطر"، ما طقوا: لم يحط به، عقل: جمع عقال الإبل.

(٣) الذّي: اللحم والشحم، تكعّم: امتلئ سمناً، ما عادش ينقل: لم يتحمل جلده من حمل اللحم والشحم أكثر من ذلك.

(٤) معدّد: عنيد، خشّمه: أنفه وهي عربيّة أيضاً.

(٥) زير: إناء يضع فيه الماء والزيت وهي عربيّة، انظراللّسان مادّة "زير" نضخ: من الضخ، منغل: فياللّسان الفساد، وهو خروج الزيت من مسام الزير، انظراللّسان مادّة "نغل".

العقال بركبتيه لعظمتهما بقدر ما يحمله من لحم وشحم حتّى أنه لم يتحّمل أكثر من ذلك، وهو جميل الرأس والعرنين، وافي الأطراف طويل القامة، ذو رقبة طويلة وكأنّ أنفه يطاول عنان السماء، وله رأس كبير كأنّه زير مملوء بزيت الزيتون ودفن بالأرض لأجل التّخزين، ومن عادة الزير أن يتسرّب من مسامّه الزّيت، ويختلط بالتّراب على ظهره ، وبهذه الصّورة يشّبه رأس الجمل الّذي يخرج من مؤخّرته عرق أسود يختلط بالوبر ، فالصورة قريبة إلى حدّ كبير لمعرفتنا بالصّورتين عن قرب، ويستمرّ الشّاعر واصفاً :

وعَقْرتَهُ خضْراي عَجِينْ مُقَشَّرْ بِرْسِيلْ مَهْمُولْ[1]

كَما قُدْرِ اجْوادْ سَخِّينْ لِّي لِسْتْ أثْمانْيَقِلْ[2]

نَزَلْ عَرَقَهُ دَارْ خَراطِينْ بِلُونْ القُطْرانْيِاذَلْ[3]

كَما نْعَهُ سَالَتْ م الْعِينْ غْبِنْ فِيهَا زُوزْ مَكَاحِلْ[4]

يعيد الشّاعر وصف مؤخرة الرأس من الفحل ولكن بمشّبه به آخر، فشّبه مؤخّرة رأس الفحل الّسوداء بعجين التمّر من نوع "الخضراي"الفاخر الّذي مُزِّقَ وعاء حفظه "البرسيل"، ثّم يعيد التشبيه مرّة أخرى بالقدر الكبير الّذيلا يمتلكه إلاّ الكرماء ، لأّنه يحمل من الدقيق "ست أثمان ٨/٦"وهو مكيال لّيبي معروف، وهذه الكمّية من الّدقيق لا تحملها كلّ القدور، وهذا النوع منها لا تمتلكه كلّالّناسإلاّ الكريم وميسور الحال فقط، ويشّبه العرق الأسود الّذي ينزل من مؤخرة الرأس بالقطران حينا وبالدموع الّتي نزلت من عين حسناء حملت من الكحل وعائين، فكيف يكون لون هذه الدموع وهي تسيل على خدأسيل أبيض؟ ثم يسترسل في وصف الفحل:

---

(١) عنقرته: تطلق فياللّهجةاللّيبيّة عن مؤخرة الرأس من الخلف، خضراي عجين: عجين التمر من النوع الخضراي، حدث فيها تقديم وتأخير، برميل:وعاء لحفظ التمر يصنع من سعف الّنخيل..

(٢) ست أثمان: وعاء كيل يكتال به الدقيق، يقل: يحمل.

(٣) دار: ظهر وأصبح، خراطين: خيوط من العرق تشبه الديدانالطّويلةالّتي تتواجد بالطين كما ورد فياللّسان مادّة "خرطن"

(٤) غبن: من غبا: خفى بها وحملت وعائين من الكحل، زور: من زوجين اثنين من الأوعيةالّتي تحمل مادّة التجميل الكحل المعروف

خَفَافَ ـــــهْ اـــــولْ قَنـــــاذِينْ عَـــى اْرضَـــافَهْ لَـــاَنْ بَمهَ ـــلْ[١]

اْمِـــينْ يُـــدَّلْ فِـــيهُمْ لِـــينْ ـُ ـــلَّـــي تَحْتَـــه يُقْتَـــلْ[٢]

وِكْرِكْوتَـــه حُـــوزَةْ لِيـــدِينْ تَواصِـــيفْ لقَرْمَـــةْ سَـــرْولْ[٣]

وْذِيلَـــهْ لِيـــا صَـــارْ التَّشْـــوِينْ إْمَعـــبَّسْ فِـــي الْعُقُوبَايِجِـــلْ[٤]

شبَّه الشَّاعر خفاف الفحل بالرّغيف الدائري الكبير المعروف عند أهل البادية بخبز الملَّة" أو "الرضافة" والأخير ينضج بهدوء على رضافة وهي حجارة حُميت بالنار، وخفاف هذا الفحل عندما يمشي على الأرض تطحن كلّ ما تقع عليهحتّىالزواحف والأفاعي، أّما زوره فهي تشبه "القرمة" من سوق "السّرول" وهي شجرة كبيرة عظيمة تغرس بالغابات وعلى جانبي الطّرق، وهذه الخشبة الدائرية الكبيرة المعروفة بـ "القرمة" لا تلتقي حولها كلتا اليدين لعرضها وضخامتها وغالباً ما يستعملها اللّحام أوالجَزَّارلتقطيع اللّحم، فزور الفحل يشبه هذه القطعة من الخشب. وينتقل إلى وصف ذنب الفحل وهو يضرب عرقوبهفي ضربات منتظمة ، وما يحمله الذنب من بول وعبس إلى العرقوب ومؤخّرة الظّهر أّنه دلالة على هياجه وذكورته واستعداده لموسمالتّزاوج. ويستمر في وصفه:

يْمِيـــزَرْ مَـــا حَاسَـــبْ حَيِّـــينْ واجَـــه مالْقَـــاذُوذْفِي حِـــلْ[٥]

زَنِيفَـــهْ وِيـــنْ يْـــدِيرْ رَطِـــينْ هَـــدِيرَه فِـــي الأَرضْ يْزَلْـــزَلْ[٦]

رْعُـــودْ النَّـــوَّه فِـــي السَّـــتِّينْ صَـــدَاهُمْ جَـــاوبْ بِـــينْ اْنْخُـــلْ[١]

---

(١) قَنان: القنة في العربيّة هو الجبل الصغيرة، وقيل الجبل السهل المنبسط على الأرض، وقيل هو الجبل المنفرد المستطيل وقيل هي القارة أو الأكمة، وفي اللّهجة البدوية اللّيبيّة تطلق على رغيف الخبز المدوّر الّذي نضج على الحجارة من باب التّشبيه، الرضافة:الحجارة الّتي حميت بالشمس أو النّار واحدتها رضفة، انظر اللّسان مادّة "رضف" .

(٢) امنين: عندما أوجين، لين: إلى أن وجاءت هنا بمعنى "حتّى" ، الهوش: الزواحف من أفاعي وثعابين.

(٣) كركرة: زور البعير والناقة وهو الصدر، قرمة: القرم ضرب من الشجر... يشبه شجر الدلب في غلظ سوقه، وبياض قشرته، انظر اللّسان مادّة "قرم"في اللّهجة اللّيبيّة القرم وهي قطعة من سوق الشجر الغليظ يستعملها اللّحام لقطع اللّحم ، سرول: نوع من الشجر تصنع منه تلك القرم.

(٤) ذيله" ذنبه، التشوين: حدث فيها إبدال عن" التشويل" في بعض المناطق بليبيا، فالشول: رفع الذنب، امعّبس: ما يبس من بقايا البول والبعر بذنب الفحل، يجل: يضرب.

(٥) ايميزر: يمشي في كبرياء وخيلاء وشجاعة، يقول ابن منظور: المزير: الشديد القلب القوي النافذ،انظر اللّسان مادة "مزر" ماو: غير، حيّين: أحياء، خواجةلفظة دخيلة على اللّهجة اللّيبيّة تعني الكبار والاغنياء.

(٦) زنيفتستعمل في اللّهجة اللّيبيّة بالصوت الشديد، رطين: الكلام.

زَرَكْ نَابَـــه جَاتَ ـــهْ فِـــي الْحـــينْ مَجَاسِـــــيْر هَـــــوَادِىْ وخْـــــولْ(٢)

يصف الشّاعر الفحل وهو يسير بين النوق في كبرياء وخيلاء وشجاعة ، ولا يترك المجال لإحداها أن تبتعد أو تخرج عن القطيع، ولا يسمح لغيره بالاقتراب منها، ومن مرعاه أو قطيعه، ولم يحسب حساباً للأحياء من حوله، وكأّنه من أكابر القوم وسادتهم وأغنيائهم "خواجة"، ولا يخضع لأيّ قانون، فهو في حلّ من كلّ القوانين.

وتسمع له أصوات مختلفة ولغات لا تفهم يتخللّها هدير قويٌ تتحرّك له الأرض تحت الأقدام كالزلازل، ويشّبه هذا الهدير مرّة أخرى بالرعود القوّية الّتي تأتي مع فصل الخريف في "نّوة السّتيّن" وتكون في اليوم الستين من فصل الخريف ، وهي معروفة عند البدو بشدة رعودها وقوتّها لأّنها تأتي في فترة حارّة إلى حدّ ما، لهذا تكون رعودها وبروقها أشدّ قّوة ولمعان، وتسمع للفحل صفيراً نتيجة لحركة نابيه ببعض عقب هديره، حينها تأتيه النوق طالبة رضاه متغزّلة به من كلّ القطيع ابتداء من أكثرها شراسة إلى أكثرها هدوءاً.

وينتقلالشّاعر يعدّد فوائد الإبل على الإنسان قائلاً :

مْنِـــيْنْ ا ْيصِـــيْر الْمِيْرضَـــذِيْنْ و ْيفْضُـــوا لْصَـــارْ وَلْعُقُـــلْ(٣)

ـــرَّجْ عَ اللّـــي مُحْتَـــاجِيْنْ منـــيْنْ عَلَـــى الْقُرطَاسْـــاتْهِلْ(٤)

ْيلاَقُوهَـــا الـــذّْر دَاويـــنْ فَـــرُّوا اُـــولْ طْيُـــور حَجَـــلْ(٥)

ْوهِـــي مِـــنْ تَزْعَـــبْ لْمَّـــاعِيْنْ ابـــدَر بَنـــيِنْ اقُـــوْل عَسَـــلْ(٦)

---

(١) النوّه: احد النوّات المعروفة عند البدو من الليبيين وهذه احداها، تعرف بنوّة الستين وهي الستون من فصل الخريف، تأتي بالمطر المصحوب بالرعود القويّة ويعرفها البدو من خلال تجاربهم، انْخُلْ: ما بين الجبال من الأراضي المنبسطة.

(٢) زرك: صوت ناب الفحل، عندهياجه تسمع له صفيراً، والعرب تطلقها على الخشبة الّتي يقبض عليها الطاحن اذا اراد الرّحى، انظر اللّسان مادّة "زرك" وهو قريب المعنى، جاته: جاءت إليه يعني النوق مجاسير:النوق الّتي تطلب الفحل.

(٣) امنين: حينما، المير:الطّعام، ضنين: قليل، يفضوا: يقل وينتهي، لمصار:قلة اللّبن، لمصار:التمصر القليل من كلّ شيء، انظر اللّسان مادّة "مصر"، لعقل: المخزون من الشعير والقمح تحت الأرض عند البدو وابن منظور يقول:عقائل الإنسان كرائم ماله انظر اللّسان مادّة "عقل"

(٤) ع اللي: على الّذين، ٌامنينْ: عندما، القرطاس:الطّويل من كلّ شيء والمعنى هنا المرتفعات من الهضاب، ابن الاعرابي: قرطاس:الذّاقة اذا كانت فتيّة شابة انظر اللّسان مادّة "قرطس".

(٥) الّذر:الاطفال الصغار، جاءت من الذرية، وذرية الرّجل ولده، انظر اللّسان مادّة "ذرر" دواوين: من دواوين حدث بها ابدال، أيّ في جماعات، ايفرُّوا، تستعمل للسرعة والخفة في النهوض والجري، يقول ابن منظور:رجل فزت أيّ خفيف، وأيضاً بمعنى الفزع والازعاج انظر اللّسان "فزز"، تقول: اداة تشبيه بمعنى "ك" أو مثل.

(٣) تزعب: تملأ الأواني، يقول ابن منظورزعب الإناء يزعبه زعباً ملأ، انظر اللّسان مادّة "زعب"، الماعين: الاواني، دَرّ: لبن.

يقول الشّاعر: للإبل فوائد جمّةَ، فهي من يفرّج ضيقة المحتاج عند قدومها وهي حاملة المؤن من تمر وقمح وشعير – بعد أن يفرغ المخزون ويصبح الطّعام قليلاً – وهي من يفرح الأطفال عند قدومها من الأسواق،حاملةكلّ ما اشتهى وطاب، فعندما تهلّ وتشرف على الدّياريستقبلها الأطفال عن بعد كالطيور وهم فرحون، ليجدوا عندها ما يشتهون ويحبّون، وهي من تملأ الأواني لبناً لذيذاً يشبه العسل ويصل إلى كلّ بيت،وهي من يعطي دون أن تتجمّل أو تمنّ:

اسوَّت فَي فَارَغْ لِيدينْ لاَ تْمن وْلاَ تَجَمَّلْ[1]

وهِي تِجبدْ لِلْوَرَّادِينْ للِّي رَشَاهْثَلاَثَة انْفَتَلْ[2]

حيث تعطي للمحتاج الّذي كنّى عنه بـ " فارغ اليدين" ولا تمنُّ على احد، وهي أيضاً تستخرج الماء من الآبار العميقة للوارد العطش، بدلاء فتل رشاؤها على ثلاث وأربع مرات لكي تحمل تلك الدلاء العظيمة، وهي أيضاً :

وهِ يَّ وِين الْغَبَّاطِينْ تشوّب رُوبتْهُمْ تْقَلْ[3]

امزَّقْ فِي كَالِيسْ الطَّينْ وَرَاهَا بُوسَگَه يْنزَلْ[4]

و هِي مَرْكُبْ للرَّوَّدِينْ وْهِي بيها الْغَاشِي يْحَلْ[5]

وهي من تحمل المؤنة وحبوب البذر عند سقوط الأمطار بأماكن بعيدة، وهي الّتي تقوم بحرث الأرض وتمزيقها يميناً وشمالاً –على سبيل الاستعارة– بمحراث خلفها ينزل في الأرض الطّينيّة والرّملية لا يهاب ما على وجه الأرض من شجيرات ونباتات، وهي من

---

(١) اتقوّت:من الْقُوْة أيّ تعطيهم اللبن.

(٢) جبد: من جذب إليه واخذه بقوة، الوّرادين:من يأتي بالماء من موارده.

(٣) الغبّاطين: الغبط: السرعة في قضاء الحوائج كالسير إلى مكان بعيد كأن يسير إلى الحرث والحصاد عند البدو لكي يسبق الآخرين، قال ابن شميل:سير مغبطٌ ومغمطٌ أيّ دائم لا يستريح، وقد غبطوا على ركبانهم في السير، وهو أن لا يضعوا الرحال عنها ليلاً ولا نهاراً ، انظر لسان العرب مادة (غبط)، الروبة: ما تحمله الإبل من مستلزمات وأواني يحتاج إليها.

(٤) كاليس: الأرض الّتي لم تحرث من قبل حتّى اختلط رمالها بطينها وهي أرض جديدة خصبة عند البدو، بوسكه: المحراث، وراها: خلفها.

(٥) الروّاد: هو الرّجل الّذي يخرج إلى ريادة الأرض الخصبة المراعي والديار الممطرة وغيرها، الغاشي: المحتاج المعدم المظلم مجازاً.

تحمل الرائد الّذي يرود الّيار بحثاً عن أماكن سقوط المطر ومواقع الكلأ والمراعي الخصبة، وهي من تحمل الّناس وأدواتهم خلال رحيلهم من مكان إلى آخر، وتحمل أدوات الحرث والحصاد، وتنقل الغلال من مكان الحصاد إلى مكان تخزين الحبوب، وأيضاً هي:

وهِـــي مِـــنْ بِيهـــا الْخِيـــريينْ اصَّـــــدُّوا لِـكِيـــــدْ الُمْخْتَـــــلْ[1]

الْيـــلْ لِـيَنـــا مِيـــرَاثْ ثَمِـــينْ يـــزَه لِـــنْ يِـــوفَى الأَجَـــلْ[2]

شَـــهِرة فِـــي الـــدّنيا والـــدِّينْ نَكْوَهـــا رَبِّـــي قَبـــلْ اكُـــلْ[3]

فهي أيضاً من أدوات الحرب، حارب بها الأجداد جحافل الاحتلال الإيطالي، فكانت المدّرعة والدّبابة وحاملة الجنود وحاملة العتاد تشقّ الأودية والجبال والصحاري الشّاسعة، وعلى كلّ الخطوط القتاليّة عن الميسرة والميمنة والمقدّمة والمؤخّرة وهي وعاء مؤنة المجاهدين من ألبان ولحوم، وملابس من أوبارها ، وأحذية من جلودها وأثاث بيوتهم، فهي ميراث ثمين لنا ولأحفادنا لا تخلّى عنها إلى أن تقوم الساعة، وهي أيضاً لها الفضل الأكبر في نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها فهي صديقة العربّي في الّدنيا والدين، وقد مدحها الله في محكم آياته قبل أن نمدحها نحن، وهذا في حدّ ذاته وسام كبير على صدر الإبل.

من الملاحظ أنّ الوصف الدقيق للإبل في الشّعرالبدويّاللّيبيّأعّم وأشمل منه في الشّعرالعربّي الفصيح، فأصبح وصف الإبل في الشّعرالبدويّاللّيبّي غرضاً مستقلاً بنفسه بعد أن كان جزءاً من قصيدة، بل تجاوز ذلك حيث أصبحت القصيدة الواحدة المتكاملة تكون في وصف الجمل فقط، وأخرى في وصف الّناقة وأخرى في وصف الإبل عموماً ، وهكذا لم نعهد مثل هذا التخصّص والخصوصّية في الشّعرالعربّي الفصيح.

رابعاً : وصف الخيل:

(١)وهي أداة الجهاد أيّام الاحتلال الإيطالي حملت السلاح والمؤن للمجاهدين وتنقلّوا على ظهورها من مكان إلى آخر.
(٢) لينا: لنا، ميراث: ورثناهاجيلاً عن جيل، لن يوفى الأجل، حتّى الممات.
(٣) ذكرت الإبل في القرآن الكريم أكثر من مرة.

الخيل من الحيوانات الّتي لها دور واضح وبارز في حياة البدويّ، فالخيل صديقة البدويّ في حربه وسلمه، ففي الحرب كانت وسيلة من وسائل القتال، وفي السلم كانت عنصراً من عناصر المواصلات والصيد والسباق والتسلية، فالبدوي أحبّ الخيل وجعلها كأحد أفراد أسرته، يعاملها معاملته لأبنائه، يقدّم إليها أفضل ما يملك من الطّعام، إلى درجة خلط الطّعام بزيت الزيتون، وأفضل الثّواب إلى درجة أن يربط لها ناقة حلوباً أو أكثر لكي يقدّم لها اللّبن بدلاً من الماء.

والشّعراء البدو الّذين وصفوا الخيول، أمّا أن تكون قصيدة خالصة في وصف الخيل وسرعتها، وإمّا أن تكون جزءاً من قصيدة كأن يذكر حصانه للوصول إلى من يحبّ،ولا يمكن أن يقطع الطريق إلاّ على جواد منتق توجد به عدّة صفات لا تتوفّر في غيره.

كما وصف الشعراء الخيل وسرعتها وخفّتها في العدو والحركة الدائمة، وقدرتها على التحمّل، ووصفوا ألوانها ، وميزة كلّ لون عن الآخر، وأسهبوا في وصفهم لأطراف الجواد، كقوّة وصلابة الحافر، وطول العنق والسّبيب والرّقبة وطول القوائم، وضيق الخصر وضموره، وسعة الصّدر واتّساع المنخرين، وصفاء العينين ونتوئهما وارتفاع الحارك، وطول الذراع وقصر العظم الّتي تفصل الحافر عن الساق ما يعرف عندهم بـ"القين" ،ورقّة الأذنين. ويصف الشّاعر أصل الجواد وكرم نسبه، وهناك من يصف معدّاتهمن سرج مذّهب، ووصف اللّجام وكلّ ما يتعلق به وبمستلزماته.

وهناك صفات عامّة معروفة لكلّ النّاسيجب أن تتوفّر في كلّ جواد، وهذه الأبيات من التّراثاللّيبّي خير شاهد على ذلك:(١)

عَـرِيضْ الْكَفَـلْ وَالصَّـدْرَ وَالمِسْـلاَنْ سِـبْرِ الظَّهَـرْ والْقِـينْ والْمُنْقَـارْ (٢)

طَوِيـلْ النَّصِـي وَالْغَـقْ وَالـدِّرْعَانْ و كمَّـلْ سَـمَاحَةْ لُـونْ وَاسْـتَوْبَارْ (٣)

فالبدو يحبّون في الجواد ثلاثة أشياء قصيرة وهي: الظهر، والعظم الفاصل بين الحافر والساق، وقصر المسافة بين الرأس والأنف. وثلاثة أشياء عريضة وهي: الكفل والصدر

(١) لمحات منالتّراثاللّيبيّ، أحمد أبو زيد المسماري، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م، ص١٧١.
(٢) المسلان: يشرحها الكاتب بعرض الجبهة، أمّا ما نعرفه في غرب ليبيا فالمسلان هو "الظهر" القين: العظمالّتي تفصل الحافر عن الساق.
(٣) النصي: من الناصية ويعني به السبيب، كمل: متكامل، سماح: جمال وحسن، استوبار: الوبر والشعر.

والجبهة، وثلاثة أشياء طويلة وهي: السّبيب بالّناصية والعنق، والقوائم، وهذا ما ذكرته هذه الأبيات التراثية.

والشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*) يتمّنى جواداً من سلطنة عُمان لجودة خيولها العربّية الاصيلة في قصيدة من الوزن الرباعي:(١)

الْمِنْيـــــــهْ كـــــــلّ بهَ ـــــــاجْ طِ يـــــــــهْ السَّـــــــــايسْ لاَجْ(٢)

وَجَ ـــــــــدْهَبَعـــــــــدْااعْلاَجْ نْخْلِـــ ـــــي مِـــــنْ عُمـــــانْ(٣)

فالشّاعر يتمّنى حصاناً عربياً جميلاً يسرّ الناظرين، ولكّنه وجده السائس الّذي يسوس الخيل ويعرف جيّدها–بعد جهد وتعب، وكان هذا الحصان من خيول منطقة النَّخلّة بتونس ينتسب إلى أصول عُمانّية، ثم يقول:

دَايْـــــر لَـــــهْ خَـــــدْماجْ وَرَّادْ ونْ وَبـــــــــــــــاجْ(٤)

مِنِ ـــــينْ نْ ـــــوِمي الْكُرَبـــــاجْ بَنَـــــهْ اِ ـــــوضَ الْـــــوَانْ(٥)

فالشّاعر جعل لجواده مجموعة من الخدم، أحدهم لإطعامه، وآخر للمورد، وغيرهم من المناوبينعلى خدمته، وهذا الجواد حرّ لا يطيق الحركة بالقرب منه، فحينما، يؤمي ءالشّاعر سوطه بالقرب من الجواد تجد الجواد يرتعدخوفاً لعدم تعّوده على الضرب، ثم يقول:

يَـــــكْ يُـــــوْم اهْـــــرَاجْ فِـــــي وَسَـــــطْ الْمِـــــدْهَاجْ(١)

يْـــــدُوا الْخِيـــــلْ امْـــــرَاجْ فِـــــي ا غْبـــــارْ الـــــدُّخَّانْ(٢)

(*) سبق التعريف بالشّاعر.

(١) ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي، ضو ربيع، ص٤٦.

(٢) مبهاج: من البهجة والحسن، السايس: الخبير بمعرفة الخيول، لاج: حدث بها قلب عن "جال" بمعنى التجوال: التطواف في البلاد.

(٣) علاج: بحث وتدقيق لمعالجة الأمر، دخلي: نسبة إلى منطقة الدخلة بتونس تشهر بالخيول الجيّدة.

(٤) داير: جعل له، خدماج: خادم وزيادة الجيم هو اللعب بالقافية يستعملها الشّاعر أحياناً، نوباج: هي أيضاً من التناوب على خدمته مع زيادة الجيم.

(٥) إمنين: حينما، وعندما، نومي: أومأت أيّ أشرت إليه بالسوط، الكرباج: السوط باللغة التركية، ينوض: يتغير.

(١) ريت: ليت للتمني بعد أن حدث بها ابدال، هراج: من الهرج وهي الفتنة والاختلاط، المدهاج: من الدهرج والدها مج والدهمج والدهنج: هي تقارب الخطو والسرعة.

يتمّنى الشّاعر على حصانه أن يكون حاضراً معه يوم الحرب في معاركه وهو مسرع بين الخيل المختلطة في المعركةحتّى لا يرى ما حوله إلاّ غبارالمعركة لشدّة القتال والضرب والدفع.

والشّاعرعبد الباسط محمد أغنّية(*)يقول في هذا الغرض:(٣)

عَـــرَبْ تْرْكَـــبْ كُـــوتْ و نَقْمـــاْر و جَنْجَـــــانْ وَمْكْـــــرُوم أصِـــــيلْ(٤)

نَمـــــاء وَاحـــــدْ مَـــــا فِيْهَتَـــــاْر نَسَـــــبْهَ ا مَعْـــــرُوفْ التّسِـــــيلْ(٥)

ا يْشَـــلْغِي مَـــا يْقُـــودوْه اصْـــغَاْر لِاَ يْقُـــــوْدَهْمْنْـــــوْه هَزِيـــــلْ(٦)

يفتخر الشّاعر في مطلع الأبيات بركوب قومه الخيول العربّية الأصيلة القوّية الّتي لا تهدأ أبداً، وهذه الخيول من سلالة واحدة فهي بنات بعضها البعض ولدت بالقبيلة، فهي ذوات دّم واحد لم يغثّر صفوه أيّ دّم دخيل، فنسبها معروف من الآباء والأّمهات، وهي صعبة المراس لا تهدأ أبداً ولا تنقاد بسهولة للأطفال وضعاف الأجسام، فهي تحتاج إلى الأقوياء الأشّداء، ثم يقول:

ســـــقْم لاَ حَـــــارِنْ لاَ عَثّـــــاْر وْلاَ يْـــــدُوجَلْ غِيـــــرْ تَـــــدُوجِيلْ(٧)

ومِرْقَـــبْ كِـــي ا مْعَـــادِي لُحْبَـــاْر اللّـــي شَـــالُوا عَـــه الْكِمْبِيـــلْ(٨)

مْثَبَـــــتْ فِـــــي حُومَـــــة دُوَّاْر قَصِـــــي مَاجَابَـــــاشْ الـــــدِّرْبِيلْ(١)

سَـــبِيبْهطَـــاحْ اطْـــوَاْر اطْـــوَاْر غَزِيـــرْ اقُـــولْ جَرِيـــدْ ذِخِيـــلْ(٢)

---

(٢) يبدوا: تراهم امامك، امراج: من الهرج والمرج أيّ الاختلاط،انظراللّسان مادّة "هرج".

(*) تم التعريف به.

(٣) الدّورة التثقيفية الأولى للشعراء المتميزين ص٥١-٥٢.

(٤) كوت، نقمار، جنجان: مسميات وصفات محلية تطلق على الخيل.

(٥) دماء واحد: سلالة واحدة، نسبها: نسلها معروف.

(٦) يشلغي: تصدر عنه أصوات، مندوه: سائقه، من قولهم نده الإبل سائقها.

(٧) سَقَمْ: مستقيم في مسيره، حرّان: حرن الفرس لا ينقاد.

(٨) مرقب: مراقب لكلّ شيء، كي: "ك" أداة تشبيه، معادي لحبار: كناية عن الصّقر، شالوا: رفعوا، الكمبيل: ما وضع على رأس الصّقر.

(١) مثبت: من تثبت وتيقن، حومة: اسم موضع أو ناحية، دوّار: مجموعة الحباري، قصي: بعيد، ما جاباش: لم يأت به، الدربيل: نوع من المناظير المكبرة والمقربة للنظر.

(٢) طاح: وقع إلى أسفل.

فالجواد إذا انطلق في عدوه لا يعود إلى الوراء، ولا يعرف عنه العثور أو الوقوع على ركبتيه، وهو سريع في سيره لا يعرف الخطوة خطوة، منتبه لكلّ ما يدور حوله، مستمع جيد، يشبه في انتباهه وفطانته الصّقرالّذي رفعوا عن عينيه "الكمبيل" غطاء الرأسحتّى ينظر إلى أبعد نقطة لكي يتثبت من مجموعة حبارى لا تصل إليها المناظير المكّبرة، ثم يصف سبيب الجواد الغزير الطّويل يرسل في مجموعات مجموعات وكأّنه جريد نخل بواحة غنّاء، ويستمّر واصفاً :

قَصِيْر قِيَنَهْ وَاسَعْ لْمتَارْ اقُولْ غِيرْ اقَّامْ فَنَاجِيلْ[٣]

وْلِيهْ حَافِرْ يَا دُوبَهْ دَارْ قِيَي لاَفَلْ ولاَ تَجْطِيلْ[٤]

لِيَا قَرْقَعْ خَاوِي لْوصَارْ وصَبحُوا لِ رْكَابْ مَعَاقِيلْ[٥]

ا يَحَدَّرْ كِي الْبَارَقْ ع النّار قُولْ جَبَلَهْ انزَرْدِيهَ سِيلْ[٦]

هذا الجواد له كوع قصير وخطى واسعة إلى حد كبير، وله حافر مستدير كبيرلا فلول به، وليس بالأجطل الّذي يؤكل حافره من ناحية دون أخرى، وهو إذا سمع طرق وقرع الطّبول، صار الرجال يعلقون ركبهم بالحبال أمام الأعداءحتّى يصبح الفرار مستحيلاً لأيّ سبب من الأسباب – وهي عادة ليبية قديمة– يدخل الحصان إلى المعركة بسرعة البرق وهو يشبه جلمود صخر حطّه السيل من عل، فهذه الصّورة تشبه صورة قديمة جاهلّية لامرئ القيس سوف ترد في موضع آخر.

نلاحظ من خلال هذه الأبيات في وصف الخيل وغيرها من قصائد الشّعراء البدو في ليبيا أدقّ التفاصيل في وصف الجواد واختياره وسرعته وتربيته ومعدّاته والاستعداد له،

---

(٣) قينه: القين هو العظمالّذي يربط الحافر بالساق، واسع لْمْتَارْ، واسع الخطى، وكأنّ حطاه تعدّ بالامتار، غير: فقط، فناجيل: كؤوس كبيرة وفي العربيّة هو التباعد ما بين الساقين والقدمين وشديد الفحج.

(٤) ليه: له.

(٥) ليا: اذا، قرقع: من القرع: الضرب، خاوي: فارغ من الداخل، الاوصار: جلد الطبل، وفي العربيّة: وصر: وهو الصك والكتاب، والليبيون كانوا يكتبون وثائقهم وصكوكهم على الجلود فأخذ الطبل هذا الأسم "خاوي لوصار"،صبحوا: أصبحوا.

(٦) يحدّر: ينزل من مكان مرتفع، كي : هي أداةالتّشبيه "ك" البارق: البرق، جبله: حجر كبير أخذ اسمه من الجبل، زردب: سقطت من مكان مرتفع.

وألوانه، والتفاؤل به، وعدد دوائره ومهّمة كلّ دائرة، وقد تكون القصيدة كلّها في وصف الفرس أو الخيول عموماً ،حتّى أصبح موضوع وصف الخيول غرضاً مستقلّاً بنفسه، كوصف الإبل، وللخيول مكانة مقدّسة عند البدوّيللاّيبّي، ومن العادات الّتي وجدتها عند اللاّيبيين، أنّهم يذبحون ذبيحة لكلّ جواد أمسى وبات عندهم وإن لم يكن بصحبته أحدٌ، ويعاملون خيولهم أحسن معاملة.

خامساً : وصف الطبيعة:

الطبيعة هي المعلّم الأوّل للإنسان والبدويّ خاصة ، تمدُّه بخيراتها وتوفّر له سبل العيش، وبها المحافظة على حياته ورفاهيّته وعيشه، وهي تكشف له عن أسرارها إلى أن وصل الإنسان إلى ما وصل إليه اليوم من مدنيّة وحضارة ،وأحياناً ينظر إليها نظرة تملؤها الخشية والرّهبة والخوف والتّضرّعحتّى أنّه توهّم وراء مظاهرها أرواحاً تسيطر على الوجود.

وأحياناً أخرى هي الصديقة والرفيقة المؤنس، يلجأ إليها عند الخطر، والطبيعة تشمل الطبيعة الصامتة، والمتحركة دون الإنسان.

والطبيعة العربيّة وصحاريها قاسية، تعصف الرّياح الجافة بكلّ شيء أمامها ، وتتحرّك الرّمال وتحجب الرؤية، ثم يأتي دور السّيول فتجتاح كلّ شيء تجده أمامها من خيام وحيوانات، وتشحّ السماء أحياناً لسنوات، فيفقد الماء والكلأ وتنفق الحيوانات من إبل وغنم وغيرها، ويهدّد الجوع الجميع، وجوع الحيوانات المفترسة يهدّد أيضاً الأنعام والإنسان نفسه.

والبدوي يهرب من الطبيعة إلى الطبيعة، يقتله الظمأ وهو في سفره، فيسعى حثيثاً إلى نبع صاف من منعطف الوادي كي يروي عطشه ودوابّه فيكون سعيداً ، والبدوي عرف طبيعةحرّها ورمالها الّتي تخلو من الغابات والثلوج، فهو حين يفكّر فيها وفي مشاهدها لا تعتريه مخاوف مزعجة، لأنّه آلف طبيعته الصحراوية وما فيها من شدّة وقسوة، وما فيها من لين وجمال عندما تلبس حلّتها بالأزهار والورود في الفصول الممطرة.

والشّاعر البدويّاللّيبيّ لم يترك شيئاً من مكونات الصّحراءإلاّ ووصفه، حيث وصف حيواناتها ووحوشها وزواحفها، ووصف المراعي والأشجار وأسماء الأعشاب، ووصف السَّحاب المتراكم، والأمطار الغزيرة ، والرِّياح ، والبرق ، والرّعد ، والسّواب والسّيول المتدفقة، ووصف السّماء والنّجوم ، والشّمس والقمر والكواكب، ووصف الفيافي المقفرة ، والشّعاب والفجاج، والأودية والهضاب والمنازل والمرابع والمصائف، ووصف الغدران والآبار والتلاع.

وهذا التفكير المباشر غير المعقّد جعل معانيهم مفهومه وأحاسيسهم بّينة واضحة، وأسبغ على شعرهم جمالاً فطرّيًّ خلّاباً .

ويستمدّ الشّاعرالبدويّ من الطبيعة تشبيهاته لسيطرة مناظرها على حواسّه فتشّبعت بها مخّيلته، فالطبيعة مصاحبة لأشعار العرب، وهم يتغزّلون ويمدحون ويصفون ويهجون، ولم يطرقوا أيّ موضوع من موضوعات الشّعرالاّ كانت الطبيعة جزءاً منه.

ونحن نتكلّم عن وصف الطبيعة لابد وأن نستشهد بأبيات تصف بعض ظواهرها على سبيل التمثيل لا الحصر، لأنها كثيرة تحتاج إلى مجلّدات لا مباحث هنا أو هناك.

فالشّاعر أحمد فردة(*) يصف البرق اخترنا من أحد قصائده هذه الأبيات(١):

يَـــا مَـــنْ رَآهْضَـــيَّانه شَـــعِيلْ يَلْفَـــى بَعِـــدْ مَـــا غَيَّـــبْ أُوقَـــاتْ(٢)

طْيَـــابْ الْبِسَـــرْ فِـــي نَـــوَّةْ سْـــهِيلْ عَشَـــرَ فِـــي أَكْتُـــوبَرْ لَـــوْلاَتْ(٣)

رَعْـــدَهْفِـــي السَّـــماء مّالّـــهْ مَثِيـــلْ وُلُـــوا اسْـــتَغْفَرَ الله بِالذَّبَـــاتْ

مَـــدْفَعْ بِـــي فِـــي عِيـــدْ الْفَضِـــيلْ دَرزُوا فِـــي رَوَاشَـــنْ عَالِيـــاتْ(١)

(*) أحمد فردة من قبيلة الصيعان بغرب ليبيا لا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة غير أنّ الدكتور محمد القشاط يقول:أنّه عاش في العصر القره مالي: ووجدنا له قصيدة في معركة "السبيخة" بالجنوب التونسي، عام ١٨٩٠م، انظر الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط الطبعة الاولى، طرابلس الغرب، ليبيا١٩٦٨، ص٦٦.

(١) المصدر نفسه ص٢٠٥.

(٢) راه: رآه، ضيّانه: ضوءه، شعيل:كثير الاشتعال والتوقّد، لفى: حضر بعد غياب.

(٣) طياب البسر: فصل نضوج الرطب أيّ فصل الخريف، نوّة سهيل: من النوّات المعروفة عند أهل البادية وتكون في أول شهر أكتوبر.

(١) بي:لقب يستعمل قديماً لأصحاب المرتبة العالية، درز: تستعملاللّهجة البدويةاللّيبيّة هذه اللفظة للصوت القوي، كوقوع شئ على الأرض أو صوت مدفع أو رعد وغيره، روشن: الكوة والنافذة الصغيرة بالبيت.

يصف الشّاعر البرق والرّعد الّذي هو أمنية كلّ بدوي ينتظره ، وينظر إليه بشغف كبير، إلى أن يراه ويسمع صوته، يعطيه أملاً ويزيده حيويّة لأنّه آتٍ بالحياة في نظره، فيقول يا من رأى البرق يلمع متّقداً مبشّراً بالخير بعد غياب طويل، وكان مجيئه في الموسم والفصل المناسب بالتمام، مع بداية فصل الخريف عند ظهور البسر بالنخيل،أيّ بداية نضج البلح، وهذه النّوة معروفة لدى الجميع "بنّوة سهيل" الّتي تتناسب وموسم بداية حرث الأرض وهي بالتحديد في العشر الأولى من شهر أكتوبر الّتي يكون الرعد شديد والبرق لا يكفّ، فعلى السامع أن يذكر الله ويستغفره، لهذه الأصوات المتتالية القويّة الّتي تشبه مدفعيّة الحاكم التركي "البي" الّتي تطلق طلقاتها احتفاءً واحتفالاً بقدوم عيد الفطر المبارك من أعالي السراي، فالتشبيه كان أعم من حالة الصوت، حيث تعدّاه إلى حالة الارتقاب لهلال عيد الفطر وارتقاب موسم الغيث ثم حالة الفرح لكلّ منهما، وكليهما مرغوب فيه ومحبوب يحقّ للبدوي الاحتفاء به في فرح وسعادة. والشّاعر محمد درمان(*)أجاد في وصف البرق بقصيدة ذات وزن ثلاثي اخترنا منها هذه الأبيات(٢):

سَمِّيتْ باللهِ قَدَّارْ مَعْبُودْ سَتَّارْ مولَى المَخَازِنْ لِيَّهْ (٣)

وِيطْمَعْ كُلّ مَا صَارْ مِنْ لِيلْ وَنْهَارْ عَالْبِيِّنْ وَالْخَفِيَّهْ

وِيفْتَحْ نَابَرْقْ شَيَّارْ فِي مِزْنَكْدَارْ وِرْعُودْ تَدْرُزْ وِيِّهْ (٤)

وِسِيلْ تْغَيْبْ كُلّ حَفَّارْ الْقَطْ وَسْوَالْفَ اَرْوَلَا مَا نَعْهِنْهَيَّهْ (٥)

بدأ الشّاعر على عادة شعراء البدو بذكر الله في بداية كلّ قصيدة من هذا النّوع الّذي يعرف بـ(الموقف) يلقيه الشّاعر واقفاً عند افتتاح حفل العرس معدداً لصفات الله، وبكونه صاحب المخازن الّتي لا تنضب، وهو صاحب العلم، يعلم ما تحمله الصدور، ثم يدعو الله

(*) محمد درمان من قبائل الصيعان، بالغرب اللّيبيّ، يقول الدكتور محمد سعيد القشاط: "انه عاش في أواخر العهد التركي وهاجر إلى تونس ومات هناك" انظر الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط، ص٦٧.

(٢) الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط، ص٨٦.

(٣) مولى: صاحب.

(٤) يفتح: الافتتاح البداية أن يبدأ، شيّار: من الإشارة الدائمة، كندار: من انكدر: اسرع ، درز: صوت قوي.

(٥) حفار: مبالغة في عملية الحفر بالأرض.

أن يأتي بمزنة تحمل الحياة والمياه يتخللّها برق دائم الخفقان ورعد لا يتوقّف،حتّى تعّم وتغمر سيوله كلّ الأودية والسهول الّتي تقضي بدورها على كلّ الزواحف والقوارض ذوات الحفر. ويستمرّ واصفاً :

و نَزُّواوَلَدَيحَسَبُالْعُرْسَكَاتْجَعَّارَمالَكُعَوضُالْوليِّه[١]

رَاكِبُعَلَىكُوتْصَبَّارِمِنْسَاسُمْخْتَارْاشْقَرْوَلَدْسَلَطْنِيِّه[٢]

وسَايْرِهانهارْيِنُونَهَارْفِيالْوَحَّارْيِلْقَىالأَرَاضِيعَفِيِّه[٣]

لِسْلِسْوَقْمُورُوشْقَارْحَوَانِيتْعَطَّارْوَمَخَالَفَهبالسَّمِيِّةْ[٤]

بعد رؤية البرق وسماع دويّ الرعود ورؤية الأمطار الغزيرة والسّيول على ربوع القبيلة، لابد وأن يعرفوا كلّ الأماكن والمواقعالّتي أخصّها الله بالأمطار والسيولحتّى تتّجه القبائل إلى تلك المواقع والمراعي الخصبة ، فما كان من النّجعإلاّ أن اختار رائداً يرود تلك الأراضي البعيدة الّتي يتوقع أن يكون قد أصابها الغيث، فأُرسِل شاب قويّ ذكّي صادق قليل الكلام، لم يشهد له أن لاك بغية عرض الآخرين، وكان يعتلي جواداً كثير التحّمل لا يعرف الراحة،تم اختياره بدقّة من مجموعة خيول ذوات أصول كريمة تشبه خيول السلاطين، انطلق به يجوب البراري مدّة ثلاثةأّيام دون توقّف، فوجد الأراضي الّتي قصدها كثيرة العشب المختلط من كلّ الأنواع ((كاللّسلس والشقارة والقمرور))، وهي تفوح بروائح وأزهار عبقة تشبه محّلات بيع الروائح والعطور، تعجّ بأنواع الأعشاب والأشجار الّتي يصعب على الإنسان أن يذكر كلّ مسمياتها وأنواعها.

---

(١) دز: تقولاللّهجةاللّيبيّة دز كتاب، بمعنى ارسل، ولد: تستعمل للشاب الجسور، سكات: قليل الكلام، جعّار: من الجعار: الحبل الّذي يشد به الوسط من الرّجل وأخذت عن سبيل الكناية عن الرّجل العاقل المتماسك، لَكْ: من لاك الشئ بفيه، والمعنى عدم التعرّض لأعراض الآخرين وخاصة النساء، الولية: المرأة.

(٢) كوت:اسم محلّي من اسماء الخيل، صبّار: له قدرة على التحمّل، ساس: أساسه وأصله، أشقر: لونه، سلطنية: صفة للخيل الجيدة وقد يكون اصلها مأخوذ من خيول السلطنة التركية وخيول السلطان الجيدة.

(٣) وساير: من السير"سار"، حكار: التربص وجمع المعلومات على ما مر به من أراض، يلقى: يجد عفية: كثيرة العشب والكلأ

(٤) لسلس، قمرور، شقار: أسماء أنواع من العشب، حوانيت: محلات تجارية، عطار: بائع العطور، مخالفة: من مختلف الأعشاب ومسمياتها، السمية: الأسماء.

وهكذا يستمرّ الشّاعر في وصف فصل الرّبيع إلى أن يعود إلى الدّيار ووصفها من جديد، ثم ينهي قصيدته على عادة شعراء البدو بالصلاة على النبي –عليه الصّلاة والسلام– ومن قوله:

باللّهِ اِنا سْحضَّار شُبَّانو صْغَارْ ارْضُوا عَ الْهَ اشِمِيِّه

وصَلُّوا عَ سَمْحْ بْشَارْ شَعْشَاعْ نُوارْ وفَ اطِمْ قْبُ ورْقَ يَّه

صَلاةْ النَّبِي مسكُو عْطَارْ سْتَ انُوازْهَارْ وتْ فُّ وحْعَ الأُمّيه

و يْمَنْعْ ظَامِي مِنَ النّار فِيهِ ومْنْ قُبَارْ ومْنْعَاضَاءْ الِ يَّا

يطلب الشّاعر في ختام القصيد من الحضور كباراً وصغاراً أن يطلبوا الرضى عن الصحابة من البيت الهاشمي، وأن يصلّوا ويسلّموا على أبي فاطمة ورقّية ، صاحب النور الّذي خصّه به الله، صلاة تشبه العطر والمسك وبستان الزهور في رائحته الجميلة الّتي تعّم كلّ البشريّة، ثم يدعو في النهاية بأن يمنع الله عظامه من النّار يوم مماته ويحفظ الله والديه أيضاً .

سادساً : وصف بيت الشّعر:

يحنّ البدويّ إلى بيت الشّعر منذ القدم، لأنّه يقي أفراد أسرته من حرّ الصيف وبرد الشتاء، وساتر لها، وهو سهل النقل من مكان إلى آخر بكلّ يسر، وهو رفيقه في رحلاته وتنقّلاته في فصل الربيع إلى مواطن الكلأ ، وفي الصيف إلى موارد المياه، وفي الشتاء إلى المواقع الدافئة له ولإبله. فبيت الشّعر يعطي الحرّية لصاحبه حيث ينتقل حينما يرى ظلماً أو ضيماً إلى مكان آخر يرى فيه راحته، وهذا ما ساعد البدوّيللّيبّي في مواجهة الاستعمار الإيطالي والظلم التركي، فالبدوي لا يكون أسير سكناه كما هو الحال في المدن والقرى، فكيف لا يحنّ إلى بيت الشّعر ووصف جزئّياته ومكّوناته جزءاً جزءاً ؟

الشّاعر عبد الباسط محمد غنية(*)يصف بيت الشّعرالّذي يحنّإليه رغم أنّه يسكن بيتاً حديثاً الآن(١):

عَـــرَبْ بِيـــتْ اَمبَجَّـــدْ عَ الْكِيـــفْ اَرْوَاقَـــــاتْ وْجُبَّـــــرْ وَاكْمَـــــاْم(٢)

زَوَازَلْ مِ السَّـــــــدَرْ مَعَـــــــاكِيفْ بكَرَبلـــــــه لاَ فُـــــــوقْ اَنْقَـــــاْم(٣)

اَمقَشَّـــطْ بِحْبَـــالْ مِـــنْ اللِّيـــفْ وطفَـــــه وَلَّمهَ ـــــا الْـــــوَلاَّم(٤)

يصف الشّاعر الخيمة الّتي مكوناتها من الشّعر والصوف والوبر، ويميل لونها إلى اللّون الأسود عندما يكون الشّعر هو الغالب، وتكون فاتحة عندما يكثر فيها الصوف والوبر، فيرى بناءه جميلاً سواء من ناحية جسمه أو أروقته وأكمامه واتّساعه، وله "زازل" معكوف تربط به حبال الخباء الّتي توصل بالوتد والفليجة ثّم يصف بناءه وارتفاعه وشموخه معتمداً على الخشبة "الكربة"بذروة البيت والتي تتّصل بها أعمدته الرئيسة (ركائز البيت)الّتي ترفعه إلى أعلى ويشدّ إلى الأرض بحبال الخباء "الطنب" المصنوعة من ليف النّخيل أو من نبتة الحلفاء المعروفة بقّوة وطول أغصانها، ويصف جماله من الداخل:

اَتَـــــه حَاضِـــــيه زَخْرِيـــــفْ عَلَـــــى لُـــــونْ أَلُـــــوَانْ الرَّسَّـــــاْم(٥)

اَ يُـــاَنْ كِيـــفْ الْـــوَانْ الطِّيـــفْ وَسَـــــايدْ وَمْـــــرَقَّمَ وَكْـــــلاَّم(٦)

(*) سبق التعريف بالشّاعر.

(١) الدّورة التثقيفية الاولى للشعراء المتميزين، ص٢٢.

(٢) امبجّد: البجد: هو القطعة من الخباء أو الفليجة من شق الخباء، والمقصود بها هنا: بناء بيت الشّعر، ع: على، الكيف: تستعمل بمعنى في احسن صوره: رواقات، جُبَّر، أكمام: من مكونات بيت الشّعر.

(٣) زوازل: جمع زازل، هو عود من الشجر مفروق أو معكوف يربط بطرفيه إلى البجد أو الفلجة، ومن وسطه بحبل الخباء يشد إلى الوتد، م: من، كربه: من كرب النّخيل اصل السعف الغلاظالّتي تيبس وتصير مثل الكتف، والكربة المقصودة تكون منها أو خشبة عريضة توضع بأعلى البيت تقيه من العمود الرئيس "الركيزة"الّتي يعتمد عليها في حمله إلى أعلى.

(٤)اللّيف: ليف النّخيل المعروف، تصنع منه الحبال، الحلفاءنبتة تصنع منها الحبال أيضاً واحدتها حلفة، ولّم: فتل لأن الولم الحبل.

(٥) بتاته: البتات متاع البيت.

(٦) ايبان: يظهر ويوضح، وسايد: جمع الوسادة مرقّم:قُماش من الصوف، ورقّم رقماً: مخطط من الوشي والنقوش، اكلام: مثلها من الصوف.

والخباء يمتاز بمكّملات من فرش وأدوات زينة كأّنه زخرفة اختلطت بها كلّ الألوان، رسمها رسّام شهير، فهي كألوان الطيف، من وسائد ومرقم منقوشة وموشاة بجميع الألوان، وهكذا يستمرّالشّاعر في وصف كلّ أجزاء الخباء، والتفنّن في صنعه وتحمّله للعوامل الطبيعّية والتكّيف معها إلى آخر القصيدة.

سابعاً : وصف الصّقر:

الشّاعرالبدويّاللّيبّي كسلفه الشّاعر الجاهلي يصف كلّ ما وقعت عليه عينه،فهو أيضاً يصف الصّيد ورحلات الصّيد وأدوات الصّيد من البندقّية إلى الحبائلإلى الصقور، والصقور تمثّل للبدوي الكثير، فيشّبهون الأبطال بشجاعتها وعيون المحبوبات بعيونها، ووصفوا ضربها لفريستها، وخاصّة صيدها الحبارى، وهذه أبيات في وصف الصّقر للشاعرطالب الدهماني(*)(١):

اَحَبـــــارَاتْ دَارَنْ دَخَـــــاخِيْنْ شَالُوا لَهَ ـــا صَـــقْر عَـــادِيْ(٢)

ضْـــحِكْ مِـــنْ هُواقِيـــهْ لَ تِـــيْنْ وِيـــنْ مَـــا لَحَظْهـــا ادَّ ادِيْ(٣)

أدْغُـــمْ طُوِيـــل السّـــكِلكِيْنْ بتَـــرْ ايُ وَنـــه ا شْـــدَادِيْ(٤)

يقول الشّاعر: عندما كّنا في رحلة صيد إذ شاهدنا مجموعة من الحباريعن بعد، ألوانها كالدُّخان، حينها حملنا الصّقر وأخذنا ما على عينيه من غطاء، فأبصر تلك الحباربلّتي تسير ببطء فسّر لذلك وكأّنه يبتسم فرحاً بما شاهده، فانطلق نحوها مسرعاً، وهو رمادي اللّون ذو مخالب طويلة كالسكاكين –على سبيل الاستعارة– مغطّى بريش غير طويل، له أرجل قوّية شديدة.

ويقول الشّاعر في أبيات من قصيدة أخرى في هذه الصّورة(١):

(*) محمد الدهماني التاورغي، ولد في تاورغاء في منتصف القرن التاسع عشر ، تنقل بين شرق ليبيا وغربها، وعاد إلى بلدتهالّتي توفى فيها، ولا يعرف له تاريخ ميلاد ولا تاريخ وفاته، انظر ديوان الشّعر الشعبي، المجلد٢، ص١٥.

(١)المصدر نفسه، ص٢٩.

(٢) احبارات: جمع الحباري، دارت: كونت وأشارت، شالوا: حملوا، عادي: صفة للصقر محلية أخذت من عداوته للصيد ولفريسته.

(٣) وين: عندما ، ادّادي: تسير ببطء.

(٤) ادغم: رمادي اللون، السكاكين: الأظافر، أبتر: قصير الريش من الخلف، قيونه: معصميه، شداد: أقوياء شداد.

عَلَى كَفِّهِ صَقْرٌ مُكَمِّمٌ يَطْتَوَّا فَأَوَّلِ لَهُ عَامْ[٢]

تَرَفْ جلَّى فُوقْ عَلَمْ بَعْدْ بَوَّعَ مَنْهُ لْقَدَّامْ[٣]

يقول:خرج الصائد يحمل على كفّه صقراً وضعت الكمامة على رأسه وهو صغير رُبط ودُرِّب لتوِّه أيّ أوّل سنة يخرج به للصيد، وعندما أُطْلِقَ أخذ في علّو هالأوكارتفاع الجبل ثم انطلق إلى الأمام وسبب ذلك:

ظْهَا فِي نَيَّهُ تُبُرْمْ رقَّى سُوقْ تَعَلَّى حَامْ[٤]

رَبْهَا خَلاَّهَا تَرْعَمْ وْعَادْ الرِّيشْاحْذَاهْ عَرَامْ[٥]

ى فِيهَا عَادْ يْشَلَّمْ رَوايْحهَا بَّةْ شَمَّامْ[٦]

رَقْهَا يْبرِي فِيهْ احْكِمْ دَوا للِّي فِيهْ الدّمْدَامْ[٧]

عند انطلاقه شاهد مجموعة من الحباري على بعد الأفق طار نحوها كالسهم وهي تسير في اتجاهات مختلفة، عند قربه منها ارتفع وحام حولها، ونزل عليها بسرعة وضربها بكلا مخلبيه، فتطاير ريشها شمالاً ويميناً وسالت منها الدماء وأخذ يمزّق صدرها بمنقاره وهي تنتشر منها روائح عبقة جميلة تشبه رائحة البطيخ الأصفر" الشّمام "، وعند طهيها أعطت مرقاً فيه شفاء للناس، ويشفي من كان مصاباً بمرض العشى الليلي وضعف البصر.

ووصف الطبيعة لا ينحصر في موضوع ولا غرض ما بل موضوعاته كثيرة لا تحصولا تقدّر، فمنها أوصاف الأودية والصّحارى والجبال والسّهول والرّمال والرياح والسّحاب والأمطار والأشجار والأعشاب والأزهار والحشرات والزّواحف والطّيور وكلّ أنواع الحيوانات والشّمس والقمر والرّبيع...إلخ . ونكتفي بما اخترنا من شواهد مختلفة يمثّل كلّ جزء منها مجموعة من الموضوعات والألوان.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢.

(٢) كم: الكمامة غطاء يوضع على عيون الصّقر، توَّا: الان أيّ التّوّ، فـ: في.

(٣)جلَّى: ظهر ووضح، علم: مرتفع كالجبل، بوّع: انطلق، مت: اسرع من المت في السير، القدام: إلى الأمام.

(٤) لحظها: من الملاحظـ والمشاهدة، ديّه: في مرمى بصره، تبرم:تسير في اتجاه دائري، ترقّى: الارتقاء والعلو.

(٥)خلاّلها: ترك منها، ترعم: الرعام:المخاط، وهنا اخذت على سبيل التّشبيه، أيّ سال من رأسها الدم كالرعام، عاد: رجع، حذاه: بالقرب منه، عرام: اكوام.

(٦) يشلم: يشتلم لحمها قطعةقطعة بمنقاره، بتّة شمام: تشبه رائحة البطيخ الأصفر.

(٧) مرقها: المرق: هو الطبيخ من لحمها، يبري: يشفي، حكم: دواء حكيم، دوا: دواء الدمدام: العشى الليلي وضعف البصر

المبحث الثالث: الشّعرالإنساني والاجتماعيّ

أولا : الشّعرالاجتماعيّومشاركة المجتمع همومه ووضع حلول لها

وهي ظاهرة خروج الشّاعر عن حدود أنانيّته وفرديّته إلى الإحساس بمشاكل النّاس وشؤونهم، واعتبار ذلك جزءاً هاماً من مشاكله الخاصّة، أنّه يتأثّر مع المظلومين، ويستفزّه مشهد الشقاء والحرمان، ويحرّكه التعاون الاجتماعيّ، ويثيره طغيان القويّ على الضعيف، وتكون الصلة الجامعة في هذا كلّه هي الصلة الاجتماعيّة، صلة المشاركة الإنسانيّة.

وتطوّر الشّعرالاجتماعيّ مع اتساع المجتمعات العربيّة وتطوّر الحسّ بالشعور بمصير واحد يربط أبناء المجتمع بعلاقات مشتركة، وأطلّت ملامح اجتماعيّة تغنّى بها الشّعراء، فسّرت حالات الكثيرين من مرّوابالفاقة والحرمانحتّى أصبح الفقير، والجائع والمحروم، والجاهل والبائس، والفلاّح والعامل، هؤلاء جميعاً مواضيع محرّكة للشعر.

فالشّاعر البدويّاللّيبيّ لم تلهه الحاجة والفقر والحرمان والجهل والاستعمار المتوالي عن دوره، فشارك وحرّض وقاوم بكلّ سبل الدّفاع عن وطنه.

وعبّرالشّاعرالبدويّاللّيبيّ عن أحزان وأفراح النّاس، وطرق المشاركة الاجتماعيّة للآخرين، وقدّم المواعظ والنصائح المستمدّة من تجاربه الحياتيّة، وبذلك رسم منهجاً اجتماعياً، عالج فيه حالات الجوع والبخل ، والأنانية ، والفقر والحرمان ، والإهمال والفوضى، وأمراض العصر، والانحرافات، وحوادث السير، وغلاء المهور، والتربية، وغيرها ضمن دلالات اجتماعيّة معبّرة .نظّم الشّاعر قصائد تنتقل من جيل إلى جيل،حتّى أنّنا لا نعرف ناظم ولا تاريخ بعض القصائد والأبيات إلاّ أنّها منالتّراث الشّعبي، أو ما يسمّى بغناويأو هجاوي الرّحى أو هجاوي الحرب وغيرها من هذه التسميات المحلّية، ومن أمثلة ذلك قول هجاوة الرّحى[1]:

(١) هجاوي الرّحى، عبد السلام شلوف، ص٥٩ .

لَيمـــــانْ وَالصُّـــــدْقْ وَالـــــدِّيْن مَـــــاخِيْر مِـــــنْهِنْ تِجَـــــارَه[١]

والكـــــذَبْ يَـــــا سُـــــودْ لْعَيـــــانْ كِيـــفْ مِـــنْ سَـــرقْ بْيِـــت جَـــارَه[٢]

فهذا البيت الّذي يجري على الألسن ويُغّنى بأصوات نسائّية جميلة عند طحن القمح بآخر اللّيل، يدعو النّاس إلى التمسّك بالإيمان والاعتماد على اللهفي القول ، وهذه صفة تلازم البدويّ في كلّ أمور حياته، ثم الدّعوة إلى الدّين والعمل به في المعاملات بين النّاس، ومن عمل بما يستوجبه الدّين لا يُخذل ولا يتوه، وهذه الأمور الثلاثة أفضل تجارة رابحة للإنسانّية عموماً ، أمّاالمصيبة الكبرى الّتي تتولّد عنها كلّ كبيرة فهي الكذب، لأن الكاذب كمن سرق بيت جاره وعرف عنه هذا العمل، فكيف له أن يواجه الآخرين ويجالس القوم أو القبيلة؟ فهذا البيت بكلّ ما فيه من الحكمة والنصيحة هو درس في التربية للأسرة والأطفال الّذين يستمعون للأّم وهي ترّدده بصوت جميل يكون أقرب إلى أن يعلق بأذهانهم إلى يوم مماتهم يترّدد صداه منذ الطفولة إلى الكهولة فالشيخوخة.

وهذا بيت آخر من أغاني الّرحى يقول[٣]:

الجَّـــاْر عيَبـــه عَلَـــى الجَّـــاْر يْحَامِيـــــهْ ويُمـــــوتْ دُونَـــــه[٤]

والْقَلَـــــبْ كَمَّـــــايْ لَسْـــــرَاْر اللِّـــــي يْخُـــــونْ الله ا يْخُونَـــــه[٥]

يدعو الشّاعرالّناس إلى المحافظة على الجار وحمايته بكلّ الطرق حتّى درجة الموت من أجله والدفاع عنه وتوفير سبل الراحة له ولأسرته، أّما القلب فهو الوعاء لحفظ أسرار الجار والأصدقاء والأهل، وإفشاء الأسرار يُعدّ من الكبائر عند البدو خصوصاً ، ويرون إفشاء السر نوع من أنواع الخيانة، ومن يخونالآخرين يعاقبه الله عقوبة من جنس عمله.

---

(١) ليمان: الإيمان.
(٢) سود لعيان: كناية عن المرأة لسواد عينيها .
(٣) ذاكرة قرية ، ج٢، د. محمد سعيد محمد، منشورات المركز الوطني للمأثورات الشعبية، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٥٩.
(٤) عيبه:بمعنى حقّه، يحاميه: يحميه، دونه:من أجله وبدلاً منه.
(٥) كمّاي: يحفظ ويستر ويغطي ما يسمعه ويشاهده.

ونختار ثلاثة شواهد من الشّعرالاجتماعيّ على سبيل المثال لا الحصر، لأنّ هذا الجانب هو أيضاً كبير يصعب حصره، ويحتاج إلى أن يكون موضوعاً لوحده.

من ذلك قول الشّاعر حسن لقطع(*) في دعوته إلى عدم الاعتداء على أموال الآخرين في وقت كانت الحروب القبلّية تدور من أجل الإبل وأخذها عنوة، سنّة من سنن القبائل البدوية، يقول في مطلع قصيدة زجلية:(١)

مو متَ تْ مَا نَاكُلْ اللِّي مُو طَيَّبْ الْخَالَقْ خَلَقْ وَاللِّي خَلَقْ مَا يْسيِّبْ(٢)

يقول في مطلع القصيدةالّذي يعدّ تعبيراً كاملاً وتاماً عن موضوعهاوهو عدم أكل المال الحرام، وعدم الاعتداء على أموال الآخرين، ولو أدّى ذلك إلى موته من الجّوع، فلن يمدّ يده لطعام غير راض عنه وغير طّيب، ولم يبذل فيه جهد وعرق، وما اعتماده إلاّ على الله في كلّ الأمور، لأنّ الله هو الّذي خلق الإنسان وخلق أسرته وأطفاله وهو الّذي يجعل لهم مخرجا، فلا يعقل أن يخلق الله خلقاً ثم يتركه يهلك، وينتقل الشّاعر إلى المقطع الأوّل منالقصيدة:

لاَ نَاكُلْ الْسُرُوقَه ولاَ نْطَارَدْ اللِّي فِي السَّبْ مَلْحُوقَه(٣)

نِي اللهَ وَاللِّي صَابرة مَرْزُوقَه تتّى بَطَا خِيْر الْكَرِيْم اقْرِيِّب(٤)

طَعَامْ الجَّفَا نَقْذَهْ قَبْل انْذُوقَه رَدِيَّةْ عَصَرْ عَايشْ مَعَاشْ ا يْخَيِّبْ(٥)

رَحَمَةْ الْخَالِقْ مَا جِي مِنْ فُوقَه عَى زَرع للَّي زَارَعْ الشَّرْ تَغَيِّبْ.

يقول: لم ولن يكون قوتي وطعامي وطعام أبنائي مسروقاً أو منهوباً، ولا لي في مطاردة

(*) تم التعريف بالشاعر .
(١) ديوان الشّعر الشعبي ، ج١ ، ص ١٣٥ .
(٢) مو:ليس، طيب: يعني به رزق حلال، ما يسيّب : لا يترك.
(٣) نطارد: المطاردة:السعي وراءه، الملحوقة:الّتي لحقت بالخلا والصحراء.
(٤) بطا: بطأ وتأخر، الكريم: الله.
(٥) الجفا: الجفاء، نقذاه: اكرهه، نذوقه: أتذوقه، ربيّة: تربيه: كبرياء وشهامة.

إبل وأموال الآخرين، فالله هو الغنّي، ومن يصبر يأتيه رزقه من عند الله، وهو الّذي بيده الرزق وحده، وإنّي أكره كلّ طعام لم يأت بعرقي وتعبي، وترفضه معدتي وفمي قبل أن أتذوقه وذلك بسبب مكانتي وأصل معدني ومعدن عائلتي وتربيتي التربية الجّيدة، على نهج كتاب الله وسنّة نبيه -صلّى الله عليه وسلّم- فالله يرحم عباده الخّيرين زارعي الخير لا زارعي الشر.

فهذه الأبيات الّتي اخترناها تدعو إلى عدم الاعتداء ونهب أموال الآخرين بين أبناء القبائل، ويحرّم على نفسه أن يتناول طعاماً لم يبذل فيه عرقاً وتعباً وجهداً ، وإن قُدِّم هذا الطّعام له من غيره وهو يعرف مصدره المنهوب في وقت كان الجوع والفقر يدّب في أطرافه وفي أسرته، وفيوقت كان النهب وأخذ أموال القبائل المجاورة سنَّة العصر.

وفي قصيدة للشّاعر حسين محمد الحلاّفي(*) يخاطب فيها ليبيا في ردّ على قصيدة للشاعر مصطفى عبيد الهوني (*) في الموضوع نفسه مع بداية الستينّيات من القرن الماضي مطالباً حقوقه من النفطالّذي يذهب أغلبه إلى الشركات الأجنبّية والى رؤوس الأموال من كبار رجالات الدولة. يقول في مطلع قصيدته(١):

ذِرِيـــدْ الْحَـــقْ يَـــا لِـيْبِيـــا عَطِيَنَـــا ذِرِيـــدْ الْعَـــدَلْ كَـــانْ نَحْـــنُ ضَـــنَاكْ

تناول خلالها واجباته الّتي قدّمها للوطن من دفاع وجهاد عنه وعن ترابه، والآن جاء دور البلاد أن تقدم له وللشعب اللّيبّي حقوقه عليها، وحقوقنا من الثروة، فأخذ شاعرنا رادا عليه في قوله(٢):

مُـــوْ غَلْطَـــانْ مِـــنْ قَـــالْ انْصِـــفِنَا نْرِيـــدُوا الْعَـــدَلْ كِـــي رَبِّـــي عَطَـــاكْ(١)

(*) تم التعريف بالشاعر.
(*) تم التعريف بالشاعر ، ص١٠.
(١) ديوان الشّاعر حسين محمد الحلافي، د.يونس عمر فنوش، ص١٤٣.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٥.

اْنـــت الأُم وَاحْنـــا اللّـــي شَـــقِينَا فِـــي سِـــبَّاكْ وَحْمِلْنـــاَ صَـــغَاكْ[٢]

وللطليـــان ســـا هِنْتِ ـــي عَـلِـيْنَـــا وحَارَبنـــــــ اه مَاطْغَـــــا اعْـــــدَاكْ

يقول الشَّاعر: ليس بمخطئ من يقول: انصفينا – في إشارة إلى الشَّاعر مصطفى عبيد الهوني – وهو يؤكد ذلك الطلب بقوله: إنّا نريد منك العدل بين أبنائك وأنت غنّية ميسورة الحال، وخاصّة بعد ظهور النفط، لأنّك أنت الأّم، وعلى الأّم أن تكون عادلة بين أولادها، الّذين دافعوا عنها عندما كانت حاجتها إليهم، حيث حملوا الهوان والتعب من أجل الوطن، وقاتلوا الإيطاليين، ولم يستسلم منهم أحد إلى المستعمرين، بل جاهدوا بكل ما يملكون ، ويستمرّ الشَّاعر:

ا حْنـــا هَلِـــكْ بـــدْمَانَا سَـــقِينَا رَابـــكْ لِـــينْ رَوِّينـــا ذَـــرَاكْ[٣]

حِـــين الْيُـــوْم تمِّيتِـــي سَـــمِينَه وَتَرِّكْ فَـــاْض دَاُروا لَـــهْ شَـــرَاكْ[٤]

حَلِيبِـكْ صَـرَفْ عَـدَّى مِـنْ ايْـدِينَا ـِّـــي كَـــانْ مُتَفَـــرَّجْ هُـــاكْ[٥]

أعطيناك أفضل ما لدينا، سقيناك الدماء الطاهرةحتّى ارتويت، أّما اليوم اصبحت قادرة وميسورة الحال، بل أكثر من ذلك إلى درجة أّنأموالك فاضت إلى غير أبنائك، حيث شّبه الشَّاعر ليبيا بالناقة الّتي كانت ضعيفة هزيلة ولكن بجهد أصحابها ووقوفهم إلى جانبها والزيادة في حمايتها وعلفها أصبحت سمينة قوّية وكثر لبنها وفاضحتّى اشتركوا فيه الجيران ولكن اللبن لم يصل إلى أصحاب النّاقةالّذين وقفوا بجانبها عند حاجتها إليهموتقديمهم كلّ أنواع العلف لها، بل انتفع من حليبها من لم يهمه أمرها عند حاجتها

---

(١) مو: ليس، كي: هي نفس "ك" التّشبيه.

(٢) اللي:الّذين، سبَّاك: لأجل، صغاك: من صغا: قال اللحياني: الصاغية كلّ من المَّ بالرجل من أهله،اللّسان مادّة "صغا" ووردت هنا بمعنى كلّ الهموم والاحزانالّتي تلم بالفرد أو بالدولة.

(٣) احنا: نحن، هلك: أهلك، ادمانا: دماؤنا، لين: إلى أن.

(٤) وحين: حينما، وعندما، تميّتي: اصبحت، سمينة: غنية من باب التّشبيه، در: اللبن، داروا له: صنعوا له.

(٥) عدّى:راح وراغ، للّي: للذي، يتفرّج: ينظر فقط ولا يتدخل.

إليهم، في إشارة إلى المتفرجين أيام الاحتلال الإيطالي والمنتفعين بنفطها وخيراتها اليوم، ويقول:

بَقِـــى مَحْـــرُومْتتّـــى م الشَّـــذِينَه اللَّـــي بـــالْحَقْ يِسْـــتَاهلْ إلْبـــاكْ[1]

الْحَـقْ هُـوِ وِيـن يـا شَـاعِرْ إنْبِينَـا جْهَـــه السَّـــمْحْ وِشْـــيلُوا ثَنَـــاكْ[2]

نَوَّرَنِـــاهْ وَاجِـــدْ مَـــا لْقِينَـــا مْكِـــنْ رَاهِ مِتْخَفِّـــي احْـــذَاكْ[3]

يقول الشَّاعر موجهاً كلامه إلى ليبيا: أمأبناؤك الحقيقيون محرومونحتّى من بقّية اللّبن الّذي خلط بالماء وأصبحت فائدته قليلة، في الوقت الّذي يجب أن يكون لهم أول لبن النّتاج،لأنهم الأبناء الحقيقيون، ولكن الشَّاعر يستدرك وينفي وجود الحقّ والعدل، ويسأل الشَّاعر مصطفى أعبيد الهوني عن مكان وجود العدل، بعد أن بحث عنه في كلّ اتجاه وكلّ مكان ولم يجده، قد يكون هنا أو هناك أو بمكان قريب منه،حتّى يتسنَّى للشاعر عند وجوده أن يأخذه ويسترجعه عنوة بحدّ السّيف ويعود الحقّ إلى أصحابه، وصدق حدس الشَّاعر بقيام الثورة وإعادة النفط من الشركات الأجنبّية إلى أصحابه.

وهي قصيدة اجتماعّية تعالج حال الفقراء والمحتاجين في بلاد لها من المصادر والثروات الطبيعية الكثير والكثيروتطالب بحقوق الشّعب من ثروته النفطية.

والشاهد الأخير في هذا الغرض هو قول البحر الأزرق[*] في ظاهرة غلاء المهور، حيث يقول في مطلع قصيدته الزجلّية [٤]:

صَحِيحْنَعْرِفُ واشْرُوطْالْبَاتْ صَعْبِينْهوكذَشَخْطِيبِيِ يْقَتْنَعْبِيَه

(١) م: من، الشنينة: اللبنالّتي خلطت بالماء، لباك: من اللباء: أول اللبن في النتاج.
(٢) وين: أين، إنبينا: من الأنباء أيّ اخبرنا، تشيلوا: من الشُول بالضّمّ وهو رفع الشئ ثناك: من الثناء والشكر.
(٣) دوّرناه: بحثنا عنه، واجد: بمعنى الكثير، ما لقينا: لم نجد، راه: يكون، حذاك: بقربك.
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٤) ديوان البحر الازرق، ص٢٠٠.

فالمطلع واضح أنّه يعالج قضيّة هامّة لدى الشّعباللّيبّي ، إلاّ وهي قضيّة غلاء المهور في هذا المجتمع المحافظ، واعترف أيضاً بأنّ هذه القضيّة تعدّ عيباً من عيوب المجتمع، وأشار إلى اعتراف جلّ المجتمع اللّيبّي بهذه المشكلة الاجتماعيّة ووجوب وضع حلّها، وينتقل إلى المقطع الأوّل من القصيدة:

صَـــــحِيحْ نعْوِفُ ـــــوْه مخَـــــالَفْ خَـاطِي طَرِيـقْ الشَّـرَعْ فِهـا تَـالفْ[1]
ـــي أُمَرهَـا جَاهَـلْ عَـلِيهَـا حَـالَفْ بَغِـي شَـرَطْ بِتَـه مَـا وَرَاهْ كَتِيبَـه[2]
مَعْـذُورْ يَـاخُوتي طَوِيـلْ السَّـالَفْ الْوَلْـدِينْ عَتْبـه وَالْجهَـلْ هُصِـيبَه[3]

يقرّ الشّاعربمخالفة هذه الظاهرة لعادات وتقاليد المجتمع اللّيبّي المحافظ، وضدّ مساعدة الشّباب على الزواج، ويرى الشّاعر أن هذه الظاهرة مخالفة لكل الشرائع السماوّية لما بها من شروط تعجيزّية،لا يمكن توفّرها لشاب في بداية حياته العملّية، وكلّ ذلك بسبب جهل أولياءالأمور،وهم يقسمون بأن يكون مهر بناتهم كذا وكذا، ويقبضون النقود والذهب والفرش دون تدوين أو كتابة تلك المبالغ بالعقد واستلامها أمام أعين الآخرين، ويعطي الشّاعر العذر للفتيات العوانس ووقوف الأبوين حجر عثرة في طريقهنّ، ويعود باللّوم على الجهل لأنّه هو الّذي وقف في طريق زواج البنات والشباب عموماً، وينتقل الشّاعر إلى المقطع الثّاني:

صَـــــحِيحْ نَعْوِفُ ـــــوْه تَعَـــــى ـــلاَّهْ جَاهِـــلْ لاَقَـــرَا لاَصَـــلاَّى[4]
شَـبَابْ لِيبِيـا صَـاعَبْ عَلِيـه الاَّـه لاَّـي يكْ رَاسَـه تَظْهَـر لاَّـه شِـيبَه[5]
وشِـيخْ الشَّـرِيعَة وَاجْبَـه يُقْـفَ لاَّـه اْيَحـدَّدْ شُـرُوط المَهَـرْ وَتلاَعِيبَـه[6]

(١) تالف: من التلف.
(٢) حالف: القسم، بغي: أراد، ما وراه كتيبة: بدون كتابة وتدوين.
(٣) طويل السالف: كناية عن الفتاة.
(٤)تعلّى: ارتفع، قرا: قرأ.
(٥) صاعب: صعب.
(٦) تلاعيبه: التلاعب به.

فالزيادة الكبيرة في غلاء المهور كان سببها الجهلة الّذين لا يجيدون القراءة والكتابة، ولا يفقهون في أمور دينهم من فقه وعبادات حسب ما يرى الشّاعر ،حتّى كلّفوا الشّباب بما لا يطيقه دون شفقة أو رحمة،والشّباب مشاكله كثيرة وعلينا أن نخفّف منها ، لا نزيد الحطب على النّار ، فالشّباب يتقدّم به العمر وكلّما حكّ رأسه زاد بياضه من الشيب، ثم يعودالشّاعر باللّوم على الفقهاء والوعّاظ والخطباء ليرشدوا النّاس ويقفوا في طريق كلّ جشع مستغلليّوجهوا المجتمع إلى التعاون وتحديد المهور، ويبعدون النّاس عن التلاعب بمشاعر الشّباب من أجل الكسب والاتّجاربناتهم، ثم ينتقل إلى المقطع الموالي:

صَـــــحِيحْ نَوْفُ ـــــوْه اصَّـــــعَّبْ هَ ـــــرْ وِ قْتَ ـــــلْ صَـــــاحَبه وِيتَعَّـــــبْ(١)

يْرِيـــدْ الـــدَّرَاهْمِ يِتْ ـــرُو مكعَّـــبْ عِنْـ ـدَ الْخَطُوبَـــةْ يْجِيـــبْهُمْ فِـــي جِيَبِـــه(٢)

ويِشْـرُطْ عَلِيـه شَـرْوطْ مـوْش تَـلَعَّـبْ تْكُـونْ سَـكْنَتَه فِـي حُـوشْ مُـوش زَرِيبَـه(٣)

فغلاء المهور يزداد كلّ يوم وتتزايد معه الصعوبات ممّا ينتج عنه قهر وتعب الشّباب. والآباءلا يريدون إلاّ جمع الدنانير وعدّها بالمتر المكّعب لا بالدينار، ويشترط جلب هذه المبالغ منذ الخطوبة وهو يعني ما يقول، لا يعرف الهزار في مثل هذه المواقف، ويزيد على أن يكون سكن ابنته في بيت للعريس وحده ولا يكون مشتركاً مع العائلة بل مستقلاً ، ولا يكون قديماً يشبه الزريبة المصنوعة من الصفائح أو القش والحطب، ويستمرّالشّاعر فيكلّ القصيدة يعالج ما يراه سبباً في عرقلة الزواج بين الشّباب.

ويعالج الشّعركلّ هذه المشاكل الاجتماعيّةويضع لها حلولاً قدر الإمكان .

فالشّاعر في ليبيا له مكانة مرموقة وكلامه مسموع ويحسب له ألف حساب، ويُعد الشّاعر في البادية هو المصلح العاقل، ولايترك ظاهرةإلاّ يدلو بدلوه فيها، سواء أكانت

(١) أصعب: اصبح صعباً.
(٢) يجيبهم: يأتي بهم.
(٣) موش: نافية بمعنى لا، تلعّب: تلاعب، سكنته: سكناه.

ظـاهرة كونّيـة أم اجتماعّيـة أم مشـكلة تهـم القبيلـة أم الأّمـة أمالـّين، لأّنالشّـاعر جـزء مـن مجتمعه وعليـه أن يخدم قضـاياه، والشّاعر الّـذي لا يشـارك همـوم وطنـه وقومـه ودينـه، مـن عادات سَـّيئةوأمراض ومشـاكل – فهو كأّنه من كوكب آخر – لا يحضـى بـالاحترام والتقدير بين الّناس، فالمجتمع البدويّ لا يعرف قضّية الفن للفن.

ثانياً: الشّعر الّدينّي:

يعدّ هذا الغرض من أقدم الأغراض الشعرّية، وينـال مكانـة مهمـة بين أغراض الشّعر الأخرى، حيث لا تخلو القصائد من أبيات وأفكار دينّية أو قاعدة فقهّية أو معنـى آيـة قرآنّية أو حديث شريف، ويكثر الاستشهاد في كثير من الموضوعات بأمور دينّية، ويتجلّـى بكثرة في الّرثاء والبكاء وطلب الشفاء من مرض، أو العودة إلـى الوطن أو طلب الغيث أو طلب وقف الحرب بين أحياء وقبائل العرب، ويكثر أيضاً في المدائح ، كمدائح الأنبياء، والأولياء، وخاصـة ذكـر الصّـلاة والصـوم والحـّج والزكـاة وغيرها ، مـن المسـائل الفقهيـة، وتـذكّر المـوت والعودة إلى الله.

ويظهر الّزهد في الشّعر عن حالات روحّية، وإحساس بتفاهة الّدنيا وكونها مادّة زائلة، يجـب أن تتّـخـذ طريقـاً إلـى حـيـاة أبقـى وأخلـد، وهـو شـعور بـالتّرفع عـن الـنـزوات الشـهوّية وأغراض الحياة المادّية بكلّ ما تستهوي الجسد وتحرّك المطـامع،ودعوةإلى إيمـان وصـلاة تطول، وتجّنب الذات الإنسانّية مزالق المهاوي المضلّلة وتصل بين الإنسان وخالقه.

ونـرى فـي الغالـب الشّـاعرالّـذي تتقدّم بـه الّسـّن يكثـر مـن المـدائح النبوّيـة ويميـل إلـى التوبـة والرجوع إلـى الله والتقّرب منـه، ويـزداد كلّمـا قربـت المنّيـة منـه، عنـدها يكثـر مـن ذكـر الموت والآخرة، ويطلب من الله العفو والمغفرة.

الشّاعر فضيل حسين الشلماني(*) في قصيدة يدعو الله بالتوبة والمغفرة(١):

(*)سبق التعريف بالشاعر.

يَـا مَـنْ رَفَـعَـت الشَّـمْس وَالـنَّجم وَالْقَـمَـرْ بِيَـدَكْ هَبُ ـوبْ الـرِّيحْ والأَمْـزَانْ

وَيـا مَـنْ بَعَـدْ الجَّـدَبْ تَـأتِي بِـالْمطَرْ تسـيِّلْ مَعَـالِي الْـوَطَنْ وَالْوُدْيَـانْ

و يَـامَنْ رَزَقْـتَ الْحُـوت فِـي وَسْـطَ الْبَحـرْ و سَـامَعْ دَبِيْـب النَّمـل فِـي .وْطَـانْ[٢]

يَـارَبْ يَـا مُـولاَيْ يَـا عَـالِي الْقَـدَرْ يَـا مَـنْ خَلَقْـتَ إِنْسِـي وخَـالَقْ جَـانْ

يطلبالشَّاعرمن الله التوبة ، منادياً إيَّاه بصفات لا تطلق إلاّ عليه وحده، ويعدّدها منها: رفع الشّمس والنجم والقمر إلى أعالي السموات دون عمد. وهو الّذي يملك أن يأتي بالرياح اللّواقح وحملها السحب من مكان إلى آخر،وسقاية الأراضي القاحلة المّيتة لكي تدبّ فيها الحياة، وهو الّذي يسقي الزّرع في كلّ مكان من الأراضي الواسعة ، بجبالها وأوديتها وسهولها وروابيها وصحاريها. وهو من يرزق الحيتان بأنواعها الكثيرة الكبير ،منها والصغير في أعماق وظلمات البحار، وهو من يعرف أصوات وحركات وحاجّيات الّنمل في داخل بيوته تحت الأرض ويرزقه ما يحتاجه.وهو المولى وهو عالي القدر والمكانة، وهو خالق الإنس والجن، كلّ هذه الصّفات خاصّة بعظمة الله، والشّاعر ينادي الله من خلال صفاته هذه، ولننظر ماذا يريد من ندائه هذا في قوله:

اْرَزَقْ يِبْتُ وَيهبِهَ .ـاذْنُ وبيتَ غْتَ فَـــــــــرْوَاجْعَلْضَايْلِ يْمالنِّيـــــــــرَانْ [٣]

وإِشْنَاءاللهاْطُوفْالْبيتْ وْنَقَبَّلْ لْحَجَرْو نْوبِمَاءزَمْزَمْوَنَاعَطْشَـــــــــانْ [٤]

و نْغَلْ أُوسَـاخْالتَّنْبَوا لْهَ مْوالْكَـــــــــدْرُونْبَاتْ فَ يالْحَرَمْبُسُوطْفِيالأَمَانْ [٥]

فالشّاعر يطلب الله توبةً صادقةً تغفر له كلّ الذنوب الّتي اقترفها خلال حياته، ويطلبه أيضاً أن يجنّبه نار جهنّم عند الحشر، ثم يطلب الله أن يختم هذه الحياة بحجّة، يطوف حول

---

(١) ديوان الشّاعر فضيل حسين الشلماني، ص١٢٣.
(٢) لوطان: الأوطان بمعنى الأراضي.
(٣) عضاي: اعضائي/سليم: تسلم، م:من .
(٤) ونا: أنا.
(٥) مبسوط: هانئ وفرح.

البيت ويصل إلى الحجر الأسعد ويقّبله كما قّبله النّبيّ المصطفى – عليه الصّلاة والسلام– ثم يطفئ عطشه من بئر زمزم على طريق السّنة الشريفة، وبهذا ينال شرف الحجّ وتطهيرجسده من كلّ الذنوب ويبيت في الحرم هانئ البال من كلّ ذنب، ويختم قصيدته بالدعاء:

وَجْعَلْ خِتَامِي وآنْ تَغْرِيبَةَ النّظَرِ ... شَهَادَة فَصِيحَةْ بِانْطِلاَقْ لِسَانْ[1]

وإنْ شَاء الله قَبْرِي مُوش حُفْرَه مِ الْحُفَرْ ... رُوضَه يهَ طَلَقْ رِيحْجِنَانْ[2]

عَبَكْ كَثِيرْ الذَّنْبْ الْيُومْ تَابْ وَاعْتَبَرْ ... وِلاَ حَدْ غِيرَكْ يَا عَظِيمْ الشَّأنْ[3]

أن يختم حياته بشهادة "أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله" وتكون بصوت عالٍ وواضح وفصيح عندما تنظر العينان إلى اعلى وتخرج الروح إلى بارئها، ثم يدعو الله أن يكون قبره روضة من رياض الجّنة ولا يكون حفرة من حفر النّار، وأن يعبق قبره بريح من رياح الجنان، ثم يأتي بالبيت الختامي يلخص، ما أراده من القصيدة: بأّنه عبده وابن عبده كثرت ذنوبه طالباً المغفرة بعد هذه التوبة الصادقة فلا منجى ولا ملجأإلاّ منه وإليه.

والشّاعر المهدى محمد الحزين[*] تذكر ذنوبه ونظر فيها ووصفها وطلبالتوبة والمغفرة في قصيدة زجلية يقول في مطلعها:[4]

فَتَّشْتْ صَنْدُوقِيْ بْحَنْالذِّ يَّةْلِقِيتْ دِيْفِيحجَّهْ دَيْمَطِيَّ [5]

يقول الشّاعر: أّنه بحث في الماضي السّحيق وفي ذاكرتهالدّاخلية، فوجد خلال رحلته الدنيوّية– وإن كان في البداية لا يقصد من وراء بحثه شيئاً – ما يروعه بذلك الصندوق

(١) ختامي: الخاتمة، وان: حين أو ساعة الموت وقدومه ، تغريبةالنّظر: عند خروج الروح يبقىالنّظر في اتجاه واحد.
(٢) موش: اداة نفي محلية بمعنى "ليس"، م:مختصر من، طلق: انطلاق.
(٣) الشان: الشأن.
(*) المهدي محمد الحزين ولد بمنطقة قصر الحاج عام ١٩٠٨م، وتوفى عام ١٩٨٥م، ينتمي الشّاعر إلى قبيلة السبعة احدى قبائل المحاميد الأربع، وكانت حياته مليئة بالاحداث استشهد والده بمعركة العجيلات عام ١٩١٧م من الغزو الإيطالي أعدم عمه أحمد بمنطقة جادو عام ١٩٢٣م، انظر الشّعر الشعبي، ج٢، جمع وتقديم، د. علي برهان، ص٢٠٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٤.
(٥) فتش: بحث، الصندوق: جاء بمعنى الذاكرة، لقى: وجد.

الّذي لا يعلمه إلاّ الله والشّاعر – من مخالفات وآثام لا تعدّ، وهي كالديون عليه في صكوك فلكلّ إثم صكّ خاصّ به سيحاسب عليه، ويتطلّع إلى الله أن يخفّف عليه ويغفر له من خلال قوله في المقطع الأوّل:

الصَّنُّوقْ فِيهْ أَسْرَارِيْ كَمِيتَه عَلَى وَلْدِيْ الْعَزِيزْ وَجَارِيْ[1]

مَا يَعْلَمه كَانْ الْكَرِيْم الْبَارِيْ إِلاّ أَمْلاَكِي اللِّي تْسِيَّرْ فِيَّ[2]

تَبَّطَتْ فِيهَا ظَاهْرِيْ وَجْفَارِيْ بَرْقَةْ عَدُو جَدِّيْ يَحَاذِيَّ فِيَّ[3]

إنّه وجد بهذا الصندوق كلّ عمل قام به لا يريد إفشائه وظهوره للآخرين، وأنهأخفاه عن أبنائهوأصدقائه وجيرانه، لا يعلم مابه إلاّ الله والملائكة المكلّفة بتسجيل السيئات والحسنات، وبه كلّ عمل قام به بالصحراء والساحل وما ظهر وما خفى، ولا رفيق معهإلاّ وسوسة الشيطان الّذي كنّى عنه بـ "عدو جدّي"، والشّاعر لم يكن شرّيراً إلى هذه الدرجة ولكن الإنسان عندما يعيد ذكريات حياته تجدها مليئةبالكثير الكثير وكلّه من باب عظمة الذنب، وينتقل إلى المقطع التالي:

حِجَّهَا بْطُولْ حَيَاتْي مِنْ يَوْمِ مِيلاَدْي لِيُوْم امَّتِي[4]

لِّي نُكَرَه نَلْقَى الشّاهد اِتِي اْبِحَجَّه صَحِيحَه اْموقّعه بِاْيَدِّيا[5]

يقول الشَّاعر: أنّه وجد بالصندوق أوراق ومستندات تحمل عمله طيلة حياته، منذ تاريخ الميلاد إلى يوم الممات الّذي لم يحن بعد – ولكنّه يرى اقترابه– وما تحمله هذه المستندات

---

(١) كميته: حفظته وسترته.

(٢) الباري: البارئ صفة من صفات الله.

(٣) تخبط: الخباط بالضّمّ كالجنون ولبس به تقول منه تخبّطه "الشيطان أيّ افسده، والشّاعر يعني عمل ما يحلو له، ظاهري: الظاهر الأرض الّتي بعد الجبل الغربي وجنوبه، وجفارى: الأرض الّتي تتجمع بها مياه السيول القادمة من الجبل الغربي وهي شمال الجبل، ويعني بهما الشَّاعر كناية على كلّ شئ قام به دونما حسيب أو رقيب، عدو الجد: الشيطان.

(٤) آماتي: مماتي.

(٥) نلقى: أجد، واتي: جاهز.

من جرائم، وكلّما أراد أن ينكر أو يتناسى إحداها وجد الشّاهد من بين أعضائه ، وكلّ من قام بظلمه حين ضعفه أتى به إلى القويّ القدير الّذيأعاد له حقّه كاملاً غير منقوص، ويستمرّ الشّاعر:

أُوَراقْ جَـــــــاهزه وْمَخْتُومَـــــــــه هَـــا جَـــرَايْم كـــلّ ُ ـــوْم و ُومَـــه

وْحْقُ ـــوقْ نَـــاسْ اْسَـــلّمة و مَظْلُومَـــة لِ يـــتْ حَقّ ُ ـــمْ بِـــدَايَرِه مِرْشِـــيَّه[1]

زَغّـــاب نَخْبـــر فِـــي الْوطَـــا بِنْجُومَـــه اْسِـيتْ مِـنْ خَلَـقْ انْجُـوْم لَلّـتْ بِيَّـا[2]

فكلّ ما وجد بالصندوق من أوراق هي صحيحة وجاهزة ومختومة بأختام ربانّية، وهذه الأوراق مؤرّخة ومعروفة باليوم والتاريخ والساعة وبها كلّ حقوق أناس سُلبت منهم عنوة وظلم أو عن طريق الدوائر الحكوميّة بالوساطة والرشوة، ويعترف بخبرته بالطرق الصحراوية الّتييسير فيها عن طريق النجوم ليلاً من أجل ضرب قبيلة وسلب ممتلكاتها، ونسي من خلق تلك النجوم الّتيهيّ لت له مهمّته واستعملها في غير طاعة الله، ثم يقول:

نَحْصِـــي حَصَـــى مَحْصُـــولي تِيتَـــه خَطَـــا وانـــ دَمْتْ عَـلْ مَفْعـولي[3]

اصْـحَابْ الخَطَـا وَالـزُّوْر مَـا حَضْـرُوا لـي كلّ حَـــدْ زَيِّـــي مِلْتَهِـــي بقْضِـــيَّه[4]

أجَّـــرَتْ فِـــي قَفْـــص الْحِســـابْ ابْطُـــول لاَ يَرْفِقْـــي لاَ مَـــالْ لاَ ذُرِيِّـــه[5]

بعد مراجعة الشّاعر لحساباته ومحصوله خلال رحلته الدنيويّة، وجد كلّ محصوله خطأ، ولحقه الندم على كلّما قام به في حقّه وحقّ الآخرين، وأيقن أنّأولئك الّذين شجّعوه

(١) كليت: أكلت، دايره: دائرة، مرشيّه: مرتشية.
(٢)زغّاب: الزغب عند البدو بمعنى الإغارة على القبائل، الوطا: الأرض، نجومه: النجوم المضافة إلى الهاء العائدةعلى الله.
(٣) نحصى: أحصى: عد وحسب، محصولي: ما تحصل عليه خلال هذه الرّحلة، لقيته: وجدته، خطا: خطأ.
(٤) ما حضروا لي: لم يحضروا لمساعدتي، زي: اداة تشبيه بمعنى "مثل".
(٥) أجَّرَّد: انفرد وتجرد من كلّ شيء، بطولي: أيّ بمعنى وحيد .

وصاحبوه في كلّ أموره تلك، لم يجد منهم أحداً ليساعده ويقتسم معه همومه، فكلّ منهم له قضايا تشبه قضاياه شغلت كلّ وقته ويُحاسب عليها، ويقرّ الشّاعر انفراده بنفسه أمام الله وحيداً متجرداً من المال والأبناءوالأصدقاء، وهكذا ينتقل من قضيّة إلى أخرى في مقاطع قصيدته ويعود متضرعاً إلى الله طالباً منه الصفح والمغفرة والتوبة النصوح.

وللعبادات مكانة مرموقة في الشّعرالبدويّللّيبّي، اخترنا من بينها أبياتاً توضّح قداسة شهر رمضان لدى اللّيبيين، فالبحر الأزرق(*) يقول في قصيدة زجلّية يستهلها بالمطلع:(١)

رَمَضَانْ مُبَارَكْ فَضِيلْلْهِلَّه يَا سَعْدْ مِنْ صَامَه تَمام وصَلَّى(٢)

يرى الشّاعرأفضلّية شهر رمضان على شهور السنة الأخرى، وهو من الشهور الّتي تتنزّل بها البركات لأنّه الشهر الّذي أُنزل فيه القرآن فكيف لا يكون مباركاً؟ وهلال رمضان أفضل الأهلّة، للسعادة واليمن والبركة لمن صام هذا الشهر صياماً صادقاً تاماً قياماً واحتساباً ، ثم ينتقل إلى المقطع التالي من قوله:

شَمَّرْ وا بصْيَامه شَهْرَ الدَّيَانَةِ نَخْضَعُوا قدَّامه(٣)

عَلَى كلّ مؤمن وَاجْبات أيَّامه وُبه نقيَّه خطَا لاَ زلَّه(٤)

رَمَضَانْ يُوفَى بهَنَا وَسلاَمه اللَّي عَمْلْ سَيَّاتْ تَسَجَّلّه(٥)

أيّ لنا الشرف أن نستقبل هذا الشهر المبارك ونستعدّ له استعداداً يليق بمقامه، فهو شهر الّدين الّذي يعود النّاس فيه إلى الله عبادة وصدقة ومساعدة الآخرين، فهو واجب على كلّمسلم بالغ عاقل، وعلى كلّ مسلم أن يتوب التّوبة الصادقة ، وعدم الوقوع في الأخطاء، فهي أيّام قليلة سرعان ما تنتهي حيث فيها يسعد السعيد ويشقى الشقي، ثم ينتقل إلى المقطع الّذي يليه:

(*) تم التعريف بالشاعر.
(١) ديوان البحر الازرق، ص١٣٥.
(٢)الهلّة: جمع هلال.
(٣) قدّامه: أمامه.
(٤) واجباته، وجوب، خطا:خطأ، لازلّة: لا يزلُّاللّسان فيه.
(٥) بهنا: من هنئ، سيات:سيئات، تسّجلّه: تسجل له.

شَـــــهْرُ دِيَّـــــنَا مُبَـــــارِكْ يَخْلِيـــكْ مَتْفَـــأَلْ وَ تَكْرُمْـــدَارَكْ[1]

تَنْـدَمْ عَلَـى فِعْلَـكْ اتْسَـامَحْ جَـارَكْ مِـنْ كُـلّ شَـيء الْقَلَـبْ يَبْرَدْ غِلّـهْ[2]

يَـا فِكْـر رَاهُـو بَايِعَـكْ دَبَّـارَكْ بِعِدْ لَعِينَـكْ مَـا تِعِيشْ فِـي ظِلّـهْ[3]

فهذا الشهر المبارك شهر الدّين شهر القرآن شهر القيام شهر التسامح شهر الصدقات شهر الكرم، فالإنسان يكون متفائلاً في كرم ربّه وغفرانه، وتجتمع الأسرة في هذا الشهر، وهو شهر المساواة فالناس جميعاً متساوون يشعر كلّ منهم بالجوع فيعرف معاناة الفقراء وحاجة أطفالهم فيكون فيه كريماً معطاءاً، ويتسامح فيه من كان له ثأر أو غلّ على أخيه المسلم، ويندم على أيّ فعل غير محمود قام به فيطلب السماح من أخيه، ويدعو الشّاعر الإنسان في البيت الآخير أن يبعد الشيطان وتدبيره وعدم الانسياق في دربه ونهجه المظلّل، ويقول:

شَـــــهْرُ دِيَّـــــنَا يَانْسَـــــنَا رَمِينَـــا الْبَايِـــدْ وَالجَّدِيدْإِلْبَسْـــنَا[4]

لله خَـــالَصْ وَاضْـــعِينْ أَنفُسْـــنَا سَوِى ذُـــورْ ضَـــاوِي وَالظّـــلاَمْ جَلّـــى[5]

طَلَبْنَـاكْ يَـا مُـولَى الْعَطَـاء خَلّصْـنَا عَبْـد إِنْ طَلَـبْ مُـولاَهْ مَـا يَتَخَلّـى[6]

فبقدوم شهر الدّين والبركة والأنس خلعنا فيه كلّ ما هو قديم وخرجنا بالجديد خلعنا الذنوب والعصيان وأوساخ الدّنيا وزائفها وارتدينا الطاعة والتوبة والأجر والعمل الحسن وهو من باب المجاز والمعنى البعيد المراد، أمّا المعنى القريب فهو ارتداء الملابس الجديدة وترك الملابس القديمة فرحاً واحتفاء بصيام هذا الشهر المبارك، ثم يعود إلى أنّ الشّاعر والمسلمين عموماً واضعين أنفسهم في خدمة هذا الشهر الفضيل وفي خدمة الله من خلاله، فبهذا الشهر الكريم ظهر النور واختفى الظلام، لأنّه أنزل فيه القرآن وظهر الإسلام، واختفى الشرك والجهل، ثم يختم الشّاعر هذا المقطع بالدعاء طالباً الخلاص والعطاء من الله، ومن

(١) يخليك: يترك منك، ديّنا: ديننا.
(٢) شي: شيء، غلّه: غليله وحقده.
(٣) راهو: تيقن، بايعك: من البيع بائعك، دبّارك: الناصح لك، لعينك: الّذي تلعنه وهو الشيطان، لا تعيش: لا تعش تحت سيطرته.
(٤) رمينا: وضعنا وخلعنا.
(٥) ضوى، وضاوى: لمع.
(٦) مولى: صاحب.

لجأ إلى ربِّه لا يتخلَّى عنه ولا يتركه فلابد وأن يجعل له مخرجاً . وهكذا يستمرّ الشَّاعر في قصيدته بيتاً بيتاً ومقطعاً ومقطعاً يذكر فضائل هذا الشهر وما يجب أن يكون عليه الإنسان خلاله، وفضله على الصائم نفسه وفضله على الفقراء والمساكين، وفضله على المجتمع والمسلمين عامة.

والشّاعر حميد الدبو(*) يرسل بسلامه إلى قبر النبي –عليه الصّلاة والسلام–مع وفود الحجيج إلى زيارة المدينة المنّورة في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها(١):

ـا حجَّـاجْ قلُّـو لِـي سَـلاَمي لْقَبْـر الُصْـطَفَى خَيْـرِ الْأَنَـامِ(٢)

يدعو الشَّاعرمنادياً مركب الحجيج والقوافل المتّجهة إلى بيت الله الحرام والحرم النبوي الشريف طالباً منهم أن يحملوا سلامه إلى مقام النبي – ﷺ – عند زيارتهم المدينة المنورة.

ثم ينتقل من المطلع إلى المقطع الأّول:

لُّـوا لِـي قَصِـيدَه شِـعْ وَظَـمْ فِـي وَرقَـه جَدِيـده

الـنَّفْس الْحَاجَّـه إنْ مَاتَـتْ شَـهِيدَه ـا تَشْـرقَشْ فِـي يُـوم الزَّحَـامِ(٣)

يقول الشَّاعر للحجيج: احملوا لي السلام في قصيدة شعرّية منظومة رصينة مكتوبة على ورق جديد جيد تلُقونها على مقام النبي – ﷺ – علَّ الله يغفر بها ذنوبي ويستجيب لدعائي بأن أصل إلى تلك الدّيار قبل مماتي، فالحاّجلّذي قام بفريضة الحجّ كاملة غير ناقصة متّماً لكل أركان الحجّ عاد كالطفل بعد أن مسح كلّ الذنوب وغفر الله له خطاياه، وإن توفّاه الله خلال رحلته هذه فهو كالشهيد لا ذنوب عليه ولايلاقي عذاباً يوم الحساب،ويقول:

لُّـوا ِـي رَسِـيلْ بْـر الُصْـطَفَى الْهَـادي الجَّمِيـلْ(١)

(*) حميد أحمد الدبو توفى عام ١٩٧٢م، انظر مقدمة ديوان الشَّاعر المرحوم حميد الدبو، إعداد محمد حميد، دار طبرق للنشر والتوزيع والاعلان، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.

(١) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٢)قلُّوا: احملوا.

(٣) ما تشرقش: لا تشعر بالقلق: يوم الزحام: يوم القيامة.

صَـــلاَةٌ دَائمـــه صُـــبْحاً وْلِيـــلْ تَمْحُـــو الـــذَّنبْ مَـــا فِيهـــا كَـــلاَم

احملوا لي هذه الرسالة إلى قبر الحبيب جميل المظهر والفعل ، الهادي إلى سبيل الخير، المصطفى من بين الخلق. فالصلاة والسلام على سيّد الخلق صباحاً مساءً إنها تمحو الذنوب وهو مؤكّد حسب المأثور من الكتاب والسّنة حسب اعتقاد الشّاعر.

وفي مثل هذا النوع من الشّعر، ينتقل الشّاعر من مقطع إلى آخر في إلقاء ولحن بصوت جميل حزين، والآخرون يرددون مطلع القصيدة بعد انتهاء الشّاعر من آخر كلّ مقطع، وغالباً ما يكون عند وداع الحجّاج إلى بيت الله الحرام.

أمّاالشّاعرأحمد أبوعائشة (*) فهو يصف الرّحلة إلى الحج عن طريق البحر في قصيدة زجلية يقول في مطلعها(٢):

الْبيبـ وْرَسَافْرَعَالْمَراسِيغَدِيـ رِيدالْمَدِينَهـ وَالْبَقِيعْوجَدَّه (٣)

يقول: ركبنا السفينة الخاصّة بنقل الحجّاج الّتي أقلعت من الميناء وأخذت طريقها تشقّ عُباب البحر متّجهة إلى الأراضي المقدّسه ومرساها النهائي مدينة جدّة، ثم الانتقال عن طريق البرّ إلى المدينة المنوّرة وزيارة الحرم ومقبرة الصحابة المجاورة للحرم النبويّ وهي مقبرة البقيع.

وبعد أن وضّح موضوع القصيدة من المطلع يذهب إلى المقطع الأوّل:

بيبُ ـــــوْرَ سَـــــافْر بينـــــا قَلَّـــعْرَسَـــاوِيَّه حَـــذَرْ فِـــي حِينَـــا(١)

الْمـــاَطُوْرَ وَالسَّـــواقْ وَمَّاكِينَـــه وَمَوجـــةْ الْغَـــارِقْ تِجْبَـــدَه وَتْـــرُدَّه(٢)

---

(١) رسيل: رسالة.

(*) أحمد أبو عائشة من شعراء زلة ولد بها عام ١٩٠٨م وتوفى ١٩٨٤م، انظر ديوان الشّعر الشعبي، المجلدالثّاني، إعداد: د. علي سليمان الساحلي، سالم الكبتي، ص٢١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

(٣) البيبور: ويقال في الغربالّيبيّ "البابور" وهو المركب أو السفينةالّتي تحمل الحجيج، ع: على، المراسي: جمع مرسى وهو الميناء، عدَّى: أقلع وانطلق.

(١) بينا:بنا، قلّع: أقلع، رساوي: جمع رسوة وهي السلاسل والحبال.

(٢) وين: حينما، ع:على، الصلا: الصّلاة ووقتها، عدِّينا: رحنا إليها، تجي: تأتي، منهدّه: متدافعه.

وِيـن مَـا وصَـلْنا عَ الصَّـلاَ عَـدِّينَا الْحِجَّـاْ ع َ الرُّوضَـه جِـيْ مِنْهَ ـدَّه[٣]

رَوايـحْ الجَّنَّـة فَ ايَحـاتْ عَ ـِينَـا اعْطَـارْ الْحَجـرْ لَسْـعَدْ امذِ ـينْ اشْـدَّه[٤]

ْومِـنْ بيـرْ زَمْـزَم الشَّـرَابْ رَوِينَـا ومِنَّـه شَـرِبْ لِـنْسَـانْ لِـ ـينْ يَسَـدَّه[٥]

يقول: فكّت السلاسل والحبال وانطلق المركب بكلّ قوّة المحرّكات، والبحر يأخذ المركب حيناً ويرده أخرى، وهكذا إلى أن وصلنا، وعندئذ دخلنا الحرم وكان وقت صلاة، فأدّيناها في جماعة ثم انطلقنا إلى الطواف بالكعبة في جماعات كثيرة تأتي من كلّ حدب وصوب، وتنتشر روائح تشبه روائح الجّنة عند القرب من الحجر الأسعد وتقبيله، ثّم الانتقال إلى بئر زمزم ويأخذ الإنسان حاجته منه إلى أن يرتوي ويحمل حاجته من الماء، ويستمّر:

وعِـ ْنـدَ الصَّـفَ اءَ وَالْمـرْوَتِيْن جَرِينَـا ـهَ رْويـلْ سَـبع اشْـوَاطْهُ ْم لاَبُـدَّ

وَ فُـوقْ مِـنْ جَبـلْ عَرَفَـاتْ وِيـنْ رَقِينَـا ا تُعـدْ الْحَجَـرْ وَالْخَلَـقْ يصْـعَبْ عَـدَّه

مَحِينَـا الـذُّنُوبْ المَاضَـيَاتْ عَ ـِينَـا نْجَـوا بـالْحَلاَلْ إِنْ شَـاء الله فِـي الـرَّدَّه[٦]

نبِـ ـلْ حَجَّنَـا وَبَعـدْ الْمـزَارْ فَوِينَـا افْضِـي سِـرَّنَا بَعـدَ الْكَـدْر وَالشِّـدَّه

ويستمّر في أداءالأركان والسنن، فبعد أن شرب وتزّود من ماء زمزم، انتقل إلى جبلي الصفا والمروة وإنهاء السبعة أشواط بينهما، ثم جاء يوم الوقوف بعرفة فكان الشّاعر في الموعد يصف الأعداد الكبيرة من الحجيج وهي منتشرة على الجبل والمناطق القريبة منه كأّنها حجارةحتّ ى أّنك يمكن أن تعدّ وتحصى الحجارة المنتشرة ولا تعدّهذا الخلق الكثير،

(٣) الماطور: المحرك، السواق: السائق، مواكينه: المحركاتوالآلات، الغارق: البحر، تجبده: تأخذه.
(٤) فايحات: تفوح، امنين: حين أو حينما.
(٥) م: اختصار "من"، روينا: ارتوينا، لِنْسَانْ: الإنسان، لين: إلى أن، يسدّه: يكفيه، بير: بئر.
(٦) انْجُوا: من الفعل جاء بمعنى نأتي، الردّة: العودة.

وكما يقال الحج عرفة ، فبالوقوف بعرفة انتهى الحجّ وغُفِرت الذنوب حسب ما يرى الشّاعر، ويدعو بالعودة في المواسم القادمة إلى الأراضي المقدّسة، ثم يجزم بقبول حجّهعند بارئه، ويعود خالٍ من الذنوب والخطايا، وبعد ذلك ينوي العودة إلى الدّيار والأهل بعد أن وضع على نفسه ما كان يشعر به من عدم قضاء فريضة الحج وهاهو اليوم يشعر بالفرح والسعادة.

الشعر البدويّاللّيبّي تناول كلّ الموضوعات الدينّية. فتناول الصّلاةوالحجّ والصوم والزكاة، وتناول موضوعات الترغيب والترهيب ، والدعوة إلى الفضيلة ومساعدة الفقراء والمحتاجين واليتامى، وتناول المدائح النبويّة الّتي تمجّد السّيرة النبويّة ، والزهد وتذكّر الموت والآخرة والبعد عن الدّنيا وملذاتها لأنّها ليست دار مقام.

وهناك نوع آخر من الشّعر وهو ذكر الأولياء وكراماتهم في نوع يسّمى عند اللّيبيين "الذّكر" يذكرون فيه أعمالالأولياء وكراماتهم والدعوة لهم والاستعانة ببركاتهم، وهناك أنواع من الشّعر الدّيني تختلط فيها المدائح النبوية بذكر الله ممتزجة بالزهد تكون في مواسم الحج والمولد النبوي الشريف، وبعض المناسبات الدينّية، وإحياء الوفايات بأذكار ومدائح يختلف كلّ منها بحسب اختلاف الموضوع الّذي تلقى فيه.

ولا تخلو قصيدة قيلت في أيّ غرض من أغراض الشّعر الأخرى من لمسات ونفحات دينية سواء أكانت آية قرآنّية أم معنى آية، أم حديث شريف أم معنى حديث، أم قاعدة فقهّية أو ما يتعلق بالعبادات، أم قول مأثور يرغّب أو يرهّب النّاس في أمر من أمور الدّين لأنّ المجتمع اللّيبّي مجتمع متدّين في أغلبه، وهو مجتمع زوايا وكتاتيب.

ثالثاً : الحماسة ومعارك الجهاد:

يدخل تحت هذا الغرض وصف المعارك والتّحريض على القتال، والدعوة إلى الصّبر والتجلّد والترغيب في الشهادة رفعاً لكلمة الله، والدفاع عن الوطن والديار والإسلام والمسلمين.

ويكون التحريض ودفع النّاس إلى القتال أحياناً بالمهاجاة، وهي إلقاءأبيات شعرية حماسّية تلقى بأصوات ملحونة جميلة عاليةحتّى تصل إلى أبعد نقطة بجحافل المجاهدين، تدفع بهم إلى القتال وتبعث فيهم الحماس والارتماء في أحضان المعركة وسرعة الطعن في حالة تشبه الجنون بسبب تلك الأبيات وطريقة إلقائها من ذوي الأصوات الجميلة، ومن هذه الأبيات على سبيل المثال[١]:

يـــا حِـــي لِابُـــدْ مِـــنْ الْمـــوتْ سَـــوَاء أُمـــَراضْ وَالاَّ جـــَرَاحِ[٢]

ْوَمـــا يـُقْعـــُوا كَـــانْ لـَفْعـــالْ عَافْـــــــاتْ وِالاّ امـــــــلاَحِ[٣]

يصدح المهاجي بهذه الأبيات المحفوظة لدى الجميع من المخزون التراَثي ولا يعرف لها قائل، تخترق هذه الأبيات كلّ الصفوف تبعث في المقاتلين الحماس والشّجاعة والانطلاق إلى الأمام واختراق صفوف الأعداء، وتبعث في الأعداء الخوف والفزع والتّراجع، يذكّر المهاجي النّاس– في هذا البيت – بأنّ الموت أمر محتوم لابدّ منه، إن لم يكن اليوم سيأتي في الغد القريب، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، أّمالّذي يبقى ويعيش هو فعل الإنسان وسيرته، فإن كانت سيرة الإنسان حسنة يبقى ذكره حّياً ، وإن كانت سيئة ينتهي ذكره بموته. وهذا آخر يقول[٤]:

لـَـوْ كَـانْ اللاّـــي تَلْ مـــا مَـــاتْ يْحـــــَرْم عَـــــِ ـــــىَّ الطـَّ ـــــرَادِي[١]

بِمـــــا أَنْ الْمـــــُوتْ بِالآجَـــــالْ مـــــالَ لَـهَ ـــــا يـــــا جَـــــوَادِي[٢]

(١) موسوعة روايات الجهاد، قصائد الجهاد، الجزء الثالث، إعداد وتحقيق: مصدق فتحي الشعاب، عبد الرحمن عمر البريكي، دار الكتب الوطنيّة بنغازي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م، ص١٢١.
(٢) جراحِ : جمع جرح.
(٣) ما يقعدوا: من القاعد بمعنى الباقي، عافنات: من التعفن أيّ الافعال السيئة، املاح: جمع مليح وهو الذكر الطيب.
(٤) موسوعة روايات الجهاد الجزء الثالث، ص١١٠.
(١) الطرادي: جمع المطاردة للعدو، ذل: جبن.
(٢) الآجال: جمع أجل.

يذّكر المهاجي الّناس في صوت يشق عنان المعركة موجّهاً الخطاب إلى جواده بقوله: لو كان الجبان يخلّد ولم يمت أبداً، فالشّاعر يحرِّم على نفسه وعلى جواده المطاردة بساحات الوغي وخوض غمار المعركة حتّى يُبقي على حياته وحياة جواده، ولكن الموت يأتي إلى كلّ من انتهى أجله، فيحثّ جواده على الدخول إلى المعركة .وعندما يستمع الّناس إلى هذه الحكمة في صوت جميل يتداعون على المعركة فرادى وجماعات، وكأّنه قال لهم: ادخلوا المعركة لا تذلو. ويردّ عليه مهاج آخر من الناحية البعيدة قائلاً[٣]:

لبســـت رِدَاء حَـــبْ رُمَّـــانْ و خَلْخَـــالْ تَسْـــمَعْ رَنِينَـــه[٤]

وقـالُوا لَهَـــا خُـــوكْ ذَلال تَـــتْ لِيَـــالِي حَزِينَـــه[٥]

لكي يزيد المهاجي من حماس المجاهدين يذكّرهم بأخواتهم وزوجاتهم وما يصل إليهنّ من أنباء عن المعركة وعن الشجاع والجبان، بقوله: عندما خرجت وهي مزهّوة تحمل أجمل زينتها من أردية جميلة مزركشة وقلائد وخلخال، وتباهت بين النسوة بجمالها وزينتها قالت لها النسوة إن أخاك جبان وهرب من المعركة، فانقلب فرحها حزناً وامتنعت عن الخروج من بيتها منطوية عن نفسها باكية حيناً وواجمة أحياناً أخرى خوف الخروج إلى الأخريات لينظرن إليها بشماته ويذكرن أمامها جبن أخيها، فالمراد من هذه الأبياتهو أن يتذكّر كلّ منهم زوجتهوأّمهوحبيبتهوإشادتهن بالبطولات وذكرهنّ الفعل البطولّيلا الفعل الشائن، فيزيد في الطعان وعدم الهروب.

تقول الشّاعرة عناية سالم عبد النبي[*] حين سمعت أن والدها تعامل مع الإيطاليين وتصالح معهم وأخذ منهم راتباً قرَّرت[١]:

كَانْبُ وْيطْلَيْلْمَعَاشْوجَايهْنظَهْرَعَةَابالطَّبْلِ لنَّدَابَة [٢]

(٣) موسوعة روايات الجهاد، الجزء الثالث ص١٠٧.
(٤) حب رُمّان: اسم نوع من القماش الفاخر، تسمع: يُسْمَع، رنين: الصوتالّذي يصدره الخلخال.
(٥) خوك: أخاك، ذلال: جبان.
(*) عناية سالم عبد النبي الزنتاني ابنة المجاهد المعروف سالم عبد النبي قائد معركة قاهرة بالجنوب، وهي من مواليد الزنتان عام ١٨٩٢م ولاتذكر المصادر تاريخ وفاتها، انظر قصائد الجهاد، سلسلة الروايات الشفوية ٣٤، اعداد خليفة محمد الدويني، وعبد الرحمن البريكي، وامصدق الشعاب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الاولى، ١٩٩٥ م، ص٢٩٦
(١) المصدر نفسه، ص٢٩٦.

قائلة: إذا قام والدها بعمل يؤدّي إلى الصلح مع الطليان والتعامل معهم ، واستلم منهم راتباً شهرياً أو أيّ مالٍ، عليها أن تعدّه ميّتاً وتعطي "الطبل" إلى النساء ليبكين ويندبن والدها وهو حي، فمثل هذا الموقف يمنع المجاهدين من التعامل مع العدو والتصالح معه والهروب أمامه والتخاذل والتقاعس عن الدفاع عن الوطن، ومثل هذا النوع يكثر في الشّعرالبدويّ لأنّ كلّ حياتهم قتال وحروب، ولابدّ من رفع معنويّات الرجال وحثّهم على القتال.

أمّا القصائد المطوّلة اخترت منها بعض النماذج، وليكن أولها قصيدة الشّاعرأحمد فرده(*) يتحدث عن معركة قامت بين قبيلته وقبائل الجنوب التونسي عام ١٨٩٠ م تسمّى معركة "الطبعة" في ملحمة تاريخيّة تجاوزت مائة بيت اخترنا منها هذه الأبيات(٣):

رَحْلُهْمْ تَرْوِيلَ طْيَارْ شَرَّقْ بِظْهَ ارْتَ قُ وِلْفَوْقْ خَ فَّامْبَاتَ ه (٤)

وشَافُوهْ لْعَادِ بْلَانْظَ ارْمَالدَّ ارْلِلدَّارْ رُوَّادُهُ مْبِالثَّبَاتَ ه (٥)

و حَشْدُوا عَ رَأِيدَبَّارْ شُبَّابِ يْنُوصْ غَارْلَا مْنِعِيلَ هَنَهَ لَتَ ه (٦)

وطَقُّوهْ مَقُ وِلْلَ وْتَ ارْصُوتَ هَقْوِيحَارْ شَمْسَالضَّحَ حَارْقَ اتَ ه (٧)

يْرَزْمَكْمَارَعْ فُهْ ارْفِيَوْقْ نَيَّ ارْسِيلَ هَسَحَ لَيْهَتَ وَاطَى (٨)

حمل قوم الشّاعر على الرحيل والنهوض في الصباح الباكر مع صوت الطيور الّتي تستيقظ مبكراً، واتّجه الرّكب من الجنوب التّونسّي إلى الأراضي اللّيبّية في مجموعات كبيرة من الإبل والحيوانات إلى ناحية الشرق محاذياً للبحر، وهذه المجموعات الكثيرة من الّناستشبه المجموعات من الطّيور الّتي تركت مكانها في وقت واحد، ورائد الأعداء حدّد مكان وديار هذه القبائل، واجتمعوا جميعاً على رأي واحد هدفهم الانقضاض على هذه القبيلة

---

(٢) بوي: أبي، طلين: أيّ تعامل مع الايطاليين وتصالح معهم، المعاش: الراتب الشهري، جابه: جئ به، انظهّر: أعطى ، الطبل: إطار كبير الحجم يجر على الأرض وهو نوع من الدفوف عند الضرب عليه يصدر صوت يُنذر الضرب عليه بموت عزيز أو حدوث أمر كبير كالحرب مثلاً ووقوعها، النّدابة: النساء اللائي يندبن ويبكين الميت.

(*) سبق الترجمة للشاعر .

(٣) الأدب الشعبي في ليبيا ، محمد القشاط ، ص٩٥.

(٤) رحل: الضمير يعود على النّجع، مد: انطلق من مكانه، زوى: صوت العصافير محلياً، لطّيار: الطيور في كناية عن الصباح الباكر، شرّق بمبحار: أخذ الركب يشير في اتّجاه الشرق من ناحية البحر، فرق: فرق الطيور .

(٥) شافوه: شاهدوه، لعدا: الاعداء، بلنظار: بالعيون، م الدار: من الدّيار، روادهم بالثباته: عرف الرائد مكانهم .

(٦) دبّار: مفكر ومدبر الأمر، شيابين: جاءت من الشيب وهم العجائز الكبار، عياله: زوجته.

(٧) طقوا: طرقوا وضربوا الطبل، مقنود: ما شد رباط أوتاره وهو كناية عن الطبل.

(٨) يرزم: الصوت الشديد للطبل، وارزم الرعد: اشتد صوته، نقمار: مرتفع، تواطى: اقترب من الأرض.

وسلب أموالها. ولم يكن بينهم عاقل أو ناصح، يمنع هذه المعركة وهذه المجزرة، فقرعت الطبول الكبيرة ذات الأصوات الّتي تشبه صوت الرعد كثير البرق والمطر والذي اقترب سحابه من الأرض، فمطره أغزر ورعده دائم واشدّ قوّة، ويستمرّ في وصف المعركة:

وَهَـ ـرُوا عَلَـى خِيلْ حُسَّـارْ مِـــنْ كـــلّ دُوَّارْ لْحَـرَبْ يَشْـهـ ُوا خلاَطَـه(١).

ذَارِي عَلَى شُهـ َبْ تـُضْمَارْ فِي الْحَرَبْ شُطَّـارْ مَـا يَحْلُـوشْ الْصَـاطَه(٢).

يْهِيفُـوا كَمَـا نَلُـو لْمَجَـارْ مِـــنْ فَـــمْ لُيَـــارْ اْقَطَعَتْ احْبَـالْ السَّمَاتَه(٣).

وقَـعْ بِيـنْهـ ُمْ سُـوقْ مِشْـوَارْ ـنْ مَاتَـتْ النّـار يْشَـيِّبْ صَـغِيرْ الْقُماطَـه(٤).

عند سماع القوم الطّبول المدوّية ، خرج الرجال على خيول ضامرة محسورة، من كلّ جهة يتسابقون إلى الأعداء يشتهون النزال ومقارعة الخصم والذود عن ممتلكاتهم، وجميعهم من ذرّية هذه القبيلة ، لهم تجربة وخبرة في خوض الحروب ولا يطيقون الظلم، فكلّ فارس ينزل إلى المعركة على جواده المسرع كالدلاء الّتي انقطعت حبالها من فم البئر وهي ممتلئة بالماء فيكون سريع السقوط إلى قاع البئر – على سبيل التّشبيه – ووقعت المعركة بين الطرفين واستمرت لفترة طويلة من الزمن، تشبه السوق في ازدحامه واختلاط أصواته وإقبالالنّاس عليه، غير أنّ هذا السوق يختلف عن ذاك، لأنّه يشيب فيه الرضيع، ويقول:

ـي فِيـهْمَهـ َذ ُودْ لَشْـفَارْ مـا عَـادْ بِيطَـارْ ـــه ُيمَاتَـــلْ قَفَاتَـــه(١).

---

(١) ظهروا: خرجوا، وانطلقوا، حسُّار: الانكشاف، دوّار: الدور والديار، يشهوا: يشتهون، خلاطه: مخالطته.

(٢) ذراري: من الذرية، شحب: اصفرار في اللون، نضْمَار:خفّة اللحم وضمر الفرس، المصاته: الظلم.

(٣) يهيفوا: هاف بمعنى النزول والهبوط إلى منحدر من مكان مرتفع، لمجار: جمع مجر وهو طريقالنّاقةالّتي تجر الدلاء من قاع البئر.

(٤) مشوار: مدة أو فترة من الزمن، وقد تكون منشار الدابة يشورها شوراً وشوارناً، وشورها واشارها: أيّ راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها، وشرت الدابة اذا ركبتها واجريتها، لقماطة: ما يشد به الصبي في المهد،انظراللّسان مادّة "قمط".

(١) هفى: من "هفا": اسرع وخف فيه السّيف، وجرت عليها إمالة، لشفار: جمع شفر من شفرات السيوف وحروف حدها وشفرة السّيف حده، انظراللّسان مادّة "شفر"، قفاته: قفاه.

وكلّ مِنْ حَضَوْ دَارْ بَازَارْ فِي الْخِيلْ قَحْمَارْ لاَ يَسْأَلْ سَاعَةْ امَّاتَه[1].

عَلْ ذِيبْهُمْ عِرْسْ وَطْهَارْ فِي كلّ مْقَارْ حُولْ لاَقِي مَقَاتَه[2].

واتَتْ انْسَاهُمْ عَلَى الطَّارْ لِلصُّبْحْ صُمَّارْ مِنْ الْمخْ مَا طَايْقَاتَه[3].

السيوف الهندية فلّت فعاليتها وأصبحت غير قاطعة وتساوى السّيف بين حدّه القاطع وقفاه من السيوف ذوات الحدّ الواحد لكثر الطعان والقتال،فتشابه الجانب الحاد بغير الحاد، وكلّ افراد القبيلة تخوض هذه المعركة على خيول قوّية كبيرة الحجم عظيمة الخلق شديدة البأس لا يتراجع الفارس إلى الوراء ولا يسأل عن الموت متى وكيف تكون، ومن أيّ جهة تأتي، لا يهتم كلّ منهم إلاّ بالقتال والنصر والدفاع عن الحرم والإبل، إلى أن انتشرت الجثث في كلّ مكان وأخذت الذئاب تقيم حفلات الأعراس والولائم على لحوم البشر المنتشرة، وستجد الذئاب قوتها حولاً كاملاً من تلك الجثث في صورة مجازية على كثرة القتلى واتّساع انتشارها، وبعد كثرة هذه الأمواتعرفت كلّ قبيلة موتاها، أخذت النساء في البكاء وضرب الطبول طيلة اللّيل يندبن أبناء هنّ وأزواجهنّ وإخوتهنّ.

ويستمرّ الشّاعر في القصيدة يذكر كلّجزئيات المعركة مفتحراً بشباب القبيلة ومعدداً أسماء القبائل الّتي هاجمت قبيلته وما انتهت إليه المعركة من هزيمة تلك القبائل، وعودة قبيلته سالمة إلى أرض الوطنحتّى ينهي قصيدته.

---

(١) بازار: من البزر:الهيج بالضرب، وبزره بالعصا بزراً ضربه بها، انظراللّسان مادّة "بزر"، قحمار: المسن وقليل اللحم.

(٢) اطهار: طهر فلان ولده إذا قام سنّة ختانه" انظراللّسان مادّة "طهر"، منقار: الهضبة والمرتفعالّذي يشبه منقار الطير، مقاته: قوته.

(٣) الطار: من إطار الدف، صُمّار: التّصمير: الجمع والمنع، والصمير أيضاً: أن يدخل في الصمير: هو مغيب الشمس، انظراللّسان مادّة "صمر".

وفي لون آخر من الشّعر يصف الشّاعر موسى حموده[*] معركة بئر بلال في الخامس عشر من يونيو عام ثلاثة وعشرون وتسعمائة وألف ميلادي قرب مدينة اجدابيا بين اللّيبيين والإيطاليين في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها[١]:

صَارْ يُوْمِ فِي بْلاَلْ ضْ النَّهـ َارْ و عَـادْ َم الْخيـارْ ي اللاَّـي مَـدَارِيْع تُوقَـدْ النّـار[٢].

حدّد الشّاعر في مطلع القصيدة بداية المعركة الّتي اندلعت نصف النهار، وحدّد موقع المعركة فكانت بموقع بئر بلال بالمنطقة الوسطى، وكانت الغلبة للمجاهدين الأبطال الّذين كانت لهم الأفضلّية، واندحر جيش الغزاة وهُزم شر هزيمة بعد أنأخذت منهم نار المجاهدين وأحرقت صفوفهم، ثم يقول في المقطع الأوّل:-

صَارْ يـُوْمِ فِي اْبلاَلْ يـُوماً عَجِيبْ دَايرْ لَـهيبْ يْقّـي اللاَّي شَابْ مِنَّه الشّيبْ[٣].

عَـاد الْمَـدَارِيْع هُـمْ وَالسَّـبِيبْ كِيـف الْمَـدَارْ للِّي حَاسْ مِ الجُّوعْ عُقْب النَّهـ َارْ[٤].

يصف الشّاعر يوم معركة بئر بلال بأّنهرأى فيه العجب من كثرة قّوات الأعداء والنيران الكثيفة مع قلّة عدد المجاهدين، فياله من يوم يقتلع الشّعر الشائب من الرأس لشدّته، وكثرة معدّات ودورع وسّيارات وخيول الأعداء المتدافعة إلى المعركة ، وهذه الحالة تشبه حالة الصّقر وهو يضرب بمخالبه مجموعة من الحبارى عند المساء وهو جائع سيكون أشدّ وأقوى وأشرس منه في غير جوعه، في اشارة إلى شراسة المجاهدين ، ويقول في وصف هذه المعركة:

(*) موسى حموده الحائل من عائلة علي قبيلة المغاربة، وقد عرف بلقب القاضي، وذلك بسبب مكانته في الشّعر الّتي جعلت الشّعراء يلجاؤون إليه لتحكيمه فميا ينشأ بينهم من خلاف في مجال الشّعر، وكانت اقامته بمنطقة العقيلة، وكانت حرفته تربية الحيوانات، توفى في سنة ١٩٣٧م، انظر ديوان الشّعر الشعبي، المجلد الأوّل، ص٦٧.

(١) المصدر نفسه ص٧٠.

(٢)لخيار: الأخيار ، مداريع: لابسي الدروع يعني هنا القوات الإيطالية، توقد: تّتقد.

(٣) داير: يرى ويشاهد، لهيب: لهب.

(٤) السبيب: الخيول، المدار: الصّقر، عقب: آخر.

صَارَنْ نهارِينْ يرضَنْ اسْمَاحْ ... الوجَراحْ ... املاَقه عَلَى طُولْ فِي أَرض الْيَاحْ[1].

مِنْهَنْ الْمَلْعُونْ كَسَّرْ وذَاحْ ... وفِي الرَّأي حَارْ ... عَبَّرْ عَلَى كِيلْ وَالْكَيلْ جَارْ[2].

مِاهُمْ عَلَى الْمُوجْ صَهَدْ الْمِلاَحْ ... بْكَشَةْ انْفَارْ ... لَقَى جْنَاحَانْ فِي الجُو طَارْ[3].

يقول الشّاعر استمرّت المعركة بين المجاهدين وقوّات الاستعمار الغازية متوالية ليومين؛ وكان المجاهدون راضين عن أنفسهم لما قدّموه من طعان وقتال وجراح في صفوف الأعداء، وكانت الأرض الّتي قامت عليها المعارك عارية من الأشجار والنباتات والجبال والأودية ممّا كان عاملاً مساعداً لكسر شوكة الجيش المعادي حتّى أخذ في الفرار في كلّ إتّجاه، وزادت حيرته في أمره وغابت عنه كلّ الخطط والأفكار وكلّ ما رسمه راح أدراج الرّياح، وأخذت قوّاته ترتمي على البحر وتهرب بالقوارب الصّغيرة الّتي تحمل منهم أكثر من قدرتها، ويرى هلاك البحر أفضل من المواجهة والقتال، ولو وجد أجنحة لطار بها إلى أيّ اتجاه هروباً وفراراً وجبناً عمّا لاقاه من الفئة القليلة من المجاهدين المدافعة عن أرضها، المؤمنة بقضيّتها ودينها.

والشّاعر المهدي مفتاح جلغم(*) يقول في معركة أبي غرّة بالقرب من مزدة -الّتي وقعت يوم الثّاني عشر من يونيو عام ثمانية وعشرين وتسعمائة وألف ميلادي- قصيدة زجلّية هذا مطلعها[4]:

اَرْ يُومْ عَ الطَّلْيَانْ فِي بُوغَرَّه ... مِلْ لِيْمِيَّتْهُمْ غَبْ مِنْ كَرَّه[5].

---

(١) صارن: حدث، يرضن: راضيين عنهم، سماح: جمع سمح،وباللّهجة البدويةاللّيبيّة جميل، البياح: جرداء.

(٢) منهن: منهم، كسر: انكسر، ذاح: أنهزم وهرب على غير هدى، جار: جائر.

(٣) الموج: البحر، صهد: نار، المِلاح: الرجال الاخيار، كمشه: ما تحمله اليد الواحدة، انفار: كناية عن قلة المجاهدين، لقى: لقى: وجد، جناحان: جمع جناح، الجّون: المتسع من الأرض.

(*) المهدي: مفتاح جلغم، من قبيلة المقارحة، عائلة الجلاغمة، ولد عام ١٨٩٥م وتوفى عام١٩٨٥م، انظر: سلسلة الرواية الشفوية، قصائد الجهاد، الجزء الأوّل، سعيد عبد الرحمن الحنديري، سالم حسين الكبتي، منشورات، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، الطبعةالثّانية، ١٩٨٧م، ص٩١.

(٤) سلسلة الروايات الشفوية ٣٤ قصائد الجهاد، اعداد: خليفة الدردير، عبد الرحمن البريكي، مصدق الشعاب، ص٣٧٣. ص٣٧٣.

(٥) صار: حدث، اكمل: انتهى، لين: إلى أن، ميّتهم: قتلاهم، غلب: عجز، كرّه: نقله.

يقول الشّاعر: حدث في هذا اليوم الكثير من القتال والكّر والفّر بين المجاهدين والقّوات الإيطالية بهذه المنطقة الوعرة الصعبة،حتّى أّنه أصبح من الصعب على الإيطاليين نقل موتاهم الّذينسقطوا في هذه المعركة، ثم ينتقل إلى المقطع الأّول:-

جُـــــــوْه جَماعَـــــــــــه اخْـافْ الْعدَد كِنْ أصْحَابْ شَجَاعَه[1].

سفُوا لِـينْ سَلَّمِ في الْخَزِينْ اتَـاعَه لِّـي النّاس مَا لَـقِيتْ عَـلاَشْ تكُرَّه[2].

وِينْ مَا وَصَلَ بَعْضَه ذَبتْ وَاسْتَاعَى تَـرَّعْ وصَـار تْ فـي الْعِادْضَـرَّه[3].

عَـدْ يِـنهم رِاسَـم اثْناشَـرْ سَـاعَه يـزَّوا كَمـا حِـسَ النَّحَـلْ فِـي جَـرَّه[4].

يصف الشّاعر المعركة بقدوم المجاهدين في قلّة بالقياس أمام القّوات الغازية، ولكنّ المجاهدينيمتازون بالشجاعة عوضاً عن قلّة العدد والعتاد فضربوا العدو بقّوة منذ ابتداء المعركة وهزموه شرّ هزيمة وهرب أمام المجاهدين كالريح الّتي تسفي التراب أمامها في تشبيه جميل، وتركالعدو كلّ معدّاته وخزائنه من سلاح وذخيرة ومؤن إلى أن عجز المجاهدون عن نقله لكثرته وقلّة أدوات النقل عند المجاهدين، ويذكر الشّاعر: أنّ العدّو بعد هروبه جمع قواه من جديد وعاد إلى أرض المعركة وبقّوة أشدّ مما كانت عليه المعركة مسّياً أضراراً بالمجاهدين وحيواناتهم الّتي يمتطونها، واستمّرت المعركة ما يقارب من اثنتي عشرة ساعة والقتال على أشدّه بين الطرفين ولا يُسمع إلاّ صوت السلاح وأنين الجرحى وأصوات كثيرة لأطلاق النّارمن أفواه البنادق تشبه أصوات النحل داخل إناء من الفخار – ممّا يزيد من قوة صدى الأصوات –ويستمرّ الشّاعر في وصفه للمعركة على هذا النحو إلى أن يؤدّي غرضه ومبتغاه كاملاً من القصيدة.

---

(١) جوه: أتوا إليه، جماعة: مجموعة، خفاف العدد: قليلو العدد.

(٢) سفوه: من سفى الريح التراب اذراه، مشبها بذلك انهزام الأعداء، الخزين: مخزونة، متاعه: متاعه، ما لقيت: من لقى: وجد، علاش: على أيّ شيء، كرّه: نقله.

(٣) وين: حينما، استاعى: وعى وعاد إليه فكره بعد غيبوبه، ترَّع: ثبت وعاد إلى موقعه، صارت: حدثت، مضرّه: ضرر.

(٤) قعد: بقى، راسم: مستمر، تناشر: اختصار لاثنى عشر، يزّاوا:يصدر أصواتاً، حس: صوت، جرّه: إناء من الفخار لتبريد المياه أو حفظ الزيت والسمن وغيره .

يكثر شعر المعارك والجهاد عند الشّعراء اللّيبيين، فالمعارك الّتي دارت بينهم وبين الاحتلال التركي والإيطالي، وقبلهما الأسباني والمالطي كانت سبباً في ازدهار هذا النوع، ناهيك عن الحروب القبلّية المستعرة والدائمة الّتي يوثّقها الشّعرالبدوّياللّيبّي، وهذا النوع من الشّعر يقترن كثيراً بالفخر الفردي والقبلي، لأّنه شعر فروسّية، وهي من صفات البدوّي.

رابعاً : الشكوى :

يعّد هذا الغرض من الأغراض القديمة، فالشّاعر يشكو الدهر والزمن والأّيام، ويشكو الحاجة وقلّة الحيلة، ويكثر فيالشّعرالبدوّياللّيبّي، ويعود ذلك إلى صعوبة الحياة في البادية من شح المياه وقلّة المراعي وانقطاع الغيث وقساوة الصّحراء صيفاً وشتاءً، والكوارث الّتي تحدث سواء عن طريق الطبيعة أو نتيجة أمراض أو آفات وحوادث وكثرة الحروب، والترحال الدائم الّذي ينتج عنه فراق الأحّبة، ويصف الشّاعر مثل هذه الحالات بالداء وإن كانت الحالة غير مرضّية، كقول هجاوة الّرحى[1]:

أَنـــا دَاي مِثْـــل الّرِكُيَّـــبْ ـــي لمَّـــدُوا طَـــار فَاتَـــه[2].

فِـــي الصُّـــبْحَ يِصْـــبَحْ مْغَيِّـــبْ وْفِـــي للّيـــل يَعْمـــدْ امْبَاتَـــه[3].

تصف المرأة همومها وأحزانها وتشّبهها بقطيع الإبل الّذي أخذوا يجمعون المتباعد منها، فالقطيع يخرج صباحاً إلى المرعىحتّى يغيب عن الأنظار ثّميأتي المساويُ جمع ويعود إلى مكانه الّذي يبيت فيه، فهموم هذه المرأة أيضاً تذهب مع الصباح لاشتغالها بالعمل داخل البيت وخارجه – على عادة نساء البادية – من تربية الأطفال وجمع الحطب وجلب المياه وحلب الماشية وطهي الطّعام ، ولكّنها تعود إليها الهموم مع قدوم اللّيل وعمدها

(١) هجاوي الرّحى عبد السلام شلّوف، ص٦٥.
(٢) كيف:تستعمل أحياناً أداة تشبيه بمعنى " ك" ركيب: قطيع من الابل، لمّدوا: جمعوا ، الطارفة: البعيد عن القطيع.
(٣) مغيب: غائب، يعمد امْباته: يعود إلى مبيته.

إلى فراشها، عندئذ تتذكّر همومها وما تعانيه بداخلها من فراق أو بعد محبوب أو أب أو أخ أو أم ....إلخ.

وهذه امرأة أخرى تقول في هجاوة الرّحى[١]:

أَنـا دَاي لَـوْ صَـاَف اجْبـالْ طْـــوَالْ عَالْيـــاتْ الْقَنـــايفْ[٢].

تَبْقَـــى ضَحَاضـــيحْ وَارْمَـــالْ وَ هُـــمْ قَبـــلْ مَلْجَـــأ الْخَـــايفْ[٣].

تقول: إنّ لديها من الهموم ما إن وقع على جبال شاهقة عاليةلأصبحت صحاري ورمال منثورة على طول البلاد وعرضها، ولا يقدّر مدى حزن هذه المرأة وما تعانيه وتحمله بداخلها، فقد تنوء الجبال عن حمله. وتقول الأخرى[٤]:

بْحتَ ـــه وْتَقَّـــزَتْ مِنَّـــه مِـــنَ الْخُـــوفْ دَمَّـــه مَلاَنِـــي[٥].

ـاتْ بُـوي وَصْـرَتْ عَـه يَـــا بَـــالْ هَـــمَّ الزّمـــان[٦].

شبّهت الهمّ والحزن بالشاة الّتي نُبحَتْ وضُرِبتْ بها القداح، وإن كانت خائفة بعض الشيء في بداية الأمرحتّى أنّ الدّم غطّى كلّ ثيابها، ثم تعوّدت على الحزن والهمّ، في إشارة إلى فقدها الكثير من أهلها وذويها، فهي تقول: مات أعزّ النّاسلديها وهو والدها الّذي تعدّ وفاته من أكبر الهموم لديها، ومرّت الأيّام وصبرت على فراقه، فهي لا تأبه إلى الهموم الأخرى الّتي تراها دون همّها وفقدها لأبيها.

والشّاعر مصطفى عبيد الهوني [*] يشكو الحاجة والظلم وعدم العدل يقول[٧]:

ـا مُـــولاَيْ فَرَّجْهَـــا عَـلِيَنَـــا ـــا فَـــرَّاجْ عَ الْمِضَّـــأيقِينْ[٨].

---

(١)هجاوى الرّحى، عبد السلام شلّوف، ص٦٥.

(٢) داي: من الداء والمرض، قنايف: لغة: كبير الانف وضخمه،وعظيم الرأس واللحية، وقيل هو الطّويل الجسم الغليظة، أمّا أمّا معناها بالبيت الجبل العظيم الضخم على سبيل التّشبيه.

(٣) ضحاضيح: جمع ضحضاح: صحاري أو متسع من الأرض عند البادية.

(٤)ذاكرة قرية الجزء الثّاني، د. محمد سعيد محمد ص٦٠.

(٥)تقّزت: من التاقزه: وهي نوع من ضرب الاقداح، ملاني: من الامتلاء أيّ كثرة تلطخ ملابسها بالدم.

(٦) بوي: أبي، يابال: اسلوب للتقليل من قيمة الشيء.

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٧) ديوان الشّاعر مصطفى عبيد الهوني، نجيب محمد مصطفى الهوني، ص١٢٨.

(٨) ع: على.

لَـــكْ يَـــارَبْ بِالْحَالَـــة شَـــكِينَا لْغِيـــرَكْ حَـــدْ مَانَـــا شَـــكِيينْ[1].

نَحْـــنُ الـــدَّهْرْ عَـــدِّينَا ســـنينه ـــدَارْ وْقَهَـــرْ مِنَّـــه شَـــايِبينْ

مِـــنْ حَـــالاَتْ فِيهَـــا مَـــا لِـقِينَـــا شِيَايْسُـــرْ يَعْجَـــبْ نَـــاظْرِينْ[2].

يطلب الشّاعر من الله القادر أن يفرج على النّاس جميع الكرب لأنّه الله وحده القادر أن يخفّف على الأمّة الضيق والهّم والحاجة في المعاش والأسرة والجسد، وما الشكوإلاّ لله وحده، ويشكو الدّهر القاسي بسنواته العجاف الّتي مرّت على الأمّة بما فيها قهر وتعب وغبن وظلم ممّا زاد اشتعال الرأس شيباً قبل أوان قدومه المحتمل، وهذا بسبب تلك الأمور الّتي مرّت على الأمّة لسنوات طويلة لا تسرّ الناظرين. ويستمرّ قائلاً:

مُنْكَـــرْ شِـــينْ مَانَـــا رَاضْـــيِينْه عَـلِيـــهْ بِـقْلُوبْنَـــا مُسْـــتَنْكِرِينْ[3].

يَـــا غُوثَـــاه يَـــا نَـــارِي عَـلِيَنَـــا مِـــنْ لَكْـــدَارْ وَهُمـــوْم السِّـــنِينْ[4].

رِيَنَـــا الْمَـــوْتْ وَالتَّعْـــذِيبْ فِيْنَـــا ومتنـــا غَضَـــبْ وَاحْنَـــا كَـــارِهِينْ[5].

عَـــدَّتْ طَالِـيـــا وْقُلْنَـــا نجيَنَـــا جُونَـــا انْصَـــارْ لِـلْمُسْـــتَعْمِرِينْ[6].

والشّاعر يشاهد حال الشّعباللّيبيوما وصل إليه من أمورغير معقولة ينكرها كلّ إنسان عاقل ، ولا قدرة للشاعر إلاّ أن يستنكر ويتحسّر بألفاظ يظهر عليها الحزن والمرارة من الهموم المتتالية الّتي جاءت بها الأقدار والسّنوات القاسية على الشّعب، ولكن الشّاعر يقبل بالأمر الواقع وهو كاره له بما فيه من موت وتعذيب أبناء الوطن بعد خروج الإيطاليين واعتقاد الشّعب أنّه قد نجا من الهلاك والغبن، إلاّ أنّ ما جاء به أنصار المستعمرين كان أشدّ وأعظم، ويقول:

---

(١) مانا: ما نحن.
(٢) لقينا: وجدنا، شي: شيء.
(٣) شين: ضد الزين.
(٤) يا غوثاه: لفظ يطلق للاستغاثة، يا ناري: لفظ يطلق للتحسر، كدر: ضد الصفو.
(٥) رينا: رأينا، رمنا: من رام الشيء طلبه، احنا: نحن.
(٦) عدّت: من عدى: تستعمل عند البدو بمعنى غادر وذهب، طاليا: إيطاليا، جونا: أتوا إلينا.

لِسْتَعْمَارْ خِيرْ مِنَّه الْقِينَا اللِّي قِسْنَاهْ قَبْل امْجَرْبِينْ[1].

يَا مْولاَيْ مِنْ عِنْدَكْ عَطِينَا سَبْعِينَّا عَ الظَّالِمِينْ

يرى الشّاعر أنّ الاستعمار أفضل وأرحم من أبناء الوطن الّذين يصفهم بأنصار الاستعمار ،وذلك بعد تجربة ومعرفة عاشها الشّاعر ، هذا من باب الموازنة فقط لا حبّاً في الاستعمار، ويطلب الشّاعر من الله الصّبر على ما يعانيه الوطن والأمّة من ظلم وقهر، وقد يجد الشّاعر في الصّبر عوناً على الظالم والظالمين.

ويشكو الشّاعر هيبة بوريم القرقعي (*) الزمن في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها[2]:

عَلِيكْ وَقَتْ مُتَعَاكِسْ غَلَبْ هَنْدَازْه كلّ قَلَبْ وَاخِذْ مِ الْهُمُومْ مَجَازَه[3].

يقول الشّاعر: يا له من وقت!وزمن يسير عكس ما يتوقّعه الإنسان، وما يقدّره ، لما سيحدث في هذه الأيّام، الحاضر منها والقادم، وزادت الهموم على كلّ ما قدّر المقدّرون من نكبات وآفات قد تحدث، إلى أن نال كلّ إنسان– صغيراً كان أمكبيراً – قدره من الهموم والمتاعب، وينتقل بعد أن وضّح ماذا يريد بقصيدته بالمطلع إلى المقطع الأوّل:

غَلَبْ حَكَارَه وكلّ قَلَبْ وَاخِذْ م الْهُمُومْ عَبَارَه[4].

حَايسْ دَارَه قَارِزُوه يْسَارَه خَاطُوا اشْوَارَه وَالْمَقَدَّرْ حَازَه[5].

ا يْرِيغْ عَلَى وَجَّه الْحِصَانْ حْمَارَه ي غَالَبه إلَزَّرْ مَعَ اللاَّزَّازَه[6].

---

(١) استعمار: الاستعمار، لقينا: وجدنا، قسناه: قدّرناه على مثاله.

(*) هيبه بوريم القرقعي، من عائلة بلقراقع، قبيلة المغاربة، مقر اقامته منطقة النوفلية، ومهنته تربية الحيوانات، وكان شاعراً فحلاً تناول معظم الأغراض ويغلب عليه الغزل ووصف حروب القبيلة، ولد حوالي عام ١٨٧٦م وكانت وفاته بعد عام ١٩٣٥م وهو العام الّتي قيلت فيه هذه القصيدة بمناسبة تجنيد شباب القبيلة لحروب الحبشة، انظر ديوان الشّعر الشعبي، لجنة جمع التّراث، ص٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٣) عليك وقت: اسلوب تعجب من هذا الزمن، هندازه: من لفظة " الهندسة" المعربة عن الفارسية بمعنى التقدير، حدث بها ابدال، مجازه: من مزز: المقدار والفضل وحدث بها ابدال.

(٤) حكاره: في اللّغة، ما يجمعه الإنسان من مال، ووروده هنا على سبيل المجاز على ما جمعه الإنسان من افكار وتقديرات للأمر، للأمر، واخذ: أخذ، اعباره: وزنه من قولهم: عبر المتاع والدراهم نظر إلى وزنها، عبرّهاوزنها ديناراً، انظر اللّسان مادّة "عبر".

(٥) حايس: من حاس، مداره: تفكيره، تخاطوا: اختلفوا، اشواره: تفكيره واي طريق يسلكه، حازه:قبضه وملكه، انظر اللّسان مادّة "حوز".

(٦) يريغن: رغن إليه وأرغن اذا مال وركن، أيّ مال إليه وسكن، يجي: يأتي، لززّ: لزازاً: سابقه وقارنه.

يقول: هذا الوقت والزمن الّذي تجاوز تقدير كلّمن أراد أن يتوقّع ما سيحدث ونال كلّ فرد من الهموم والأحزان،ولكن بأقدار متفاوتة، واختلط الحابل بالّنابل، وحاست أمور الأّمة، فذهب إلى اليمين من كان يتوقع طريقه إلى الشمال والعكس، وتقاطعت الطرق وكلّ واحد أخذ ما كان مقدّراً له من الهموم والمتاعب، ويقول: هذا زمن لا يعرف فيه الأصيل من غير الأصيل، فالحمار –أكرمكم الله– سابق الفرس وغلبه في حلبة السباق، وهذه من المآسي الّتي يراها الشّاعر وتحزّ في نفسه في عبارات وكلمات منتقاةتتفجّر حزناً وغضباً وثورة، ويستمرّ الشّاعرعلى هذا المنوال إلى نهاية القصيدة في ذكره للمعاناة والفقر والحرمان والظلم.

ويشكوالشّاعر علي محمد الدبسكي(*) الأّيام في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها(١):

أيَّام عَاكَسه وهَا تَتْغَارَد لاَ مْسَاعَده الصَّاثر لاَ اللِّي وَارَدْ(٢).

يقول: هذه الأّيام الصعبة السيئة الّتي تأتي على عكس ما يريدهالّناس، حيث تأّخر سقوط المطر الّتي يعتمد عليها البدويّاعتماداً كلّياً، بل ما حدث عكس ذلك تماماً فالرياح الجنوبّية الجافّة المحّملة بالغبارلا تساعد على حياة البادية وهي أيضاً لا تصلح بالمستعمر الخارج من ليبيا أو القادم إليها في إشارة إلى الإيطاليينلّذين طُردوا بفعل الحرب العالمّية الثّانية، والانجليز الّذين حلّوا محلهم، ثم ينتقل إلى المقطع الأّول:

أيَّـــام عَـــــا كَسه مَكْسُـــــوده مُضَّايْقَه مِنْ خَشْمهَا مَشْدُوده(٣).

اْرمضْ عُ صْنها وَالسُّوسْ طَقْ فُوده اْمَوالْ وَاجَده رَاحَتْ غَزَاهَا بَارِدْ(٤).

مَضَى عَا مْ وَشْمَةْ بَرَكَتَه مَبْعـــوده بِهَا لحِقْ مَارَاحْ مِنْهَا شَارِدْ(٥).

(*) علي محمد الدبسكي من مدينة الرجبان، قيلت هذه القصيدة عقب الحرب العالميةالثّانية وهو بالسجن، وعلم بأن العام جدب لم تسقط الامطار خلاله فتعرض لحالةالنّاس وما تعانيه، وفي تلميح إلى الإيطاليين والانجليز، انظر تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر، ص٩٦.

(١) المصدر نفسه ص٩٦.

(٢) تتغارد: من التغريد والتصويت.

(٣) مكسوده: من الكساد في كلّ شيء، مضّايقه: أصابها الضيق، خشمها: أنفها، مشدودة: من الشد والقبض.

(٤) رمض: ذبل، طق: وصل، واجد: كثير، عزاها بارد: كناية عن ضياعها بدم بارد

(٥) وشم بركته: استعارة بمعنى لا علامات للبركة، مبعوده: مستبعدة.

يشير الشّاعر إلى تلك الأيّام الّتي لا تأتي إلاّ بكساد كلّ شيء، والأمور تسير عكس ما يشتهي النّاس، فكأنّها مأخوذة من أنفها ممّا زادها ضيقا وقلقاً في صورة مجازّية جميلة – ثم يأتي بصورة جديدة ويشبه تلك الأيام بالشّجرة الّتي ذبلت أغصانها نتيجة آفة السوس أو ما يعرف بـ"حفّار الساق" الّذي وصل إلى أصل الشجرة وجذعها، فكيف يكون حال تلك الشّجرة؟ ثّم يشير إلى أحد مسبّبات تلك الأمراض الّتي أصابت المجتمع وهي ضياع أموال المجتمع الكثيرة الّتي لا يعرف لها موضع صرف مشروع، بل ذهبت إلى جيوب هؤلاءالمستعمرين وشّبه تلك الأموال الّتي ضاعت بالجنازة الّتي لم يهتم أحد لأمرها، ولم يكن لها مأتم تتلقّى فيه التعازي ، ولا من يبكي الجنازة ويهتّم لفراقها، في صور جميلة متوالية، ثّم يعود ويذكر سبباً آخر من أسباب مرض المجتمع ، وهو مرور عام كامل لم تسقط فيه مطر، ولم يزرع فيه قمح ولا شعير – في إشارة إليها بالبركة– ولا خصوبة للمراعي، فأخذ هذا العام معه الزّرع والضرع ولم يبق وارد ولا شارد، مع ضياع المخزون، ثّم ينتقل إلى المقطع الموالي:

لِّـــي وَرَدْ مَـــا حَصَّـــــــــل وَاللِّي صَدَرْ بِقَرْبَتَه مَا وَصَّلْ[1].

وَاللِّي حَرَثْ فِي مَزْرَعَة مَا قَصَّلْ أَيَّام مِنْكَدِه فِي بَعْضَهَا تطَرِّدْ[2].

وَاللَّي اصَمَّرَ مَا بَغَى يَتْفَصَّـــــلْ وَاللِّي فَضَلْ مَا لاَ يُمُوهْ مَبَارِدْ[3].

يتناول الشّاعرفكرته في صورة جميلة غير مباشرة حيث شّبه النّاس في هذا العام الأجدب بأّنه من ورد فيه إلى موارد المياه لم يجد بها شيئاً من الماء ومن صدر عن موارد المياه يحمل القليل، لم يصل بالماء إلى دياره سواء لعدم وجود المياه أو لقلّتها أو لفساد وعاء حمل الماء، وكلّها تدلّ على التشاؤم، وأيضاً من قام بحرث مزرعته قمحاً أو شعيراً أو غيرها

---

(١)اللّي :الّذي، حصّل: تحصل.

(٢) القصل: ما أقتصل من الزّرع أخضر، الجمع قصلان،انظراللّسان مادّة "قصل"، والقصيل عند البادية ما ارتفع من الزّرع على وجه الأرض ويمكن قطعة ورعايته للماشية، منكده: من النكد، تطارد: تطرد بعضها البعض.

(٣)اصمَّر: تطلق في البادية على من يتمكن من الشيء ويصعب الخروجمنّه، ويقال اصمر الفاس بالشجرة أو الهراوة عندما يتمكن ويصعب خروجه من مكانة، يتنصل: نصل، ومعول نصل: نصل عنه نصابه أيّ خرج،انظراللّسان مادّة "نصل" لا يموه: يتلاءم، مبارد: جمع مبرد لبرد الحديد.

من المحصولات، لم تتجاوز وجه الأرض، وكلّه بسبب ما جاءت به الأيام من شؤم ونكد وقهر وفقر ومرض، يطرد كلّ منها الآخر ليحلّ محلّه، وكلّ واحد من هذه المآسي أكثر مرارة من الأول ، ويضيف صورة جديدة شبّه فيها العدو الاستعماري بالفأس أو السّيفالّذي تمكّن من نصله أو نصابه، وصعب خروجه لحاجة من أرادإصلاحه أو شحذه أو تغييره، وبالمقابل ما تمّإخراجه من نصابه أو نصله لم يعد إلى مكانه مهما حاول الحدّادون والمصلحون من برد وصقل من غيره وسبل الإصلاح، ولم يتمكّنوا من إصلاحه، وهكذا يستمرّالشّاعر في رسم الصّور الجميلة غير المسبوقة إلى آخر القصيدة.

ويكثر هذا الغرض وينتشر بين شعراء البادية وتتزايد شكواهم من الحظّ والزمان وظلم الأيام نظراً القساوة الطبيعة وطريقة الحياة بالبادية.

خامساً: الحنين :

هو البكاء والشوق والحنين إلى الأرض وماتحمله من أهل وأصحاب وذكريات.ظهر هذا الغرض في بداية العصر الأموي بعد ظهور الدولة الأمويّة ، وساعد على ذلك الاغتراب والبعد عن البلد الأم، ثم تطوّر وازدهر في بقيّة العصور بعد سقوط معظم المدن الأندلسيّة في يد الملوك الأسبان وأدى الأمر إلى زيادة هجرة الأندلسيين عن ديارهم وترك أوطانهم مما أفاض الدموع في أشعارهم، وزاد من شدّة اللّوعة وتوهّج الحسرة والشوق والمعاناة والبعد عن البلد وعن الخلاّن ، وتصوير النّدم والتحسّر والقلق والإحساس بالغربة عزّزت الشكوى والحنين.

وهذا ما عاناه الليبيّون خلال هجراتهم في بداية القرن الماضي إلى كلّ من تونس ومصر وتشاد والسودان والجزائر إبّان الاحتلال الإيطالي للأراضي اللّيبيّة، مما زاد في انتشار هذا الغرض وزيادة البكائيّات والحنين إلى واحات وحدائق هذه الدّيار، والشوق إلى ركوب الخيل، وحمل السلاح في دفاع مستميت عن الوطن، وشوقهم إلى الأحبّة والأصدقاء، وحنينهم إلى أودية الوطن وجباله وكثبانه الرّمليّة الذّهبية، وإلى حيواناتهم من إبل وأغنام وخيول.

وكان هذا الغرض قبل الاحتلال الإيطالي يكاد أن يقلّ عند الرجال كالبعد بسبب التّجارة أو طلب العيش أو التنقل القصري من مكان إلى آخر كقول الشّاعر على بن عبدالله الطالب ، وهي أبيات في الحنين إلى الوطن في رحلته القصريّة من منطقة الرجبان إلى منطقة فزّان بطلب من الأتراك يقول في مطلعها[١]:

فَزَّانْ عَلْ وطْنِي بَعِيْد جَبَاهَا وَاللهْ لَوْلاَ الْخُوفْ مَا نْهوَاهَا.

يكثر الحنين– قبل الاحتلال الإيطالي– عند النساء، ويتمثّل في أغاني أو هجاوي الرّحى، لأنّ المرأة أكثر من يعاني الغربة، فعندما تتزوّج ترحل إلى ديار جديدة أو قبيلة أخرى أو عشيرة أو ربع غير ربعها، وتبتعد عن الدّيارالّتي عهدتها وترعرعت على ترابها، تشدّها وذكريات وارتباط روحي، وتحنّ إلى أبيها ووالدتها وإخوتها، وأحياناً تغادر مع زوجها وهو من قبيلتها وعائلة والدها إلى ديار أخرى طلباً للكلأ أو موارد المياه أو لموسم الحصاد (كموسم حصاد القمح والشعير الّذي يعتمد على الأمطار الموسمية) ، فكلّ هذه الأسباب قد تبعد فيها المرأة عن الدّيارالّتي عهدتها وعرفتها وعن أسرتها الّتي ترعرعت في كنفها، ويزداد حنينها لأبيها وإخوتها عندما تشعر بظلم أو ضيم من زوجها، أو أهل زوجها تجدها تبعث برسائل ذات مغزى إلى أبيها أو إخوتها في أبيات شعريّة تلقيها بصوت جميل آخر اللّيل وهي تقوم بطحن الحبوب، فيحدث وأن يُسمع هذا البيت أو غيره من قبل أحد أفراد القبيلة أو مسافر أو ضيف حلّ بالقبيلة، ويصل هذا البيت إلى من تريد أن يصل إليهم عن طريق الركبان، وها هي أحداهنّ تبعث برسالة إلى أخيها تشعره بأنها في ضيق وغربة وشوق: [٢]

بِيتْ الْغَرِيبَاتْ يَا خُوِيْ فِي الّنجع قَاعِدْ إِقْبَالَهْ[٣]

لاَ مِيعَدُوا فِيهْ ذِسْوَانْ وَلاَ وِدْ بَارَدْ مَشَا لَهْ[٤]

(١) تغاريد في الغربة ، ص ١٠ .

(٢) حضور المرأة في التّراث الشعبي، أحمد النوبري، مطابع اديتار إيطاليا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص٥٢.

(٣) قاعد: باق، قباله: قبالة الآخرين أيّ قريب تحت مرأى العين.

(٤) ميعدوا: جلسوا في جماعات يتناولون اطراف الحديث، ودّ: العطاء من كلّ طريف جديد جميل كهدية من الطّعام والفواكه، مشا له: ذهب إليه.

تقول لأخيها: إنّها غريبة وحيدة بين أهل زوجها، فبيتها وحيد بعيد عن بيوت القبيلة، لا يقصده أحد ولا تجلس فيه النسوة – خلافاً لما يحدث بخيام القبيلة – فلا طعام يأتيه ولا ودّ يدخله على عادة البدو من تقديم هدايا من كلّ وجبة طعام بينهم وخاصّة بين الأقرباءوالأصدقاء منهنّ، وهي وحيدة لا صاحبة ولا أخت ولا قريبة لها بينهنّ، تبثّ شوقها وحنينها إلى أمّها وإخوتها وأهلها في هذه الرسالة الّتي تريد من أخيها زيارتها وحملها إلى ديار الأهل في زيارةحتّى تطفئ نار الشّوق.

وكثير ما تحنّ المرأة إلى أمّها لأنّها الأقرب خاصّة بالبادية فهي الأمّ والأخت والمربّية والصديقة والمدرسةوالمعلّمة والناصحة. وهذه امرأة تقول في أمّها[1]:

وِينْ رِيتْ نَجْمه فَرِيده ... مع فَاهَق الْيتْ بَانتْ[2]

خَطَرِتْ عَليَّ الْوِديده ... وأوهَامهَا وِينْ كَانتْ[3]

رأت أحد الكواكب بآخر اللّيل من وإحدى فتحات بيت الشّعر وهي تطحن الحبّ فتشبّه ذاك النجم اللاّمع في علّوه وارتفاعه بأمّها أو شبّهت الأمّ بالنجم في علّوه وسطوعه وبُعده، فكلّ منهما يشبه الآخر من عدّة وجوه.

وتمرّ الساعات الطوال على المرأة وهي تطحن الحّجتّى ساعات الصباح الأولى، وهي وحيدة لا أنيس لها إلاّ صوت الرحى الأجشّ الموسيقّي الحزين ، مع وحشة اللّيل المظلم، تتذكّر خلالها كلّ ما مرّ بها خلال رحلة العمر الطّويلة، وتظهر أمامها كلّالصّورالقديمة كصورة أبيها وأخيها وأمّها، وقد تكون مرّت بقصة حبّ، وقد تكون تنتظر حبيبها. فهاهي أحداهنّ توجّه الخطاب إلى صويحباتها[4]:

---

(١) هجاوي الرّحى عبد السلام شلّوف ص٧٢ .

(٢) وين: عندما أو حين، فريده: منفردة وحيدة، مع: بمعنى "من" ، فاهق: فتحة وخرق بالخيمة تظهر من خلاله الشمس والقمر، يقول ابن منظور: الفاهقة: الطعنةالّتي تفهق بالدم أيّ تتصبب، ابن الاعربي: كلّ شيء توسع فقد تفهق، انظراللّسان مادّة "فهق"، بانت: ظهرت.

(٣) خطرت: من قولهم: خطر الشيء بباله، وأخطره الله بباله، الوديده: تطلق هذه اللفظة على الأم من باب المحب الودود، الودود، أوهام: تعرف عند البدو بالديّارالّتي يتوهمها أو يظنّها، وين: أين .

(٤) حضور المرأة في التّراث، أحمد النويري ص٥٠ .

تْبَبَّـــــتَنْ وَاشـــــبحِنْ زِيـــــنْ طَلْحَـــــاتْ وَا لاّ بَعـــــايرْ [١]

.يَـــــا كَـــــانْ رِيـــــتَنْ الْغَـــــالِي يَـــا مَـــالْكِن مِـــنْ بَشَـــايرْ [٢]

بَشَـــــــــــــــــــايرْ [٢]

تقول لصويحباتها: انظرن وتثبَّتن معي تلك الأشياء الّتي تظهر في الأفق البعيد، هل هي شجرات طلح أم هي قافلة من الإبل قادمة إلى الدّيار؟ وإن كانت تلك قافلة تأكدن هل يوجد بها الحبيب؟ ومن أتت بخبر قدومه فلها البشارة؛ وهي هدّية لمن يأتي بخبر سار تعطى له وتسمّى "البشارة".

وهذه أُم تبكي بُعد أبنائها عنها بعد أن تزوّجوا وكوّنوا عائلات وانفصلوا عن الأسرة،وكلّ منهم أخذ يبحث عن رزقه في اتّجاه معّين وبقت وحيدة بعد أن كان البيت يعجّ بالأولاد والبنات فتحنّ لهم وتقول[٣]:

وَالله مَـــا فِـــي الضَّـــنَا خِيـــر رَبِّيـــــــــتهُمْ لِيْنصَـــــــــارُوا[٤]

نُحْضَـــنْ عَلـــيُهمْ كمَـــا الطِّيْـــر وْحِـــيْن نَبَّتـــوا الـــرِّيشْ طَـــارُوا[٥]

تقسم في حرقة وحزن بأنّه لا خير في الأولاد من ذكور وإناث ولم تحصل الأُم من الأبناء إلاّ التعب والمشقة، فهي الّتي حملت ووضعت وأرضعت وأطعمت ، وربّت ، إلى أن صاروا كباراً، وهي خائفة عنهم من كلّ خطر، فحضنتهم تحت جناحيها كالطّائر، وعندما بزغ وظهر لهم الرّيش،وصاروا كباراً طاروا إلى الأفق البعيد كالعصافير، فلم يبق بالعشّ إلاّ الأم، فالأولاد كبروا وتزوّجوا وانتقلوا إلى بيوتهم الجديدة بعد أن كوّنوا عائلات وأطفالاً وأصبحوا مسؤولين عن إعالتهم، ووجدت الأُم نفسها وحيدة، ولم تنل إلاّ التعب والفراغ.

---

(١)اثّبّتن: التثبت من الأمر، اشبح: انظر، زين:كثيراً، طلحات: جمع طلحة وهي شجرة شوكية صحراوية، البعاير: جمع جمع بعير وهو الجمل أو النّاقة.

(٢) ليا: اذا، ريتن: رأيتن، ياما: تعني الكثرة، بشاير: جمع بشارة.

(٣) هجاوي الرّحى عبد السلام شلّوف ، ص٧٢.

(٤) الضنا: ضنت المرأة تضني ضنىً وضناءً محدود: كثر ولدهاانظراللّسان ماة "ضنا"، لين: إلى أن، صاروا: كبروا ورشدوا.

(٥) تحضن: من الحضانة والحاضنة، وين: عندما أو حين، نبتوا: أنبت العشب وخرج بمعنى خرج.

أمّا شعر الحنين خلال فترة الاستعمار الإيطالي وما وصل إلينا من شعراء المهجر هروباً من القهر والقتل والتعذيب الّذي نال من المجاهدين فهو كثير جداً وخاصّة من الشّعراء المهاجرين إلى تونس ومصر، فالشّاعر أحمدبن دلّه(*) يصف هجرته إلى مصر ويحنّ إلى الوطن وحياة البادية اللّيبيّة مفضّلاً اّياها عن حياة الاستقرار الّتي عاشها بمصر، في قصيدة زجلية يقول في مطلعها(١):

عَاشَرتْ بِرْ الْبطْ والجَّاموسه والواسْعَه وَلَّتْ عَلَىَّ خُوصَه(٢)

خُوصَه(٢)

استقر المقام بالشّاعر قرب مدينة الفّيوم بالصعيد المصريّ بعيداً عن الصّحاري والأودية والجبال، وبعيد عن الإبل والأغنام والخيول والتنقل من مكان إلى آخر ، وارتياده مجالس الضيوف ومجالس مشايخ القبيلة وجلسات الأنس، إلى وضع جديد لم يعهده، كالاستقرار الدائم بمكان واحد،لا وجود فيه للحيوانات الّتي يعرفها بل وجد حيوانات لم يرها من قبل كالّجواميس والبطّ والإوز والدّيك الهندي، فيرى أّنه كالسجين عندما يقول:"الواسعة أصبحت خوص"وهنا يقصد البراري المتّسعة أصبحتكالخوص الّتي توضع بالأصبع مضغوطة حوله، حيث شّبه نفسه ومن معه بالأصبع داخل الخوص بعد أن كان يسرح ويمرح بالصحارى والأودية والجبال. وينتقل إلى المقطع الأّول:

لاَطَبْ لْ تَسْمعْ زُومَه لاَ سَعِي فَالِي لاَ عَرَبْ مُومَه(٣)

(*) أحمدبن دلّه شاعر فحل ومجاهد كبير، شارك في أغلب المساجلات الشعريّة الوطنيّة، وشارك في معارك الجهاد ضد الغزو الإيطالي، وهاجر إلى مصر مرافقاً للشيخ المجاهد البطل محمد سوف المحمودي عام ١٩٢٤م، ولا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة،إلاّ أنّه عاش اواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، انظر صدى الجهاداللّيبيّ، محمد سعيد القشاط، ص١٥٥.

(١) صدى الجهاداللّيبيّ ، محمد القشاط ، ص١٥٥.

(٢) بر: ارض، ولت: أصبحت، خوصه: قطعة دائرية من الذهب أو الفضّة توضع بالأصبع، وسميت بذلك لأنّها كسعف النّخيل،وأخذت من تخويص التاج: يجعل له صفائح من الذهب على قدر عرض الخوصة انظر اللّسان، مادّة "خوص".

(٣) زوم: من زأم وهي شدّة الصوت والزّأمه: الصوت الشديد انظر اللّسان مادّة "زأم"، سعي": السعي هو الإبل والغنم والماعز. والماعز.

لاَ بنــــةْ يهـَ ـــا الْهـَ ـــوَاء مَغْرُومَـــة   لِاَ صَـــــقَرْ فُـــوقْ مْلَجَّمــــه مكْبُوسَـــه[١]

وْلاَ قَـــوْم عِنْــد للّيــل يْهَجــْم قُومَــه   وْلاَ عَيْـــون سَـــهْرَانه عَلَـــى الْمَحْرُوسَـــه[٢]

الْمَحْرُوسَـــــــــــه[٢]

لاّ نَـاسْ فــي قَبْــر الْحَيَـا مَرْدُومَــه   تَحْـت الصَّـغَى وَا طْــرَافْهُمْ مَقْصُوصَــه[٣]

مَقْصُوصَـــــــــــه[٣]

تظهر المرارة والحزن والحنين الشديد إلى وطنه ودياره، فهو يصف مكان إقامته الّذي لا يسمع فيه أصوات الطبول عند الدعوة إلى المعارك والحروب وعند جمع أفراد القبيلة، ولا يرى فيه الإبل وهي خارجة إلى مراعيها، ولا وجود للقبيلة وهي متجّمعة من حوله تناقش أمورها وتحلّ مشاكلها مع القبائل المجاورة، ولا وجود للفتيات المغرومات بشباب القبيلة، واللائي يلويهن الغرام ويربطهنّ العشق إلى عشاقهنّ، وما يدور حولهنّ من أشعار تُغنّى بالأعراس وتتناقلها الركبان، ولا وجود لرجال كالصقور فوق صهوات الحياد المنتقية القوّية السمينة، ولا وجود لحروب وأقوام تهاجم بعضها البعض، ولا وجود لشباب يحرس الإبل الّتي تعدّ من أهم ممتلكات القبيلة،وكلّ ما يراه في هذه الّديارما هو إلاّ أناساكالأموات بقبور الحياة، وهي البيوت الّتي لا يغادرها أهلها إلاّ إلى الحقل والعودة المسرعة إلى هذه القبور، خاصّة أنالشّاعر وأصحابه لا يملكون حتّىتلك الحقول إلاّ المقام الدائم بداخل البيوت الّتي وصفها بالقبور، ولا يرى بهذه الّديارإلاّ الظلم والقهر،وعدم وجود الملابس البدوية اللّيبيّةالتقليدية من عباءات وملابس طويلة تصل إلى الأرض، والقّبعة اللّيبّية المعروفة ومكّملات الزّي التقليدي الوطني، ويستمّر الشّاعر في مقطع آخر:

(١) لاويها: من لوي: لوي الحبل ألويه ليا:فتلته وهو الجدل والتثنية، ولواه فالتوى وتلّوى، انظر اللّسان مادّة "لوى"، الهوى: الحبّ والغرام، الصّقر: الفارس من باب التّشبيه، ملجّمة:الفرس أخذت من اللّجام، مكبوسة: صفة للفرس السمين القوي.

(٢) المحروسة: الإبل لأنّها تحرس من قبل فرسان القبيلة.

(٣) قبر الحيا: قبر الحياة: البيت، والمنزل كناية عن عدم الخروج منه، الصغى: الظلم والقهر والحاجة إلى الاخرين والميل والميل اليهم وفي اللّغة الصغا: الميل، وصاغية الرّجل:الّذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده ويغشونه، وقال للحياني: الصاغية كلّ من ألمّ بالرجل من أهله، انظر اللّسان، مادّة "صغا"

لاَ حَـــــــــــرَثْ لاَحَصَّـــــــــــادَه   لاَ مُعطَّشَـــه لاَ مُوِحَـــه الْــوَرَّاده[1]

ولاَكَـــتْ بِ وُمُشْــطَه مِـــنَ الصَّـــيَّادَه   لِاَ رِيـمْكَسَّـرْ لَــه الْمـنَحَّسْ رُوسَـــه[2]

رُوسَـــــــــــــــــــه[2]

مِـــنْ يَـــمُوذى حَبَّتَـــه قَصَّـــادَه   فِـــي كـــلّ حَتْيـه مُخضَّبه مَغْروسَـه[3]

مَغْروسَـــــــــــــــــــه[3]

يعدّد الشّاعر الأشياء الّتي يفتقدها بمقرّ إقامته بالفّيوم ويحنّ إليها بدياره اللّيبّية، منها الحرث على الإبل عند هطول الأمطار الموسمية حيث تتجّمع تلك السيول بمنطقة سهل الجفارة، وتقوم النّاس بحرث الأرض في مجموعات وأفرادبعد أن تبذر قمحاً وشعيراً، وتراقبه مرحلة مرحلة إلى أن يصبح جاهزاً للحصاد، ويقوم النّاس بعملية الحصاد في مجموعات متعاونة وتتغنّى بأهازيج الحصاد (وهي أبيات شعريّة رباعّية كهجاوي الرّحى تلقى بأصوات جميلة) وبعد مرحلة الحصاد يتّم درس ودوس السنابل على الإبل أيضاً، وتجمع الحبوب في أوعية خاصّة بذلك ويتّم نقلها على ظهور الإبل إلى مواقع خزنها، ويحنّ أيضاً إلى قوافل جلب الماء من الآبار وورود الإبل والغنم إليها وصدورها عنها، ويفتقد بندقّية الصّيد والتصيّد بالبراري واقتناص الغزلان وضربها على رؤوسها بيد صائد ماهر لا يخطئ هدفه أبدا، وهو يقتنص الرئم بتلك الأودية الخضراء،وهي كالمزرعة من كثر غزارة الأمطار. ثّم ينتقل إلى البيت الموالي:

لاَ وَادْ فِيـــه اجْـــــــــــــــدَاري   لاَ كَـــرْم لاَ قَنْـــدُولْ لاَ قَبَّـــارِي[4]

(١) لا معطشه: لا عطشه.

(٢) كت: صوت في صدر الرّجل يشبه صوت البكاء، من شدة الغيظ، وكت الرّجل من الغضب انظر اللّسان مادّة "كتت" "كتت" استعملت هنا على سبيل التّشبيه، بومشط: كناية عن البندقية الإيطالية لأنّ تستعمل ذخيرتها على هيئة المشط، المنحس: طلقات الرصاص، روسه: رؤوسه.

(٣) موذى: من الايذاء، حبته: الطلقة، قصّاده: لا تخطئ هدفها، حَتية: منحنى الوادي، مخضّبة: اختلاف الوان الزهور والاعشاب كخضاب الحناء في كف الحسناء.

(٤) اجدارى، قندول، كرم، قبّار: أسماء لأشجار برية وجبلية.

وَلاَ فِيــــه حَنِيــــه مْخَضَّــــبَه ـــوَّارِى لاَ غَــــزْ لاَ بَرِكُــــوسْ لاَ بْكُوسَــــه[1]

لاّ دِيــــكْ هِنْــــدِي ذْبَحَــــةْ الْخُطَــــارِي ـَ كَلَــــبْ يَطْمَــــعْ فِيــــهْ لاَ قَطّ وسَــــه[2]

للِّــــي قَبَــــلْ كَانَــــتْ لَبْسَــــتَه هَكَــــارِي الْيُــــومْ دَارْبتِيِّــــه عَــــوَضْ بَرْنُوسَــــه[3]

يعود ويحنّ الشّاعر إلى الطبيعة ويعدّد الأشجار البرّية كشجرة "الجداري" الجبلية الّتي تستعمل عروقها وجذوعها لدباغة الجلود بالبادية، وحطبها شديد الاشتعال والحرارة، ثّم أشجار "الكروم" ويعنيشجرة التين لاستعمال البدويّ هذا الاسم لها، وشجرة القندول: شجرة برّية ذات أشواك وأزهار صفراء زاهية زكّية الرائحة، وشجرة "القّبار" نبتة جبلّية ولا تكونإلاّ بالأماكن الحجرّية صعبة الوصول ، ويستعملها النّاس في بعض الأدوية المحلّية ، ويحنّ لكلّ منحنى وادٍ تكثر فيه الأعشابوالأزهارويزرع فيه القمح والشّعير، وتكون أحياناً مراعيللماشية، وهاهو اليوم لا يرى بها ماعز ولا صغار الغنم ، كلّ ما يراه بالفّهوم من حيوانات تذبح للضّيوف هي الدّيكة الهندّية الّتي لا تكفي حاجة الضيوف ولا أهل البيت، ولا يبقى منها شئ ٌيقّدم للقطط والكلاب من فضلات وعظام على عادة أهل البادية، ثم يعود إلى ذكر أزياء أهل البادية الّتي يفتقدها هي أيضاً ،وإلى ما كان يرتدي من ملابس فضفاضة واسعة تصل إلى الأرض من قمصان وعباءات من صوف الخروف الحولي، كلّ ما يجده اليوم لا يفي بالحاجة، فهي عباءات قصيرة يستعملها عّمال الزراعة والحقول،لا تليق بالسادة والفرسان ووجهاء القوم، ويستمرّ الشّاعرفي حنيته إلى مناقب البادية ويقارنها بما يعانيه شاعر بالصّعيد المصري من عزلة وغربة وشوق إلى الّديار والأهلوالأصدقاء إلى آخر القصيدة.

وفي الجانب الآخر المقابل للحدود المصرية مع ليبيا هي الحدود التونسّية حيث كثرت الهجرات إلى التراب التونسي ووصل إلينا عدد لا يستهان به من شعر الحنين إلى الوطن

---

(١) نوار: أزهار، بركوس: الخروف عند دخوله السنةالثّانية عند البدو.

(٢)خطّار: جمع خاطر وهو الضيف لأنّه يخطر خطوراً دون موعد مسبق، قطوسه:اسم القطة باللّهجة المحلية.

(٣) لبسه: زيّه وملابسه، هنكاري: متّسعة، دار: عمل أو جعل، بتيّه: عباءة قصيرة، برنوس: برنس.

من شعراء المهجر بالديار التّونسّية، وتختلف موضوعات هؤلاء الشّعراء من حنين إلى الّديار وآخر إلى الحروب وآخر إلى الأصدقاءوالأهل، ولخر يبكي غربته وعزلته وقلّة حيلته، وآخر يحنّ إلى حبيبته. فالشّاعر سعيد بن خليفة بن عبدالله (*) يأخذه الشوق والحنين إلى صاحبته بمنطقة درج مخاطباً أحد أصدقائه بالمهجر وهو من مدينة الزاوية الغربّية في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها(١):

رَقْرَاقْ دُون بلاَدَ نَا يَا زَاوِي   مَا يَقّطَعه كَاَشْ غَدِيد تَبَاوِي(٢).

فالشّاعر يخاطب صديقه الزّاوي مذكراً إيّاه بالمسافات الطّويلةالّتيتفصله عن حبيبته لا يمكن قطعها وطيّها بسهولة إلاّ على راحلة من مهاري التبو اللّيبيّةالّتي تطوي المسافات أضعاف ما تقطعه الإبل المعروفة، وينتقل إلى المقطع الأوّل:

رَقـــــــرَاقْ دُونْ أوْلاَ فـــــــي   مَـــا تَقْطَعَـــه كـــاَنَشْ عَلَـــى زُغْرَافـــي(٣)

سَـــوَاء الرَّمَـــلْ عِنْـــدَه وَالسَّـــريرْ اَلحَـــافي   وَلاَ هِمّتَـــه فِـــي كـــافْ لاَ فـــي عَـــلاَوي(٤)

عَـــــــــــــــــــلاَوي(٤)

عَليه كاَنْدِقرَه وْرَاحَلَـــــــه خَفَّافِي   عِنْـــدَه مَسَـــافَة دِرَجْ غِيـــرْ هَـــزَاوِي(٥)

يشكو الشَّاعر طول المسافة الّتي تفصله عن حبيبته الّتي لا يمكن قطعها إلاّ على راحلة من الجنوب "زغرافي" أرقط اللون ولا يقل مسيره مهما كانت أنواع التضاريس سواء صحاري أو مناطق ذات حجارة أو جبال أو مرتفعات، فهو لا يعبأ بها جميعاً، ولا يحمل

(*) سعيد بن خليفة بن عبدالله الرجباني من مدينة الرجبان ويقطن منطقة درج له قصائد جميلة لم أعثر له عن تاريخ وفاة ، انظر تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر، ص١١٨.

(١) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٢) رقراق: مسافات صحراوية طويلة يترقرق بها السراب كالماء، كانش: تستعمل أداة استثناء عن اللّهجة المحلية بمعنى بمعنى "إلاّ"، غديدكناية عن الجمل لأنّه يصاب بمرض الغدد جمع غدّة، تباوي: نوع من المهارى تنسب إلى قبائل التبو بالجنوب اللّيبيّ.

(٣) أولافي: من الالفة، بمعنى المحبوبة، زغرافي: لون من الوان الإبل يمتاز ببياض عينيه.

(٤) السرير: المسافاتالطّويلةالشاسعة، الحافي:أرض ذات حجارة لا يستطيع الإنسان أن يسير فيها حافياً، وبمعنى غير غير ذات نبات وشجر، لاهمته: لا يهتم، كاف: من الكهف وهي الجبل.

(٥) دقره: بندقية، خفافي: خفيفة الوزن، هزاوى: بمعنى السخرية من الشيء والاستخفاف به.

على غاربهإلاّ راحلة خفيفة وبندقية على كتفه، وكلّ هذه المسافات الطّويلة البعيدة يقطعها باستخفاف وسخرية لا تعني له شيئاً .

أمّاالشّاعرارحومة الخويلدي(*)الّذي التجأ إلى الحدود التونسية عام ١٩٢٦م هروباً من الاحتلال الإيطالي– خوف اعتقاله – بعد ما عم حكمه التراب اللّيبيّ من الشمال إلى الجنوب ، لأنّه كان ضمن المطلوبين للعدّو، وأخذ من مدينة تطاوين على الحدود اللّيبيّة التونسيّة مقراً له،وهو يراقب الموقف عن قرب إلى أن استقرّ الوضع وعاد إلى الدّيار بعد ما يزيد عن عشر سنوات من الغربة، كتب خلالها كثيرا من قصائد الحنين والمساجلات الشعرّية مع الداخل اللّيبيّ والخارج، اخترنا منها هذه الأبيات من قصيدة زجلّية يقول في مطلعها(١):

سَكَبْ صَبْ دْمع الْعِينْ دِرتَ ه مُونَه وْجي مَتْوَلِي فِي وَطَنْ مُو ا سْكُونَه(٢).

يبكيالشّاعر الغربة دموعاً تنسكب كالمياه الغزيرة الدائمة من كلتي عينيه وذلك بسبب غربته بديار غير دياره ويرى مرارة الغربة أمرّ من العلقم، ويقول في المقطع الأوّل:

جِـــي سْـــكَنِي فِـــي قْلاَلَـــه مَـا بِـيْن كَـافْ وْكَـافْ فِـي صَلْصَـالَه(٣)

قَلْـــب الـــر حَمْ وْزَمْلَـــة لاَّلَـــه وْوَادِي الصّـــمَارْ وْشَـــعْبَة الزّيتُونَـــه(٤)

لْـــد الْقَرِيْـــه يْ قَصْـــدُوه اعْيالَـــه وَلَـــدْ الْغْرِيبَـــه يَقَصْـــرُوا مِـــنْ دُونَـــه(٥)

(*) تم التعريف بالشاعر، ص٢٤.
(١) تغاريد في الغربة ، ص٢٤.
(٢) سكب: انسكب، درته: جعلته، مونه: من المؤن ، جي: بمعنى وكان، سكونه: سكنه وسكناه.
(٣) قلاله: من القلةالّتي هي اعلى الجبل، وقلة كلّ شيء اعلاه ، انظراللّسان مادّة "قلا"، كاف:كهف وتطلق باللّهجة المحلية على الجبل، صلصاله: من صلصال أيّ موضع طيني لانبات فيه.
(٤) قلبالرخم، زملة القلال، وادي الصمار، شعبة الزيتونة: مواقع بالقرب عن منطقة تطاوين القريبة من الحدود التونسية التونسية اللّيبيّة بالجنوب التونسي.
(٥) يقصدوه: مقصد، عياله: أهله وأقاربه ومن يعولهم، يقصروا: لا يأتونه، وهي من قصر الخطى والتقصير.

أنـــا الْقَلَـــبْ مَتْكـــدَّرْ كَثِيرا هْبالَـــه   عَلَـــى نَـــاسْ بِـــرُخْص الـــثَّمَنْ بَاعُونَـــا(١)

يتذمّر الشّاعر لما يعانيه من غربة بعيداً عن الدّيار والأهل حيث كان مقرّ سكناه الجديد بالغربة تلفّ به الجبال بأرض طينيّة قرب مناطق "قلب الرخم " و"زملة القلالة" من ناحية و"وادي السمار" و"شعبة الزيتونة" من ناحية أخرى ، وجميعها أسماء مواقع بالقرب من قرية تطاوين بالجنوب التونسي، وأهل هذه المناطق يتواصلون لأنّهم أقرباء بعضهم البعض، وا باؤهموأمّهاتهمأبناء عمومة، ولكن الشّاعر يشكو عدم تواصلهم معه لأنّه غريب عنهم وأمهوأمّ أبنائه غريبتان ، ومن كان على هذه الشاكلة لا يصفو له حال ولا يستقيم له أمر لأنّه بيع بثمن رخيص، وينتقل إلى المقطع التالي:

سَـــيَّبْتْ وَطْـــنَ الـــــــــــــرَّاحَه   هُنَـــا جِيـــتْ لِـــوَطْنِ الشَّـــقَاء وَكْلاَحَـــه(٢)
وَكْلاَحَـــــــــــــــــــــــه(٢)

عَقْبَـــتَ الأبْـــيَّضْ جِيـــتْ لِمطْرَاحَـــه   نَـــاسْ يَفْرَقُـــوا رْتُـــونْ مِ الْفَرْتُونَـــه(٣)

نَـــارِي عَلَـــى حَرْبِـــي جَيِـــدْ اسْـــلاَحَه   وبُو صْـــرِيحْ وَاللِّـــي فَسْـــطَهَا دَمُّونَـــه(٤)

جَـوَابْ بُـو جَنَـاحْ ا يْطَيِّـرَه فـي جَنَاحَـه   يَطَيـــهْ لَلِّـــي بِـــالْكَلاَمْ بَـــدُّونَا(٥)

يقر الشّاعربأنّه ترك وطنه وطن الراحة على كلّ ما عاناه في دياره من حروب ومطاردات وتنقل قصري أمامالأعداء، إلاّ أن شوقه وحنينه فرض عليه أن يصف هذا الوطن

---

(١) متكدر: ضد الصفو، هبال: عدم الاعتدال في الفكر والتفكير.
(٢) سيبت: تركت، جيت: جئت، كلاحه: الكلوح: التكشير والعبوس.
(٣) عقبت: جئت عقب فلان بسكون القاف اذا جئت بعده ،الابيض: اسم عائلة ليبية كانت تقطن تلك المنطقة ، مطراحه: مكانه، الفرتون: الحظ
(٤) نارى: اسلوب تحسر وتمنى، حربي : نوع من السلاح، بوصريح: كبير الجراد، دمّونه: صغير الجراد.
(٥) جواب:مكتوب أو رسالة باللّهجة المحلية، بو جناح: لقب رجل اسمه رحومه بوجناح من قبيلة الربائع يقطن مدينة بن بن قردان الحدودية يتنقل بين الجبل الغربي والجنوب التونسي؛ يتاجر في الأسلحة والممنوعات وهو شاعر، يطيره: يحمله، للّي: للذين، بدونا: ابتدأونا.

والديار بالراحة، ثم ينتقل من وطنه إلى تلكالدّيار الجديدة الّتي حلّ بها ويصفها بأنها بلاد الشقاء والتعب، فهو أقدم على منطقة كان يقطنها آل الأبيض الّذين عادوا بدورهم إلى أرض الوطن وإلى مدينة العجيلات بالتحديد؛ ويقال أن هذه العائلة تعود أصولها إلى قبيلة الشّاعر، فقدم إلى مكان هذه العائلة ، ويتحسّر على فقده سلاحه متمنياً أن يكون سلاحه الجديد معه والذخيرة الجديدة أيضاً، تلك الذخيرة الصفراء الّتي تشبه الجرادة في لونها والرصاصة داخلها تشبه صغار الجراد في لونها أيضاً، ولم يفصح الشّاعر عن حاجته إلى السلاح هل هو خوف اكتشاف أمره وانتقال القصيدة إلى أعداءالشّاعر هناك أم لغرض آخركعودته إلى أرض المعركة ضد الغزو الإيطالي ، ثّم يردّ على من يلومه من موطنه الأصلي على عدم العودة إلى دياره، فأوضح له بهذه القصيدة بأنه مرغملا حباً في الغربة، وسيرسل هذا المكتوب والقصيدة للّذين بدأوا بالكلام واللوم مع التاجروالشاعر التونسي ارحومه بوجناح الربعي لكي يحمله على جناحه إلى الوطن موضحاً لهم بأّنه غير سعيد بالغربة، ويستمرّ الشّاعر في كلّ القصيدة على هذا المنوال يبكي حينا ويتحسّر حينا آخر، ويذكر مواقع كثيرة أخذه الشوق والحنين إليها إلى أن ينهي قصيدته.

وهكذا تكثر البكائيات والحنين والشوق إلى الوطن من قبل شعراء المهجر في كلّالأقطار المجاورة الّتي هاجر إليها الشّعراء ونكتفي بهذا القدر من شعر الحنين إلى الوطن.

سادساً: الشّعرالقوميّ:

الشّعرالقوميّ من الأغراض الّتي ازدهرت في العصر الحديث حيث شغلت شؤون الوطن وقضاياه تفكير الشّعراء على امتداد الوطن العربّي بما في ذلك شعراء البادية في ليبيا، فانطلقوا يدافعون عن القضايا الوطنية بقصائد قوّية تتعادل وأهمّية الأخطار المحيطة بالبلادالعربّية، فالأحداث الّتي هدّدت البلاد خطيرة وعميقة، انسحب خطرها على امتداد ساحات الوطن العربّي، والشّاعر البدويّ يجسّد صور التاريخ ويربط الماضي بالحاضر، لأجل استخلاص العبر، ولما كان ارتباط هذا القطر شديد الصلة بالقضايا العربّية، فقد عبّرالشّاعر عن اهتمامه

بتلك القضايا: وتجلّى ذلك بقصائد المواجهة لاستنهاض الهمم واسترجاع الحقّ السليب، والتحذير من الخطر الصهيوني الداهم، ونقد التقصير والتّخاذل، والدعوة إلى الوحدة لتحقيق النصر على العدّو، ومساندة النضال العادل للشعب الفلسطينّي والعراقّي واللبناني.

فالشّاعر حسن محمد البوسيفي (*) يتناول القضية الفلسطينية في قصيدة زجلية يقول في مطلعها(١):

فلَسْطِنْ لـ يِنَا وَارْضَهـ َا عَرْبيَّه ... وَلاَ بُدْ نُرُدُّوهَا بْعينْ قَوِيَّه(٢).

يقول الشَّاعر: فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربّي وهي تهّم كلّ عربي، وكلّ يراها بلده ولابد من استرجاعها كاملة دون تجزئة من البحر إلى البحر ولا يمكن أن نتنازل عنها ولا عن أيّ حقّ من حقوقنا، ثّم ينتقل إلى المقطع الأّول:

فلَسْطِنْ مَنْ يِنْكُرْهَا ... أَرْضُ الْعَرَبْ غِيرِ الْعدو غَادْرَهَا

صَهْيُونْ يَاكُلْ مِنْ ثَمَارْ شَجَرْهَا ... وَلْهَا اخْيِهِمْ فِي الخَلاَ مِبْنِيَّة

يَاالله يَارَبِي الْكَرِيم انْصُرْهَا ... يَا نَاصَرَ الإِسْلاَمْ فِي بَادِيَّة(٣)

لا أحد ينكر علينا أنّ فلسطين أرض عربّية وتهمكلّ العرب ولكن غدرت من قبل الصهاينة الّذين سيطروا على كلّ خيراتها وأشجارها الزراعّية وثمارها وشواطئها يتنّعمونبخيراتها، وأصحابها الأصليون ينامون بالعراء في خيام الّلاجئين موزّعين على الأقطار العربّية متحّملين حرارة الصيف وبرد وصقيع الشتاء، ويطلب الشَّاعر النصر من الله للعرب والفلسطينيين، كما نصر الإسلام أّيام الفتوحات الإسلاميةالأولى.

ويشارك الشَّاعر عبد الحفيظ البوسيفي(*)إخوته في الإمارات العربّية عندما غزت إيران جزيرة أبي موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، فهو يرى أنّ تلك الجزر هي قطعة من

(*) حسنمحمد البوسيفي، شاعر معاصر من سكان مدينة بنغازي ويرجع نسبه إلى قبيلة أولاد أبي سيف القاطنة بالمنطقة الغربية من القطر الليبي، انظر صدى الجهاد، محمد سعيد القشاط، ص٢٦٩.

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٩.

(٢) لينا: لنا.

(٣) باديه: في بداية الأمر يعني بداية الدعوة الإسلاميّة ونشر الدعوة.

الأرض العربّية لا يفرّق بينها وبين أيّ قطعة من الأراضياللّيبّية أو الخليجّية أو الشامّية فهي كلّها أرضه، و تناول هذا الموضوع في قصيدة زجلّية يقول في مطلعها[١]:

يَا فُرْسْ مَفْعُولْ الْعَبْ جَرَّبْتُوا لَكُمْ وَقَتْ مِنْ كَاسْ الْمَرَاشْرِبْتُوا

يخاطب الشَّاعر الفرس بأّنهم أكثر من يعرف العرب وأكثر من حربهم فوق صهوات الجياد ، وفي ساحات الوغى، منذ العصر الجاهلي إلى الفتوحات الإسلامّية، فالعرب الّذين أسقوكم من كؤوس العلقم لازالوا كما عهدتموهم جاهزين لخوض أشرس المعارك دفاعاً عن أرضهم وجزرهم، وينتقل إلى المقطع الأّول:

يَا فُرْسْ لَيْنَا مَاضِي وَمَا هِيشْ نُوَّه بِالْكَلاَمْ الْفَاضِي[٢]

مْنِ يَنَه رَهِيفْ الشَّفْرْ هُوَّ الْقَاضَي اخْ سَرْتُوا الْمَعَارِكْ مَانهَارْ كَسَبْتُوا[٣]

اللَّي ظَلَمْنَا ظُلَمْ يْشِي رَاضِي طَقَّوا لُكُمْ بِنْدِيرْ بِيهْ جَدْبْتُوا[٤]

يخاطب الشَّاعر الفرس مذكّراً إّياهم بأّن للعرب ماضياً عظيماً دّونته كتب التاريخ والفتوحات، لا قول بدون دليل، وهذا التاريخ كتب عندما كان القاضي والحكم هو السّيفالّذي له الكلمة العليا وحده، وعندها لم يكتب لكم انتصار واحد ولم تذوقواإلاّ طعم الهزيمة، وكلّ من قام بظلم العرب رُدَّ له الكيل كيلين، ولكن أ نتم أّيها الفرس ترقصون على ضرب الّدفوف ولا تعوا العواقب بفعلتكم هذه، وهكذا يستمّر في كلّ قصيدته مهّدداً حيناً ومذكّراً الفرس بالانتصارات العربّية حيناً آخر إلى أن تنتهي القصيدة.

ويتناول الشَّاعر ميلاد المشاى[*] الحرب على العراق في قصيدة زجلية يقولمطلعها[٥]:

يَا عِرَاقْ قُوَّةْ الأَجْنَبِي هَمَّهَا بِكُلْ صِيفَه هَاجَمَه هَاجَمَهَا

(*) عبد الحفيظ عبدالله عبد الحفيظ احديدة، من قبيلة أولاد أبي سيف بالغربالليّبيّ، انظر مقدمة المرحول، عبد الحفيظ عبدالله عبد الحفيظ، مطابع الثورة العربيّة طرابلس، ٢٠٠١م.

(١) المرحول عبدالحفيظ عبدالله عبدالحفيظ ، ص٢٠٩.

(٢) لينا: لنا، ماهيش: اداة نفي بمعنى ليس، دوّه: من الدويّ: الأصوات جاءت من دوي الريح حفيفها ودوي النحل والطائر، الفاضي: الخالي من المعنى.

(٣) امنين: عندما، رهيف الشفر: كناية عن السّيف، ما نهار كسبتوا:لم تكسبوا المعركة يوماً واحداً.

(٤) البندير: نوع من الدفوف تستعمل في الطرق الصوفيّة والفرق الموسيقيّة، جدبتوا: جدب هو الرقص على الدفوف في حلقات الذكر الصوفيّة.

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٥) ديوان البحر الازرق، ص٤٦.

يقول: قامت القوات الأجنبيّة الغادرة بضرب مقدّرات الشّعبالعراقي ودمّرت كلّ مكتسباته وبكلّ أنواع الأسلحة، والشعب العراقي لم يخضع ولم يستسلم بل دافع عن أرضه بكلّ قوّته في تشكيلات انتحارية وصاروخية ومتفجرات والغلبة بيد الله، وينتقل إلى المقطع الأوّل:

زَعْ بُـــوشْ جَـــابْ الْقُـــوَّه عَـــى شَـــانْ هصْـــلَحْتَه تَمكّـــنْ سَـــوَّى[1]

نَاصَـــبْ عَـــى الْبتْـــرولْ مُـــوشْ مْـــرُوَّه اْمنـــينْ لِـــيـــهْ عَوْكـــةْ خُـــوتْ يزِّعْمهَـــا[2]

لِـيـــا كَـــانْ فِـــيـــهْ ابْلـــيسْ هَـــذَا هُـــوَّ ا يْجيـــب النّكَـــدْ والنَّـــافُوه ابروهَـــا[3]

لَكِـــنْ لَقَـــى بَغْـــدَادْ حَـــامِي جَـــوَّه حَلْمـــه كَبيـــرَه بُوشْـــكُمْ حَالْمهَـــا[4]

فَجَـــرْ الْخَمِـــيسْ اْمنـــينْ عَمَّـــم ضَـــوَّه ضَـــجْ كَـــحْ لَزَامِيرَكَـــا حَشّـــمْهَا[5]

يقول الشّاعر: حضر بوش بقوّاته يعين أولئك الّذين جلبهم على ظهور الدّبابات، وهم بدورهم يقدّمون له كلّ ما يريده من العراق لأنّه قادم لأجل مصلحته ومصلحة شعبه لا لإنقاذ للعراق، بل هدفه الوحيد الاستيلاء على البترول العراقي، من أين له أن يتدخّل في مشاكل عربيّةعربيّةبين الإخوة.وأن كان هناك شيطان من شياطين الإنس فهو بوش الّذيأدخل على الشّعب العراقي الأحزان والدّمار والموت، وحرّض العرب على العرب وضرب بعضهم ببعض ، وفرض على القوى الرافضة لسياساته أن تسير على نهجه عنوة، ولكنّه وجد بغداد الصامدة وأرضها الحارقة تحرق كلّ من يقترب منها، فأراضيها وأجواؤها حامية على طائراته وقوّاته، ولن يصدّق الله حُلمه ، بأنّه ابتلع كلّ منابع النفط العربيّمن أوّل معركة له ومواجهة مع أبطال العراق الأشاوس وأبطال الأمّة العربيّةالّذين لبُّوا نداء المعركة من كلّ حدب وصوب، لا يريدون إلاّ الشهادة مما أدّى إلى هروب وهزيمة القوات الأمريكيّة خاصة معركة يوم الخميس ، معركة المطار وما نتج عنها من إحراج وخجل

---

(١) فزّع: من الاستغاثة أو الخوف الشديد، جاب: جاء بـ، شان: شأن: سوّه: السَّوء من الشر وكلّ ما يصيب الإنسان في صحته وماله، وقد تكون من "الأسى" بمعنى الحزن، و "أسى" على مصيبة أيّ حزن وقد اسى له أيّ حزن له، وقد يكون من السيئة والاساءة.

(٢) ناصب: من يضع الحبائل والشباك للصيد، موش: تستعمل للنفي بمعنى "ليس"، مروة: مرؤة، امنين: من اين، ليه: لـه، عركه: معركة، يزّعّمها: يكون زعيمها وقائدها.

(٣)يجيب: يأتي بـ

(٤) لقى: وجد، جوّه: أجواءه.

(٥)علّم: بمعنى ظهر، ضوّه: ضوءه، ضج: صوت السلاح، كح:السعال عند اللّهجةالليبية وقد يكون اصلها من "الكحيح" وهن العجائز العجائز الكبار، ومعناها بهذا البيت صوت السلاح على سبيل الاستعارة بالسعال، حشّمها: خجلها ، والخجل بالنساء.

لـ لأمريكان رغم تفوّقها العسكري، وما تكّبدته قّواتها من تفجيرات وقصف متوالٍ. ويستمرّ الشّاعر في وصف المعارك والهزائم المتوالية الّتي يتلقّاها العدُّو في الأرواح والعتاد إلى نهاية القصيدة.

وفي الشّعر القوميّ يظهر الحس الجماعي والمشاركة بين كلّ الأقطار العربّية، فالقصائد الّتي قيلت في هذا الصدد كثيرة، والشّاعر البدوّياللّيبّي شارك في أغلب الحروب العربّية: الحرب اللبنانّية والحرب العر اقّية والحرب الجزائرّية إبان الاستعمار الفرنسي، والحرب التونسّية الفرنسّية والحروب السورّية والمصرّية والأردنّية مع العدو الإسرائيلي، وللحرب الفلسطينية نصيب الأسد، فالشّاعر البدوّياللّيبّي يشعر بما يشعر به إخوته العرب في كلّ الأقطار العربّية، شاركهم انتصاراتهم واستقلالهم وأعيادهموأفراحهم ومهرجاناتهم، ولم تفته مناسبة إلاّ وكان سّباقاً إلى المشاركة بها، إّنه ابن قبيلته ووطنه وقومه ولغته ودينه.

الفصل الثّاني
الأوزان والإيقاعات للقصيدة البدوية.

المبحث الأوّل: هندسة القصيدة البدويّةاللّيبيّة من حيث التوزيعوالتركيب.
المبحث الثّاني : الأوزان والقوافي.

المبحث الأوّل: هندسة القصيدة البدويّة اللّيبيّة من حيث التّوزيعو التّركيب

ينقسم الشّعرالبدويّاللّيبيّ من حيث الشّكلالهندسي في التّركيب والتّوزيع إلى قسمين :

١. القصيدة العموديّة .

٢. القصيدة الزّجليّة .

ويدخل تحت كلّ منهما جميع بحور الشّعرالبدويّ وأوزانه .

أوّلاً : القصيدة العموديّة :

وتسّمى عند البدو في ليبيا " القسيم أو الهلالي " وهي امتداد للقصيدة العربّية القديمة، تلتزم وزناً واحداً وقافية واحدة ، تطول وتقصر حسب الموضوع وقدرة الشّاعر وطول نفسه، ولكلّ بيت من هذه القصيدة شطران، صدر البيت وعجزه ؛ فالعجز يكون على قافية واحدة على غرار الشّعر الفصيح ، أّما صدر البيت فقد يكون على قافية واحدة وهو الغالب، وقليلا ما يكون على غير ذلك .

أ- اللّون الأّول يُطلق عليه : "القسيم" ، وتتضاعف موسيقاه خلافاً للشّعر العمودي الفصيح ويزداد خفّة وسهولة في تلقّفه وحفظه وسرعة تناقله بين النّاس ، وهذه الخاصّيّة يمتاز بها الشّعرالبدويّاللّيبيّ عن القصيدة العربّية القديمة الّتي لا تلتزم إلاّ بقافية واحدة . والمثال على هذا اللّون قول الشّاعر محمّد عبد الرّحمان الحامدي :★[١]

عِيشَه تَعشّاها رَقْراقْ السَّرِيـــــــرْ مَا بِينْ كُرْدِي وَالنَّـخَلْ دُوَّارَهـــــــا[٢]

يـُومِينْ نسْبُطْ بِالْجَـــــــوَادْ لِسِيرْ نِشْدْ عَلَى عِيشَه وِيـــــــنْ لِيلْهَا[٣]

وَمَكَانْ عِيشَه وَالْحَـطَبْ وَالْحَجِيرْ وَجُرَّةْالْكَلْبَه نـــــــــــ ازْلاتْ لِظْفَارَهَا[٤]

★تم التعريف بالشّاعر

[١]- معجم الأدب الشّعبي ، عبد الله مليطان ، ص ٢٧٥ .

[٢]- تعشّاها : مجازا أكلها ، رقراق السّرير : سراب الصّحراء ، كردي : اسم موقع ، النخل : موقع ، دوارها : ربعها .

[٣]- نسبط : الاسترسال في السّير مجازا ، ننشد إلاّ سؤال عن مكانها ، وين : أين .

[٤]- جرة : آثار .

ولا لْقيتْ فَارِسْمـــــنْ قَدَاكْ خَبِيرْ يِنْبِي عَـــــلَى الْعْهُوجْ سُودْ أُظَارْهَا[1]

رَحَلْ نَجْعِ عِيشَهْ سِمْحَةَ التَّصْوِيرْ صَدِيقْ مَنْ يِقُوَّدْ فِي الْفَرَسْ بِهَجَارْهَا[2]

يتناول الشَّاعر في هذا اللّون موضوعه الّذي يريد أن ينقله إلى السّامع وقد يصل إلى المائتي بيت ، ويسير على نفس النّسق بقافية موحّدة في كلّ من العروض والضّرب، وهذا النّوع هو الغالب في القصيدة العمودّية البدوّية ما يسّمى بـ " القسيم " وميزته جرسه الموسيقّي كوجود قافيتين : قافية صدر البيت وقافية عجزه ؛حتّى يسهل حفظه وتناقله لاعتماد الشّعرالبدوّياللّيبّي على الشّفوّية كسمة أساسّية لغياب التّدوين وتفشّي الأّمّية بين ربوع البادية– إلى وقت قريب – والاعتماد على الرّواية وعلى الذّاكرة .لهذا كلّما كان خفيفا على اللّسان كثير الموسيقى يهون على البدويّ حفظه وروايته ، والتّغّني به في الأعراس، وهذا جزء من قصيدة كرسالة بعث بها الشّاعر رجب أحمد بو حويش ★ من المهجر إلى أحد أصدقائه [3]:

سَلامِي عَلَى غُوشْ الأَحْبابْ الْغَالِي الـــ ـلِّي الْعَقْلْ مَا يِنْهَى بَلاهُمْ يِـ ـوْمْ[4]

اللَّي هُمْ زَهَايْ وَعْوَتِي وَ دَلالِ ـــــي رَكَّابَةْ عَرِيضْ الصَّدْرْ غَالِي السُّوْمْ[5]

طَعَّامِينْ لِ لضَّايِفْ الزَّادْ الْغَالـــــــي ضَرَّابِ لِيلْ عَايِبْ نَـهَ ارْ الشُّـــوْمْ[6]

إِنْ كَانْ تِ نِشْدُوا نِحْكِيلْكُمْ عَنْ حَالِ ـي الْمُولَى كَرِيمْ يِرُوفْ عَ الْمَظْلُـــومْ[7]

مَعَ جُونْ غَزَّنَا ثَمَانْ لِ يَالـــــــي دَايْخِينْ مَـا رِيـنَا لِـ نِيـــذْ النُّـوْمْ[1]

---

[1]- لا لقيت : لم أجد ، العمهوج : صفة عن طول المرأة والفرس . الأزهري : العمهوج :الطّويل من كلّ شيء ، يُقال : عنق عمهج وعمهوج ، يُنظر اللّسان مادّة " عمهج " .

[2]- يقوّد : يقود الفرس ، الهجار : حبل تربط به قوائم الجواد الخلفيّة والأماميّة .

★- هو رجب أحمد أبو حويش ولد سنة ١٨٧٦م بزاوية المرحص قرب طبرق ، تلقّى تعليمه بزاوية المرحص ثمّ انتقل إلى معهد الجغبوب الدّينيّ ، وانتقل إلى الكفرة ثمّ سافر إلى تشاد ، وساهم في حركة الجهاد ضدّ الإيطاليّين ، واعتقل بمعتقل العقيلة ، تُوُفّي عام ١٩٥٠ م ، انظر ديوان الشّعر الشّعبي المجلد الأوّل ص ١٣١ .

[3]- معجم الأدب الشعبي عبد الله مليطان ، ص ٣٤٧ .

[4]- غوش : المجموعة المقرّبة .

[5]- زهاي : الزهو : المنظر الحسن ، يقال : زُهِيَ شيء في عينيك . يُنظر مختار الصّحاح مادّة " زها " ، عريض الصّدر : كناية عن الفرس .

[6]- طعّامين : المبالغة في طعم الزّاد ، الضّايف : الضّيف ، العايب :الّذي يصدر عنه العيب .

[7]- تنشدوا : تسألون ، نحكي : أخبر، المولى : الله ، يروف : من الرّأفة والرّحمة ، ع : عن .

جعل الشّاعر حرف " اللام " قافية بصدر البيت ، وحرف " الميم "قافية رئيسةً للقصيدة ، فالقافية الأولى تدلّ على الحنين والشّوق إلى الأهل والوطن كقوله: " غالي، دلالي ، حالي ... الخ" . لكّنه في العجز يظهر القّوة والتّحّدى والصّبر والشّدّة والكبرياء في: " السّوم ، الشّوم ، المظلوم ، النّوم ". وهكذا يذكر الشّاعر بعده و حنينه وضعفه وغربته، وفي نفس الوقت – وليس ببعيد – يظهر قّوته في عجز البيت ؛ فهم من يركب الخيول الأصيلة الّتي يدفع فيها الكثير من الأموال لاقتنائها ، وهم أصحاب المعارك الطاحنة ، وأنه يسير بالصّحراء لا يعرف إليه النّوم سبيلا .

عندما يكون موضوع القصيدة من هذا النّوع ترتبط معانيه بما تحمله القافية من القّوة والموسيقى الدّاخلّية للأبيات ، حيث يعطي الصّدر معًنى يختلف عن العجز ، وكأنّ هذا الأخير يجيب عن تساؤلات صدر البيت الّذي يظهر الضّعف والحنين في حين أنّ الشّاعر ليس كذلك ولكّنه أخذه الشّوق إلى دياره وصحبه .

لذلك كلّه تتلقّف النّاس مثل هذه القصائد وتتنّقل من مكان إلى آخر بسرعة البرق لما تحمله من معنى شريفٍ ، ومفردة جميلة ، وموسيقى عذبة سهلة الحفظ . لهذا وجدنا مثل هذه القصائد في ذاكرة الرّواة تتناقلها إلى ما يزيد عن قرن من الزّمن .

ب- أّما اللّون الثّاني من القصيدة العمودّية أو ما يسّمى بـ " الهلالي " – نسبة إلى شعر بني هلال – فهو يشبه القصيدة العربّية القديمة من حيث الهندسة ، فهو يقصر ويطول أيضا حسب موضوع القصيدة وقدرة الشّاعر ، وهذا النّوع يعتمد على قافية واحدة كالشّعر العربّي تماما بعجز الأبيات مع اختلافها بصدر الأبيات ، وهو أقلّ موسيقى من اللّون الأّول وأقلّ استعمالا .

يقول الشّاعر مفتاح بو عمّية الفاخري ★ فيما اخترنا من قصيدة له يخاطب فيها الصّحراءالّتي أصابها الجدب والقحط [1] :

---

[1]- جون : صحارى ، دايخ ، مصاب بالدّوار ، ما رينا لم نَرَ ، أو لم نذق .

★- سجلت هذه القصيدة من قبل لجنة جمع التّراث بصوت الشّاعر نفسه في آخر أيّام عمره (١٩٩٤ م) ، وهو يرى الموت قادم ويعزّ عليه أن يموت قبل رؤية اخضرار الصّحراءالّتي أصابها الجدب ولم تجد فيها الإبل ما تأكله ،انظر الإبل في

زَعْمَهْ يَا صَحَارِي أنْرِيدْ نَحْضَرْ لِجَاكُمْ يُضْمِنِي بِـــو لَحَدْ فُوقْ اتْرَابِـهْ ا[٢]

وِيرْزِمِ الرَّعْدْ فُوقِي وَمَا نَسْمَعْ الرَّعَـــدْ وَتْجُودْ السَّحَاب وَمَا نَرَاعِي سَحَابِهَ ا[٣]

وَتْجِي القُودْ قُدَّامِي وَتَبْقَـــى رَايِـضَـه وَتَلْـقَى لِخْشِينَه نَابْتَه فِي اصْلَابِهَ ا[٤]

وَنْقُولْ لَهْيَـ ا قَـــ وَبِاللَّـهْيِـرْ لِـي دِيـرْلِـي فجِيوه خَـلْ نُظْرْ ارْقَابِهَ ا[٥]

وَنْقُـــولَّـــه يَـــاقَوْ مَـــاسْمَحْ زُولْـهَ ا بِـــين الجِـدِير وقَـوْ سِيد انْيَابِهَ ا[٦]

المُوت كُلّهَـ ـا يَـــاقَوْ صَعْبَـــة اوَاعَوه غِيْرْ مُوتْ صَاحِبْهَ ا وْهُوْ فِي عَقَابِهَ ا

يحنّ الشّاعر إلى الصّحراء والإبل في آخر حياته متمنّيا أن تهطل الأمطار وتعود الحياة إلى الصّحراء ، وتكثر المراعي وتعود الإبل إلى ديارها ومرعاها، وهي هادئةلا تغادر مكانهاحتّى تشبع ، وهو ينظر إليها إن كان على قيد الحياة، وإن ضمّه تراب القبر وعادت الحياة إلى الصّحارى فإنّه يطلب من القبر أن يفتح له فجوة صغيرة لكي يرى من خلالها الإ بل وهي ترعى الأعشاب الصّحراويّة الجميلة الزّكيّة بالمواقع الّتي ذكرهامثل منطقة "الجرير" ومنطقة " قبر ذياب بن غانم " بالصّحراء اللّيبيّة – كما تزعمالعامّة– ليرى من خلال تلك الفجوة رقاب الإبل الطّويلة وهيتهوى إلى الأرض حينا،وترتفع حينا آخر، ويختم بقوله أنّ الموت صعب فيكلّ حالاته إلاّ الموت خلفالإبل دفاعا عنها ، فهي فقط موت كرامة وعزّة وفخركما يرى الشّاعر .

الشّعر الشّعبي ، د. يونس عمر فنوش ، مجلس الثّقافة العام ، دار قباء الحديثة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، القاهرة – مصر ٢٠٠٨م ص ٢٩٥

[١]- المصدر نفسه ، ص : ٢٩٥

[٢]- زعمه : يا ترى ؟ ، ارجاعكن : رجوع الحياة فيك ، و لحد : القبر.

[٣]- يرزم : دويّ الرّعد وصوته ، ما نراعي : لا أشاهد .

[٤]- تجي : تأتي ، القود : الإبل ، رايضة : ترعى في هدوء دون حركة تذكر ، خشينة : نوع من العشب الصّحراوي تفضّله الإبل .

[٥]- دير لي : اجعل لي ، فجيوه: تصغير فجوة أيّ فتحة ينظر من خلالها الإبل وهي ترعى العشب .

[٦] ماسمح: ماأجمل، زولها : جمالها ، الجدير وقبر ذياب : اسماء لمواقع .

وهذه المواضيع محبوبة من النّاس ، فسريعا ما تتلقّفها ، وتحفظها وتتناقلها، لأنّ مثل هذه القصائد المحزنة تؤثّر في أحاسيس النّاس ومشاعرهم، تجدهم يحفظونها ويتمثّلون ويتغنّون بها، وتعاد في كلّ جلسة سمر من جلسات القبيلة ، وغيرها من القبائل الأخرى .

ثانيا : القصيدة الزّجلّية :

وهي تنتمي إلى جنس الموشّح الأندلسي من ناحية الشّكل في المطلع والغصن والأدوار والأقفال ، فهي أقرب إلى هذا الجنس جنس الموشّح وإلى ما يجري مجراه من الأجناس الجديدة في الشّعر الشّعبي العربّي كالزّجل والمخمس والمسمط والدوبيت، ونحن نقرّب هذا النّوع من الموشّح ، و علينا أن نقسّم هذا النّوع إلى قسمين:

قسم تعتمدفيه القصيدة على مطلع ومجموعة مقاطع وأغصان في آخر كلّ غصن يعود الشّاعر إلى قافية المطلع.

وآخر بدون مطلع كما يعرف عند الوشّاحين بـ " الأقرع " ، ويسمّى عند اللّيبّيينأو ما يسمّى بالشّعر البدويّاللّيبّي بـ " القسيم" ، وهذا النّوع يكون ثنائيّاوثلاثيّا ورباعيّا، وقد يصل إلى السّداسي و أكثر و يحمل كلّمنها اسماً عند البدو ويختلف من مكان إلى آخر.

<u>أ – القصيدة الّتي لها مطلع</u> :

وهوالأكثر والأعم ، حيث تعتمد القصيدة على لازمة واحدة تبنى عليها كلّ القصيدة قافية ووزنا وموضوعا ، ويسمى المطلع عند البدو في ليبيا بـ " راس الركاب" و" مطلع " و" راس قول" و" راس بيت " . وقد يكون المطلع ثنائيّا يتكّون من شطرين تتّحد فيه قافية صدر البيت وعجزه ، أو ثلاثيّا يتكّون من ثلاث شطرات تتّحد جميعها على قافية واحدة،أو رباعيّا أيّ : من بيتين تتّحد فيه قافية الشّطر الأوّلوالثّالث وتتّحد فيه قافية الشّطر الثّاني والرّابع ، وتتعدّد الأوزان في القصائد الّتي تعتمد على المطلع مثلما تتعدّد الأوزان والبحور في القصائد العمودّية تماما ، وتأتي المقاطع أو الأغصان معتمدة على الطّالع أو المطلع موضوعا ووزنا ، وهذه المقاطع في كلّ القصائد ذوات المطالع تختلف في القافية عن بعضها فلكلّ مقطع قافيته

الخاصّة به ، ولكنّها تتّحد جميعها في آخر المقطع ، وتعود إلى قافية المطلع ذي الشّطرين أو الثّلاث أو الأربع شطرات ، ويعرف بالقفلة أو "التّوريدة " من الورود إلى رأس النبع وهو المطلع . وكل فقرة أو غصن من القصيدة يشكل وحدة قائمة بذاتها، لا يربطها بالقصيدة العامّة إلاّ الموضوع ، والقافية الموحّدة بالمطلع في قفلة كلّ أخر مقطع .

١ – المطلع الثّنائي : وهو يتكّون من شطرين يتّحدان في القافية ، ويكون غالبا في وزن " بورجيلة " العادي وبورجيلة الخفيف و الموقف، وهذا لا يمنع أن يكون في كلّ الأوزان الأخرى ، ومثل ذلك قول امحمد قنانة ★ في إحدى قصائده :[١]

تَرَكْنَاهْ حُبَّ الْوطَنْ نِمْشُوا مِنَّه بَلا مَالْ لا هُو فَرَضْ لا هُو سُنَّهْ[٢]

هذا مطلع ثنائي لقصيدة قنانة يتكّون من شطرين يلزم تقفية مصرعيها ، والمطلع هو ركيزة القصيدة وهو قافيتها الثّابتة ، أمّا أبيات أو أغصان مقطع القصيدة فتختلف من واحدة إلى أخرى في قافيتها وتنتهي بالعودة إلى قافية المطلع .

ثّم ينتقل الشّاعر بعد أن حدّد موضوعه وقافيته بالمطلع إلى المقطع أو البيت الأّولأو الفقرة أو الغصن الأّول في قوله :

تَرَكْنَاهْ لَاهْلِ مَّازَهْ تَرَكْنَاهْ وطَنْ الْمَرْمَدْ والْعَازَهْ[٣]

لِينْ ذَقْطُعُوا رَقْرَاقْ شِينْ فَازَهْ بِقْرَبْ لا هُمْ شَلْبَطْهْ لا شَنَّهْ[٤]

كانت العادة عند شعراء البدو قديما وخاصّة في هذا الوزن لا تتعدّى أبياته على أربع شطرات ؛ الثّلاثة الأولى منها بقافية والشّطر الرّابع يعود به الشّاعر إلى قافية المطلع، وينتقل إلى مقطع آخر، وهكذا فالعودة إلى مطلع البيت شطر واحد لهذا سمّوه " أبو رجيلة "

★- تم التعريف بالشاعر.

١- ديوان الشّعر الشّعبي ، المجلّد الأوّل ، قاريونس ، ص ٢٢ .

٢- نمشو منه : نغادره .

٣- المرمدة : من التّرميد : جعل الشّيء في الرّماد ، مختار الصّحاح مادة " رمد " ، العازة : الحاجة الشّديدة

٤- رقراق : متسع من الأرض ، شين : قبيح ومخيف ، قرب : وعاء حمل الماء على الإبل يصنع من جلد الحيوانات كالوعول ، الشّلبطة والشّنّة : أقل من القرب .

لعودة البيت أو وقوفه على قافية واحدة أو ما يسّميه البدو "رجل واحدة" أيّ كأّنه واقف على رجل واحدة ، وينتقل الشّاعر إلى مقطع آخر:

ـ نـ ـاْمثلـ ـرْكـ ـتـ ـفـ ـاتـ ـه تـ ـرَكـ ـنـ ـلّاهِيلِيـ ـعـ ـرِفُـ ـوا مْعَناتَـ ـه [1]

وَصَغْرِ الْكَلامْ يـ ـُولّد اكْبَاراتَـ ـه وَكِبْرِ الْكَلامْ يِحْطَكْ فِي غُثَّه [2]

نلاحظ أنّ قافية الطّالع " الّون " المشدّدة ، وينتقل الشّاعر إلى البيت الأّولبقافية جديدة وهي التّاء" للشّطرات الثّلاث الأولى، ويعود في قفلة الشّطرالّرابع إلى قافية القصيدة؛ قافية الطّالع " الّنون " وينتقل إلى البيت أو المقطع أو الفقرةالثّانية من القصيدة بقافية جديدة، ويستمرّ الشّاعر على هذه الوتيرة إلى أن يقنع ويطرب سامعيه؛ عندها يختتم قصيدته.

ثّم تطوّر وزن " بو رجيلة " وأصبح الشّاعر أكثر نفسًا من سلفه ، فبدلاً من أن تكون الفقرة أو" المقطع " أربع شطرات فقط ويكتفي الشّاعر بالعودة إلى قافية الطالع مرّة واحدة أصبح يعود مرّتين إلى قافية الطّالع ، وزادت الشّطرات من أربع إلى ستّ شطرات ؛ يكون الشّطر الأّولوالثّاني والثّالث والخامس بقافية الفقرة أو" المقطع" والشّطرالّرابع والسّادس بقافية الطالع وهي القافية الأساسّية للقصيدة، ومثال ذلك قول الشّاعر علي فرج الجهاني★: [3]

مُوشْ كلّهاللّي تـ ـرِيدْهَا تـ ـكْدِرْهـ ـا وَلا كلّ ضَحْكَه وَاثَّكْ صَاحِبهـ ـا [4]

ليس كلّ ما يريده الإنسان يناله أو يكون بين يديه، وليس كلّ من يبتسم لكيريد بك الخير.

المطلع كسابقه يتكّون من شطرين بقافية واحدة : " الباء" بصدر البيت وعجزه، وبعد أن حدّد الشّاعر موضوعه وقافيته، ينتقل إلى المقطعالأّول من قصيدته:

---

[1] ـ فتفاته :الّذين لا يعقلون ، للي : إلىالّذين ، امعاناته : معاناته .

[2] ـ المشاكل تبدأ بالكلام البسيط الصّغير ثمّ يكبر إلى أن يصبح مشكلة.

★ـ الشّاعرعلي فرج الجهاني ، ولد سنة ١٩٢٨م ببنغازي ، درس بمسجد بالة (ببنغازي) ، متحصّل على ثانويّة الفنون والصّنائع في عهد الاحتلال الإيطالي ، عمل ملاحا بميناء بنغازي البحريحتّىأحيل إلى التّقاعد ، اشتهر كمطرب شعبي ، انظر معجم الأدب الشّعبي في ليبيا ، عبد الله مليطان ، ص : ٦٢

[3] ـ المصدر نفسه ، ص : ٩٢

[4] ـ موش :ليس ، اللّي :الّتي ، ضحكة : ابتسامة ، واثّك : أهداك إيّاها .

هُوشْ كلّهاللّي تْريدْها وتبِّيهْ تاْجيكْ لوْ ما تسْعى لهَا وتْجيهَا [1]

اللّي ساهْلَه مرّاتْ تحْصلْ فيهَا والصّاعْبه تسْهلْ يزُلْ تعْبهَا [2]

اللّي تعْدها مِ النّاسلُوْم عليهَا وخاطْرْ القدْر ما تطْلبْهَا [3]

ثمّ ينتقل إلى المقطع الثّاني بقافية جديدة :

هُوشْ هكالّلي تْريدْها تلايمْهَا وعلّةْ الْغاوِي الْغاوِيه تفْهمْهَا [4]

وفِي الرّيقْ حنْظلْ مُرْ تطَعّمْهَا تْويحةْ اللّي خاطْرْك راغْبهَا [5]

الْعِينْ عَ الْمعاصِي كانْ ما تْعُمْهَا تْظلّكْ ظلالْ كبِيرْ ما تغْلبْهَا [6]

فالإنسان لا يتحصّل على كلّما يطلبه، ولا تتحقّق له جميع رغباته ، وحديث المحبّ لا يفهمه إلاّ محبّ مثله جرّب الحبّ وخبره ، والمحبّ المفارق لمحبوبته يعاني الفراق والشّوق ومرارة الوجد فهو كمن يتناول الحنظل بسبب بعد المحبوبة، والّفسلاّتي رمز لها بالعين– لأنّها من مسبّباتها – إن لم يُكْبَحْ جماحها عن المعاصي تؤدّي بصاحبها إلى الظّلال والهلاك الّذي يصعب الخروج منه .

وهذا المقطع بدأ بقافية جديدة كسابقه يتكوّن من ستّ شطرات الأولى والثّانيةوالثّالثة والخامسة بقافية والرّابع والسّادس يعود إلى القافية الأساسيّة : قافية المطلع ، وهكذا يستمرّ الشّاعر على نفس الّنسق إلى أن ينهي قصيدته .

ثمّ يحدث تطوّر آخر، وهو زيادة عدد الشّطرات في المقطع الواحد ، وقد يصل عدد شطراته إلى مائتي شطر وأكثر فيصبح بذلك المقطع يشبه أبيات القصيدة العمودية لولا

---

[1]- تبّيها : تريدها ، تجيك : تأتي إليك ، لو : لولا ، تجيها : تأتي لها .

[2]- ساهلة : بسيطة ، الصّاعبه :الصّعبة والشاقّة ، تسهل : تهون وتكون بسيطة ، تعبها :من التعب و المشقّة .

[3]- تعدها : من العدّ بمعنى الّذي تحسب له حسابا ومكانة ، لوم : الملامة ، حاجة : أمر ما ، تقل القدر :تقلّل من المكانة والمنزلة .

[4]- تلايمها :تتحصّل عليها و تتلاءم معها ، وهنا رمز للمحبوبة ، علّة :مرض ولكنّها هنا وردت بمعنى أنّه على الإنسان الّذيجرّب علّة الحبّ أن يفهم ويقدّر المحبّين ، الغاوي : تُسْتَعْمَل في بعض المناطق بمعنى المحبّالّذي أغواه الحبّ ووقع فيه .

[5]-تطّعمها: تتذوّقها.

[6]- ع : على ، ما تغلبها : لا تستطيع السيطرة عليها وكبح جماحها .

نهاية المقطع بقافيّة الطالع ، وقد يكتفي الشّاعر بمقطع واحد عندما يطول المقطع فيؤدّي الغرض المطلوب الّذي يريده. إلى أن يعود في آخر المقطع إلى مطلع القصيدة ، ولولا عودته إلى المطلع لظُنَّ أنّها قصيدة عموديّة تلتزم بقافيتي الشّطرين: الأوّل والثّاني .

والقصائد ذوات المطلع الواحد تختلف في أوزانها وبحورها ولكّنها تتّحد في الشّكل الهندسي للقصيدة من حيث الأبيات ، وعدد الشّطرات ، وتعدّد القوافي في كلّ بيت ، وطريقة العودة إلى المطلع .

هذا مثلا وزن " المهوى" [1] ويسمّونه أيضا " بو رجيلة " الخفيف ، ومنه قول الشّاعر محمّد عبد الرّحمان الحامدي ★ : [2]

عِينِكْ عِينْ بُو مَلْوجْ وسِيرَه وَخَنِّكْ بَرْقْ يِجَّارَى غَيرَه [3]

وهنا يصف الشّاعر عين محبوبته مشبّها إيّاها بعين الصّقر ، أمّا خدّها فهو يشبه البرق بمزنة ممطرة مخلّفة وراءها سيولاً عارمة .

في هذا الطّالع يختلف الوزن عن " بو رجيلة " السّابق ويتشابه معه في الرسم الهندسي ، إلاّ أنّه أخفّ منه وزنا ؛ لهذا سُمِّي بـ" بو رجيلة الخفيف "، وتستمرّ القصيدة على نفس الطّريقة السّابقة الّتي ذكرناها من ناحية الشّكل ، يقول في أحد مقاطع قصيدته :

عِينِكْ عِينْ رَتَّاعْ الْقُضَامَهْ بِينْ الْبُرْدَه وبِينْ التّوَامَهْ [4]

شْبِحْكْ فِي دْهَمَا هُو غَوَامَهْ وِدْ الْعُرْ مَنْ دَارِكْ عَشِيرَه [5]

دِرْتِي شِبْرْ نْقَطْعِكْ فِي قَامَهْ وَكَانِكْ غَافَلْ لَهْ جَاتِكْ نَذِيرَه [6]

---

[1] - المهوى : هو لحن أو طريقة يؤدَّى بها هذا الوزن من الشّعر في أقصى الغرب اللّيبيّ والجنوب التّونسي .

★ - سبق التّعريف بالشّاعر .

[2] - ديوان محمّد عبد الرّحمان الحامدي ، ضو ربيع ، ص : ٦٩.

[3] - بو ملوج : كناية عن الصّقر في إشارة إلى الكمامة الّتي توضع على عيني الصّقر وتُرْبَطُ بسير من الجلد المدبوغ .

[4] القضامة : اسم نوع من الأعشاب ، الباردة والتوامة : اسماء مواقع .

[5] شبحك : النّظر إليك ، دارك عشيرة: عمل على معاشرتك كزوجة .

[6] شبر : المسافة بين طرفي الخنصر والإبهام ، القامة : المسافة بين الكفين عند انفراد اليدين، جاتك : أتت إليك ، نذيرة : بشارة

بعد أن شبّه الشّاعر عيني محبوبته بعيني الصّقر في المقطع السّابق ، يشبّهها في المقطع الجديد بعيني الغزال الّذي يرعى ويقطف الزّهر بين منطقتي "الباردة" و"التّوامه"، فالنّظر إليها– وحده– نوع من أنواع الرّبح ، متمنّيا أن تكون له حليلة ويكافئها على كلّ ما قدّمته أضعافا مضاعفة ، وإن لم تعلم بحبّه ها هو ذا يزفّ لها البشرى في أبياته هذه .

اتّبع الشّاعر الطّريقة نفسها في رسم قصيدته وفي الوزن ، فالشّطرات السّتّ: الأوّل والثّاني والثّالث والخامس بقافية ، ثمّ عاد في الشّطر الرّابع والسّادس إلى قافية المطلع؛ قافية القصيدة الأساسيّة ، ويستمرّ الشّاعر متنقّلا من مقطع إلى آخر حتّى ينهي فكرته الّتي أراد إيصالها إلى سامعيه .

٢– المطلع الثّلاثي :

يكثر هذا النّوع بوزن " الطّيلة " وهو أخفّ وزنا وأداء ، وسُمِّيَت بهذا الاسم لأنّها مأخوذة من الطّبل والقرع عليه في الأعراس صحبة النغم بالشّعر ، حيث يضع الشّاعر أمامه طاولة صغيرة أو قصعة من الخشب وتكون معه ومع مصاحبيه من الرّجال عصيّ صغيرة يطرقون بها على تلك الطاولة أو "القصعة" في إيقاع يتمشّى مع النّغم الّذي يتغنّى به الشّاعر في أداء قصيدته .[١]

وغالبا ما يكون هذا النّوع من القصائد في الغزل لأنّها تؤدّى في الأعراس أمام حشد الحضور من أهل العروسين و المدعّوين من رجال ونساء ، وإن خرج الشّاعر خلال قصيدته عن الغزل لأجل التّشبيه أو لتوضيح أمر ما ، سرعان ما يعود إليه في آخر المقطع، وهذا لا يعني أنّ وزن " الطّيلة " محصور على الغزل وحده ، بل توجد قصائد طوال – في نفس الوزن – تتناول موضوعات اجتماعيّة ، وفي وصف الطّبيعة و البرق، والإبل ، وغيرها .

[١]- انظر الأدب الشعبي في ليبيا ، محمد القشّاط ، ص : ٢١٢-٢١٣

وتكثر التّشطيرات في وزن " الطّيلة"منها الثّنائي والثّلاثي والرّباعي إلى غير ذلك من التّفنّن في زيادة موسيقى القصيدة . والمطلع الثّلاثي يتكّون من ثلاث شطرات تقصر وتطول على وزن " الطّيلة " وبقافية واحدة ، يقول محمّد القشّاط ★ مثلا : [1]

عِيذِكْ عِينْ هَيلْ القَارَه سُودَ انْظَارَه سَرُوسْ فِي لَسْنَاد اصْغَارَه[2]

شبّه الشّاعر عين محبوبته بعين الغزال على عادة سلفه بـ " هميل القاره" في تشبيه بليغ حذف منه وجه الشّبه والأداة و كأنّ عينيها نفس عيني الغزال الّذي يرعى بالمراعي والأودية ويسير على مهل منه تمشّيا مع مسير صغاره ، وكلّ من عيني محبوبته وعيني الغزال شديدتي السّواد .

حدّد الشّاعر من خلال المطلع موضوع القصيدة وهو غزل في وصف محبوبته وجمال عيونها ، وحدّد قافية القصيدة الّتي ظهرت من قافية الشّطرات الثّلاث بالمطلع وروّيها " الرّاء" . ثمّ ينتقل إلى مقاطع القصيدة تطول وتقصر حسب الموضوع والشّكل الهيكلي للقصيدة وقد تصل إلى مئات الشّطرات وعشرات المقاطع ، وتختلف من قصيدة إلى أخرى ومن فقرة إلى أخرى في الزّيادة وفي عدد تشطيرات الأبيات وزيادة في الموسيقى ، وينتقل الشّاعر إلى المقطع الّذي يلي الطّالع :

عِيذِكْ عِينْ هَيلْ افْجُوجَهْ يَا عَمهْ وَجَهْ فِي رِدَّهْ لَبَرْقْ وَاسْنَاهْ[3]

فَجْ اللِّي لا حَثْرِ يَلْوَجَهْ كِيفِ الْمُوجَهْ نَوَّارَهْ رَقْمَانْ مَسَاهْ[4]

وَامْطَارِ اكْثُورْ مَقْجُوجَهْ زَادَنْ فُوجَهْ مُطْمَانْ يْسَرُوسْ فِي ثْلاَهْ[5]

★ - تمّ التّعريف بالشّاعر.

١- الأدب الشّعبي في ليبيا ، ص : ٢١٢.

٢- هميل : مرأهمل الشيء خلّى بينه وبين نفسه وهنا يعني به الغزال لأنّه دائما وحده ، القاره : المرتفع من الأرض ، انظاره : عيونه ، سروس: سار بهون ويسر ، لسناد : مفردها سند ويعني الأرض المرتفعة .

٣- فجوج : مفرده فج : الفجوة والمتسع من الأرض ، عمهوجه : عمهج :الطّويلة و تطلق على المرأة والفرس ، ردّة : بالقرب أو في نواحي ، لبرق : اسم موقع بغرب ليبيا .

٤- حثر : القليل من النّاس ، يلوج : لاج به أيّ سار فيه ودخله ، كيف : أداة تشبيه بمعنى " ك " ، الموجه : من أمواج البحر ، نوّاره : زهوره ، رقمان :من رقم الثّوب كتابة وزخرفه ، مساده :من أسدى الثّوب

٥- مقجوجه : القج في اللّهجة اللّيبيّة في غرب ليبيا هو كب الإناء المملوء بالماء على فمه فيسيل كلّ ما فيه دفعة واحدة وهنا يعني غزارة الأمطار وإن كان في العربيّة لا تجتمع الجيم والقاف ، نفج : سمن وارتفاع بطن الغزال ، وهي كلمة عربيّة ، انظر اللّسان مادّة " نفج "

هذا المقطع لهعدّة أبيات ولكلّ بيت ثلاث شطرات الأولى والثّانية بقافية والثّالثة بقافية مخالفة عن الشّطرين السّابقين له وجميعها تختلف عن قافية الطّالع ويستمرّ المقطع على هذا المنوال إلى أن ينهي الشّاعر فكرته الّتي أراد إيصالها إلى المسامع من وصف جميل لعيني محبوبته وتشبيهها بعيني الغزلان الّتي ترعى تلك المناطق الّتي يعرفها الشّاعر، وعندما يشعر أنّه أعطى للموضوع حقّه بما فيه الكفاية يعود إلى قافية الطّالع في قفلة جميلة لا يشعر السّامع بخروجه عن القافية السّائدة :

غَنَّكْ لاَ حَنَّر بِحْرُوجَهْ تَحْت النَّارْه كِيفْ عَوَاجِينْ الجَبَّارَهْ [1]

تردّد بعدها المجموعة المصاحبة للشّاعر الطّالع بنفس النّغم ونفس نقرات العصيّ على الطّاولة ، وأحيانا يعود الشّاعر في القفل بأكثر من بيت كقوله :

غَنَّكْ لاَ حَنَّر بِحْرُوجَهْ زَادْ هْرُوجَهْ يِشَكْشَكْ دَايِرْ كُبَّارَهْ [2]

خَلِّيتِي كْبِدِي مَرْوَجَهْ يَا عَمْهُ وَجَهْ رُوفِي عَ اللِّي تِشْعِلْ نَارَهْ [3]

تكون القفلة من ستّ شطرات ثلاثيّة ، القافية في الشّطر الأوّل والثّاني والرّابع والخامس على قافية المقطع ثمّ يعود بالشّطر الثّالث والسّادس إلى القافية الأساسيّة قافية الطّالع .

ويقول الشّاعر ميلاد المشّاي★ في وزن " الطّيلة " أو " الطّق" ولكّنه في لون آخر:[4]

تَطِيفَهْ والْخَرْطُومْ أَغَرْ اوجُوفْ إِضْمِرْ اوعِينِكْ عِينْ الطَّيْرْ الْحُرْ [5]

يفتتح الشّاعر قصيدته من خلال طالعها بوصف محبوبته بأنها بيضاء ولها خصر نحيل، وعيناها تشبه الصّقر ، حيث حدّد موضوع القصيدة وقافيتها ووزنها من خلال المطلع، وينتقل إلى المقطع الأوّل الّذي يختلف عن الشّكل الهندسي للقصيدة الماضية ، رغم أنّ الوزن واحد

١- حروجه : من حرج أيّ ضيّق كثير الحرج أيّ كثرة الشّعر و مضايقته لبعضه ، حدّر اندفع إلى أسفل ، النّاره : نوع من الحليّ ، كيف : أداة تشبيه ، عراجين : شمارخ النّخل ، الجباره : النّخل الصّغير .

٢- الغنّ : الشّعر (في اللّهجة اللّيبيّة) ، حدّر : انحدر ونزل ، بحروجه : ضيق في اندفاعه ، هروجه : من الهرج والضّجّة ، يشكشك : الشّكشكة يعنى به صوت الحلي ، داير كبّاره : يشبه كبر الدّار للمعانه

٣-خلّيتي: تركتِ ، ممروجه : أيّ مزّقت و دميت و أصله من أمرجت النّاقة : ألقت ولدها بعدما يصير غرسا و دما، انظر : مختار الصّحاح مادّة " مرج " .

★- تمّ التّعريف بالشّاعر .

٤- ديوان البحر الأزرق ، ص : ٢٢٨

٥- الخرطوم : الوجه ، الجوف: الوسط أيّ الخصر ، اضمر: نحيل ، الطير الحر : الصّقر .

والطّالع يشبه الطّالع السّابق من ناحية الشّكل ، لكنّ الفقرات بها اختلاف، ففي الشّكل الماضي يسترسل الشّاعر في كلّ مقطع إلى عدد من الأبيات والشّطرات حسب قدرة الشّاعر وطول نفسه، ولكن هنا يعود الشّاعر إلى الطّالع عقب كلّ أربع شطرات، لزيادة في التّشطير والتّفعيلات، وتعدّد القوافي لغزارة وتكثيف الموسيقى الداخليّة للقصيدة، يقول في المقطع التّالي :

طَالِقْ فِي جُوجِيَّ نَارْ وَهْنَبَ اسْطَارْ تَظِيفَهْ وَ مْيَامِيكْ اكْبَارْ [١]

جَنَايِزْ وَا مْلَايَاتْ اتْجُرْ نَ كَدْ اوْ شَرْ مَدَافِعْ فِي مَدْعَاكْفهَ ارْ [٢]

فالمقطع هنا جاء قصيرا إلى حدّ كبير بالمقارنة مع الشّكل السّابق الّذي يتكّون من ستّ شطرات ثلاثيّة ، الأربع الأولى منها بقافية والخامس والسّادس عاد بهما الشّاعر إلى قافية المطلع،وينتقل الشّاعر إلى مقطع آخر يشبه المقطع الّذي ذكرناه بقافية جديدة في الأربع شطرات الأولى ، وقافية الطّالع بالخامس والسّادس من الشّطرات ويستمرّعلىهذا المنوال إلى أن يشبع غرضه وموضوعه .

وفي كلّ الحالات كان الطّالع ثلاثيّا من نفس الوزن وإن تغيّرت التّشطيرات–كثرةً أو قلّةً – وهذا الشّاعر محمّد القشّاط ★ يكثر من تشطيرات المقطع في قصيدة مطلعها :[٣]

وَالْفِكْرْ احْتَارْ تَبْهَذْلَنَا وَدَاخَتْ لَفْكَارْ بَتْ فِينَا اتْعَانِدْ لَقْدَارْ [٤]

يعبّر الشّاعر عن التّعب والأرق الّذي أصابه مع اختلاط الأمر عليه ؛ لما يواجهه من صعوبات وكأنّ القدر يحاربه . من خلال مطلعه الثّلاثيّ الّذي حدّد فيه موضوعه: الشّكوى ، وقافيته وروّيها : الّراء ، ثّم ينتقل إلى المقطع التّالي :

لَفْكَارْ افْحِيرِهِ وتَغْتِيرَهِ وَالْيَدْ قَصِيرَهِ مَا طُلْنَا [٥]

١- ميامك : الميم هي العين ، جوجيَّ : داخلي

٢- مدعاك :دعك أيّ الدلك و اللّين وتداعك الرّجلان في الحرب أيّ : تمرّسا ، انظر: المختار " مادّة " دعك " والشّاعر يعني الحرب ، دمايات تجر : دماء تسيل .

★-سبق التّعريف بالشاعر .

٣- الأدب الشّعبي في ليبيا ، محمّد القشّاط، ص : ٢١٦.

٤- تبهذلنا :كثرة التّعب والمشاكل وهي مأخوذة من " بهذل" بمعنى : الخضّة كما ورد فياللّسان – مادّة " بهذل" ، داخت: باللهجةاللّيبيّة الدّوخة :عندما يفقد الإنسان السّيطرة على تفكيره و يصبح كالتّائه ، أو دوّار بالرّأس يؤدّي إلى القيء.، لفكار : جمع فكر بمعنى :العقل والتّدبير ، بدت : أصبحت ، لقدار : جمع القدر .

٥- فحيرة : في حيرة ، تغتيرة : من غتر أيّ :الاختلاط في التّفكير، قصر اليد: كناية عن الحاجة والضّعف ، ما طلنا: لم نطل شيئا .

وَالْعِيْنْ بَــصِيرَه وسْهِيرَه وقَلْبِي تَدْبِيرَه هَذَلْنَا [1]

وِينْ نَّوى نْسِيرْه بتَشْوِيرَه نَـ لَـ ْقَاهْحَـفِيرةْ حَصَّلْنَا [2]

أَنَا بَخْتِي خِيرَهْ؟ تَصْدِيرَه مسْلُول النِّيرْمَخَبَّلْنَا [3]

ويستمرّ الشّاعر يعدّد المصاعب الّتي واجهته في رحلة حياته إلى أن ينهي موضوعه وفكرته ، وقد تطول القصيدة إلى مئات الشّطرات ، ثّم يعود إلى قافية الطّالع ولكن بتشطير جديد وقافية متنّوعة جّيدة تنتهي بقافية وروّي الطّالع " الّراء " في القفل :

مِتْخَبَّلْ نــُولَه وغْــــــــــزُولَه

لا قُولْ اْقُولَه كَانْ يفَرِّجهَا السَّتَّارْ

ففي قفل المقطع ينتهي بصورة جميلة وهي اختلاط خيوط الغزل ويعتمد الشّاعر على هذه الصّورة ليعود إلى قافية الطّالع حتّى لا يشعر السّامع ما حدث من تغيير في نقص تفعيلات القفل .

وليس بالضّرورة أن يتّبع الشّاعر كثر التّشطير وكأّنه التزام على الشّاعر أن ينهج هذه الطّريقة أو تلك ، بل قد يكون المقطع متكّونا من شطرين فقط :صدر وعجز، وبالتّالي يشبه القصيدة العمودّية في بداية المقطع لولا العودة إلى قافية الطّالع في نهاية الفقرة الّتي تطول وتقصر حسب قدرة الشّاعر ، ومثل ذلك قول الشّاعر عمران العبدلي★: [4]

الّنجع اللّي فِي عِزْ زَهَاهْاللَّهْيَرْعَاه يشَرَّفْ باعْتِرَا فْ اعْدَاه

ثّم ينتقل بعد مطلعه الثّلاثي إلى الغصن الأّول :

١- بصيرة : تستعملاللّهجةاللّيبيّة البصِيرَ بدلا من الكفيف رفقا و تفاؤلا ، سهيرة : كثيرة السّهر ، تدبيره : التدبير.

٢- ننوى نسيره: عندما أنوي العزم لسير جوادي، بتشويره :الاتّجاه – من أشار إليه بيده ، نلقاه : أجده ، حفيره : حفرة ،حصلنا : وقعنا فيه

٣- بختي :حظّي ، خيره: أداة استفهام بمعنى : ماله ؟، تصديره :من الصّدور ضدّ الورود ، مسلول الذّيرة :سُلّت الخيوط الّتييسدى بها الثّوب ، خبّلنا : من اختبل أيّ تداخل بعضه مع بعض .

★- عمران صالح العبدلي من مواليد ١٩٥٠ من قبيلة العبادلة ، منطقة الهيشة بالوسطاللّيبيّ، حاز على التّرتيب الأوّل في مهرجان الشّعر الشّعبي في دورته الرّابعة ، انظر كتاب الدّورة التّثقيفيّة الأولى للشّعراء المتميّزين ، ص : ١٣١ .

٤- الدّورة التثقيفيّة الأولى للشعراء المتميزين ، ص: ١٣٢

الّنجع اللّي شيخه معروف امنسّب ما هو لـ لنشّكيك [1]
من الـركّبه لـ لفخذ ايسوف ضنى نجعه موش صعاليك [2]
خوالـه مضور وبـ ـنوف اللّـي عـمّـه مـاهو غابيك [3]
اللّي يـوزن ميزان صروف امحنّـكم الـمـولـى تـحـنـيك [4]

ويستمرّ يعدّد مناقب ممدوحه إلى أن يقنع نفسه بأنّه أعطى الموضوع حقّه فيعود إلى قافية المطلع في قفل ثلاثي يشبه المطلع :

خذني سر موحد لصفوف اللّي يهواه العالم برجاله وشاه

نلاحظ أنّ الغصن ثنائيّ من وزن الطّالع ، ولكن في شكل جديد ، وينهي بقفل الشّطر الأوّل منه على قافية المقطع ثمّ الشّطر الثّاني والثّالث على قافية الطّالع ، ثمّ ينتقل إلى المقطع الّذي يليه في قافية جديدة ، ويعود في نهايته بقفل إلى قافية الطّالع تشبه القفل السابق، وهكذا إلى أن ينتهي من قصيدته الكلّية .

وقد يكون المطلع ثلاثّيا ولكن بوزن آخر غير وزن " الطّيلة " فالوزن المسدس أو ما يعرف في بعض المناطق بـ "الملالاة " يؤدّى بعدّة أنغام تختلف من منطقة إلى أخرى ، وسبب تسميته بـ " المسدس " في غرب ليبيا لأ نّ المقطع فيه يتكّون من ستّ شطرات قبل أن يتطّور ، ويتجاوز هذا الشّكل القديم ، وهذا الوزن من أصعب الأوزان الشّعريّة البدويّة في ليبيا ؛ لأنّ الحفاظ على الوزن فيه أصعب من الأوزان الأخرى ، لذا لا يتناوله كلّالشّعراء ممّا تسّبب في ندرته ، يقول في هذا الوزن الشّاعر امحمّد الرّمرام ★ في وصف جبل :[5]

هوّينه جبل عافيه يا عمر قالي خضر يقلب على لون موج البحر [6]

١- منسّب : له حسب و نسب لا يشكّ به .
٢- ايسوف : يرجع ، ضنى : من أحفاد أولئك الأخيار .
٣- ما هو غابيك : لا يخفى عليك .
٤- صروف :صروف الميزان وهي كتل من النّحاس تحمل أوزان مختلفة كالرّطل ونصف الرّطل و الكيلو جرام ومايعنيه الشّاعر موازين الذهب والمعادن الثمينة..الخ ، محنك : له حنكة ومعرفة بكلّ الأمور ، م المولى : من عند الله .
★- امحمّد الرّمرام الوافي: من منطقة سوكنة ، شيخ فاضل ، وفقيه كبير ، عاش عمره إماما للمسجد العتيق في بلدته ، وكان شاعرا كبيرا عالج مختلف ضروب الشّعر، وله في التّصوّف ،ومدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، انظر كتاب الشّعر الشّعبي ج١ ، علي برهانة ، ص : ١٤٤ .
٥- الشّعر الشّعبي ، علي برهانة ، ج٢ ، ص : ٢٢٨
٦- هوّينه : هو ذاك ، يقلب :يتقلّب سرابه ، على لون : لونه يشبه

يفتتح الشّاعر مطلع قصيدته باسم الإشارة " هوينه " بمعنى : هو ذاك إشارة إلى جبل اسمه " عافيه " يظهر من البعد بلونه الأزرق الّذي يميل إلى الأخضرار، وهو يشبه أمواج البحر المتقلّبة من خلال السّراب الظّاهر ، فهذا المطلع الثّلاثي من الوزن المسدّس يختلف على الوزن السّابق وزن الطّويله أو " الطّق " ثم يليه المقطع الأوّل :

هَوِّينه جَبَلْ عَافِيه يَـــا حَمْد قَـابَلْ أَسْوَد كِيفْ الْبَحَرْ غِيرْ هَذَا سَنَد [1]

وريتْ الطُّرَقْ فِيه دَارُوا عَمْد امْذِينْ انْحَجَرْ مَعْدَاسْرِحِي يَا سَمَاحْ الْوَبَرْ [2]

نلاحظ أنّ هذا المقطع يتكوّن من ستّ شطرات لهذا سُمِّيَ بالمسدّس، يكون فيه الشّطر الأوّل والثّاني و الثّالث والرّابع بقافية واحدة خاصّة بالمقطع أو الغصن، والشّطر الخامس والسّادس بقافية الطّالع ، وينتقل الشّاعر إلى المقطع الثّاني بقافية جديدة ، ويعود بآخر شطرين إلى قافية المطلع وهكذا تستمرّ القصيدة إلى نهاية الموضوع .

ثمّ تطوّر هذا الوزن من السّتّ شطرات بالمقطع الواحد إلى التّسع أو اثنتي عشرة شطره، وهكذا ... بإضافة ثلاث شطرات في كلّ زيادة، وقد يطول إلى أكثر من ثلاثين بيتا في تسعين شطرا من الأبيات التّقليديّة، وهذا مقطع من قصيدة أخرى للشّاعر أحمد رميلة ★ :[3]

اُدْوعِي عَلَى شَانْ خِيرْ الْكَلاَمْ رَسُول الْإِسْلاَمْ قَـاوَاتْ بِـالدَّمْعِ يَما جَلْمْ [4]

مُحَمَّدْاللِّـــي وِينْ عَمَّ الظَّلاَمْ الْكُونْ بِهْ ضَوَّى جَامَعْ صَابِيحْ نُـورْ النُّبُوَّه [5]

١- قابل : أصبح قبالة النّاظر أيّ : ظهر وبان ، سند : مرتفع .
٢- ريت : رأيت ، داروا : ظهروا ووضحوا، عمد : كالأعمدة ، امنين : حينما ، انحجر : من الحاجر – الأرض المرتفعة ووسطها منخفض ، سماح الوبر : الإبل .
★- سبق التّعريف بالشّاعر .
٣- الشّعر الشّعبي ، ج ٢ ، علي برهانة ، ص : ١٢١
٤- خير الكلام بكناية عن الرّسول الكريم لأنّه أفضل من تكلّم ، ديما : دائما ، جمام : ممتلئة .
٥-اللّي :الّذي ، ضوّى : أصبح مضيئا.

النَّاهِـــــي لَوكَالْ رِزْقَ الْحَرَامْ هَـاللِّ ـــــي تَـلـ ـَوَّبالْمُهْلِكْ اللِّي دَاهْ مَـ ضْهُونْ سَوَّهْ[1]

فالشّاعر خرج عن النّمط المتَّبع عند الشّعراء الأوائل في هذا المجال لهذا الوزن، حيث أصبح تسع شطرات بدلا من ستٍّ ، ويتجاوز ذلك بكثير بحيث يكون لكلّ بيت جديد تقليدي الشّطر الأوّلمنه على قافية المقطع نفسه ، والثّاني و الثّالث على قافية الطّالع، وهكذا مهما كان حجم الزّيادة .

٣- المطلع الرّباعي :

يتكّون المطلع الرّباعيّ – في الشّعرالبدويّاللّيبّي والزّجل عموما – من أربع شطرات يكون فيها الشّطر الأوّلو الثّالث في الغالب على قافية واحدة ، والثّاني والرّابع على قافية، والقصائد ذوات المطالع الرّباعيّة يدخل تحتها أغلب أوزان الشّعرالبدويّ عدا الوزن السّداسي أو " المسدّس " لأنّه يكون على صورة واحدة لا يتغيّر ، ويكون مطلعه دائما ثلاثيّا ، وهذه أمثلة على الشّكل الهندسي للمطلع الرّباعيّ ، وما يترتّب عليه من مقاطع :

أ. الموقف : فالموقف له خصوصيّة عند الأداء لأنّ الشّاعر يؤدّيه واقفاً ، ومنها اكتسب تسميته بـ " الموقف " وخصوصيّته الأخرى يفتتح به حفل العرس في أغلب الأحيان، وللمطلع نغم خاصّ يلقيه الشّاعر أوّلاً ثمّ تردّده المجموعة المصاحبة له، وتعود المجموعة لترديد المطلع كلّما أنهى مقطعا من مقاطع القصيدة ، وبنفس النّغم ، ومن خصوصيّاته أيضا أن يطيل الشّاعر في كلّ مقطع من مقاطع الموقف . ويعود كلّ مقطع في نهايته إلى قافية المطلع الرّباعيّ للموقف .

وفي هذا اللّون يقول الشّاعر ضو العسّاس ★ واصفا الإبل :[2]

١- وكال :الّذي أكل ، تلوّى :عدم الوضوح والتّقلّب ، سوّه : السّوء.

★- ضو أحمد العسّاس من قبيلة الصّيعان غرب ليبيا ، اشتغل في مطلع حياته برعي الإبل الّتي أحبّها وخلّدها في قصائده ، ومن الشّعراء الّذين سجّلوا فترة الجهاد ضدّ الغزو الإيطالي لليبيا ، ومدَحَ المجاهدين ورثى الشّهداء ، أكثر شعره في الحماسة ، توفّي سنة ١٩٦٨م إثر حادث سير أليم ، انظر مقدّمة ديوان الشّاعر ضو العسّاس ، ص : ٦ .

٢- ديوان الشّاعر ضو العسّاس ، جمع وتحقيق محمّد سعيد القشّاط ، منشورات المركز الوطني للمأثورات الشّعبيّة ، دار الكتب الوطنيّة –بنغازي ، الطّبعة الأولى – ٢٠٠١م .

الْعِز تَحْظَّه الْبِـــلْ تَبْغِي امَّـالِيهَـا [1]

تَلْحَقْ فِي أُم شْمِلْ وَتُمُوتْ عَلِيهَـا [2]

هذا مطلع من مطالع الموقف ، يتكّون من أربع شطرات ، فالشّطر الأوّل والثّالث بقافية واحدة ، والثّاني والرّابع بقافية مغايرة ، ويؤدَّى المطلع من الموقف بنغم خاص يفتتح به الشَّاعر الحفل ، وتقوم المجموعة المصاحبة للشّاعر بنفس النّغم ، بعدها ينتقل الشَّاعر إلى سرد المقطع الأوّل بنغم يختلف عن المطلع أكثر وضوحا قائلا :

تِسْتَاهَلَـــهْ عِـــزْ وَدْلاَلْ سُودْ الْمَنَاسِمْ سِمْحَة الْمُنْقَارْ [3]

جِمِيعْمَا تَهُونْ النَّاس فِيكْ حَلاَلْ لِيَا شَيَّعَتْ تَرْفَعْ اغْبَارْ الدَّارْ [4]

وكْمَا رَفْعَتِي مِنْ حُمُولْ اثْقَالْ وَمَا قَطْعَتِي مِنْ بَسَاطْ اقْفَارْ [5]

خَيَارْ الْكَسُوبَه الشَّايِمَه أَم اشْمَالْ وَتَسْكَبْ الدَّمَعَه تَهِيفْ مِنْ لْنْظَارْ [6]

عَلِيهَا الْوصِيَّه مِنْ اوْلاَدْ اهْلاَلْ وَالجَّازِيه تَشْعَرْ عَلَى الْخَوَّارْ [7]

وهكذا يستمرّ الشَّاعر يلقي هذه الأبيات بطريقة واضحة ، وتطول أحيانا لأكثر من المائة بيت ، وقد تقصر على حسب قدرة الشَّاعر وطول نفسه وإيصال فكرته ، وسرد موضوعه الّذي قد يكون على هيئة قصّة ، وعندما ينتهي من سرد تلك القصّة يعود إلى قافية المطلع بأربع شطرات تختلف عن نغم المقطع ، وتتناسب مع نغم المطلع ، حينها تردّد المجموعة مطلع القصيدة بلحنها المميّز ، ويعود الشَّاعرليقفل مقطعه بقوله :

١- العز إلفخر والثّناء ، تحُظَّه :من الحظّ وهو السّكر ، البل : الإبل ، تبغي : تريد ، امّاليها : الرّجال القادرين على حمايتها ومن تعود ملكيتها لهم .

٢- تلحق : من لحق به والمقصود هنا الفاعل للفعل لحق و يعود على القادرين على حماية الإبل ، أمّ اشمل : كناية على الإبل ، تموت عليها : تموت من أجلها و حمايتها من الأعداء .

٣- سود المناسم : كناية عن الإبل لسواد مقدّمة الخفّ، سمحة : جميلة ، المنقار : شبّه عرنين النّاقة بمنقار الصّقر.

٤- جميع : كلّ ، تهون النّاس: ما تقدّمه من أجله ، ليا : عندما ، شيعت : قامت من مبركها ، غبار الدّار: كناية عن كلّ ما تحمله الدّيار ولكثرة تحمّلها

٥- كم : تدلّ على الكثرة لا الاستفهام ، رفعتي : رفع الأثقال ، بساط : أرض منبسطة شاسعة ، قفار : أرض لا نبات فيها ولا ماء.

٦- خيار : تفضيل الإبل على كلّ الحيوانات ، الكسوبة : ما يكتسبه الإنسان من أنعام وأموال ، الشّائمة : من مسمّيات الإبل في بعض المناطق ، تسكب : تنسكب ، تهيف : تتساقط ، لنظار : العينان .

٧- أولاد هلال : إشارة إلى أشعار بني هلال في السّيرة الهلاليّة الشّعبيّة ، الجازية : جازية الهلاليّة ، الخوار : كناية عن النّاقةكثيرة اللّبن ، انظر لسان العرب ،- مادّة " خور" .

رِيـــــتْ حَـــــالْ الدّنيا مِـنْ بَعْدَ التَّسْقِيم تِتْعَوِّجْ حَنِيـَه [1]

وَمَا مَسْحَتْ مِنْ سُورْ مِتْعَلِّي بَنِيه الدّنيا زَيْ الرِّيحْ مِنْ يَفْرَحْ بِيهَـا ؟[2]

وبعد أن تردّد المجموعة مطلع الموقف بنغمه الخاص ، ينتقل الشّاعر إلى المقطع الّذي يليه ، وهكذا إلى أن تنتهي القصيدة .

وقد يتفنّن الشّاعر في مقاطع قصيدته بأن تكون مشطّرة بدلا من النّمط الثّنائي المعروف ، والّذي ذكرناه بحيث لا يحدث أيّ تغيير أو تجديد في المطالع ؛ فهي جميعها متشابهة تتكوّن من أربع شطرات ونغم واحد، والتّشاطير تعود إلى قدرة الشّاعر من حيث عدد الشّطرات للبيت الواحد، فقد تكون ثلاثيّة التّشطير أو رباعيّة ، يقول الشّاعرأحمد فرده★ [3]:

المطلع : نَجْعِي مِنْ لَفْجَارْ شَـــرَّقْ لِـــبْلادْه

جُـو مِنَّه الْخُطَّارْ سَاكِنْ فِي ازْيَادْه [4]

فالطّالع لا يختلف عن طالع الموقف السّابق من حيث الشّكل والنّغم .

المقطع الأوّل :

رَحَلْ مَدْ مِنْ زَهِي لَطْيَارْ شَرَّقْ بمظْهَارْ تَا قُولْفَ رِقْ خَفْفَامْبَاتَهْ [5]

وحَمَلُوا عَلَى جَعْدَلْ وَبَارْ لِلْفَلْ صَبَّارْ بِعِيدْ الجبيطَاوَيَاتَهْ [6]

١- ريت :رأيت ، التّسقيم : الاستقامة ، تتعوّج : من الأعوجاج ، حنية : من الانحناء ضدّ الاستقامة .

٢- مسحت : بمعنىحطّمت وهدّمت ، سور : مفرد سوار وقصور شاهقة ، بنية:من البناء والتّشييد ، زي : تستعمل كأداة تشبيه ، بيها : بها .

★- سبق التّعريف بالشّاعر.

٣- الأدب الشّعبي ، محمّد القشّاط ، ص : ٩٦ و ١٩٩ .

٤- زياده :اسم موقع بالجنوب التّونسي.

٥- مد: من مدّ في السّير ، انظراللّسان مادّة " مدد" ، زوي لطيار: صوت العصافير في الصّباح الباكروهنا كناية عن التّبكير بالرّحيل ، شرّق بمظهار إتّجه شرقا نحو منطقة الظّاهر، تقول : تستعمل أداة تشبيه في بعض الأحيان – بمعنى مثل ، فرق فرق الطّيور ، خلّف : ترك خلفه ، امباته : مبيته .

٦- جعد لوبار : كناية عن الإبل لتجاعيد وبرها ، الجبي : الأرض وقد يكون أصلها من جيب الأرض أيّ : مدخلها أو من الجؤبة :الجوبة من الأرض الدّاره- انظراللّسان مادّة " جيب" .

وقَصُّوا الوَطَى قَصْ مُنْشَارْ فِي يْدِينْ ظُفَّارْ زَعِيمْ ضَدِعْتَهْ طَاوَعَاتَهْ[1]

ويستمرّ الشّاعر في سرد المعركة الشّرسة الّتي دارت رحاها على الأراضي التّونسيّة بين قبيلة الشّاعر وبعض القبائل التّونسيّة الّتي هاجمتهم ، إلى أن أنهى ما يريد توصيله إلى من لم يحضر تلك المعركة من ناحية ؛ وإلى الفخر بقبيلته من ناحية أخرى ، في أبيات مشطّرة إلى ثلاث شطرات ؛ الأوّل و الثّاني بقافية واحدة ، والثّالث بقافية مختلفة ، ويستمرّ كلّ المقطع على هذه الصّورة ،حتّى يعود الشّاعر بقفلة مختلفة في شكلها ونغمها عن المقطع ، تشبه نغم المطلع مثل قوله :

القفل :

جِيَ نَاوِي يُومِي جَابُوْهُ الصُّلاَّحْ مِنْ بَرْ الرُّومِي[2]

قَلْبِي لِيْهْ اسْنِينْ حَايِرْ فِي نُومِي مَا يُرْقَشْ النُّوْمْ لِنْظَارْ كَسَادَهْ[3]

يعود الشّاعر بالقفل إلى قافية مطلع القصيدة. أمّا المقاطع الرّباعيّة فالبيت فيها يتكوّن من أربع شطرات ، يقول في مثل هذا الشّاعر محمّد عبد الرّحمان الحامدي ★ في أحد غزلّياته : [4]

المطلع : شُبْحْ غَثْ طُوِيلْ يِكْسِي مُولاَتَهْ[5]

رِيشْ ظَلِيمْ عَتِيلْ فُوقْ مِنْ دَحْيَاتَهْ[6]

فالمطلع لا يختلف في شكله الهندسي ونغمه ، وعدد أبياته ؛ ينتقل الشّاعرعندها إلى المقطع التّالي :

المقطع : شُبْحْ غَثْ طُوِيلْ رِيشْ ظَلِيمْ عَتِيلْ

١- قصّوا : قطعوا مسافات طويلة ، الوطى : الأرض ، قص منشار : كقطع المنشار للخشب في استقامة و سرعة في كناية عن سير الإبل .

٢- جي : جاء ، يومي : من الإيماء ، جابوه :جاؤوا به ، الصّلاّح : الرّجال الصّالحون ويعني بها الأولياء ، الرّومي : بلاد الرّوم .

٣- ليه : له ، ما يرقدش : لا ينام ، لنظار : العينان ، كساده : من الكساد .

★- سبق التّعريف بالشّاعر .

٤- ديوان الشّاعر محمد عبد الرّحمان الحامدي ، ضو ربيع ، دار الكتب الوطنيّة ، بنغازي ، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١١٩ .

٥- نشبح : أرى ، غثّ: الغثّ والغثيث يطلق على شعر رأس المرأة فيالّلهجةاللّيبيّة ، يكسي : من الكساء كناية عن طوله ، مولاته: صاحبته .

٦- ظليم : ذكر النّعام ، عتيل : غليظ وكبير الحجم ، دحيات : بيضتا النّعام .

الجِّنَحـانْ سَابـِيلْ رَاقِـدْ عَ الـدِّحَيات [1]

لْبَسْتْ جَـرْدَ النّيلْ ظَـهَـرتْ فِي تْفَاصِيلْ [2]

اتَّرجَحْ فِي مَجَادِيلْ وَقْمَـارِي وَ تَـارَاتْ [3]

ويستمرّ الشَّاعر في كلّ المقطع على هذه الصّورة من التّشطير مقسّما كلّ المقطع على أربع شطرات:الأولى والثّانية والثّالثة بقافية واحدة، والشّطر الرّابعبقافية مخالفة تتّفق في قافيتها مع كلّ الشطرات الرابعة في المقطع، ثّم البيت الّذي يليه بقافية جديدة للشطرات الثلاث الأولى وهكذا يستمرّ الشَّاعر في وصف محبوبته وصفا حيّا مشّيها شعرها بجناحي ذكر النّعام وعيونها ببيضتي النّعام ، وأحيانا بياض الوجه ودورانه،ثّم يتطرّق لأفعالها ومكانتها بين النّساء إلى أن ينهي فكرته، يعود إلى القفل قائلا :

القفل :

سَـرْولْ فِـي مَـجَـارِي قِطْفَلْهْ تْنَجَالْ عَلَى نَعْت الصَّارِي [4]

جُوفَكْ شَاحِبْ وآن ضَايلْ وَعْشَارِي احْـزَامَـه والْـحِـلْقَاتْ كَبُسوا نَفَّاتَهْ [5]

قفل مقطعه بصورة جميلة لمحبوبته حيث يشّبهها بشجرة سرولٍ طويلةٍ غُرِسَتْ على مجرى مياه ، أو سارية سفينة طولاً وتمّوجاً ، أّما خصرها فنحيل يشبه الفرس ...الخ .

ب – أوزان أخرى : يصلح المطلع الرّباعي لأغلب أوزان الشّعرالبدويّاللّيبّي وتناولنا الموقف لخصوصّيته وهندسة مقاطعه من النّاحية الشّكلّية وتنّوعها واختلاف النّغم (الوزن) فيه بين الطّالع والمقاطع ، وإن كانت بعض المناطق في غرب ليبيا تطلق على كلّ هذه الالوان

١- الجنحان : جناحا ذكر النّعام ، مسابيل : منسدلان .

٢- لبست : ارتدت ، جرد :ثوب أجرد ، الذّيل :أزرق اللّون ، ظهرت : خرجت ، تفاصيل : بكلّ زينتها و حليّها .

٣- ادّرجح : من الأراجيح :تدلّي حليها ، مجاديل : جدائل ، قماري : عطور ، تارات : أدوات زينة تلبسها المرأة .

٤- سرول : نوع من الأشجار الطّويلة ، مجاري : مجاري المياه ، قد : القامة ، تنجال : تتمايل ، نعت : شبه ، الصّاري : شراع السّفينة.

٥- الجوف : الوسط و الخصر ، شاحب : نحيل ، ضايل وعشراوي : همل مرضع ، الحلقات :الحلق من الحلّي ، كبسوا : أحكموا شدّه .

والاوزان الرباعيّة اسم الموقف ، ومن شواهد المطلع الرّباعي في غير الموقف ، قول الشّاعر: ضو العسّاس ★ في وصف الإبل : [1]

تِسْتَاهِلْ بِنْتِ الْعوفِيَّه وَالشّكْرْ يَوَاتِيهَا [2]

الْعِزْ لِيهَا وَتْحُظَّهْ هِيَّ مِيتِ الْقُولْ عَلِيهَا [3]

اختار الشّاعر مطلع قصيدته على وزن " الطّويلة " متكّونا من أربع شطرات: الأولى والثّالثة بقافية ، والثّانية والرّابعة بقافية القصيدة الأساسيّة مثله مثل أيّ مطلع رباعيّ لا اختلاف في ترتيب قوافيه بين الصّدر والعجز، ثّمينتقل إلى المقطع الأوّل في نفس الموضوع والوزن :

المقطع : تِسْتَاهِلْ بِنْتِ الْعوفِيَّه تَحُظْ قُولِي واشْكَارْه [4]

الْعِزْ لِيهَا وَتْحُظَّهْ هِيَّ مَعَاهَا الْكَسْب اخْسَارْه

رَفَّاعَةْ حَمْل الثِّقْلِيَهْ والشَّارِقْ مِنْ دَارْه [5]

وهكذا يستمرّ الشّاعر يعدّد خصال الإبل و فوائدها إلى أن ينهي فكرته . عندها يعود إلى قافية المطلع بنفس الوزن والقافية في قوله :

القفل : الْبِلْ فِيهَا الْمْلِيُونْ شُوِيَّه غِيْر رُوسْ امَّالِيهَا [6]

تَعْس اللِّي مَا عِنْدَه هِيَّ الدَّارْ يَوطّنْ فِيهَا [7]

★-سبق التّعريف بالشاعر .

١- ديوان الشّاعر ضو العسّاس ، محمّد القشّاط ، ص٥٠

٢- تستاهل : لها الحظوة دون غيرها ، العوفيّة : اسم من أسماء الإبل في ليبيا اخذت هذا الاسم من تركها ترعى الارض العفاالّتي طال عشبها وزاد، يواتيها : يناسبها .

٣- العز :بمعنى الحب و التّقدير للإبل ، ليها :لها ، الحظّ : النصيب ، القول : الشّعر .

٤- اشكاره : شكري .

٥-رفّاعة : من رفع بمعنى كثرة الحمل وتحمّل الأثقال .

٦- البل : الإبل ، شويّة : قليل ، غير : خلاف ، امّالي الإبل : أصحاب الإبل .

٧-تعس اللّي ما عنده هي : يالتعاسة من لم يمتلك الإبل ، يوطن : يستوطن .

قفل الشّاعر قصيدته بنفس الوزن والقافية بصدر البيت وعاد بقافية عجز البيت إلى قافية المطلع .

وهذا مطلع رباعي آخر للشّاعر امحّمد كريميد★ في قصيدة قيلت إبّان الاستعمار الإيطالي حول خبر وصل إلى مسامعه حول عودة الحكم العثماني إلى الدّيارالليّبيّة قائلا: [1]

المطلع : زَعْمَه هَالْقُولَ اللّي جَاني ثَابِتْ بِاذْنَ اللّه [2]

كُرسِينَا يَرْجَع عُثْماني وَالطّلْيَانْ فَنَاه [3]

يتساءل الشّاعر عن صحة خبر تناهى إلى مسامعه ؛ مفاده عودة الحكم الإسلامي العثماني ، وفناء الجيش الإيطالي وطرد بقاياه ، في لازمة أو مطلع يتكّون من أربع شطرات على الطّريقة الّتي ذكرنا سلفا ، وبعد أن حدّد موضوعه وقافيته ووزنه انتقل إلى المقطع الأّول قائلا :

المقطع : يَا بَجَاه اللّي خَالِقْ الأمَّه عَالْم عَلْ لَسْرَار [4]

وَيَا رَبِّي تْجَلّي هَالْغَمَّه مِنْهَا الْقَلْبَ احْتَار

وَلْمَعْ عُودِي بِالْجَمَّه عَلَى خَدِّي قَطَّار [5]

ويستمرّ الشّاعر على هذه الصّورة يعدّد أحزانه ومآسي الاستعمار وظلمه وحالة الأّمة وما آلت إليه من قهر وفقر وقتل وتعذيب ،حتّى ينهي ما أراد توصيله إلى أذن السّامع ، عندها يعود بقفلة إلى قافية المستهلّ أو المطلع على نفس الوزن والقافية :

وَنْسُونْ وَذَرَارِي وَخَدَمَّه هَلَتْ يَا مَا لاَه [6]

★- امحمد كريميد : هو شاعرمن شعراء قبيلة الصّيعان بغرب ليبيا ، له أشعار في الجهاد إبّان الاحتلال الإيطالي ولكن لم تذكر المصادر تاريخي ميلاده ووفاته ،إلاّ أنّه عاش ومات في النّصف الأوّل من القرن الماضي ، انظر الأدب الشّعبي، القشّاط ، ص : ٢١

١- الأدب الشّعبي ، القشّاط ، ص : ٢٣ .

٢- زعمه : المزعوم من القول ، قول : خبر، جاني : أتى ووصل إلى مسامعي .

٣- كرسينا :من الكرسي و هو الحكم ، يولّي : يرجع ، فناه : أفناه و أنهاه .

٤- الجاه : القدرة ، عل : على ، لسرار : الأسرار.

٥- الجمه : الغزارة .

٦- نسون : نسوة ، ذراري : ذرّيّة أيّ : أطفال ، خدّامه : خدم ، هملت : هملوا ، يا ما لاه :كلمة تستعمل للتّحسّر والتّوجّع .

.

وَمَنْ حَالَ الْغُرْبَه وَالزَّمَّه رَاحُــوا و رَاحْ الْجَاه [1]

فالنّساء والأطفال والخدم ضاعوا همل كالإبل في أسلوب تحسّر " ياماالاه" وكلّ ذلك بسبب الغربة عن الدّيار وحالة شحّ المياه والفقر نتيجة الاستعمار، فضاع الجميع وضاعت المكانة والمنزلة الرّفيعة للجنس العربيّاللّيبيّ .

فالقصائد ذات المطالع الرّباعيّة تتشابه في الشّكل والرّسم الهندسي وتختلف في أوزانها كلّ حسب البحر الشّعري البدويّالّذي ينتمي إليه .

ب – القصائد الزّجليّةالّتي لا تعتمد على مطلع: وهي تسمّى عند البدو في ليبيا بـ" القسيم" بنفس اسم القصيدة العمودّية سالفة الذّكر ، وتسمّى عند الزّجّالين بالقصيد " الأقرع " لعدم وجود طالع للقصيد .

وهي أيضا تختلف من حيث الشّكل الهندسي والوزن ، منها ثلاثي التّشطير والرّباعي، وقابلة للتّجديد حسب قدرة الشّاعر على التّشطير واللّعب بالألفاظ ، وتعدّد القوافي داخل البيت الواحد، ممّا يزيد من الموسيقى الدّاخلّية للقصيدة ،حتّى تكون خفيفة سهلة الحفظ والتّنقّل من مكان إلى آخر بسهولة و يسر.

١- القصيدة الزّجلّية ثلاثّيةالتّشطير: يقول في ذلك الشّاعر محمّد درمان ★ في وصف البرق :[2]

سَمِّيتْ بـــالله قَـــدَّارْ مَـعْـبُـــودْ سَتّـــارْ مُولَى الْمَخَازْنْ مَلِيَّه
يَطْـمْ عَلَى كلّ مَاصَارْ مِـــنْ لِـيلْ وَنْهَـارْ عَـــلَى الْبَيِّنَه والْخَفِيَّه
يَفْتَحْ لَنَا بَرْقْ شَيَّارْ فِي مَزْنْ وَامْطَارْ وَرْعُودْ تَـدْوِي قَـوِيَّـه [3]

١- الزّمّه : السّنةالّتي لا مطر فيها ، الجاه : المكانة الرّفيعة

★- الشّاعر محمّد درمان : من فحول الشّعراء ، أحد شعراء قبيلة الصّيعان بالغربالّليبيّ، عاش أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرنالعشرين، تكلّم في كلّ أغراض الشّعر وضاع أغلب شعره لعدم وجود تدوين ، انظر الأدب الشّعبي، محمّد القشاط ، ص : ٨٥ .

٢الأدب الشعبي ، القشاط ، ص٨٦

٣يفتح : يفتتح ويأتي،شيّار :شديد اللّمعان ، تدوي : من المُدوِّي أيّالسّحاب المرعد.

ويستمرّ الشّاعر على هذه الصّورة واصفا البرق والأمطار والأودية ، وطلب النّاس للكلإ وترحالهم من مكان إلى آخر، في قصيدة ثلاثيّة التّشطير يتّفق الشّطر الأوّل والثّاني بقافية واحدة ، والشّطر الثّالث بقافية مختلفة عنهما، ويتّحد الشّطران الأوّلان في كلّ القصيدة بنفس القافية ، والأشطر الثّلاثة تتّحد أيضا مع قافية الشّطر الثّالث من البيت الأوّل ، وهكذا إلى أن ينهي الشّاعر موضوعه وفكرته .

٢- القصيدة الزّجلّية الرّباعيّة يتكوّن فيها البيت الواحد من أربع شطرات تتّحد الأولى والثّانية والثّالثة في القافية وتختلف الرّابعة بقافية مختلفة وتتّحد الأبيات مع قافية البيت الأوّل، ومن ذلك قول الشّاعر امحمّد كريميد ⋆ في مدح الشّيخ محمّد سوف✦: [١]

أمْذِينْ الزَّهْرِ اتْقَـاْم فِـــــي السَّاقْ قُدَّاْم [٢]
عَـوَّاجْ وَسقّـــــاْم عَـليِشْ بِـــ النَّاُموسْ [٣]

بَـاشَـاتْ وَحُـكّـاْم وَشُـــوَّاشْ وَ خُـــــدَّاْم
وسُوفْ اللِّـي زَرَّاْم وَحْـشَـه مِـنَّه إنُّوسْ [٤]

لَيا جَاْه الْضَـاْم فِـــي شِـــدَّةْ لَـــيَّـــاْم [٥]
يَـذْبحْلَـهْ يُكْرَاْم مَا يْمشِي مَخْصُوصْ [٦]

يستمرّ الشّاعر على هذه الوتيرة يذكر مناقب الشّيخ سوف من شجاعة وكرم وفروسيّة في قصيدة زجلّية يتكوّن البيت فيها من أربع شطرات تتّفق الثّلاث الأولى وتتّفق الشّطرات

★- سبق التّعريف بالشّاعر .
✦- الشّيخ محمّد سوف :سبق التّعريف به كشاعر وقائد من قادة الجهاد ضدّ الغزو الإيطالي . .
١- هدى الجهاد ، القشّاط ، ص : ١٥٩.
٢- امنين : حينما ، الزهر : الحظ ، السّابق : الأيّام الخوالي ، قدّام : الزّمن الأوّل .
٣-عوّاج وسقّام :من الاعوجاج والاستقامة ، النّاموس: الكبرياء .
٤-اللّـي :الّـذي ، زرّام :الّـذي يقطـع فـي كلّ أمر دون ان يتراجـع ، وحشـه :بمعنـى الاشـتياق ، ينـوس : مـن الاضـطراب والاسترخاء من شدّة الشّوق .
٥- ليا : عندما ، جاه : جاء إليه أو أتاه ، الموضام :الّـذي لحقه الضّيم و الظّـلم ، ليّام : الأيّام
٦- يذبحله : من يذبح له، أي يقدّم له الذّبائح ، يكرام : يكرمه ، يمشي : يخرج من عنده، مخصوص : به خصاصة وحاجة.

الرّابعة بقافية واحدة في كلّ القصيدة . إلىأن ينهي الشّاعر ما أراد أن يوصله إلى أذن السّامع .

٣ –القصيدة الزّجلّية الّتي تتجاوز الرّباعي: يتفّنن بعض الشّعراء في زيادة موسيقى البيت الواحد إلى عدّة شطرات تتجاوز الرّباعي إلى الخماسي والسّداسي، وقد تصل إلى الثّمان شطرات وإن كان مثل هذه الصّورة قليلة ولا يتناولها إلاّ الشّعراء المتميّزون لقدرتهم علىالمحافظة على الوزن والبعد عن القافية الأساسيّة للقصيدة ، وخاصّة وأنّ أغلب الشّعراء بالقرن السّابق والّذي سبقه هم أمّيون لا يجيدون القراءة والكتابة ، ومن مثل ذلك قول الشّاعر محمّد عبد الرّحمان الحامدي ★ في قصيدة غزلّية على السّداسي الأقرع : [١]

الْبـخْـوقْ نـِيلِـي ظَهَـرْ عُوْم فـُوقْ غَلِـي السُّـوْم [٢]

وَشْفَ ايِفْ وَسَلِـ ـفْ وَخَـرْطُوْم وَالْـفَـ ـمْ مَـخْتُـ ـوْم [٣]

اْنَـوَارْ اَرَبَـعْ قَـمَـرْ وَنْـجُـوْم مِيزَانْ وَسْهِـيـلْ فُوقَ ْه [٤]

فالشّطرات الخمس الأولى بقافية واحدة تتّحد مع كلّ الشّطرات المناظرة لها من كلّ أبيات القصيدة ، والشّطر السّادس بقافية مختلفة وهي القافية الأصلّية، وتتّحد مع نظيراتها من القصيدة ، ويستمرّ الشّاعر في نظم قصيدته على هذه الصّورة المتكّونة على أساس فقرات .

ويقول الشّاعر عظيم العنابي ★ في المثمن في شكل هندسي آخر قائلا : [٥]

وِدِّي عَـلْ عَـكْـرُوْم مِـشْـري بـغَلِـي سُـوْم [٦]

وَقَـ ـتْ يِهِـ يِفْ اْيِعـوْم تْطِـ ـفْ طِـ يِرْ سَحُـوْم [٧]

★- تمّ التّعريف بالشّاعر

١- ديوان الشّاعر محمّد عبد الرّحمان الحامدي ، ضو ربيع ، ص١٠٩

٢- البخنوق :زيّ ليبي ترتديه النّساء في غرب ليبيا يصنع من صوف الغنم ، نيلي نسبة إلى النّيل أيّ لونه أزرق مثل الماء، عوم : جميل ، غالي السّوم : كناية عن الحلي .

٣- السّالف : الشّعر ، الخرطوم : جمال الوجه ، مختوم : كالختم الصّغير .

٤- فهي تشبه نور كلّ الكواكب الأربعةالّتي ذكرها الشّاعر .

★- سبق التّعريف بالشّاعر .

٥- الأدب الشّعبي ، القشّاط ، ص : ٢٠٩

٦- ودّي : أودّ ، عكروم :صفة من صفات الخيل بالبادية اللّيبيّة ، مشري : مُشْتَرَى .

٧- وقت : وقت خروجه ، يهيف : الشّيء عندما يسقط من مرتفع لسرعته ، يعوم : يسبح كالسمك بالماء ، تحلف طير: تقسم على على أنّه طائر.

وَالاّ رِيــحْ نَـــسُـــوْم قِـبْلِـي مِـــنْ كَـــاوَارْ [1]
أيــدِيــر وَرَاهْ غِيـوُم حتّى فِـي لَـوْعَـــــارْ [2]

هذا اللّون يتكّون من ثمان شطرات منها الأولى والثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة والسّابعة بقافية واحدة ، لا تتّفق مع مناظراتها من بقّية القصيدة ، والشّطرة السّادسة والثّامنة بقافية " الرّاء" وهي القافية الأساسّية تتّفق مع نظيراتها من القصيدة ، حيث ينتقل الشّاعر إلى الفقرة أو المقطع الّذي يليه بقافية مختلفة كقوله :

لَيا حَضَّبْ وَجْتَاحْ أيـخَلِّي الْبَـر سَمـاحْ [3]
يَـلْـهـَدْ فِي لَفـرَاحْ وَفِـي الـجُّ وَبْهْ يْنَجـاحْ [4]
طُولْ عُوَرْمِرْتَـاحْ لاَ خَـــزْ وَلاَ سَـــــارْ [5]
لا جَـــوَّلْ لاسَـاحْ لاَوَارَدْ لَـــــبْـــــيَـارْ [9]

وصف الشّاعرجواده على هيئة طائر يجنح من مكانه عندما يُطلب منه ذلك ، في فقرات تختلف منها الشّطرات الأولى من فقرة إلى أخرى وتتّحد في الشّطرات السادسة والثّامنة من كلّ المقاطع على قافية القصيدة الرئيسية " الرّاء" .

يتّضح من هذه الأمثلة الهندسّية للقصيدة البدوّية الزّجلّية ذات المطلع ، التي بدونه مطلع تصلح أن تنطبق على كلّ أوزان الشّعرالبدويّاللّيبّي مع وجود تجديد مستمّر لحاجة النّغم ، وحاجة الشّاعر للتّعبير عّما يدور في خلده من أفكار ووضعها في صورة جميلة وقالب ممتع.

---

[1]-وإلاّ : أو ، ريح :كأنّه رياح لسرعته ، قبلي : الرّياح الجنوبيّة السّريعة ، كاوار: منطقة بالجنوب تأتي من اتّجاهها الرّياح
[2]- ايدير : يترك خلفه ، غيوم : غبار و أتربة خلفه ، لوعار : الأرض الوعرة .
[3]- ليا : إذا ، حضّب :الحضب سرعة أخذ العصفور الحبّة ، انظر اللّسان مادّة " حضب" ، اجتاح :قفز ، يخلّ : يترك ، البر : الأرض ، سماح : سهلة
[4]- يلهد ينطلق و يسرع للسّباق ، لفراح : الأفراح و هي الأعراس ، الجوبة : الأرض الخالية و الصّحراء ، ينجاح : السّير.
[5]- الخز والسّير بحركة الجواد في مسيره ، والخز في اللّهجة اللّيبيّة يعني : السّير السّريع .
[9]- جوّال: من التجوال والتطواف، ساح : اندفع وانطلق كسيل الماء على الأرض، ورّاد: ورود مصادر المياه، لبيار : الأبار

المبحث الثّاني :الأوزان والقــوافـــــي

حينما نمعن الّنظر في بنية الشّعر نجد أنّ البناء الموسيقي يُعدُّ في مقّمة مكّونات القصيدة الشّعرّية ، لأنّ القصيدة إذا فقدت الّنغم خرجت من دائرة الشّعر إلى دائرة الّنثر .

ونحن نعرف أن الكلام الموزون يثير فينا انتباها عجيبا لما فيه من توقّع لمقاطع تنسجم مع ما نسمع لتتكّون منها جميعا تلك الّسلسلة المتّصلة الحلقات الّتي لا تختلف إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى و تنتهي بعدد معّين من المقاطع بأصوات بعينها، ولا يقف الأمر في البناء الموسيقي على ما يسّمى بالوزن والقافية فقط بل يمتّد إلى البناء اللّغوي والإحساس بالّزمن .

ويستوي في هذا الشّعرالبدويّاللّيبّي مع الشّعرالعربّي الفصيح ، فكلاهما يحمل البناء الموسيقي ما يدلل على أنّ ذلك يعدّ من مكّونات التّجربة الشّعريّة الّتي تتعدّد فيها الأبعاد الجمالّية ، وكلّ هذا ينبع من الطّاقة الشّعوريّة المتدفّقة من كيان النّص.

فموسيقى الشّعر هي موسيقى خفّية لا تدرك بسهولة ، ولكّنا نحسّ أثرها فيما تشيعه في النّص الشّعري من جّو خاصّ يناسب الحالة النّفسيّة الّتي يعّبر عنها الشّاعر، وهي تنبع من الاختيار البارع للألفاظ والتّآلف بينها في نسق صوتي يمثّل في مجموعه المرح والحزن، وتكون إحساسات الشّاعر ومعانيه بمنزلة الموسيقى المصاحبة الّتي تفتح وجدان السامع أمام تلك الإحساسات والمعاني ، والموسيقى هي الّتي تتمثّل فيها روح الشّاعر وفّنه لأّنها أثر لكلّ العناصر الفّنية المجتمعة في شعره من عواطف وألفاظ وصور وأخيلة .

لازال النّص الشّعري البدويّ مرتبطا بالنّصّ القديم من حيث هيكلّيته العامّة ، فلغته لم تعد بالضّرورة لغة النّصّ القديم مثلا ، لكّنها امتداد لتلك اللّغة. كما أنّ الموسيقى الّتي تحكم النّصّ القديم هي نفسها المتحكّمة في النّصّ الحديث مع اختلاف بسيط في الإيقاعات الموسيقّية من حيث الطّول والقصر، ومن حيث التّنّوع النّغمي .

والشّاعر لم يعرف موازين الشّعر بتعلّم قوانين صناعته، وإّنما كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهّيئه له إنشادها ، وقد هدته هذه الفطرة إلى أوزان الشّعر المعروفة.

والشّاعر البدويّ في ليبيا لا يطلب منه أن يتقّيد بالأوزان المعروفة القديمة لأّنه يتنافى مع روح هذا الفّن الخاضع للحّرّية والتّجديد والتّلحين والغناء ، فقد يزاد على البحر أوالّنغم الخليلي تفعيلة أو تفعيلتان على البيت أو ينقص ، وبذلك تطول الشّطرة والبيت وتقصر حسب ما يتطلّبه التّرنيم والأداء ، لأّن الشّعرالبدويّاللّيبّي يُغّنى ويُلْقَى بالأعراس والأفراح .

والشّعر البدويّاللّيبّي على أيّ حال هو ضرب من الشّعر المغّنى ، وله أنواع كثيرة تخضع كلّها لأوزان ثابتة و قوافي تتّبع ترتيبا معّينا في كلّ نوع ، ويربط هذه الأوزان نغم غنائي يُمّيزه عن سواه .

والحقيقة أنّ الدّارس للشّعر البدويّ في ليبيا يواجه صعوبة وعسر لتباين اللّهجات من منطقة إلى أخرى واختلاف المتحرّك والسّاكن في النّطق ، لهذا لم يتمكّن أحد من وضع دراسة مستفيضة وشافية لحصر بحور الشّعرالبدويّ في ليبيا . وقد يكون أحد الأسباب في ذلك عدم وجود متخصّصين بالجامعات اللّيبيّة ، وعدم وجود أقسام بالجامعات خاصّة بدراسة وتدريس الفولكلور الشّعبي أسوة بجامعات الدّول المتقدّمة .

والمتخصّصون من الدّول المجاورة لا يمكن لهم البحث ووضع دراسة في الوزن والقافية للشّعر البدويّاللّيبيّ ، فمن لا يتكلّم اللّهجةاللّيبيّة لا يعرف متحرّكاتها وسكناتها فبذلك لا يصل إلى النّغم الموسيقيّالذي له علاقة بالبحور الشّعريّة إلاّ بعد أن يسمعها من أحد العارفين بهذه اللّهجة .

ولا يمكن تطبيق البحور الخليليّة القديمة بحذافيرها على الشّعرالبدويّاللّيبيّ ، وهو راجع إلى اللهجاتالخاصّة ، فالتّفاعيل القديمة بُنِيَتْ على لغة تشتمل على أسباب وأوتاد وفواصل أيّ حركة وسكون أو حركتان وسكون أو ثلاث حركات وسكون ، أمّااللّهجة المحلّية الدّارجة فهي لا تشتمل إلاّ على الأسباب والأوتاد غالبا، أيّ : حركة و سكون أو حركتان وسكون، وأحيانا كثيرة التقاء السّاكنين، ولكن نعرف تبعيتها أوقربها من بحور الشّعرالعربيّ من خلال النّغم والتّرنّم واللّحن بأنها تشابه البحر الفلاني من بحور الشّعرالعربيّ الفصيح ، أو هو نفس البحر لولا اختلاف الحركات والسّواكن الّتي تكثر في اللّهجةاللّيبيّة أكثر منها في اللّغةالعربيّة الفصحى ، ومع هذا لا نجد في الشّعرالبدويّاللّيبيّ ما يشابهأو يتبع البحور الشّعريّة القديمة الّتي تتناول تفعيلاتها الفواصل إلاّ و يسكّن أوسط متحرّكاتها فـ " مفاعلتن //٠///٠ " تصبح " مفاعيلن //٠/٠/٠ " .

لهذا نجد أنّ الشّعرالبدويّاللّيبيّ يتكوّن من البحور الخفيفة ذات الموسيقى والإيقاعات المتوالية ، ويمكن ضبط الموازين بواسطة الإيقاع الموسيقي . من هنا نجد أنّه يلتقي مع الفصيح إلى حدّ كبير. ومن البحور الّتي تشبه البحور الخليليّة مثل " فعولن فعولن فعولن فعولن " مرّتين ، و" مستفعلن مستفعلن مستفعلن " مرّتين ، أو " مستفعلن فاعلاتن " مرّتين،

أو" فعلن فعلن فعلن فعلن "مرّتين ، وغيرها من البحور المتكّونة من التّفعيلات قريبة السّواكن ، والهروب من الفواصل وكثرة الأوتاد . فلا نجد مثلا في الشّعرالبدويّاللّيبّي البحور الّتي تبدأ بفواصل أو تكثر فيها الأوتاد.

تبدأ بعض الكلمات بالسّاكن في بعض الأسماء والأفعال و إن كانت في الكلمات الّتي تبدأ بوتد مثل " ⁄o" متحرّك متحرّك فساكن ، فالبدويّ يستعمل السّكون في أوّل الكلمةحتّى يقرب من السّاكن الّذي يلي المتحرّكات ، فلا تجد مثلا كلمة تبدأ بساكن و ثانيها ساكن ، فكلّ الكلمات الّتي تبدأ بساكن في اللّهجة البدويّة اللّيبّية يكون فيها الحرف الثّاني متحرّكا .

ولكن للّدكتور علي برهانة رأي آخر حول الكلمات الّتي تبدأ بساكن حيث يقول : " كما أنّ بعض الكلمات تُنطَقُ بطريقة يُخَيَّلُ إليك أنّها تبدأ بساكن مثل : تُحِنْ" من حنين النّاقة، و"تْشَيِّبْ " و" تْوصِّيكُم" ، فهذه الكلمات إذا كنّا نريد كتابتها مثلما تُنطَقُ فيجب أن تسبقها بهمزة وصل " [1]

والسّاكن الّذي يكون بأوّل الكلمة يختفي عند الكتابة العروضيّة ويتحرّك ويكتب متحرّكا عند التّفعيلات والتّقطيع .

أمّا الوقوف على ساكن في آخر الكلمات في اللّهجةاللّيبّية فهي عادة معروفة في أغلب اللّهجات العربّية، ولكن عند التّقطيع والكتابة العروضيّة تتحرّك إذا كانت داخل التّفعيلة ،وإذا كانت آخر التّفعيلة فتكون ساكنة ، أمّا التقاء السّاكنين لا يكون كما يتصوّره البعض فهو يختفي في التّقطيع الشّعري .

في البداية وجدتُ صعوبة بالغة في تقطيع الشّعرالبدويّاللّيبّي ، ومدى مقارنته بالبحور الخليلّية لكثر السّواكن، ولكن عند التّرنيم النّغمي به أدركتُ أنّه مشابه للبحور الخليلّية، وأعود من جديد أكّرر المحاولةحتّى توصّلت إلى أنّ الشّعرالبدويّاللّيبّي لا يخرج في بحوره عن الشّعرالعربّي الفصيح والبحور الخليلّية ، وأنّ بعض السّواكن تختفي عند التّقطيع

١-سيرة بني هلال ، د . علي محمّد برهانة ، ص١٩٠ .

الشّعري وتكون متحرّكة ، وإن كانت بعض هذه البحور قد جرى عليها التّعديل من زيادة ونقصان في بعض التّفعيلات تمشّيا مع الحاجة لمتطلّبات اللّحن والغناء، كزيادة تفعيلتين مثلا على ما يقابل البحر المتقارب في الشّعرالبدوّياللّيبّي بين صدر البيت وعجزه، فأصل البحر:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

أُضِيفَتْ إليه تفعيلتان بين صدر البيت وعجزه فأصبح :

فعولن فعولن فعولن فعول فعولن فعول فعولن فعولن فعولن فعول

مثل هذه الزّيادة على المتقارب دعت إليها الحاجة إلى زيادة الموسيقى ولحن القصيدة عند التّغنّي بها في الأعراس .

وسأتناول بالدّراسة بحور الشّعرالبدوّياللّيبّي حسب أهمّية أوزانه وأكثرها انتشارا وتداولا بين النّاس .

بحورالشّعرالبدوّياللّيبّي

أولاً : بحر أبورجيلة:

أُشِئَ هذا البحر من تفعيلة واحدة " مستفعلن " تكرّرت ستّ مرّات في كلّ أبيات القصيدة ، عدا الشّطر الأوّل من كلّ مقطع فيكون مجزوءا أحيانا.

يقول في هذا اللّون الشّاعرا محمّد قنانة ★ في مطلع قصيدة : [1]

لَيَّامكِـــيـــفَ الرِّيحَ والـدَّرْجَاحَه مَرَّهشَقَا الْخَاطْرَ وَ مَرَّهرَاحَه [2]

★- سبق التّعريف بالشّاعر.

١- من تراث الشّعب ، أحمدالدّويري ، ج ١ ، ١٩٧٤ ، ص : ١٨ .

٢- الدّرجاحة : المرجحة ، ليّام : الأيّام ، كيف : أداة تشبيه بمعنى " مثل " .

لي يام كيـ فرريحود درجـــاحه مرره شقل خاطرومر رهراحه

٠//٠/٠/ ٠//٠/٠/ ٠/٠/٠/ ٠//٠/٠/ ٠//٠/٠/ ٠/٠/٠/

مستفعلن مستفعلن مستفعل مستفعلن مستفعلن مستفعل

هذا البحر يقابله الرّجز في البحور الخليليّة وحدث القطع بعروضه وضربه وهذه العلة تلازم هذا البحر غالبا ، وهو لا يتغّير في أغلب القصائد إلاّ إذا كان الشّاعرقاصرًا وغير متمكّن من هذا البحر الّذي يجيده معظم الشّعراء: فالنّاشئ أوّل ما ينظم الشّعر ينظم على هذا الوزن، ولكن لا يتميّز فيهإلاّ الشّعراء المتمكّنون ، يقول الشّاعر في المقطع الأوّل من هذه القصيدة :

مَـــــرَّاتْ نِـــرْحِـــــي بِـيـــــدِي وَمـرَّاتْ يَبْدُو كَاثْرِينْ عَبِيدِي [1]

وَمرَّاتْ عَشْر اكْبَاشْ يَبَا عِيدِي وَمرَّاتْ مَا نَكْسَبْ وَلاَ صَـيَّاحَهْ [2]

نلاحظ أنّ الشّطر الأوّل من المقطع تقلّ تفعيلاته عن بقيّة الشّطرات ، فهو يأتي غالبا مجزوءا وهي عادة لا عيبٌ عرف بها هذا الوزن من الشّعر ، ولا يكون إلاّ في الشّطر الأوّل من كلّ مقطع لكي يكون دخول الشّاعر إلى أوّل المقطع خفيفا عند التّغّني به .

مَـــرَّاتْ نِرْحِـي بِـيـــدِي مَرَّاتْ يَبُو كَاثْرِينْ عَبِيدِي

مررات نر حي بيدي

٠/٠/٠/ ٠//٠/٠/

مستفعلن مستفعل

حذفت تفعيلة من أوّل الشّطر الأوّل ، فعروض البيت لاتُمسُّ للمحافظة على القافية بصدر البيت ، وأحيانا كثيرة يحافظ الشّاعر على تفعيلات الشّطر كاملة .

مَـرَّاتْ يَـــــبُو كَاثْرِيـــــنَ عَبِيدِي

١- مرّات : أحيانا ، نرحي : من الرّحي وهو طحن الحبوب بالآلة اليدويّة .

٢- يبدا : يكون .

مررات يب دوكاثري ن عبيدي

/٠//٠/ /٠//٠/ ٠/٠///

مستفعلن مستفعلن متفاعل " حرك الثّاني الساكن"

وَمَرَّاتْ عَـشْر اكْباشْ يَـبْـــدَا عِبِدِي

مررات عش ركباش يب داعيدي

/٠//٠/ /٠//٠/ /٠/٠/

مستفعلن مستفعلن مستفعل

مَرَّ اتْ مَـا نَكْسَبْ وَلاَ صَيَّـاحَـــهْ

مررات ما نكسب ولا صبياحه

/٠//٠/ /٠//٠/ /٠/٠/

مستفعلن مستفعلن مستفعل

مجزوء بو رجيلة :

لـ م يأت هذا الوزن مجزوءًا في قصائد مطّولة أو قصائد رجالّية لشعراء كبار ، ولكن يوجد مجزوءً في بعض أشعار وأغاني المناسبات وبعض أشعار النّساء خاصّة في رثاء الموتى . وفي مثل ذلك قول خادم غومة المحمودي – ترثيه بعد مقتل الأتراك له – في قصيدة زجلية هذا مطلعها :[1]

يا طار غومه طار نقلوه في مـشـــوار[2]

ياطارغو مه طار نقلوه في مشوار

/٠//٠/ ٠٠/٠/ /٠//٠/ ٠٠/٠/

مستفعلن مفعولْ مستفعلن مفعولْ

١- الأدب الشعبي : القشاط ، ص : ١٥١

٢-الطّار : هو طبل تضرب عليه النّسوة عند وفاة عزيز عليهنّ ، نقلوه : حملوه ، مشوار : مسافات بعيدة في إشارة إلى حمل رأسه إلى تركيا .

فالعروض والضّرب حدث فيهما القطع والقصر .

يا طار سيــد رقّيه في الّنجع لا من زّيه [1]

ياطارسي درقييه فننجع لا من زييه

/٠//٠/٠ /٠/٠/٠ /٠//٠/٠ /٠/٠/٠

مستفعلن مستفعل مستفعلن مستفعل

جاء البيت الأّول من المقطع مقطوع العروض و الضّرب

رّياسته بحرّيه والّنجع بعده حار [2]

رييياسته بحرييه وننجع بع ده حار

/٠//٠/٠ /٠/٠/٠ /٠//٠/٠ /٠٠/٠

مستفعلن مستفعل مستفعلن مفعول

جاء البيت الثّاني من المقطع مقطوع العروض ، وضربه حدث به القطع والقصر لوجودهما بالقافية الأساسّية بالمطلع .

فمجزوء بو رجيلة هو مجزوء الّرجز في الشّعرالعربّي الفصيح .

كما سبق أن ذكرنا أّن هذا البحر منتشر على طول البلاد وعرضها، ابتداء من القطر اللّيبّي إلى القطر التّونسي والشّرق الجزائري ، وغرب مصر " الصّحراء الغربّية" ، ولكن لم تتّم المحافظة على هذا الوزن إلاّ بالمناطق الّتي يغّنى بها لأّنه يحكمه نغم وإيقاع ، خاصّة بالجنوب والغرب اللّيبّي والجنوب التّونسي والشّرق الجزائري ، أّما بالمناطق الّتي يلقى بها هذا الوزن إلقاء فيحدث به كثير من الّزحافات والعلل المستحدثة عن البحور الخليلّية العربّية ولا يسهل التّغّني والتّنغّم به لثقل تلك الّزيادات والّنقصان الّذي لا يظهر عند الإلقاء إلاّ لذوي الخبرة والّدراية بهذا البحر .

١- سيد رقيه : والد رقيّه ، لا من زيّه : لا مثيل له أو لا يماثله أحد .

٢- حار : بقي في حيرة من أمره .

ومثـل هـذا الشّـعر لا يقـاس عليـه ولا يُسْتَشْـهَدُ بـه لقصـور الشّـاعر وعـدم درايتـه بالوزن الصّحيح للبحر .

ثانياً : الخفيف :

يقال عليه أحيانا "أبو رجيلة الخفيف " لا لأّنه من نفس وزن أبو رجيلة السّابق بل لأّنه يشبهه في الشّكل الهندسي للقصيدة فقط.

يقول الشّاعر مصطفى عبيد الهوني ★ في قصيدة له : [1]

يَا مُولاَيَ فَرِّجْهَا عَلِينَا يَا فَرَّاجَ عَ الْضَّايِقِينْ

يامولا يفرجها علينا يافررا جعلمضضا يقين

/٠/٠/ //٠/٠/ ٠// /٠/٠/ //٠/٠/ ٠//

مفعولن مفاعيلن فعولن مفعولن مفاعيلن فعولْ

ومثله قول الشّاعر محمّد عبد الرّحمن الحامدي★ في مطلع قصيدته المشهورة:

عِينِكْ عِيـنَ بُو مَلْوجَ وسِيرَهْ

عينك عي نبوملوج وسيره

/٠/٠/ //٠/٠/ ٠//

مفعولن مفاعيلن فعولن

وَخَدِّكْ بْرِقَ يَطَّامَى غَدِيرَهْ

وخددكبر قيططامى غديره

//٠/٠/ //٠/٠/ ٠//

★- مصطفى محمّد عبيد الهوني ، من مدينة هون ، ولد سنة ١٩٠٤م ، نال نصيبه من التّعليم الدّيني وحفظ القرآن الكريم، انتقل إلى المرج سنة ١٩٢٥م، ومارس التّجارة ، ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة ١٩٣٤م وانتقل بعدها إلى مدينة اجدابيا ثم إلى مدينة بنغازي سنة ١٩٧٠م و استقرّ بها إلى أن توفّي في عام ١٩٨٣ م ، انظر ديوان الشّاعر مصطفى عبيد الهوني ، دار ليبيان ، ط أولى ، ٢٠٠٣ م .

١- ديوان الشّاعر مصطفى عبيد الهوني ، ص١٢٨ .

★- سبق التّعريف بالشّاعر .

مفاعيلن مفاعيلن فعولن

فأغلب هذا الوزن تتكّون تفعيلاته من ستّ وهي كالآتي:

مفعولن مفاعيلن فعولن مفعولن مفاعيلن فعولن

ووجد في أبيات أخرى :

مفاعيلن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن فعولن

كقول الشّاعر عبد المطّلب الجماعي★ في مطوّلته الّتي نالت شهرة واسعة بينالبادية في ليبيا:[1]

أرْحَمْ بُـــوَيْ خَلاَّنِـي هَـوَاوِي كِيفَ النَّـــ ـجْمِ فِي قَلْبِ السَّمَا

وَلاَنِـي مِـــنْ قَـصِيرِينَ الْخطَاوِي وَلاَنِـي مِـنْ حَـمَـــامِـيلَ الصَّغَا

ولاني من قصيرينل خطاوي ولاني من حماميلص صغا

//٠/٠/٠ //٠/٠/٠ //٠/٠ //٠/٠/٠ //٠/٠/٠ //٠

مفاعيلن مفاعيلن فعولن مفاعيلن مفاعيلن فعو

فالباحث في هذا الوزن عند تقطيعه يتوه احيانا ولا يجد ما يشير إلى بحر بعينه من البحور الخليلّية بالدّقّة وبهذه التّفعيلات ، وعندالتّرنمبأبيات هذا البحر وجدتُه نفس ترانيم وموسيقى البحر الوافر .

بحور الشّعر وافرها جميل

نفس نغم : عِينِكْ عِينْ بُ وَمَلْوَجْ وَسِيرَهْ

ونغم : يَا هُولاَيَ فَرِّجْهَا عَلِينَا

والأقرب انسجاماً مع هذا البحر :

وَلاَنِي مِنْ قَصِيرِينَ الْخطَاوِي وَلاَنِي مِنْ حَمَاميلَ الصَّغَا

★- عبد المطلب طرشلو الجماعي ، ولد في العقدالثّاني من القرن قبل الماضي بالصّحراء الممتدّة بين الجفرة وسرت ، ويروى أنّه كان يحفظ القرآن الكريم ، وأنّه كان ملمّا بالقراءة والكتابة ، وكان راعيا للإبل في شبابه و مهتمّا بتربيتها ، ثمّ استقرّ بمنطقة ودّان واهتمّ بزرع التّخيل، توفّي حوالي ١٨٩٠م ، وهو من أقدمالشّعراءالّذين وصلت إلينا بعض آثارهم ، انظر ديوان الشّعر الشّعبي ، مجلّد ١، لجنة جمع التّراث ، جامعة قاريونس ، منشورات قاريونس ١٩٧٦ م .

١- ديوان الشّعر الشعبي ج ١ ، ص:٤٤

وبما أنّ هذا البحر يحمل نفس نغم البحر الوافر :

مفاعلتن	مفاعلتن	فعولن	مفاعلتن	مفاعلتن	فعولن
//٠///٠	//٠///٠	//٠/٠	//٠///٠	//٠///٠	//٠/٠

إذن حدث في الأبيات علل وزحافات فرضتها اللّهجة البدوّية اللّيبّيةالّتي تعتمد على قرب السّواكن وخفّة الوزن وكثر موسيقاه.

فالبيت الأوّلوالثّاني حدث في التّفعيلات الأولى " مفعولن" القصم المتكّون من:الخرم + العصب " مفاعلتن" حدث بها الخرم ؛ وهو حذف أوّل الوتد المجموع فصارت " فاعلتن " /٠///٠ ، ثّمحدث العصب وهو تسكين الخامس المتحرّك فصارت " مفعولن" /٠/٠/٠ .

أّماالتّفعيلة الثّانية " مفاعيلن"//٠/٠/٠، هي في الأصل مفاعلتن //٠///٠ فحدث فيها العصب: تسكين الخامس المتحرّك فصارت " مفاعيلن " //٠/٠/٠ "، أّما البيت الأخير فكان أقرب إلى الوافر لولا العصب الّذيحدث بكلّ من التّفعيلة الأولى و الثّانية والرّابعة والخامسة، فالفواصل لا تتناسب واللّهجة البدوّية اللّيبّية لذلك حدث بها العصب ، وهذا يكثر في البحر الوافر عند الخليل ، كما حدث في ضربه الحذف من الضّرب الّذي هو في الأساس مقطوف " فعولن" فحذف السّبب الخفيف من " فعولن" فأصبحت " فعو" وهذا جائز أيضا في البحور الخليلّية .

ومن خلال هذا العرض يتّضح أنّ البحر الخفيف في الشّعرالبدوّياللّيبّيهو ما تبقّى من الوافر بعد دخول اللّهجةوكثر سكناتها وما حدث من تغيير على تفعيلاته لمتطلّبات اللّهجة البدوّية وعدم استعمالهم للفواصل لبعد السّكنات فيها عن بعض .

ثالثاً : المسدس :

يتكّون هذا البحر من تفعيلة واحدة " فعولن " تتكّرر ثمان مرّات في الأصل ، ولكن الشّعرالبدوّياللّيبّيأضاف تفعيلتين من نفس التّفعيلات " فعولن" بين الشّطر الأوّل والشّطر

الثّاني في القصائد الزجلّية منه لا القصائد العمودية، فأصبح ا لبيت كأّنه يتكّون من ثلاث شطرات:

فعولن فعولن فعولن فعول فعولن فعول فعولن فعولن فعولن فعول

وكانت تلك الزّيادة في التّشطير لزيادة الموسيقى وطول الّنغم لحاجة المجموعة المصاحبة للشّاعر الّتي تردّد المطلع عند انتهاء الشّاعر من كلّ مقطعحتّ ى يأخذ نفسه، عقب انتهاء المجموعة من نغم المطلع ، فأصبح لزاما على الشّعراء أن يكون هذا الّنوع يتكّون من عشر تفعيلات ، وهذا الوزن لا يجيده إلاّ المتميّزون من الشّعراء لكثرة تفعيلاته ومن ذلك قول الشّاعر عظيم العناني ★ في هذا اللّون متغزّلا في عيني محبوبته واصفا عيونها بعيون الصّقر .[1]

عِيَكْ عَلَى عِينْ طِيَر الْحَلَقْ تَـهـ اَوى وَثَقْ وَخَدَّكْ كَما بَرِقْ سِيلَـهْ دَفَقْ

عينك على عي نطيرل حلق تهاوى وثق وخددك كمابر قسيله دفق

/٠/٠ //٠/٠ //٠ //٠/٠ //٠ //٠/٠ //٠/٠ //٠/٠ //٠

فعلن فعولن فعولن فعو فعولن فعو فعولن فعولن فعولن فعو

جرت العادة على أن يكون هذا البحر على هذه الصّورة الهندسّية الّتي تعارف عليها الشّعراء وارتباطها بنغم معّين يؤّديه الشّاعر صحبة المجموعة .

وهذا البحر البدوّياللّيبّي يشبه البحر " المتقارب" عند الخليل بن أحمد الفراهيدإلاّ أّنه زيدت عليه تفعيلتان أو زيادة شطرة قصيرة على أصل هذا البحر في اللون الزجلي لا اللون المقصّد .

★- سبق التّعريف بالشّاعر .

١- الشعر الشعبي ، ج١ ، د.علي برهانة ، ص ١٥١ .

ويقول في مثل هذا الشّاعر عبد الهادي بوكاره ★ في مطلع قصيدة متمنّيا العودة إلى الصّحراء وحياتها الّتي تروق له :[1]

مَرَايِفْ عَلَى عِيشْ نَارَهْ بَعْ فِي يُ وْمْ حَرْ وَشِيلَهْ بَعْدْ شُوفْتِي لِلْقَمَرْ[2]

مرايف على عي شناره بعر في يو م حر وشيله بعدشو فتي لل قمر

//٠/٠ //٠/٠ //٠ //٠/٠ //٠ //٠/٠ //٠/٠ //٠/٠ //٠

فعولن فعولن فعولن فعو فعلن فعو فعولن فعولن فعولن فعو

نلاحظ أنّ عروض الشّطر الأولى و الثّانية الّتي أضافها الشّاعر والضّرب حدث فيها الحذف وعندما يحدث الحذف بالعروض أوالضّرب أو بهما معا تلتزم كلّ القصيدة بهذا الحذف ، وقد يحدث للعروض والضّوب كلّ من الحذف والقصر والبتر والحذّ.

ويحدث في حشو هذا البحر الخبن والقبض والثّلم وهو ما حدث بالتّفعيلة الخامسة .

مجزوء المسدس :

يستعمل هذا الوزن في الشّعر العمودي البدويّ ، ولا يستعمل في القصيدة الزّجلّية ذات المطلع والمقاطع ، فهو يحمل وزن المتقارب المجزوء " فعولن فعولن فعولن ،" وقد يُزَادُ على العروض أو الضّوب حرف أو حرفان كالتّذييل مثلا .

يقول الشّاعر : خالد رميلة ★في قصيدة تحمل التّهديد والوعيد لمجموعة من النّاس اعتدوا على إبله واختطفوها :[1]

★- هو عبد الهادي أحمد بو كاره ، يعود نسبه إلى عائلة العلالقة ، قبيلة المجابرة ، ولد في جالو حوالي سنة ١٨٨٩م ، انتقل صحبة والده إلى الكفرة للإقامة بها وهو في سن السّابعة من عمره ، ثمّ امتهن التّجارة بين الكفرة وتشاد وتجوّل في أكثر مناطقها ، وأقام مدّة من الزّمن في دارفور ، وتنقّل تبعا لذلك في أغلب مناطق السّودان ، وهو خبير للقوافل عبر دروب الصّحراء و استقرّ في تشاد إلى أن عاد منها بصفة نهائيّة سنة ١٩٦٢، وأقام بالكفرة إلى أن توفّي بها سنة ١٩٨٥م ، انظر ديوان الشّعر الشّعبي ،المجلّدالثّاني ، إعداد الدّكتور علي سليمان السّاحلي ، سالم الكبتي ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط٢ – ١٩٩٨م .

١- ديوان الشّعر الشعبي ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

٢- مرايف : مشتاق ، شيله : رفع الصّوت بالغناء ، شوفتي :التّمتّع و النّظر إلى القمر.

وَحَقْ فَارَزَ الدّين َم الــرُّوْم وَكَـ ـلْ شِيخْ مَرْفُوعْ شَانَهْ

وَفَارَضْ صَلاَوَاتَ وَالصُّوْم عَلَى عَلبِـديـن الدِّيـانَـهْ

وَحَـ ـاسَبْ نَهـارَاتَ بِـلْيُـوْم وَكَلْ يِـوْمَ مَشْهُـور وَانَـهْ

إلى آخر القصيدة .

وَحَقْ فَارَزَ الدّين َم الدُّوْم وَكَلْ شِيخْ مَرْفُوعْ شَانَهْ

وحق فا رزددين نمرروم وكلشي خمرفو عشانه

//٠/٠ //٠/٠ //٠٠/٠ //٠/٠ //٠/٠ //٠/٠

فعولن فعولن فعولان "مفاعلن" فعولن فعولن فعولن

جاء من مجزوء المتقارب ، مذّيل العروض ، وضربه صحيح .

وَحَاسَبْ نَهـ ـارَاتَ بِـ ـلْيُـ ـوْم وَكْلِيـ ـوْمَ مَـشْهـ ـور وَانَهْ

وحاسب نهارا تبلـيـوم وكليو ممشهو روانـــه

//٠/٠ //٠/٠ //٠٠/٠ //٠/٠ //٠/٠

فعولن فعولن فعولان"مفاعلن" فعولن فعولن فعولن

غير أنّ هذا البحر وهذا النّوع من الشّعر لا يُتَغَّى به بل يلقى إلقاءً على مسامع الحضور ، لهذا لا يسلم من كثرة العيوب من زحافات وعلل متكّررة وتختلف من بيت إلى آخر، ومرجع ذلك أُمّية الشّعراء وعدم معرفتهم بأوزان الشّعر وعدم الالتزام بنغم معين يحافظ على الوزن .

وهذه العيوب لا تظهر عند الإلقاء إلاّ لمن يمتلك ملكة موسيقّية راقية ، وكثيرا ما جرت العادة على مثل هذه الأخطاء في بعض المناطق دون غيرها ، وذلك لعدم ضبطه بإيقاع أو

★- خالد رميلة الفاخري ، من بيت بوعوصة ،قبيلة الفواخر ، كان يحسن القراءة و الكتابة بعد أن تلقّى شيئا من التّعليم الدّيني على يد والده ، وحفظ القرآن الكريم ، وكان ممّن ساهموا في الجهاد ضدّ الغزو الإيطالي ، وشارك في كثير من المعارك ، وقد اعتقل من قبل السّلطات الإيطاليّة أكثر من مرّة . عمل الشّاعربتربية الإبل والفلاحة ، توفّي سنة ١٩٣٨ ، انظر ديوان الشّعر الشّعبي ، ج ١ ، لجنة جمع التّراث ، ص : ٧٩.

١- ديوان الشّعرالشّعبي ، لجنة جمع التّراث ، ص : ٨٨.

نغم كغيره من الأوزان الأخرى . ففي قصيدة للشّاعر نفسه في وصف الإبل وهو سجين داخل أحد المعتقلات الإيطاليّة إبّان الاستعمار الإيطاليّ يقول مطلعها : [1]

بَعْدَ مَرَاضَهَ ا فِي عَفَا دِيرْ بَدْرِي شُوسَ وَ الْعْلْم خَايِبْ

بعدمرا ضهافي عفادير بدريشمو سولعا مخايب

//٠//٠ //٠/٠ ٠٠/٠// //٠/٠/٠ //٠/٠ //٠/٠

مفاعلنفعولن فعولان"مفاعلن" مستفعلن فعولن فعولن

فالشّاعر في مطلع قصيدته خانته أذنه فجاء البيت مضطربا مكسورا، فالتّفعيلة الأولى في صدر البيت جاءت " مفاعلن"بزيادة حرف متحرّك على التّفعيلة " فعولن" فأصبحت " فعوللن"، وهذا غير جائز ، ثّم التّفعيلة الأولى من عجز البيت حيث جاءت " مستفعلن " فالخطأ أفدح من سابقه .

ثّم يقول ببيت آخر – مثلا– من نفس القصيدة :

تجِي كِيفَ عَوْضَ الطَّوابِيْر تَشَالِي مَشَالاْة غَايِبْ

تجيكي فعرضط طوابير تشالي مشالا تغايب

//٠/٠ //٠/٠ ٠٠/٠// //٠/٠ //٠/٠ //٠/٠

فعولن فعولن فعولان"مفاعلن" فعولن فعولن فعولن

فالبيت جاء على مجزوء المتقارب بزيادة حرف ساكن على عروض البيت ، وهكذا يجب أن تلتزم القصيدة بهذه التفعيلات في كلّ أبياتها،حتّى يكون هذا الوزن على مجزوء المتقارب مع تذييل يحدث بعروضه أيّ بزيادة ساكن على تفعيلة عروضه ، ومثل هذه الزّيادة تحدث في أغلب القصائد الّتي مرّت بي من هذا الوزن .

رابعاً : الطّويلة :

١- ديوان الشّعر الشّعبي ، ج١ ، لجنة جمع التّراث ، ص : ٨٢

هذا البحر كثير الاستعمال ، وله أنواع وأشكال هندسّية كثيرة تزداد تفعيلاته وتنقص، ويكثر فيه التّشطير واللّعب بالألفاظ،لأّنه بحر خفيف يُتَغَّى به في الأعراس، لهذا يتفّنن الشّعراءبالتّجديد فيه .

وتفعيلة هذا البحر" فعلن " " /٠/٠ " من " فاعلن" "/٠//٠" فحدث بها قطع وأصبحت " فعلن "، ومثل هذه التّفعيلة تتناسب واللّهجة البدوّية الّتي تكثر فيها السّواكن ، والغالب على هذا الوزن: سلامته من الكسر، لأّنه يغنَّى صحبة مجموعة تردّد المطلع وإيقاع مصاحب عن طريق النّقر بالعصّيفي مسافات متساوية فيصدر عنها نغم معّين يتناسب ونغم الشّاعر والمجموعة المصاحبة له ، ومن هنا اكتسب اسم " الطّيلة " الصّادرة من الضّرب على الطّبل أو غيره .

وهذا الوزن يتكّون من ثماني تفعيلات وهي :

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

/٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/

أو عشر عند الزّيادة والتّشطير مثل :

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

/٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/

والتّفعيلات العشر تكثر في الطّالع غالبا مع ورودها في بعض الأشكال الهندسّية الأخرى ، فهذا مطلع للشّاعر عبد اللّه بو القوايل★ في وصف أحد الأودية [١]:

وَادِي جَا مِن بَثَّه سَلَيْل دَارْ هَوايلْ فُوقَ الُّوجَ اشْجَارْه شَايِلْ[١]

★- عبد الله عبد العاطي بو القوايل ، من عائلة عفون قبيلة زوية ، ولد في الكفرة حوالي سنة ١٨٧٧م ، هاجر إلى تشاد صحبة أسرته واستقرّ بها ، عمل بالتّجارة متنقّلا بين مناطق " فايا " و " أبشا" بتشاد وبعض مناطق السّودان و لكثرة تنقّله كان خبيرا بدروبالصّحراءاللّيبيّةالتّشاديّة . يجيد القراءة والكتابة ، وله بعض القصائد بالفصحى ، تزوّج الشّاعر أكثر من مرّة وله عديد الأبناء ، توفّي سنة ١٩٨١ م عن عمر يناهز مائة وأربع سنوات ، انظر ديوان الشّعر الشّعبي ، ج٢ ، علي سليمان السّاحلي ، ص : ١٧٥

١- ديوان الشّعر الشعبي ج٢ ، ص : ١٧٨

وادي جامن بششه سايل داره وايـــــل فوقل موجش جاره شايل

٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

جاء مطلع هذه القصيدة بعشر تفعيلات من التّفعيلة " فعلن" " /٠/٠" ، وأغلب المطالع تكون على هذه الصّورة ، ولا يمنع أن يكون المطلع متكّونا من ثماني تفعيلات وهو الأصل، ولكن زيادة في الموسيقى ، وزيادة في نفس المجموعة المصاحبة للشّاعر،تساعده على أخذ نفس أكبر بين المطلع والمقطع . أّما المقاطع فتكون في الغالب بأربع تفعيلات وأحيانا بأكثر كقول الشّاعر نفسه في أحد مقاطع قصيدته الّتي ذكرنا مطلعها:

وَادِي جَا يـ ُطْفَـْر مِنْ بَشَّا وَاعْـر خَشَّهْ الجَّالاَتِ عْذَاه َ وْقَ شَّه [٢]

حَقَّا مَرْكَبْ مَا يَتْمَشَّى جَا مِتْكَالِيْ خَلَّى لـِ ـفْلُـوكَاتَ اقْ ـايـلْ [٣]

بحيث يكون الشّطر الأّول والثّاني والثّالث والرّابع على قافية جديدة ومختلفة من مقطع إلى آخر، والشّطر الخامس والسّادس يعود به الشّاعر إلى قافية المطلع.

وَادِي جَا يـ ُطْفَـْر مِنْ بَشَّا وَاعْـر خَشَّهْ ع َ الجَّالاَتِ عْذَاه َ ْو قَشَّه

وادي جايط فرمن بششا واعر خششه عججا لاتع ذاهو قششه

٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

و:حَقَّا مَرْكَبْ مَا يَتْمَشَّى جَا مِتْكَايِلْ خَلَّى لـِ ـفْلُوكَاتَ اقْ ـايِلْ

حققا مركب مايت مششى جامت كايل خللى لفلو كاتد قايل

٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/ ٠/٠/

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

١- جا : جاء، بشّه : مدينة ابشا بتشاد ، دار : أحدث ، هوايل : من الهول والخراب .

٢- خشّه : دخوله ،أو الدّخول إليه، عذاه : من يعذي الزّرعأيّ : لا يسقيهإلاّ ماء المطر، قش : بقايا العشب الجاف .

٣-حقّا : أيّ يليق به مركب لغزارة مياهه ، ما يتمشّى : لا يستطيع الإنسان السّير فيه أو قطعه ، متكايل : من الكيل الزّائد على الإناء كناية عن قوّة دفعه ، خلّى : ترك ، لفلوكات : جمع والمفرد " فلوكة " أيّ :مركب ، دقايل :محطّمة .

من الملاحظ أنّ هذا الشّكل يتكوّن من عشر تفعيلات زيادة في الموسيقى،ولا يغيّر حذف التّفعيلتين الواقعتين بين الشّطر الأوّل والثّاني من المطلع أو من المقاطع شيئا اللّهمّ زيادة المعنى و الموسيقى و تغيير في أداء الشّاعر نغميّا، ويكثر في شعر " الطّويلة " أو" الطّق" أن تكون مكوّناتها ثماني تفعيلات فقط، ومثل ذلك قول الشّاعر محمّد بوغمّاز★ في مطوّلة غزليّة : [1]

تُمشِي وَالْمَمْشُوطَ ثْناوِي مِيتِين اوْخَسِينَ اثّنَى
وَقْتَنْ مَا جَلّ عِسْرَاوِي مَشّلطَاتَهْمِلْ مْسَنّهْ
وِينْ جِتْ فُوقَ الرِّيح إدَّاوِي رِيحَتْهَا مِنْ رِيحِ الْجَنَّه
وافْمْ امْعَدَّلْ مِتْسَاوِي خَمْسَهْ مِلّيم ايسَنَّنَهْ

إلى آخر القصيدة واصفا جمال محبوبته .

البيت الأوّل :تمشي ولمم شوطث ناوي ميتي نوخم سينث ثنى

/٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

البيت الآخير:

ولفم امعد دلمت ساوي خمسه مللي ميسد دننه

/٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/ /٠/

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

من خلال دراسة هذا الوزن من الشّعر يتّضح أنّ هذا البحر ينتمي إلى المتدارك من البحور العربيّة ، وتفعيلاته " فاعلن- /٠//٠" تتكرّر ثماني مرّات ، ويجوز في " فاعلن"

★- محمّد بو غمّاز : سبق التّعريف بالشّاعر .
١- ديوان محمّد بو غمّاز ، ص ٢٣.

الخبن "فَعِلُنْ" " ///٠ " في جميع أجزاء البيت ، ويجوز فيه القطع أيضا ؛ وهو حذف آخر الوتد المجموع وإسكان ثانيه ، فتصبح "فَعْلُنْ-/٠/٠" ، وهو ما حدث هنا لهذا الوزن من الشّعرالبدويّاللّيبّي .

فوزن " الطّيلة " أو "الطّق" من الشّعرالبدويّاللّيبّيالمنتشر على أغلب التّراب اللّيبّي هو من المتدارك المقطوع ، يكون من ثماني تفعيلات في شطرين متساويي الطّول، وقد تُزَادُ تفعيلتان تتوسّط الشّطرين ، وبالتّالي يكون عدد التّفعيلات عشرًا أو ثمان كما في الأصل.

خامساً : الهجاوي :

ويعرف بأغاني الرّحى أو بيت الحكمة . سُمِّيَ بهذه الأسماء لأنّ أغلبه يتكّون من أربع شطرات تكثّف فيها المعاني والحكمة والمثل ، ومن شروطه :سهل الحفظ والتّناقل بين النّاس، أو كما يسّميه الدّكتور محّمد سعيد محّمد بـ"أغاني الطّبل"[1] ، وهناك من يسّميها بـ"الهجاوي الحماسّية "لأنّها تلقى في المعارك تحثّ المجاهدين على القتال ، وتُلْقَى من قبل أفضل المجاهدين صوتا وأقواه .

وهذا لا يعني أنّ وزن " الهجاوي" لا تنظم فيه قصائد مطّولة بل يوجد الكثير منها شريطة أن تكون على نفس البحر والمطلع الرّباعي، كما لا يعني أيضا أنّ كلّ بيت رباعيّ من أربع شطرات لا يخرج عن هذا الوزن أو البحر بل توجد قصائد مطالعها رباعّية بأوزان بحور أخرى والغالب على أبيات هذا الوزن الّتي لا تعدّ مطالع لقصائد هي من نسج المجتمع لا يعرف لها قائل ، تنسب إلى الشّعب لأنّها من تراثه وصنعته، وضع فيها خبرته وتجاربه .

وهذا الوزن يتكّون من تفعيلتين " مستفعلن فاعلاتن /٠//٠/٠ /٠//٠/٠" تكرّر مرّتان، وفي مثل هذا يقول البيت : [2]

يَا طِيْرَ نَادِي عَلَى اّمَ كْ وَامَّكْ تَنَادِي خَوَاتَكْ

١- ذاكرة قرية ، محمّد سعيد محمّد ، منشورات المركز الوطني للمأثورات الشّعبيّة، ط١، ٢٠٠١م ، ج٢، ص ١١

٢- صدى الجهاداللّيبيّفي الأدب الشّعبي ، محمّد القشّاط، دار لبنان للطّباعة والنّشر ، الطّبعة الأولى – ١٩٧٠ ، ص٤٦

تَـبَّـعْ مَـرَاحِـيـل غُومَــهْ لِـلْحولْ تَـلْقَـى مَقَـاتَـكْ

فالبيت يمتدح شجاعة الشّيخ غومة المحمودي زعيم الثّورة ضدّ الأتراك في غرب ليبيا ، والخطاب موجّه إلى النّئاب إذ عليها أن تتّبع مواقع الشّيخ غومة حتّى تجد ما تقتات به من القتلى الّذين يخلّفهم بين صفوف الأعداء عقب كلّ معركة .

وهذا البيت :

يَا طِيرْ نَادِي عَلَى امَّكْ وَامَّكْ تَنَادِي خَوَاتَكْ

ياطيرنا ديعلممك وممك تنا دي خواتك

/٠//٠/٠ /٠//٠/٠ /٠//٠/٠

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

تَبَّعْ مَـرَاحِيـــل غُوَمْه لِـلْحُولْ تَـلْـــقَى مَقَاتَكْ

تبع مرا حيل غومه للحولتل قى مقاتك

/٠//٠/٠ /٠//٠/٠ /٠//٠/٠

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

مكّونات البيت " مستفعلن فاعلاتن" مرّتان،وهذا البيت الآخر يقول في الصّبر :[1]

الصّبر عِنْـــ دَ الْعَرَبْ مُرْ عِنْدَ الْعَوَارَفْ شَـجَـاعَــهْ[2]

اصصبرعن دلعرب مر عندلعوا رف شجاعه

/٠//٠/٠ /٠//٠/٠ /٠//٠/٠

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وَاشْرِيه يَا زَايِـــ دَ الْعَقْلْ لاَ رِيتْ يَهْوُلَ بَاعَهْ

وشريه يا زايدلعقل لاريتبه لولباعه

١- من تراث الشّعب ، أحمد الدّويري، ط ١ – ١٩٧٤م ، ص٤٢

٢- العرب :تطلق في البادية على القبيلة والدّجع والبلد .

٠//٠//٠ ٠//٠//٠ ٠٠//٠//٠ ٠//٠//٠

مستفعلن فاعلاتان مستفعلن فاعلاتن

حدث بعروض الشّطر الأوّل من البيت الثّانيتسبيغ وهو زيادة ساكن على سبب خفيف .

من خلال تقطيع هذه الأبيات يتّضح أنّ هذا الوزن في أبيات الهجاوي من الشّعرالبدوّياللّيبّي يتكّون من تفعيلتين " مستفعلن فاعلاتن " تكّررت مرّتان ، وهو نفس البحر المجتثّ في الشّعرالعربّي الفصيح العمودي .

ممّا تقدّم يظهر جلّيا أنّ الشّعرالبدوّياللّيبّي لا يخرج عن البحور العربّيةالّتي جمعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في خمسة عشر بحرا وزاد تلميذه الأخفش البحر السّادس عشر المعروف بالمتدارك . رغم اختلاف الشّكل الهندسي في عدد من البحور و الأوزان إلاّ أّنه ملتزم بالتّفعيلات والبحور العربّية على خلاف ما حدث بالموشّح الأندلسي الّذي يسمح باستعمال أكثر من بحر في القصيدة الواحدة .

والملاحظ أنّ عدد البحور والأوزان في الشّعرالبدوّياللّيبّي قليلة قياسا بعدد بحور الشّعر العمودي العربّي ، ولكن يظهر للمتتّبع للشّعر أنّ عدد الأوزان بالشّعر البدوّياللّيبّي تفوق البحور الخليلّية في الشّعرالعربّي ، وهي في الحقيقةلا تخرج عن هذه البحور الّتي ذكرناها ، أّما التّفّوق العددي الّذي يظهر للأعيان فهو زيادة في التشطير داخل البحر الواحد من زيادة ونقص في عدد التفعيلات ، وزيادة هذه التشطيرات والاشتقاقات تثري النص موسيقيا دعت له حاجة الشّاعر والنغم الّذي يتطلبه اللحن ، وقدرة الشّاعرعلى التّجديد والتّفّنن في زيادة ونقص الفقرات والمقاطع في كلّ قصيدة.

القافية في الشّعرالبدوّياللّيبّي

تعريف القافية :

القافية في الشّعرالبدوّياللّيبّي هي نفس القافية في الشّعرالعربّي العمودي الّتي أرسى دعائمها الخليل بن أحمد الفراهيدي ونفس التعريف ، وتعني : السّاكنان الأخيران وما بينهما من حروف وحركات مع حركة ما قبل الأخير[1] .

وهذا التّعريف يبقى صالحا في الشّعرالبدوّياللّيبّي ، ففي كلمة " بدوي" القافية هي: " دوي " ، وفي " عدنان " القافية هي " ان" ، وهذا المقطع الصّوتي هو الجزء المتكّرر بعينه، أو موقع التّكرار و التّكافؤ.

١- الوافي في العروض والقوافي ، صنعه الخطيب التبريزي ، تحقيق الأستاذ عمر يحيى ، الدكتور فخرالدين قباوة، دار الفكر دمشق ،الطبعةالثّالثة ١٩٧٩م ، ص٢٢٠.

والقافية تنهي آخر كلمة من الشّطر الثّاني ولها حروف وحركات متّفق عليها، وحروف القافية هي : الرّويّ و الوصل والرّدف والتّأسيس .

الرّويّ

هو الحرف الّذي تبنى عليه القافية في البيت ، يقول الشّاعر[1]:

تَقَاصُوعَنَّكْ خَشُورَقْ سَرَابَه عَ الْعَالِي هَيَّالْ

فرويّ البيت هو" اللاّم " في قوله " هّيال" وهو الحرف الّذي يتكرّر في كلّ القصيدة، والّذي تبنى عليه القافية الأساسّية .

الوصل

هو الحرف الّذي يتبع الرّويّ في القافية المطلقة كقول المجاهد عبد النّبي بلخير★في عكس الأّيام : [2]

مَعَ عَكْسهُمْ دِرْنَا غُومْ شَدَايِدْ عَلِينَا وَجَبْ بِالشَّرْعْ فَرَضْ وَ سُنَّه

فالوصل هو الحرف الّذي يتبع الرّويّ في الشّطر الثّاني من البيت، وهو:"الهاء".

الرّدف

هو حرف علّة يسبق الرّويّ، يقول الشّاعر ابراهيم عبد المجيد الحبوني★: [3]

كلّ يُومْ زَاهِي لِهْنَا رْقْصَادْه وَكلّ حَلُو فِي رِيقَكْ وَرَاهْ مَرَارْه

القافية بالبيت " الرّاء" وردفها الألف الّذي يسبق " الرّاء"، و إذا كان الرّدف الواو –مثلا– على الشّاعر أن يلتزم بها في كلّ القصيدة ، ولا يسمح بالياء ردفا عوضا عنها كما هو

١- البيت للشاعر بورويلة المعداني ، ديوان الشّعر الشّعبي ، لجنة جمع التّراث ، ج ١ ، ص:١١٤

★- المجاهد عبدالنّبي بلخير ، من أقطاب الجهاد ضدّ الغزو الإيطالي ومن زعماء طرابلس و أعيان ورفلّة ، التحق بحركة الجهاد فجر مطلعها ، وكان أحد أعضاء الجمهوريّة الطّرابلسيّة ، وبعد احتلال الإيطاليّين لكلّ التّراب اللّيبيّ هاجر إلى الجزائر في جماعات من المهاجرين ، وقد مات كثير منهم عطشا ، ومنهم عبد النّبي بلخير وكان عام ١٩٢٩ م ، انظر أعلام ليبيا ، تأليف الطّاهر الزّاوي ، دار المدار الإسلامي ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م، ص٢٤٩

٢- صدى الجهاد في الأدب الشّعبي ، محمّد سعيد القشّاط، ص: ٢٥٣

★- ابراهيم عبد المجيد الحبوني من قبيلة حبون ، أحد قبائل المرابطين ، ولد وعاش في البردي حوالي منتصف القرن الثّامن عشر، له أشعار كثيرة ، ضاع أغلبها بسبب بعد العهد ، ولا يعرف تاريخ وفاته بالتّحديد ، انظر : الإبل في الشّعر الشّعبي ، د. يونس عمر فنوش ، إصدارات مجلس الثّقافة عام ٢٠٠٨م ، ص :٢٢٢

٣- الإبلفي الشّعر الشعبي ، ص : ٢٢٣

الحال في الشّعرالعربّي الفصيح ، والتّعويض بالياء بدلا من الواو أو العكس يعدّ عيبا من عيوب الشّعرالبدوّياللّيبّي ، فالياء في قصيدة الشّاعر عبد اللّه بو القوايل ★ : [1]

نَـظْـرَنـا رَجْـعَـه تِـجْـلَـوْلْ اْبصُورَه تْـعَجَبْ فِي النَّمْقِيلْ

اْبَخْو عِيْن وُدُوْر اشْلَى عَلَى الْعَاتِـقْ مَاحْ مَذَابِيلْ

رويّ القافية في هذين البيتين من القصيدة هو " اللاّم " يسبقه الرّدف " الياء" فالرّدف في هذه القصيدة لا يتغّير ولا يعّوض بـ " الواو " يبقى " ياء" كلّ القصيدة .

ألف التّأسيس

هي حرف يفصله عن الرّويّ حرف يسّمى الدّخيل في العروض الخليلي ، ولكن في الشّعرالبدوّياللّيبّي لا يتغّير الدّخيل كما هو في الشّعرالعربّي الفصيح ، بل يلتزم حرفا واحدا يتكّرر كلّ القصيدة ، والعمل بمقولة لزوم ما لا يلزم ، ومن ذلك قول الشّاعرأحمد رميلة ★ في الإبل : [2]

وهِي اللّي تْجِيب الحِمْلْ زَّاق بِالْوَا مَزَاقَةْ قَطَا رامِيهْ قِيضْ الشَّعَايِلْ

فالرويّ بالبيت " اللاّم "والتّأسيس " الألف" والدّخيل " الياء" الّتي لا تتغّير في كلّ القصيدة بل تلازم القافية زيادة في موسيقاها وعدم التّغيير الصّوتي بها .

عيوب القافية

١. الإقواء : بما أنّ الشّاعرالبدوّياللّيبّي لا يعمل على الإعراب فهو لا يتعرّض إلى خطأ الإقواء ولا الإكفاء .

★- سبق التّعريف بالشّاعر .

١- الإبل في الشّعر الشّعبي ، د.يونس عمر فنّوش ، ص: ٢٧٣

★- سبق التّعريف بالشّاعر.

٢- الإبل في الشّعر الشّعبي ، د.يونس عمر فنّوش ، ص: ٢٤٨

٢. الإيطاء: تكرار القافية بلفظها ومعناها ، والشّعر البدوّياللّيبّي لا يرى عيبا في تكرار القافية مع اختلاف المعنى ، وتكرار القافية بلفظها ومعناها يعدّ عيبا وخطأ مهما كان التّباعد بين التّكرار الأوّل والثّاني فهو خطأ مطلق .

٣. اشتراك الواو والياء في الرّدف يعدّ عيبا من عيوب القافية بالشّعر البدوّياللّيبّي كما سبق وأن ذكرنا .

٤. تغيير الدّخيل في الشّعرالبدوّياللّيبّي يعدّ –أيضا– عيب من عيوب القافية .

٥. يقع بعض الشّعراء في خطأ غير مقصود بحرف الرّويّ ، حيث يقع أحيانا اختلاط على الشّاعر بالحروف قريبة المخارج كـ " السّين والصّاد" مثلا، والثّاء والذّاء" و" الذّال " و " الدّال " بالمناطق الّتي لا تنطق الذّال المعجمة ، ويرجع السّبب في ذلك لعدم معرفة الشّاعربالقراءة و الكتابة وعدم التّفريق بين تلك الأحرف .

٦. الخلط بين " الضّاد" و"الظّاء " وعدم التّفريق بينهما في النّطق لهذا يكونان رويّا واحدا للقصيدة البدويّة ، ويعدّ جائزا في الشّعرالبدوّياللّيبّي .

٧. يخلط أغلب الشّعراء بين " الهاء " و" الألف " في حرف الوصل لأنّ نطقهما متشابه ومتقارب مثل : "ستّه – غنّى " فالهاء بآخر الكلمة تنطق "A" كالألف تماما ، لهذا يخلط الشّعراء غير المتعلّمين بين الحرفين .

ومن خلال هذا الطّرح ، اتّضح جليًّا أنّ الوزن المتّبع في الشّعرالبدوّياللّيبّي لا يخرج عن العروض الخليليّة متجاوزا بذلك أوزان الموشّحات الأندلسيّة والأزجال العربيّة، وما يربطه بهما هو الرّسم الهندسي للقصيدة البدويّة . وحافظ الشّعرالبدوّياللّيبّي على ما يمكن الحفاظ عليه مع التّغيير الّذي حدث عن اللّغة الأمّ من زيغ عن الإعراب واختلاف اللّكنات واللّهجات المتعدّدة والمتباينة من مكان إلى آخر، ومع كلّ هذا حافظ على الأوزان القديمة العربيّة منذ تلك الهجرات العربيّة ، وإن لم يحافظ على كلّ البحور الخليليّة الّتي كان منها ما كان مستعملا في أوزان اندثرت منذ فترات متفاوتة ، منها ما كان زمن اندثاره وضياعه

قريباً ، ويعود السبب في ذلك لعدم وجود إيقاع ونغم يحافظ على استمراره ، وفيما عدا ذلك لا خلاف يذكر في القافية وعيوبها بين الشّعرالعربّي الفصيح والشّعر البدوّياللّيبّي.

الفصل الثالث

العلاقة بين الشّعر البدويّاللّيبيّ والشّعر العربيّ الفصيح من خلال الصّورة الشّعريّة

المبحث الأوّل : الشّعرالبدويّاللّيبّي والصورة الشّعريّة .

المبحث الثّاني: العلاقة بين الشّعرالبدويّاللّيبّي والشّعر العربّي الفصيح من خلال الصّورة والتمّثيل .

الفصل الثّالث

العلاقة بين الشّعرالبدويّاللّيبّي والشّعرالعربّي الفصيح من خلال الصّورة الشّعريّة

الصّورة تشكيل لغوي يكّونه خيال الشّاعر أو الأديب من معطيات عدّة، منها العالم المحسوس، فأغلب الصّور الحسّية لا تكون تسجيلاً واقعّياً للطّبيعة أو محاكاتها، وعدم نقلها كما هي، إذ تخضع لتشكيله ،فتكون صورة فكرته هو وليست لذاتها وتكون رابطاً بين عوالم الحس المختلفة[1].

(١) انظرالصّورة في الشّعرالعربيّ، د.علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١م، ص٣٠-٣١.

وللصورة تعريفان :التّعريف الأوّل : تكون الصّورة ذات اتّجاه سلوكي يهتّم بالصورة الذهنية، أي نتيجة لعمل الذهن الانساني في تأثره بالعمل الفنّي، و يصنّف هذا التعريف الصّورة بحسب مادّتها الحسّيّة، أيّ الحواس الخمس، ويضاف إليها الصّورة الحركّية والعضويّة، والتّعريف الثّاني: يدرس الصّورة باعتبارها تجسّد رؤية رمزّية ويهتّم منها بالأنماط المتكّررة ومدى ارتباطها بالنماذج العليا من الشعائر والأساطير (١).

وللصورة الفنّية مفهومان: قديم وهو التّشبيه والمجاز، والتشبيه يجمع بين حقيقتين حسّيتين، وتفضيلهم الاستعارة عن المجاز، لأّنهم عدّوها من التّشبيه، حيث المفهوم القديم حصر الصّورة على التّشبيه والاستعارة.

وآخر حديث يضّم بدوره نوعين آخرين: الصّورة الذهنّية والرمزّية، وهذا المفهوم أوسع من إطار الصّورة، بل قد تخلو الصّورة من المجاز أصلاً (٢).

المبحث الأّول: الشّعر البدوّي اللّيبّي والصّورة الشّعرّية

الصّورة في الشّعر البدوّي اللّيبّي تعتمد على ما هو حسّي، استجابة لطبيعة الشّاعر الّذي يتعامل مع الأشياء بشيء من البساطة والتلقائّية، فهو يشبه الصّورة في الشّعر العربّي القديم، والشعر يكتسب أهّميته ودوره وغناه من الصّورة الشعرّية لأّنها هي الّتي تعطي الألفاظ المؤلّفة للغة قدرتها الإيحائّية في الدلالة، لأّنها تبعث في الكلمة حياة جديدة بدلاً من سجنها خلال قرون من الزمن داخل معانيها الاصطلاحّية، فتعود بها الصّورة إلى طفولتها الأولى وتحيا حياة جديدة وتتحرر من كلّ أعباء الماضي نحو المطلق تكتسب عدداً لا متناهياً من

(١) المرجع نفسه، ص٢٨.
(٢)المرجع نفسه، من ص٢٥ إلى٢٨.

المعاني والدلالات، ولكن دون أن تكون رهينة لأيّ معنى بمفرده، وهكذا تتحرر اللفظة بفعل الصّورة إلى ألفاظ أخرى أو لغة بكراً تنشأ من اللفظة، مع ألفاظ أخرى خضعت هي بدورها للمصير نفسه. هذا هو سحر الصّورة الشعريّة وسرّها، فالشّاعرلا يضيف ألفاظا جديدة إلى اللّغة، ولا يخرج عن قاموس الألفاظ المعروفة.

والشّاعر البدوّياللّيبّي بسيط تلقائي، فتعامله مع الصّورة جاء على طبيعته موضّحاً ومقرّباً معانيه للسامع معتمداً في الغالب على تشبيهاته واستعاراته وكناياته من محسوسات الطبيعة الّتي يعرفها هو والسامع في آن واحد، وكلّ هدفه تقريب المعنىالمراد.

ويُكثر الشّاعرالبدوّياللّيبّي من وصف محبوبته وأحياناً أكثر من واحدة، وإن لم يكن مرّ بتجربة حبّ مثلاً ، يتغزّل واصفاً محبوبة وهميّة لا يعرفها،ولكنيتطلّب منه موقف إحياء الأعراس أن يطرب سامعيه، وماذا يقول في الغزلالّذي يفضّله الشّباب، وعلى كلّ فالتجربة الشعرية هي التّجربة والصّورة هي الصّورة تكون بسيطة دون تكلّف، مستمدّة من الطّبيعة والواقع المعاش.

اولاً : التّشبيه:

أّول الصّور البيانّية هو التّشبيه، ومفهوم الصّورة التشبيهّية هو الكشف عن حقيقة الموقف الشعوري أو الفّني الّذي عاناه الشّاعر أثناء عملية الإبداع ، ويرسم أبعاد ذلك الموقف عن طريق الموازنة بين طرفيالتّشبيه موازنة لا تهدف إلى تفضيل أحدهما على

الأخر، بل ترمي إلى الربط بينهما في صيغة تكشف جوهر الأشياء، ويجعلها قادرة على نقل الحالة الشعوريّة الّتي ملكت ذات الشّاعر[١].

والتشبيه في عمومه عمليّة فنّية جماليّة تهدف إلى توضيح أو تعريف معنى من آخر أو تمثيل شيء بشيء مدحاً أو ذمّاً، وهو مادّة رئيسة في الصّور الفنّية قديماً وحديثاً، وهو أكثر شيوعاً لكثرة انتشاره في فنون القول[٢].

والشعر البدويّاللّيبّي كغيره من الفنون سار على هذا النهج مختاراً أروع ما يراه من صور ليقرّب بذلك المعنى إلى السامع والمتلقّي.

والشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي[*] من الشّعراءالّذين عاشوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، يصف محبوبته في قصيدة رباعّية، مصوراً جمالها وطول قامتها وسواد عينها وشَعرِها قائلاً[٣]:

وَالْغَـــــتَّ أَسْـــــــــــــوَدْ تَ بَانْ قَرُونَه مَجْ ُودَه[٤].
هِيـــــــوقْ رَقَ ـــــــــــــدْ تَ حْتَ ه بِحْيِه بَقَّاصَه[٥].
ِلْ خـــــــــــــــ وَقَ ـــــــدْ ْق إِنْ يَشعلْ فِي اْرُعُوده
سَحَـــــــــــــ ابَة اْمَبـــــــدّْ ضَاوِي وَاللِّيلْ تَمـــــــاسَه

يصف الشّاعر شعر محبوبته الكثيف الأسود الظاهر للأعيان وهي تحاول إخفائه وتفشل في كلّ مرّة لغزارته وهو يلفّ وجهها الجميل الأبيض مشّبهاً إّياه ببيضة النّعام، وسواد الشّعرالّذي يلف وجهها الجميل بجناحي ذكر النّعام الطويلين شديدي السواد، ووجهها يظهر

(١) انظر التصوير الشعري، د.عنان قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م، ص٤٠.
(٢) انظر التصوير البياني، د.محمد أبو موسى، منشورات جامعة قاريونس، ط١، ١٩٨٠م، ص١٧.
(*) سبق التعريف بالشّاعر.
(٣) ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي، ص٩١.
(٤) الغث: الشعر، وذكر ابن برى ترجمة غثا: يقال للضبع غثواء لكثرة شعرها، قال ويقال غثواء بالغين المعجمةانظراللّسان مادّة "غثا"، تبان: ظاهرة للاعيان، قرونة: اطراف الشّعر، مجبوده:الجبذ: مقلوبة عن الجبد وهي الجذب.
(٥) هيدوق: تطلق عند البدو عن ذكر النّعام، وهي من الهيق والهيقة مع زيادة حرف الدال، دحية: بيضة، جاءت من مدحى النّعام: موضع بيضها،انظراللّسان مادّة "دحا"، بقاصه: كالشعلة وهي مقلوبة عن "قبس" وهناك من ينطقها بالصاد بدلاً من السين.

أحياناً ويختفي تحت ظلام الشّعر، فهي صورة جميلة، كلّ عناصرها من الطبيعة الّتي عاشها الشّاعر.

ثم يصفها في الرباعيّة الثّانية بأنّ وجهها كالبرق في لمعانه وبهاه ، ومصدره سحابة سوداء في ليلة مظلمة، والسواد سواء أكان مصدره السحابة أمالليّل هو كناية عن شعر محبوبته، فهي صورة أخرى من الطبيعة الّتي اعتادها وعرفها الشّاعر.

ويقول في مكان آخر[١]:

عِين اْم َبارَكه زِي الُعقَاب : ّو إنْ طَاْر باْجَنْحتَه هَفَا[٢].

شّبه الشّاعر عيني محبوبته بعيني العقاب في صورة مركّبة فتشبيه العيون بالعيون معروف ودارج عند الشّعراء البدو، ولكن الشّاعر انتقل بسرعة حيث وصف الحاجبين بجناحي العقاب المنفردين بالهواء، فعيناها عيناه وحاجباها جناحاه وأنفها منقاره وما بين جناحيه وجهها الجميل.

وتكثر أنواع التّشبيه في الشّعرالبدويّاللّيبّي فلا تجدأبياتاًإلاّ واعتمدت على التشبيهات.وقد يحدث أن تحذف منها الأداة ووجه الشبه، ومن أمثلة ذلك قول المرأة في هجاوي الّرحى[٣]:

الّرحى[٣]:

أَنا الْعِيْن َواْنتُوا َقطْرَها َونَا الْيْد َواْنتُوا الأَصَابْع[٤]

أَنا الأَرضْ َواْنتُوا َمطْرَها إنْ غِبْتُوا تصِيفْ الْمَرَابْع

تحنّ المرأة إلى أهلها وأخوتها وأبيهاوأّمها عندما يكون مكان زوجها بعيداً عن ديار ربعها، فتعّبر عنه في أبيات وهي تطحن الحبَّ بآخر اللّيل واصفة الأهلبأّنهم الّنظر إذا كانت هي العين، وهم الأصابع لليد وهم المطر للأرض فما فائدة عين كفيفة لا ترى ما

(١) ديوان الشّاعر، ص١٢٦.
(٢) زي: تستعمل اداة تشبيه عند البدو، تو إن طار: حينما طار في الهواء.
هفا: هفاالطّائر اذا طار،انظر اللّسان، مادّة "هفا".
(٣) هجاوي الرّحى، عبد السلام شلوف ص٦٥.
(٤) انتو: انتم في إشارة إلى اخوتها وربعها.

حولها، وما فائدة اليد دون الأصابع وما فائدة أرض جدباء لا ترى الغيث فهي صائفة لا إخضرار ولا ماء فيها، فشّبهت نفسها بالعين وإخوتها وربعها بالنظر لتلك العين ، وباليد وهم الأصابع، بالأرض وهم بالمطر وحذف في كلّ تشبيه من هذه التّشبيهات أداةالتّشبيه ووجه الشبه ، في وموازنة جميلة لأبيات كلّها حنين وعاطفة جيّاشة لديارها ودور ذويها.

هذه التشبهات الجميلة المنتقاة بعناية تتناسب والمشّبه حيث شّبهت نفسها "بالعين" وهي مصدر الرؤية والنور، وإن فُقدت لن يبقى إلاّ الظلام ، فهي دون إخوتها وأهلها كالظلام الحالك. وشّبهت نفسها "باليد" وهي أداة العطاء والمصافحة والتسامح، ومن ناحية أخرى هي أداة العمل، وإخوتها بالأصابع لليد أداة الحركة والقدرة، ثم هي كالأرض مصدر الخيرات والنماء والانتماء، وهم بالمطر لتلك الأرض ، فمثل هذه التشبيهات البليغة الّتي جسّدت المشّبه في صورة المشّبه به أضافت قوّة وتأثيراً عاطفياً لحالة تلك المرأة الّتي تعاني الغربة والحنين إلى الأهل.

والشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي في تشبيه بليغ يصف فيه عيني محبوبته وبشرة خدَّيها[1]:

عينـكْ عِينْ بـ ُومَلْـــــــــوجْ وسِيرَه وخَدَّكْ بَرَقْ يطـَّامى غَدِيرَه [2].

فعينا محبوبته هما عينا الصّقر في حدّة البصر والاتّساع ، فمثل هذا التّشبيهمتداول بين الشّعراء، وجاء في صورةالتّشبيه البليغ، فالعينان هما عينا الصّقر، والخدان هما لمعان وتلألؤ البرق،، وأكّد الشّاعر على أنّ هذا البرق ليس خلّباً ، بل برق في مزنة ممطرة تركت وراءها الغدران تملأ الأرض، و التشبيهات في الشطرين تقّص فيهما المشّبه صورة المشّبه به وأصبحا شيئاً واحداً ، فعينا محبوبته هما عينا الصّقر وخداها برق شديد اللمعان في مزنة ممطرة، وجل التشبهات بسيطة محسوسة من الطبيعة في غالبها.

ثانياً : الاستعارة:

---

(١) ديوان الشّاعر، محمد عبد الرحمن الحامدي، ص١٩٠.

(٢) بوملوج: كناية عن الصّقر في إشارة إلى الغطاءالّذي يوضع على عينيه.

هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول منه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليستإلاّ تشبيها مختصراً لكّنها ابلغ منه(١).

وبما أن الاستعارة مجاز علاقته المشابهة وهي أيضاً تشبيه حذف وجهه وأداته وأحد طرفيه، تنقسم باعتبار ما يذكر عن الطرفين إلى:

أ- **استعارة تصريحية:** وهي بذكر لفظ المشّبه به فقط فالاستعارة تصريحية، يقول الشَّاعر محمد الشاوش(*) (٢):

عِينِي عَلَى صَبْ الدُّموعْ سَبايبْ لَيـ ـا غَرَّبْ الْمغْرِبْ تجِي مَنهدَّه(٣).

ابْثَلْجهَ ـا مِنْ صَهْدَنارْ الشَّايبْ حَدَّرعَلَى الْوجَنَاتْ يَصْعَبْ رَدَّه(٤).

يعج البيتان بصور الاستعارة والمجاز، وما يهّمنا منها هو ما ورد في البيت الثّانيوتحديداً الشطر الأّول، حيث شبه الشَّاعر الدموع بالثّلج المذاب، وحذف المشّبه "الدموع" وجاء بالمشّبه به وهو الثلج الّذي ارتفعت حرارته وأخذ في الذوبان ، في صورة بديعة وجميلة تدلّ على قدرة الشَّاعر – رغم حداثة سّنهآنذاك – على انتقاء صورة رائعة جاءت على هيئة استعارة تصريحية. ويقول الشَّاعرإمحمد قنانه(*) (٥):

---

(١) انظر ظواهر أسلوبية في الشّعر الحديث في اليمن، د.أحمد قاسم الزمر، مركز عبادي للدراسات والنشر ط١، ١٩٩٦م، ١٩٩٦م، ص١٦٨-١٦٩ ، والمدخل إلى دراسة البلاغة العربيّة، د.السيد أحمد خليل، دارالنهضة العربيّة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م-ص٢٣٠.

(*) الشَّاعر محمد الشاوس من منطقة الرجبان، من مواليد ١٣٢٥هـ، جند أيّام الاحتلال الايطالي، وعاش بفزان سنوات طويلة أيّام الانتداب الفرنسي تنقل بين تشاد وأفريقيا الوسطى وتونس، وكان شاعرًمقلاً لا تتجاوز قصائده اصابع اليدين، انظر تغاريد في الغربة، ص٩٩.

(٢) تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر ص١٠٤ .

(٣) صب: سكب، سبايب: أيّ تبكي بدون سبب فكيف عندما تجد مبرراً، منهدّة: الهدَّ: الهدم الشديد كالحائطالّذي يهدم والجبلالّذي يكسر، فكلها تدل على سرعة الانحدار للدموع.

(٤) صهد: حر، الشايب: من الشيب ويعني بها والدهالّذي دار بينهما حوار شعري، فشكا ظلم والده له، حدّر: الانحدار الشديد ويكون من أعلى إلى أسفل.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٥) الادب الشعبي؛ القشاط ص١٢١- والبيت من القصيدةالّتي مطلعها:تركناه حب الوطن نمشوا منّه:. بلا مال لا هو فرض لا هو سنّة .

سرَّكْ لَيا مَا حَصَّلَه صَنْدُوقَكْ عِيهْمَا تَلُوْم النّاس وَقْتَا تشّنه[١].

هذا البيت يجري مجرى المثل، فالإنسان إذا لم يحافظ على أسراره داخل صدره لا يلوم الآخرين عندما تنشره بعد إفشائه، حيث شّبه الشَّاعر القلب بالصندوق لاقتناء الأشياء الثمينة، وحذف المشّبه "القلب" وذكر المشّبه به "الصندوق" في استعارة تصريحية جميلة.

ب- **الاستعارة المكنّية:** وهي عندما يذكر لفظ المشّبه فقط ويحذف المشّبه به وأشير إليه بذكر لازمة من لوازمه، تكون استعارة مكنية، وهي كثيرة في الشّعرالبدويّاللّيبّي، ومثل ذلك قول الشَّاعر عبد الباسط غنية [*] يصف مكانة المرأة كأم وأخت وزوجة[٢]:

عَزِيزَه لْوفضِين لَكْيَاسْ خَلُوجَه وَبكُمه عَ الْغيَّابْ[٣].

حَنُونَه وَاجَدْ لِينْ خَلاَصْ حَنَانْ الّدنيا هَا ذَابْ[٤].

يصف المرأة اللّيبّية البدوية بالعزّة والشموخ في حالة الغنى كما هي في حالة الفقر، وهي حنونة لا تنام اللّيل في حال غياب أحد أفرادالأسرة، وهي كالّناقة الخلوج الّتي فقدت صغيرها، ومع كلّ ما يحدث لها فهي لا تتكلّم ولا تثرثر، وكأّن كلّ حنان وعطف الّدنيا ذاب وانصهر فيها.

والشاهد في البيت تشبيهالشَّاعرللمرأة ، وهي ترتقب في قلق عودة أحد أفراد أسرتها، بالناقة الّتي فقدت صغيرها، وحذف المشّبه به"الّناقة" وجاء بأحد لوازمه وهو "خلوج" في استعارة مكنية جميلة.

---

(١)حصله، تحصل عليه وحافظ عليه من التلف.تشدّه: تنشره.

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٢) القصائد العشر الاوائلالدّورةالثّانية، اللجنة العليا لمهرجان الشّعر الشعبي، ص٦٧.

(٣) فضين لكياس: خليت الأكياس من النقود، كناية عن الفقر.

(٤) واجد: من الكثرة وهي قريبة من المعنى الأصلي لها وهو : الغنيالّذي لا يفتقر،انظراللّسان مادّة "وجد"؛ خلاص: خلاصة الأمر ومنتهاه.

ثم استعار لفظ الحنان للدنيا وكأنّ الدّنيا إنسان يشعر ويقلق ويحنّ ويعطف، وحذف الإنسان في المشّبه به، وذكر أحد لوازمه وهو "الحنان" في صورة جميلة على سبيل الاستعارة المكنية.

ويقول في مثل هذه الاستعارة أيضاً الشّاعر عبدالله الصغير الرجباني(*)(١):

نَبذُ ـــ وا مِنَ الْمـــــالَ كُثْـــــرَه فَ ـــــادَهُم لاَ فَ ـــــــدَاهُـــم(٢).

فَ ـــــــدَاهُـــم(٢).

يَّـــــــامْ تْمـــــرَضْ وتبـــــرا والصَّبـــــــــرْ هُـــــوَّ نَواهُـــم(٣).

نَواهُـــم(٣).

صوّر الشّاعر حال السلف وتحصّدلهم على الأموال الكثيرة الطائلة فلم تردّ عنهم الموت والهلاك، والأّيام تأتي بالحزن والفرح، والحياة والموت، فشّبه الشّاعر الأّيام "بالإنسان" الّذيمرض ويشفى وحذف المشّبه به وذكر أحد لوازمه وهو المرض والشفاء في استعارة مكنية جميلة أضفت على الأّيام روحاً جديدة فهي تفرح وتحزن وتشقى وتسعد.

وفي مثل هذا يقول الشّاعر الفلسطينيعطا الله أبو زناد (*) في قصيدة باللون البدوّياللّيبّي يأخذه فيها الحنين إلى مدينة القدس وأهلها(٤):

نِ جيكُمولَ ـــــوْ ـــــانْ الطَّ ـــــ رِيقْ بَعِيـــــدَه وْقَ ـــاتْ فِـــي قُـــ ـرْبَ الأْحَبـــابْ سَـعِيدَه

***

وقَ ـــــــــــــــ اتْ يَـــــا سْـــــعْدَهَا لَيـــا وَاعَـــدَاتَكْ جِـــ تْ فِـــي مَوْعَـــدْهَا(٥)

(*) عبد الله الصغير الرجباني، من قبيلة البراهمة من الرجبان، هاجر إلى تونس إبّان الاحتلال الإيطالي لليبيا، قال هذه الأبيات بتونس يشتكي الغربة والذل، ولم تعرف لهقصائد كثيرة ولم نعثر له عن تاريخ ميلاد أو وفاة إلاّ أنه عاش أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، انظر تغاريد في الغربة، ص٣١.

(١) تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر، ص٣٢.

(٢) كسبوا: اكتسبوا وتحصلوا ونالوا كميات كبيرة من الأموال، لافادهم: لم ينالوا منه فائدة، فداهم: لم يكن لهم فدية من الموت والهلاك.

(٣) ليّام: الأيّام .

(*) عطا الله أبو زناد:ابن بيت المقدس فلسطيني يعمل مدرساً بمنطقة الرجبان، يقرض الشّعر بكلّ اللهجات العربيّة الّتي زارها واشتغل بها، وكما قرض الشّعر العربيّ الفصيح، انظر تغاريد في الغربة، ص١٣٢ .

(٤) تغاريد في الغربة، أبو بكر صقر ص١٣٢.

نَوْعَـــــــــــــــــــــــــــــــدْهَا[1]

نَـــزْرَعْ أَحْلاَمِـــي وفِـــي الْمَســـاء نُحْصَـــدْهَا دِيمِـــا تَحَاصَـــرَهَا الْهُمُـــومْ وَحِيـــدَه[2]

يتمنّى الشّاعر الفلسطيني في هذه القصيدة الزجلّية أن يعود إلى وطنه السّليب وإن كانت الطريق بعيدة وشاقة، تحفّها المخاطر، ودافعه إلى ذلك قرب أهله وأقاربه وأحبابه بحثاً عن السعادة معهم، فتلك الأوقات أكثر سعادة وأقصى ما يتمّناه، فالأّيام إذا واعدت الإنسان جاءت في وقتها، ولكن كلّ هذه الوعود وتحقيقها يرسمها الشّاعر في أحلامه، وعند الحصاد لم يسعد بما تمّناه، وتعود الهموم تحاصره من جديد.

فكلّ من الشطرات الثلاث الأخيرة اعتمد فيها الشّاعر على همومه عن طريق الاستعارة المكنية حيث شّبه الأّيام بالإنسان وحذف المشّبه به وجاء بأحد لوازمه وهي "أعطاء الوعود" ثم "زرع الأحلام وحصادها" ، حيث شّبه الأحلام بالحبوب، وحذف المشّبه به وجاء بأحد لوازمه وهو "الزّرع والحصاد"، وجاء أيضاً بالشطر الأخير تشبيه الهموم بالجيوش وحذف المشّبه به "الجيش" وجاء بأحد لوازمه وهي "المحاصرة" وهذا جمال الاستعارة المكنية وما أضفته من صور جميلة على هذه الأبيات في شيء من الاختصار والاقتصاد في الكلام وفتح أبواب كثيرة أمام السامع ليذهب إلى ما هو أبعد من المعنى الحقيقي للمفردة.

ثالثاً:المجـــــاز:

هو ما أريدبه غير المعنى الموضوع له في أصل اللّغة ويتجاوزه إلى معنى آخر،وكلّ من المجاز العقلي والمرسل يؤدّيان المعنى المقصود بإيجاز، وظهور المهارة في تخّير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي بحيث يكون المجاز مصّوراً للمعنى المقصود خير تصوير.

(١) لوقات: جمع الوقت : أيّ الاوقات ، جت : جاءت .
(٢) ديما :دائماً .

أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلّي لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعله رائعا خلاّباً، فإطلاق الكلّ على الجزء مبالغة ومثله العكس كقول الشّاعر حسين محمد الحلاّفي(*)(١):

عَـامِرْ ابَنلاَسَـه يَـا تَـرَى وانْعَـــامَه وِالاّ ـــلاَ مِـــنْهُ مْ ومِـــنْ خِلْفَاتَـــه(٢)

وَيلَمـــا سَـــبِيَبه جَـــايَرفْ عَلاَمَـــه وِيـــنْ مَـــا العَّـــادِى زَامِفِـــي تَوْلاَتَـــه(٣)

يتساءل الشّاعر عن حال الدّيارالّتي تركها منذ زمن، هل هي معمورة بأهلها وأنعامها من إبل وأغنام وخيول؟ أم هي خاوية على عروشها لاشية فيها؟ ثم يتذكّر الأّيام الخوالي عندما كانت الخيول تحمل الرايات ترفرف عالية تعانق عنان السماء كلّ ما حصل خطر على الدّيار والأهل، ويسمع الجميع صوت الطبول المدّوية تعلن عن وجود ما يهدّد البلاد والعباد.

والشّاهد في البيت الأّول؛ حيث يشير الشّاعر إلى الوطن باسم الفاعل "عامر" بدلاً من اسم المفعول "معمور" وهذا المجاز العقلي علامته "المفعولية".

كما يوجد بالبيت الثّاني مجاز مرسل في قول الشّاعر:"سبيب" في إشارة إلى الخيول، والسبيب هو جزء من الجواد؛ وأطلق الجزء على الكل، فالمجاز المرسل هنا علاقته "الجزئية".

وفي الوقت نفسه لايراد بالخيول وحدها بل بالتي جاءت ترفع الرايات، يريد من هم على ظهور الخيول في صورة مجازية مرسلة علاقتها "الآلية". ويقول الشّاعر بورويله المعداني(*)(٤):

(*) تم التعريف بالشاعر.

(١) قصائد الجهاد الجزءالثّاني، ط ٢ ، ص٣٣.

(٢) خلا: خلا المكان والشيء يخلو خلوّ أو خلاءً: إذا لم يكن لديه أحد ولا شيء فيه،انظراللّسان مادّة "خلا"، خلفات: الخلفة بفتح الخاء وكسر اللاّم: الحامل من النوق وهو ما يقصده الشّاعر، انظر لسان العرب مادّة "خلف" .

(٣) ياما: تستعمل للكثرة بمعنى: بأكثر ما، جا: جاء، يرف: ترفرف، اعلامه: راياته ، وين ما: عندما، الصاوي: الطبل نسبة إلى صوته إذا خف وتردد صداه، زام: الصوت الشديد، يقولاللّسان في مادّة "زيم": الزأمه: الصوت الشديد، وما سمعت له زأمة أيّ صوتاً،نزلاته: النزلة هي المكانالّذي ينزل به القوم يسمى نزلة .

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٤) الشّعر الشعبي/ د.علي برهانة ص١٩٨.

أيَّسَتْ مِنوكلالّربيع ٰطَيَّبْ كِيفْ مِنْ رَقَدْ دَارُوا عَزَاْوطَارَه[١].

فالشّاعر فقد الأمل من عودته إلى البادية والتنقّل بين الحقول والمراعي لترعى إبلهوأنعامه بفصل الرّبيع المزهر، ويصف حالته تلك – وهو قابع بالمدينة – بالإنسان الّذي توفاه الله وانتهوا من مراسم دفنه.أشارالشّاعر في هذا البيت إلى أكل الرّبيع والحقيقة الأكل يكون للأعشاب الّتي تزهر لا أكل الرّبيع نفسه، في صورة مجازّية وما يعرف بالمجاز العقلي وعلاقته "زمانية".

والمجاز في الشّطر الثّاني حيث أطلق الشّاعر لفظ "رقد"بدلاً من "مات" فأسند الفعل إلى غير ما هو له في الأصل لعلاقة بينهما. ويقول الشّاعر رحومه بن مصطفى[*] في وصف معركة[٢]:

ـِ دِي فِيْهيسِيلْ مَوازِيبْ الدَّمْ اْ قولْ شَرَابْ اْو نَاي[٣].

نَاي[٣].

وبِدْيِن هَاذُومْمَقَ ـِ ـِ ـِ ـِ يبْ عَرَاجِينْ رَمَاهُمْ رَقَّ ـِ ـِ ايْ[٤].

قَّ ـِ ـِ ايْ[٤].

وصف الشّاعر نزيف الدم من جراح الأعداء كالماء المنهمر أو سيلان مياه الأمطار بالسواتر حول الخباء (الوني)الّتي تمنع دخول المياه إليه ، وشّبه الأعداء الّذين سقطوا خلال المعركة بثمارالّنخيلالّتي قُطِعَتْ بواسطة رجل صعد أعلى النخلة بآلته الحادّة.

---

(١) ايسّت: من اليأس، وكل: أكل، كيف: اداة تشبيه، رقد:بمعنى مات مجازاً، داروا عزاه: انتهوا من مراسم التعازي، طاره: الضرب الضرب على الطبل وندب الميت بواسطة الدُّف، يقولاللّسان في مادّة "أطر" والإطار إطار الدُّف.

(*) رحومة بن مصطفى شاعر من كبار الشّعراءالّذين عاشوا النصف الأوّلمن القرن العشرين، ينتسب إلى قبيلة ورفلّة عاش بمنطقة سرت وشارك في الكثير من المهرجانات والمحاورات الشعرية.انظر ديوان الشّعر الشعبي ج١ لجنة جمع التّراث ص٢٥٧ .

(٢) ديوان الشّعر الشعبي لجنة جمع التّراث، ص٢٥٧.

(٣) بدى: ابتداء، موازيب: جمع مأزب، تقول: اداة تشبيه بمعنى كأنه أو "الكاف"، ونّأى: يطلق العامة على تحويل مجرى الماء حول حول الخيمة أو الخباء "بالوني"،حتّى لا يدخل الماء الخباء، يقولاللّسان: هو ماء المطر المنهمر باطراف الخباء فيحفر له نؤيا مطيفا به يصرف عنه ماء المطر.

(٤) هذوم: هؤلاء: مقاليب: قلبوا على وجوههم، عراجين: شماريخ، رماهم: قذف بهم .

فأشار الشّاعر إلى "الموازيب" الّتي تسيل بها المياه المنهمرة حيث شبّه بها الدم، والمأزب لا تسيل به الماء، فهي محل جريانه في صورة على سبيل المجاز المرسل علاقته "الآليّة" . ويقول الشّاعر عبد المطلب الجماعي(*) في الإبل(١):

ـن مَـا لَفَـتْ خَلّتْ ـابيبُ وتْ مَلاَيَـا يـر شَـرْهَلْهَ ا وِيـنْ يَلْفُـوا بيهَ ـا(٢)

وكَـانْ رَوّحُـوا بَهـا اللّـي فَلاَيَـا يـرْوى حَـلْ والجَّـأْ رَاللّـي يجِيهَ ـا(٣)

يجِيهَ ـــــــــــــــــــــــــــــــا(٣)

أيّ عندما أقبلت الإبل إلى الدّيار من مراعيها، ذهب الجوع والعطش إلى غير رجعة في عبارة "يطير الشر" بقدومها على سبيل الاستعارة حيث يرتوي النّجع والجيران بمجرّد عودة الإبل من الصّحراء والفلاة.

والشاهد هو قول الشّاعر بأن يرتوي المحلّ، والمحلّ هو الموضع الّذي يحلّ به القوم، وفي الحقيقة الّذي يرتوى من اللّبن هم أهل المحلّ لا المحل نفسه مجازاً مرسلاً، وعلاقته "محلّية". ويقول الشّاعر محمد عثمان القذافي(*)(٤):

لِيـكْ وَقَـتْ مَـا عَـاشْ عَوْفَـا نَصَّـه عقُـولَ الْعَـرَبْ صَـارَتْ لهُـمْ حُوحَايـه(٥)

حُوحَايـــــــــــــــــــــــــــــــه(٥)

ـدِى الْقَـعْ وَالتَّذْبِيـتْ عِنْـدَ القُصَّـه لاّ الـنّقَنْ مَـا عَـادَشْ عَلِيـهْ عَبَايـه(٦)

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) ديوان الشّعر الشعبي الجزء الأوّل، ص٤٠.

(٢) وين: عندما، لفت: اقبلت "خلّت: تركت، ملايا: ملآنة، يطير شر هلها: يذهب جوعهم وعطشهم إلى غير رجعة عند قدوم الإبل الإبل من المراعي.

(٣)فلاّيا: ترعى بالفلاة، والفلاة المفازة والأرض الواسعة، انظر اللّسان مادّة "فلا"

(*) محمد عثمان القذافي، شاعر مجيد من سكان المنطقة الوسطى، عاش أوائل القرن العشرين، انظر الشّعر الشعبي، على برهانة ص٢١٩.

(٤) الشّعر الشعبي، على برهانة ص٢١٩.

(٥) ليك وقت: اسلوب تعجب بمعنى ياله من وقت، ما عادش: أداة نفي، نصّه: ملامحه، حوحاية: تشويش.

(٦) القلع: العزل، والتثبيت عكس العزل، القُصّة: خصلة من شعر المرأة كناية عنها، الذقن: كناية عن الرّجل، عبايه: لا يعبأ به في عمل ولا في أخذ مشورة.

فالشّاعر يتعجّب من الدّنيا والناس في هذا العصر، مستعملاً لفظة"العرب"قاصداً بها ربعه وقبيلته وأهله على سبيل المجاز المرسل، وعلاقته الخصوصية،لأنّه خصّ قبيلته وتكون كلّية لأنه أطلق لفظ "عرب" على قبيلته أيّ الكلّ علىالجزء.

ويزداد تعجّب الشّاعر في البيت الثّاني على هذا الزمن الّذي أصبح فيه الأمر للنساء اللاّئي كنّى عنهنّ بـ "القُصَّة" وهو جزء من شعر الرأس، على سبيل المجاز وعلاقته "الجزئية" وكنّى عن الرجال بـ "الذقن" وهو شعر اللحى على سبيل المجاز وعلاقته "الجزئية" أيضاً.

فالمجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

أمّا المجاز المركّب أو ما يعرف بالاستعارة التّمثيلّية فإنه يكثر في الشّعرالبدويّاللّيبّي ولا تخلو مطولة قديمة منه ، إذ يوجد في عدد من أبياتها ما يتردد على الألسن وتتناقله الأجيال، وأصبح مضرب أمثال للجميع كلما دعت الحاجة. وتكثر هذه الأبيات مثلاً في قصيدة الشّاعرامحمد قنانة(*)الّتي مطلعها(١):

تَرَكْنَاْهحبَّ الْوطْتِمْشُوا مِنَّه ... لاَ مَالْ لاَ هُو فَرضْ لاَ هُو سنَّة

تكثر بهذه القصيدة الحكم والأمثال، ومن بين هذه الأبيات البيت الّذي تطرقنا له فيمكان آخر من هذا المبحث:

سِرّك لَيا ما حصّلَه صَدوقك ... لِيه ما تلُوم النّاس كَان اتْشَنّه(٢)

اتْشَنّه(٢)

وقوله:

وإنْ لَهُّوكْ الّدين مَا تِذَّبْ ... راهُو عَقَابَ الّدين يْبقَى غُّه(١)

غُّه(١)

(*) تم التعريف بالشّاعر.
(١) ديوان الشّعر الشعبي، لجنة جمع التّراث ص٢٣..
(٢) استشهد بهذا البيت في مكان اخر، ص

مهما أغروك بالتداين فآخر الديون يؤدّي إلى ما هو أسوأ.

وقوله في مكان أخر:

وَالْقِلْ يَغْبِي زُولْ كَانْ اسَمَّى وَالْمالْ يَشْهَرْ نَاسْ مَا هُمْ سَادْه[٢]

فقلّة المال تضع من مكانة السادة وكثرة المال ترفع من مكانة الوضيع ورعاع القوم، وقوله أيضاً :

كَثِيرْ الدَّرَاهْمْ وَالْعَمْشْ فِي اعْيُونَهْ يشُوفُوهْ كأَنَّه غَزَالْ حَمَادْه[٣]

وكثر الدراهم والأموال تترك من قبيح المنظر، أعمش العينين ، شبيه الغزال في نظر الآخرين.

فالمجاز المركب نوع من الاختصار الّذي تميل إليه البادية والعرب عموماً، لهذا لا تخلو قصيدة إلاّ ويجتهد الشّاعر في ترك بصمة من تجاربه في صورة جميلة أو حكمة أو مثل.

رابعاً: الكناية:

هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وتدعو الحاجة إليها للهروب من بعض المعاني حيث يفرّ الأدباء من التصريح بها لما قد يكون فيها ممّا تأباه الأسماع ، وتمجّه أذواق ذوى الفطرة السليمة، وبما يحسن موقعه من الكلام، فيضطرّون إلى ستر تلك المعاني وإخفائها بستر صريح اللّفظ الّذي يدلّ عليها وإخفائه حتّى لا يقعوا في العيب بذكره واظهاره، ثم يبعدون عن تلك المعاني بألفاظ أخر، يعبر بها عن

---

(١) لهموك: من الإغراء بالتديّن، راهو، أسلوب تحذير من مستقبل الديون، عقاب الدّين: آخر التداين، غذّه: كثر في الكلام وزيادة المشاكل.

(٢) القل: الفقر والحاجة، يغبي: غبا الشيء، وغبا عنه وغباه، لم يفطن له، زول: رجل، امسمّى: له اسمه ومكانته، يشهر: يزداد شهرة ومكانة، ماهم: ما نافية بمعنى ليسوا.

(٣) يشوفوه: يظهر أمام أعينهم كأنّه غزال.

معـان أخـر، ولكن لتلك المعاني الجديدة صلة ولزوم بالمعاني الأصلّية، وبإدراكها يمكن التوصّل إلى المعاني الحقيقية الّتي هي غاية الكلام[١].

فالشّاعر الرويعي صالح الرويعي[*] [٢]:

لُـــولاَتْ مِـــنْ دُوسَ الضِّـــيـُوفْ اكْلاَبـــه وِكْلَـــنْ امَّاسَـــه مِ الْسَـــنْ أُوكَـــالْ[٣]

أُوكَـــــــــــــــــــــــــــالْ[٣]

تطلق البادية على جبان الكلب بالكريم لتعّودها على كثر الّناس وهذا دليل على كرم صاحب البيت، كّنى عن الكرم بقوله كلابه يعتريها الذل، وكّنى عن الكرم أيضاً بالشطر الثّاني، بتآكل المدياتبفعل المسّنالّذي تشحذ به السكاكين، وكثرة شحذها دليل على كثرة استعمالها في الذبح وتقطيع اللحم ، ويترتّب على ذلك كرم الممدوح بطبيعة الحال.

ويقول عبد الباسط غنّية [*] في مثل هذا[٤]:

مَنَاصُـــــبْهـُمْ دُوْمَفَاجِيـــــــــــــم طَـــابُخْهـُمْ مِـــنْ الْغُـــنْج سُـــوادْ[٥]

حَطْبهـــــــــمْ كـــلّ يـُـوْمَحَـــازِيْم يجـــي مَـــا يَصْـــبَحْ غِيـــرْ اْرَمـــادْ[٦]

يفتخر ويمدح الشّاعر سادة قبيلته بالكرم فيصف شّدة سواد أثافيهم ومواقع الطهي وذلك بسبب كثرة طهي الطّعام، وكلّ ما يأتون به من حطب لا يأتي عليه الصباحإلاّ ويكون رماداً، مما يدلّ دلالة واضحة على كرم قبيلته وكثرة تردد الضيوف عليها.

---

(١) أنظرالتعبير البياني، د.شفيع السيد، ص١١٤.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٢) القصائد العشر الأوائل في دورته الأولى، ص٥٤.

(٣) ذلول: جبان، وكلن:أكلّ الشيء واتكلّ وتآكلّ أيّكُلّ بعضه بعضاً،انظراللّسان مادة "اكل"، الموس: من آلة الحديد، والموّس: في الأساس اسم المُوسىالّذي يحلق به فاستعملت للمدية والسكين، المسن: المسنُّ والسنانُ الحجرالّذي تسنّ به أو يسّن عليه،انظراللّسان مادّة "سنن".

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٤) القصائد العشرة الأوائل في دورتهالثّانية، ص٣٥.

(٥) المناصب: من النصب وهي حجارة تضع عليها القدورلطهيالطّعام: وهي الأثافي، أو لنصب شيء من حديد ينصب ينصب عليه القدور، انظراللّسان، مادّة (نصب)، الغنج: شدة سواد الدخّان بالقدور.

(٦) محازيم: الحزم من الحطب والحزمة: ما حزُم، يجي: يؤتى به.

ذكر الشّاعر في البيت الأوّل شدّة سواد الأثافي والمطابخ كناية عن الكرم، وفي البيت الثّاني توجد كناية "كثرة الحطب بكثرة الرماد" عن الكرم أيضاً .

وتكثر مثل هذه الكنايات في الشّعرالبدويّاللّيبيّ وبما أننا في هذا الصدد لابدأن نشير إلى بيتي أغنية الرّحى[1]:

مَـــا يْحَلـــوا غِيـــرْ بالطَّـــبـــلْ وَمَايـ ـــــذبحوا كَـــــانْ حَايـــــلْ.

وَمَـــا يْتَزَلُـــوا غِيـــرْ فِـــي الجُـــودْ دَلِيلْ أُمهَ ـــــــاتْ الشَّـــــــوَايلْ[2]

تقول الشطرة الأولى من أغنية الرّحى بأنّ أهلها لا يرتحلون إلاّ بقرع الطبولحتّى يعلم كلّالنّاس بوجوب الرحيل، وهنا الأغنية لا تمدح الطّبل أو الرحيل في حدّ ذاته بل تريد معنى آخر، وهو المقصود على سبيل الكناية وهي كثرة عدد أفراد قبيلتها وأقاربها، وتمتدحأهلهابأنّهم لا يذبحونمن النوق سوى الحائل وهي النّاقةالّتيلا ترضع، وفي ذلك دليل على أنّها سمينة ،كثيرة اللّحم والشّحم، وهنا كناية عن الكرم أيضاً .

وتشير في الشّطر الأوّل من البيتالثّاني إلى نزول ربعها أماكن الجود والمرعى الخصب والماء الوفير، ومثل هذه الأماكن تكون مواطن نزاع في الغالب بين الأقوياء لوفرة الخير بها، وبما أنّهم لا ينزلون سواها فهي كناية عن الشجاعة أيضاً .

وهكذا هو الشّعرالبدويّاللّيبيّ مثله مثل الشّعرالعربيّ الفصيح ولا أبالغ أن قلت قد يتفوّق عليه في بعض المواطن والصّور.

خامساً: الرّمز:

مرّت فترات عصيبة على الشّعباللّيبيّ نتيجة الاحتلال المتكرّر من الرومان إلى الإغريق إلى الحكم التركي وما تعرّض له الشّعب من تنكيل وإبادة قبائل بالكامل،ثّم جاء الاحتلال الإيطالي وهروب البدو إلى معلّمهم وملهمهم الأوّل وهي تلك الصّحاردالشّاسعة،

(١) حضور المرأةاللّيبيّة في المأثور الشعبي، أحمد النوبري ص٧٧.
(٢) الجود: الأرض كثيرة المياه والعشب، أمّهات الشوايل: الإبل.

وكثرة الهجرات المتكّر رة إلى خارج الحدود، ممّا رسّخ لدى الشّعرالبدوّياللّيبّي نوعاً من الرمزية هروباً وخوفاً من سطوة المستعمر وأعوانه من العرب والمسلمين، وإن كان الرمز في الشّعرالبدوّياللّيبّي لا يجنح إلى الخيال والمستحيل، ولم يستدع تلك الشخوص الدّينّية القديمة، ولكن الر مز بسيط بساطة البدو، يميل إلى الإيماءوالإشارة لا التصريح خوف البطش كما سبق ذكره . وهناك أمر آخر يمنع اللّيبيين التصريح ببعض الألفاظ هروباً من التشاؤم وحبهم للتفاؤل، كقولهم للفحم والجمر الطافي "بياض". وقولهم لإناء طهي الشاي بـ"البّراد" عكس عمله الأصلي هروباً من الحّر وتفاؤلاً بالبرد، لأنّ الصّحراء شديدة الحرارة وقاسية، ويطلقون على النّار "العافية" ويطلقون على مريض الجدري بـ "السليم" وعلى الملسوع "سليم" أيضاً كما يطلقون على الكفيف " البصير" وقولهم لغلق الأبواب "إصلاح الباب" وهكذا يكون الحال على كلّ لفظة لا يريدونها أو يتشاءمون منها يأتون بعكسها وما تتمشى مع ما يحبون سماعهتفاؤلاً .

يقول الشَّاعرأحمدبن دلّه(*) عقب دخول الإيطاليين إلى ليبيا وخروج الأتراك ، في ردّ على سؤال من الشَّاعر خليفة الكردي(*) في بيت شعر(١):

أيشْ جِبتْ وِيشْ رَفَعتْ يَابِنْ دَلَّهْ تْمَسى صَحِيحْ تَصْبَحْ مَرِيضْ بْطِلَّهْ(٢)

بْطِلَّهْ(٢)

والسؤال هنا يرمز إلى القادم من الغرب وهو الاستعمار الإيطالي، والخارج من البلاد وهم الأتراك، أيّ ماذا أخذت في تجارتك وبماذا أتيت من بضاعة؟فأجابالشَّاعرأحمدبن دلّه في قصيدة زجلّية جميلة استهلّها بالمطلع:

(*) تم التعريف بالشّاعر.
(*) تم التعريف بالشاعر.
(١) صدى الجهاداللّيبيّ، محمد القشاط، ص٢١٠.
(٢) ايش: ماذا، جبت: جلبت.

رَفْغَنَا بضَاعَةْ عَطْرشَه وَقْمَارِي وَجْبَنَا بِضَاعَةْ لَفَتْ وَسْفَّارِي[1]

***

رَفْغَنَا بِضَاعَه حُرَّه سوا تبيعَها فِي السُّوقْ وإلاّ بَرَّا[2]

وجِبْنَا بِضَاعَه مُرَّهَا مَا مَرَّه تَرَبّح البايْع ولاَ اللَّي شَارِي.

لَيا جَاكَ تَظْمِي مَا تْبِيحْ اسَرَّه إيَّاكْ تُعَرَضْ نسِمْتَه لِلْوَارِي.

أشارالشَّاعر في مطلع قصيدته إلى أنّه خرج من بلاده خلال تجارته ببضاعة ثمينة ذات رائحة زكّية عطرة وذكر بعضاً من أنواع الأبخرة في إشارة رمزية إلى الأتراك وحكم الخلافة، وجاء ببضاعة لا تُغْني ولا تسمن من جوع وأشار إلى اللّفت والجزر، والبدو لا يفضّلون الخضروات والمتاجرة بها لطول المسافات إلى ديار البدو بالصحاري وفسادها بسرعة، في إشارة إلى الاستعمار الإيطالي القادم الجديد.

ثّم يُفصّل بالمقطع الأوّل حول البضاعة الّتي خرج بها من الّديار كانت بضاعة حرّة مرغوبة لدى الجميع وسوقها رائجة داخل الأسواق وخارجها، في إشارة رمزّية إلى الحكم العثماني، وأتى ببضاعة مرّة كالحنطل لا ربح من ورائها، في رمز إلى الاستعمار القادم، ويشير الشَّاعر بآخر المقطع محذراً صديقه الشَّاعر خليفة الكردي بعدم البوح بهذه الأسرار الّتي وردت بنظمه هذا الّذي شّبهه بالرائحة الّتي يفسدها تعرّضها للهواء بالخارجحتّى لا ينكشف أمره للأعداء وأعوانهم، في صورة رمزّية جميلة وبسيطة في آن واحد[3].

ويقول الشَّاعرأحمد بن دلّه[*] في إعدام المجاهد خليفة بن عسكر[*][4]:

---

(١) عطرشه، اقماري: انواع من الابخرة تستعملها البادية، سفنارى: جزر.

(٢) برا: خارج السوق.

(٣) الأدب الشعبي، محمد سعيد القشاط، ص٧٢.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(*) خليفة بن عسكر رجل من رجالات طرابلس الّذين برزوا في الحرب الطرابلسيّة الايطاليّة، وهو من بلدة نالوت ومن وجوه البلد وأعيانهم، قُبِضَ عليه وقدّم إلى المشنقة،وقتل شنقاً في يونيو سنة ١٩٢٢م، انظر أعلام ليبيا، تأليف الطاهر الزاوي، دار المدار الاسلامي، ط٢، ٢٠٠٤، ص١٤٩.

(٤) زرارة: أعلى موقع بالجبل، جاء من أعلى خشبة بالخباء.

غُرابيِنْ صَادُوا صَقْر فُوقْ زَرَارَه وَضْبٍ وُهْبِينَ الْقَلَبْ والْمُرَارَهْ

حيث قام الغرابان بضرب الصّقر وطعناه بمخلبيهما طعنة قاتلة ، وقعت بين قلبهوالكبد موضع المرارة، في إشارة رمزّية إلى الاستعمار الإيطاليوأعوانه من الداخل بالغرابين، ورمز إلى الشهيد الّذي أخذ إلى المشنقة بالصقر لشجاعته وعدم استسلامه أمام جحافل الغزاة.

وهناقصد الشّاعر عدم ذكر اسمالإيطالّيين وأعوانهم واسم البطل خليفة بن عسكرحتّى لا ينكشف أمره، لهذا لجأ إلى الرمزّية خوف البطش.ويقول الشّاعر في قصيدة أخرى يرمز فيها إلى الاستعمار النصراني[1]:

الْمِيْمَ وادْره مِنْ كَافَ هَتَ تْبَرَّى والدَّالْ ذابِتْ رَيْنَا اْيَصَبَّرْهَا[2]

وَالسِّيْنْ سَابَتْ مِنْ تَبَاعْ الْجُرَّه غَبَاه الصِّدَى مَهْمَاشْ مِنْ يُشْهَرْهَا[3]

[3]

وَهَالْوقَتْ رَبِي ايفكَّا مِنْ شَرّه لاَ تَقَدّر حَضَرْتَكْ تَحْضَرْهَا[4]

حيث رمز الشّاعرإلى المسلمينبأول حرف منه وهو "الميم" والهلاك الّذي لحقه من الكفر والكفّار، الّذي رمز له بأول حرف منه وهو "الكاف"، وفي ظلّ هذه المشاحنات وسيطرة الكفر ضاع الدّين وذاب ذوبان الثلج الّذي رمز إليه بأول حرف منه وهو "الدّال"، وخنوع الإسلام ترك من السّيفالّذي هو رمز الجهاد والدفاع عن الدّينأكله الصدى، حيث رمز للسيف بأول حرف منه وهو "السين".

وكلّ هذه الرمزّية تطلبتها الظّروف السائدة آنذاك ، خوف الاعتقال والنفي والقتل المنتشرة فيكلّ ربوع البلاد.

---

(١) صدى الجهاد، محمد سعيد القشاط، ص٢٤٨.

(٢) وادرة: ودر الرّجلأوقعه في مهلكة، تبرّى: برئ.

(٣) سابت: تُركت، تَبَاع الجّرّة: تقفى الأثر، غباها: غبا الشيء وغبا عنه وغباه: لم يفطن له، الصدى: صدئ الحديد: علاه علاه الطبع والوسخ.

(٤) الله لا تقدر: دعاء على المخاطب بعدم حضوره تلك الايام.

وكثر هذا النوع من الرمزيّة خلال فترات متقاربة حيناً ومتباعدة حيناً آخر، وكان سائدًا خلال فترة الحكم التركي ثّم ازدهر فترة الاحتلال الإيطالي، واستمّر بالظهور كلّما دعت إليه الحاجة نتيجة خوف سطوة الحكم الظالم، أو عدم حّبه لذكر أمر ما بعينه يلجأ الشّاعر إلى الاحتماء بالرمزيّة.

أردت بهذا المبحث أن أوضح الصّورة بأنواعها في شيء من الإيجاز في الشّعرالبدويّاللّيبّي وقدرة الشّاعر على رسم صورة جميلة مقنعة لا تقلّ جمالاً وبلاغة في إيجازها وتراكيبها ومعانيها عن الشّعرالعربّي الفصيح، ومن خلالها ندخل إلى الصّورة المشتركة بين الشّعرالبدويّاللّيبّي والشعر العربّيالقديم، ويُعدُّ هذا المبحث مدخلاً إلى المبحث التالي الّذي يظهر فيه بوضوح مدى تطابق الصّورة في الشّعرالبدويّاللّيبّي والشعر العربّي القديم.

المبحث الثّاني: التشّابه في الصّورة بين الشّعرالعربّي الفصيح الشّعرالبدويّاللّيبّي

لا يختلف الشّاعرالبدويّاللّيبّي عن الشّاعرالعربّي القديم من خلال الصّورة الشعرّية، فكلاهما يستقي صوره من مدرسته الأولى وهي الطبيعة الّتي تعامل معها وعرفها، فهي مصدر فرحه وترحه، فبنزول الغيث يفرح البدويّ بعد أن انتظره طويلا، ويتأّمل السحب وتكاثفها والبرق الّذي يتخلّلها والرعد ودويّه الأجش، وتحزنهقلّة الغيث وشّح المياه، وتفرحه كثرة الكلأ والماء، وتحزنه قلّتهما، يفرحه الصّيد وكثرة الغزلان والنعام والحباريوالأرانب،

وتخيفه حيواناتها المفترسة الّتي تفترس أنعامه وقد تؤذي الانسان نفسه ويخاف زواحفها، يتعامل مع ليلها المخيف وحرّها وبردها، ويأنس إلى نجومها، فهو يجد في كلّ هذا مبتغاه يستقي منها صوره وتشبيهاته.

فالشّاعر البدوّياللّيبّي لا يختلف عن أجداده رغم ما يفصله عنهم من زمن، والاختلاف الوحيد هو اختلاف الألسن، فاللغة ليست هي اللّغة من الناحية الإعرابية فالبدو في ليبيا لا يعرفون رفع الفاعل ونصب المفعول، ولا رفع المبتدأ والخبر، ولكنّهم حافظوا على المعجم اللّغوي فأغلب المفردات في الشّعرالبدوّياللّيبّي لها أصل في اللّغة الأم، والصورة هي الصّورة، لأنّالشّاعرالبدوّياللّيبّي لم يتغّير عليه شيءً منذ قدوم أجداده من شبه الجزيرة العربّية إلى الصّحراء الكبرى وأودية شمال أفريقيا، فهو مثل أجداده يتنقل من مكان إلى آخر لطلب الكلأ ومصادر المياه الشحيحة تحت غطاء القبيلة وسيطرة شيخ قبيلته، والصحراء هي الصّحراء والأودية هي الأودية، والأشجار هي الأشجار من طلح وسدر، وشجيراتها من شيح وزعتر، وأعشابهامن أقاحي وخزامه، وحيواناتها البرّية من بقر وحش وغزلان وذئاب وضباع وغيرها، إلى طيورها من صقور وحبارى وقطا ونعام وحجل، وأيضاً لقاء الأحّبة على موارد المياه والتغزّل بالمحبوبة، لا يختلف عن العربّي بالجزيرة العربّية.

والقبائل اللّيبّية لم تعرف المدارس والجامعات والتعليم الحديث لعموم الليبيين إلاّ بعد منتصف القرن الماضي، فالشّاعر يعتمد على الذّاكرة في بناء قصائده ورواية قصائد الآخرين، وبالتالي يلتقي كلّ من الشّاعرالبدوّياللّيبّي والشّاعر العربّي القديم في أغلب أوجه الصّور الشعرّية،حتّى تكاد تكون واحدة في أكثرالأحيان، فالشّاعر ضو عبد الناصر الميلوسي(*) شاعر بدوى معاصر يصف معركة لم تقع مهدداً الغرب في أبيات من مطولته الزجلية(١):

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) القصائد العشر الأوائل مهرجان الشّعر الشعبي في دورته الأولى ص٤٤.

لاَزِلَـتْ نَـا هـــو نَـــــــــــا يَـا عْنَـانْ حَـوَّلْ خَبَــ ع َ الطُّغَـا[1]

يقول في أبيات منها:

ـارْ فِيــهْ جْهَ ـات الْقتَـال اشْـطَانْ مَقَـامَـاتْ بيــرْ امْقطْعَـاتْ رِشَـا[2]

رِشَـــــــــــــــــــــــــا[2]

فهو لا يختلف عن قول الشَّاعر عنترة بن شداد "ت ٨٢٥م –٦٠٨م" في بيت من أبيات معلقته[3]:

يَدْعُون عَنْتَرَة والرِّماحكأنّهـــا أشْـطأن بئــرٍ فــي لبــان الأدهــم

فكلّ منهما وصف المعركة مشبّهاً النبال والسهام والرصاص بأشطأن البئرالكثيرة، وأضاف الشَّاعرالبدويّاللّيبيّ حال الأعداء وهم يتساقطون على الأرض من فوق صهوات لشدة القتال كالدلاء الّتي قطعت حبالها، وهي ملأى، فيكون سقوطها وسرعة الجياد وقوعها بقاع البئر أشدّ، هكذا هو حال الأعداء، حيث أضاف صورة أخرى إلى الصّورةالّتي رسمها الشَّاعر الجاهلي.

وهذا الشَّاعر عبد الباسط غنية[*] يصف الجواد المسرع بالحجارة الكبيرة الّتي فصلت عن رأس الجبل نتيجة السيول الجارفة في بيت من مطّولته الزجلّية الّتي فاز بها بأحد المهرجانات والتي مطلعها[4]:

لْوادِي بـُو شَيـُوخْ فَاوِيرْ مَاضِيهْ شَهيرْ وبِاصْحَابِه فِي اخْيارْ الْخِيرْ

حيث يقول في وصف الجواد:

---

(١) نهار فيه: سيأتي اليومالّذي يكون فيه، اَشطان: اشطأن، بير: بئر.

(٢) المعلقات العشر للقاضي الإمام أبو عبدالله الحسين حمد الحسين الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م، ١٩٧٩م، ص٢٥٥.

(٣) من معلقة عنترة بن شدادالّتي مطلعها:

هل غادر الشّعراء من متردمِ أم هل عرفت الدار بعد توهّمِ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٤) القصائد العشر الأوائل لمهرجان الشّعر الشعبي، في دورتهالثّانية، اللجنة العليا للمهرجان، ٢٠٠٢.

أيحَذَّر كِي الْبارِقْ عَ النّار قُول جَبْلَه جَارَفْهَا سِيلْ[1].

وهو من قول الشّاعر الجاهلي امرئ القيس (٥٦٥م) في وصف الجواد[2]:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علِ[3]

حيث وصف كلاالشّاعرين الجواد بالحجارة الكبيرة الّتي جرفتها السيول من مرتفع إلاّ أن الشّاعرالبدويّ كثّف الصّور في بيئتة حيث كانت أكثر من صورة بالإضافة إلى صورة الحجارة الّتي شبّه بها جواده في السرعة، أضاف لها لفظ "الانحدار" الّتي تدلّ على شدّة سرعته ثم شبّه الجواد بالبرق في سرعته، فالبرق أكثر سرعة من الحجارة، وهو لا يكاد يتتّبع اتّجاهاته ودروبه، وأضاف وصف المعركة بالّنار في استعارة جميلة، ثم ربط أول البيت بآخره عندما ذكر الانحدار بأوله إلى جرف السّيول للحجارة، ويكثر هذا التشابه بين الشّعرالبدوّيواللاّيبّي والشعر العربّي القديم، ولكن ماشدّ انتباهي هو التشابه الكبير بين الشعرين في غرضي وصف المرأة ووصف الإبلذلك نحصر التشابه في الصّورة بين الشعرين البدوّيواللاّيبّي والعربي القديم في هذين الغرضين:

اولاً :صورة المرأة :

في كلّ من الشّعرالبدوّيواللاّيبّي والشعر العربّي القديم:المرأة تمثّل الغرض الأّوللهما، فالشّاعر البدوّيواللاّيبّيمتعطّشٍ إلى المرأة، فهو من مجتمع شرقي محافظ لا يسمح له بالاختلاط ولا الحديث مع المرأة إلاّ بقدر أو خلسة عن أعينالناظرين، بموارد المياه وجلب الحطب وبعض المناسبات الاجتماعيّة القليلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قلّة نسبة النساء إلى الرجال بالمجتمعات البدوية، لهذا يكثر تعلّق الشّاعرالبدوّيواللاّيبّي بالمرأة في قصص حبّ تذكرها قصائد كثيرة محفوظة، تتناقلها الألسن من جيل إلى جيل، تحمل صور جميلة عن

(١) يحدر: ينحدر بجواده إلى المعركة، كي : كالتّشبيه، البارق: البرق، النّار: المعركة، جبله: حجارة كبيرة مأخوذة من الجبل، جرف: من قول العرب جرف الطين كسحه أيّ ما جرفته السيول.

(٢) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفي ١٧٠هـ، دار المسيرة بيروت، طبعة جديدة منقحة ١٩٧٨م-١٣٩٨هـ، ص٤٤.

(٣) من معلقة امرئ القيس:

قفا نبكي من ذكر حبيب ومنزل بسقط اللّوَى بين الدخول فحومل

المرأة مشّبهاً إيّاها بكلّ ما هو جميل من مظاهر الطبيعة فالوجه كالبدر والشمس لعلّو منزلتها بين النّساء، والحاجب كالهلال، والخدّان كالبرق، والأسنان كالبرد والحليب والفضة، والشّعر كالليل، والجيد بالغزلان، والعيون بالصقر وبقر الوحش والغزلان والحبارى...إلخ، تكاد تكون هي نفس الصّورالّتي شبّه بها الشّاعرالعربّي القديم محبوبته.

ما يأتي دون الأحبّة من صحارى وأودية وجبال:

فهذا الشّاعر الهادي بوكارة(*) يأخذه الحنين إلى محبوبته في قصيدة زجلية يقول في مطلعها(١):

أجْبَلْ قَابَلْ تَحْطَفْ اتقُولْ سَرَايَا إلاّ عِيدْ مَوْقِيْ عَايَا

إلى أن يقول في أحد المقاطع:

أجْبَالْ قَابَلْ تَحْطَفْ نَحَاسْ مْكَفّى دُونْ بُوحَقْ لَسْبَطْ رَقِيقْ الشَّفَّهْ(٢)

الشَّفَّهْ(٢)

فالشّاعر يرى تلك الحواجز الّتي فصلت بينه وبين محبوبته من أراضٍ شاسعة وجبال سود عندما تنظر إليها، تقسم جازماً بأنها قدور من نحاس، وردت هنا لفظة "دون" أيّ أقرب فاصل بينه وبين محبوبته، وبالتالي يصعب الوصول إليها.

استعمل الشّاعرالعربّي القديم عمر بن معد يكرب الزبيدي (ت٦٤٢م) لفظة "دون بالمعنى نفسه في بيت يقول(٣):

فكَمْ مِن غَائطٍ مِن دُون سَلْمى قَتِيلِ الأُنسِ لَيس بِهِ كَتِيعُ(١)

(*) تمت الترجمة له، ص٢٢٩.

(١) ديوان الشعر الشعبي، المجلدالثّاني، ص٢٣٩.

(٢)قابلت: أيّ ظهرت ووضحت قبالة الأعين، تحلف: تقسم، مكفّى: كفأ الاناء فهو مكفوء، وكفأه قلبه والمعنى هنا أن الجبال الجبال كالقدورالّتي قلبت، حلق:الحلّلّتي ترتديها النساء، لسبط: الشّعر الاسبط المسدول المسترسل، وسبط الجسم حسن القد والاستواء، انظر مختار الصّحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م. الشفه: مفرد الشفاه.

(٣) الاصمعيات اختيار الاصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق أحمد محمد شاكر- عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة السادسة ٢٠١١م، ص١٧٧.

بِـــهِ السّـــرحَان مُفْـَــرش يدِيـــهِ كـــأنَّ بياضَـــلَبَّتِه الصَّـــديع

فهو أيضاً يرى في البيت الأوّل كما يرى الشّاعرالبدويّ من مسافات شاسعة، لا أنس بها جاءت دون ديار محبوبته، ومثله قول المتنبي (٣٥٤هـ) [٢]:

أّمـــا الأحِبَّـــةُ َالْبَيْـــداءُ دُونَـــم فيالَيـــت دُونَـــكَ بيـــداً دُونَهـــا بِيـــدُ[٣]

فهو أيضاً كانت الصحارى عائقاً له دون الأحّبة.

الوشم: يقول الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي [*] يصف وشم محبوبته في قصيدة زجلّية[٤]:

وشَـ ـــــــامِكْ بَـــــــدِيْع أخْضَـــرْ كِيـــفْ نَـــوَّارْ الرّبيـــع

بـــين الـــزّرع وحْطَـــبَ الْقَلِيـــعْ ســـوَاتَرْ وَرَقْتَـــه وَمْنَعـــه الَحـــرَمْ[٥]

فوشم محبوبته شديد الخضرة يشبه نبتة الجرجير الّبرّية في فصل الرّبيع، والنبتة محصورة بين الزّرع والسواتر من الحطب الّتي تمنع وصول الماشية إليها، ويمنع الرعي بالقرب منها ، فازداد اخضراروسواد أوراقها، ويقول في مكان آخر [٦]:

وَشَـــامْ امْبَارَكَـــة خَـــطّ الْقَلَـــمْ كَتِيبَـــةْ عَـــدَلْ فِـــي كَـــاعَظْ رَسَـــمْ[٧]

---

(١) هذه الأبيات من القصيدةالّتي مطلعها: أمن ريحانة الداعي السميع .:يؤرِّقني وأصحابي هُجوعُ.

(٢) ديوان المتنبّي، لأبي الطيّب أحمد بن الحسين، الشهير بالمتنبّي:صنهاجة العرب" تقديم د.إسماعيل العقباوي، دار الحرم للتراث، ٢٠٠٧م، ص٣٩٤.

(٣) هذا البيت من القصيدةالّتي نظمها عند خروجه من مصر

عيدٌ بأي حالٍ عُدتَ يا عيدُ بِمَا مَضَى أمْ لامرٍ فيك تَجْديدُ

(*) عرف بالشّاعر.

(٤) ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن، ص٧٨.

(٥) حطب القليع: الحطبالّذيقُلِع مَن مكانة أخضراً ويابساً ووضعه على أطراف المزرعة، وحول الزّرعحتّى يمنع الماشية من الوصول إليه، حَرَمْ: حرم المزرعة كحرم البيت وبفنائه.

(٦) ديوان الشّاعر محمد عبدالرحمن الحامدي ، ص٧٧.

(٧) عدل: يطلق على القاضي والمشهور عنه بكتابة المستندات العقارية بين النّاس، الكاعظ: نوع من الورق رسم: رسم الخط.

حيث شبّه الوشم الّذي يزّين محبوبته بالكتابة على الورق من قبل قاض عدل، لأنّ القضاة في تلك الفترة كانوا يكتبون بين النّاس في كلّ ما يحتاج إليه التّدوين والكتابة كعملية الشراء والبيع للعقارات، ويعرف كلّ عدلٍ أو قاضٍ بخطّه وختمه بأيّ مستندٍ أو عقار، خوف التزوير،وكان عدد هؤلاء القضاة قليلاً جداً حتّى أنّه يضرب بهم المثل ويستشهد بهم في الوثائق والخطّ، فشبّه الشّاعر الوشم بخط هذا العالم حسناً وشهرة، وهي صورة مقلوبة عن الشّاعرالعربيّالّذي جعل الوشم مشبهاً به لا مشبها كقول طرفة بن العبد "ت٥٦٤م"[١]:

خْوَ أَطْلالٌ بِبرَ ةَ ثَمهـــــــد لُوح كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليَدِ[٢]

فبقايا رسوم الأطلال تشبه الوشم على ظاهر اليد، ومثله قول الشّاعر المخضرم عبدالله بن سليمة الغامدي في قصيدته[٣]: ت(مجهول التاريخ).

لمـــن الـــدّيار لِـَــعٍ فَيُ ـــوسِ فبيـــاضُ رَيْطَـــة غيـــرَ ذات أَنـــسِ.

أَسَـــت بِمُسْـــتنِّ الرّيـــاح مفيلـــةً الوشـــم رُجِّـــعَ فـــي الْيـــدِ المنكـــوس

فهو شبه أيضاً ديار سلمى الّتي أصبحت خلاء قفراً وعملت فيها الرّياحتّى أصبحت مطموسة المعالم كالوشم الّذي أعيد عليه الوشم.

فكلّ من الشّعراء الثلاثة جعلوا من الوشم مادة للتّشبيه، مشبهاً أو مشبهاً به.

التّشبيه بطائر القطا:

يقول الشّاعر محمد سعيد القشاط[*] في قصيدة زجلّية يحنّ فيها إلى أحبّته بليبيا وهو سفير ليبيا بالمملكة السعودية[٤]:

---

(١) شرح المعلقات العشر الزوزني، ص٩١.

(٢) معلقة طرفه:
لحولة أطلال ببرقة ثهمـــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفاً صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلّد.

(٣) المفضّليّات ، ص٩٤.

(*) هو الدكتور محمد سعيد القشاط، له دواوين شعر بالشّعرالبدويّاللّيبيّ والشّعر العربيّ الفصيح وله ما يزيد على المائة كتاب في التّاريخ والأدب والسّياسة، وهو سياسي ومؤرخ وقاص، انظر تغاريد في الغربة أبو بكر صفر ص١٤٠.

(٤) تغاريد في الغربة، أبو بكر صفر ص١٤١.

افْجُوجْ وِيْنْ مَاثّر السَّحاب رَوَاهُمْ ... اذُوتْ عِطْرِي فَنَّحُوا مُغْلاقَه[1]

اُدِيَارْ كَانْ طَارِي مِنْ بَعِيدْ طَرَاهُمْ ... قُول طَارْ نْ قَلِبِي الْقَطَا بافْواقَهْ[2]

افْواقَهْ[2]

يحنّالشّاعر إلى الصّحارى والأودية والديار اللّيبيّة عقب هطول الأمطارحيث تزهرالأعشاب وتتخلّلها رائحة الورود الّتي تشبه محلاّت العطريات عندما تفتح عقب إغلاقها، والشاهد في البيت الثّاني من قول الشّاعر:حينما تذكّر الأحبّة وديارهم يشعر بخفقان قلبه وكأّنه طار فرق من القطا بداخله، وهو يشبه قول نصيب بن رباح "ت٧٢٦م"[3]:

كأنَّ الْقلبَ لَيْلَةَ قِيلَ غدًى ... بليلى العامريةِ أو يُراحُ

طَاةٌ عزَّها شَركٌ باتتْ ... تجاذِبُهُ وقَدْ علِقَ الْجَناحُ

وقول عروة بن حزم "ت٣٠هـ-٦٥٠م"[4]:

كأنَّ لَاةً عُلِّقَت بِجَناحها ... على كبِدِي من شدَّة الخَفَقانِ

وقول ديك الجن "ت٢٣٥-٨٥٠م"[5]:

لِي كبِدٌ حرَّى ونفسٌ كأّنها ... لكفِّ عدّو ما يريدُ سَراحَها

كأنَّ على قَلْبِي قطاةً تذَكّرتْ ... على ظمأ وِرداً فهزَّت جناحَها

فكلّ الشّعراء شعروا بخفقان داخل صدورهم عند ذكر الأحّبة، وذاك الخفقان يشبه حركة القطا لأنّ طائر القطا سريع الحركة وشديد الخفقان، ولكّنالشّعراء العرب الثلاثة كانت

---

(١) فجوج: فج وهو طريق متسع بين جبلين، ولكن الشّاعريقصد بها هنا الأرض المتّسعة والصحارى، در: درّ اللبن على على سبيل الاستعارة، إلى المطر، رواهم: من الرّي أيّ سقاهم، حانوت عطر: محل عطريات، مغلاقه: الاداةالّتي غلق بها المحل.

(٢) طاري: طرى يطري: اذا أقبل، ومنها طرواً: أتى من مكان بعيد، وأطرى الرّجلأحسن الثّناء عليه فكلّ منهم يحمل المعنى نفسه،انظراللّسان مادّة "طرى".

(٣) ديوان الحماسة الجزءالثّاني، شرح العلامة التبريزي، دار العلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص١٠٩.

(٤) نصوص من الشّعر الإسلامي الأموي، اختارها وشرحها الدكتور إحسان النص، دار الفكر، ١٩٧٥م، ص١٣٩.

(٥) تطور الشّعر في بلاد الشام في القرنينالثّانيوالثّالثالهجريين، الدكتور عبد الرّحمن عطية، منشورات جامعة الفاتح، الفاتح، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨م، ص١٦٧.

معاناتهم أقل من معاناة الشّاعرالبدوّياللّيبّي لأّنه شعر بخفقان فرق من القطا لا قطاة واحدة أو جناحاً واحداً كما ورد بالأبيات المذكورة.

المرأة السمينة بطيئة الحركة:

يقول الشّاعر محمد سعيد القشاط(*) في قصيدة زجلية(١):

نِـ ـــينْ قَ ـــــــــــــــــاَبلَتْ تـــدَّا عَى فتبيلَـــة الْخَطْـــوَاتْ دَبِّـــي سَـــاعَه(٢)

قَـارَبْ فِـي وَسَـطَ الْبَحـرْ هَـزْ اقْلاَعَـهْ جَايـبْ بضَـاعَهْ مِـنْ بـلاَدْ قَصـيَّه(٣)

يصف الشّاعر محبوبته ببطء الحركة ويعتريها الكسل فهي عند عَدّوها لا تستطيع رفع رجل ووضع الأخرى إلاّ بعد ساعة من الزمن، وإن كان لا يقصد بالساعة الزمنّية المعروفة الآن، وأّنها بطيئة تشبه القارب وسط البحر وهو رافع أشرعته ومليء ببضاعة قادمة من أقصى الدّنيا، فالقوارب والسّفن عندما تشاهد عن بعد لا تُرَى لها حركة وكأّنها جامدة في مكانها خاصة وهي مملوءة بالبضائع القادمة من بعيد.

ويقول الشّاعرالعربّي الجاهلي، الأعشى "ت٦٢٩م" في مثل هذا(٤):

كَـأنَّ مِشْـيتها مِـنْ بَيْـتِ جَـــارِتها مــرُّ السَّــحَابَةِ لا رَيْـثُ ولا عَجَـلُ

يكـــادُ يصْـــرعُها لَـــ لَا تشَـــدُّدَها إذا تُـــومُ لِـــى جَاراتهـــا الْكَسَـــلُ

فكلا الشّاعرين يرى محبوبته ضخمة سمينة يعتريها الكسل وإن بالغافي بطء الحركة، فالشّاعر البدوّياللّيبّي لا تستطيع محبوبته تحريك قدميها إلاّ بعد ساعة، والأعشى يصف محبوبته بالسحابة وتكاد تسقط من الكسل لولا تشددها بل يبالغ أكثر عندما يصفها ببقرة الوحش الّتي تمشى بالوحل وهي تشكو وجعاً بحافرها في قوله:

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها تمشى الهويني كما يمشى الوجي الوحل

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) معجم الأدب الشعبي، عبدالله مليطان: دار مدار للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٥م، ص١٣٢.

(٢) امنين: حينما، ظهرت: خرجت، تدّاعى التداعى، العدم والاقبال، تبّيساعة: تحتاج إلى ساعة.

(٣) قارب: قطعة بحريّة شراعيّ، هز: رفع، قصيّة: بعيدة من الإقصاء والبعد.

(٤) ديوان الأعشى، شرح الدكتور عمر فاروق الصبّاغ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع١٩٩٣م، ص١٧٤.

تشبيه المرأة بالغزلان ومسمياتها:

عرف البدو اللّيبيون الغزلان بأنواعها وأ حّوها ووصفوا بها محبوباتهم وسّموا بها بناتهم، ويتفاءلون بها ويصفونها فيرحلات صيدهم على عادة سلفهم، فالشّاعر البدوّياللّيبيّأحمد الرمشاني(*) البوسيفي يصف محبوبته بالرئم في قصيدة زجلّية(١):

يَاسِـــي حَمَـــدْ بِنْرِيـــــــــــــــدَه لِـــي عَقَـــلْ مَابَـــاش الْمَنَـــامْ اْيصِـــيدَه(٢)

اْيصِـــــــــــــــــــــــــيدَه(٢)

رِيـــمَه وِيـــدَه بُونَمـــالِجْ فِيـــدَه نَقَـــلْ بِالْوكِيـــدَه حُبْنَـــا وَغلاَنَـــا(٣)

يشكو الشَّاعر همومه لصاحبه موجهاً إليه الخطاب بأّنه مغرم وهجره النوم بسبب رئم الصّحراءالّذي يرتدى حلّياً يزّين يديه، فهو حمل حّبالشّاعر وعشقه وانتقل به، ويقول في مثل هذا الشَّاعر عمرو الجنجان(*) (٤):

بَناويـــــتْ يجيـــــنْ مِ الـــــرِّيْم يَّـــي رَايـــضْ مَـــا بـــيْنْ سْـــيُوحْ(٥)

غِ يـــــرْ لْرَيـــــلْ شَرَّادْغَشِـــــيْم وَهَـــنْ طُـــبَّجْ آخّـــرْ مَنْقُـــوحْ(٦)

فهو أيضاً يشّبه مجموعة من الفنيات بقطيع من الأرائم ترعى العشب في هدوء وسكينة، إلاّ أّن الرئم ينفر ويشرد من البشر لعدم معرفته بهموعدم التعود عليهم، أرائم من نوع آخر، نوع فريد لا ينفر من الآخرين.

ويقول الشَّاعرالبدوّياللّيبّي محمد عبد الرحمن الحامدي(*) في وصف جيدفتاته(١).

(*) تمت الترجمة للشاعر.

(١) الشّعر الشعبي ، ج٢ ، ص١٤٨.

(٢) سي: لقب يطلق على افراد القبائل الشريفة مثل قبيلة "أولاد أبو سيف" بنريده : أريده ، لي عقل: أمتلك عقلاً، ما باش: اداة اداة نفي بمعنى رفض، المنام: النوم.

(٣) ريم: رئم، هويدة: المنطقة الرملية المتسعة.

(*) هو الشَّاعر عمرو الجنجان ينتسب إلى أولاد وافي ، ولد وتوفَّى في منطقة سرت وسط ليبيا وعاش بين أخواله (أولاد عمر) من قبائل القذاذفة ولا تعرف الفترةالّتي ولد فيها الشَّاعر ولكن توفى في آخر الخمسينيات من القرن الماضي، واشتهر بغزله وكان معروفاً بغزارة إنتاجه وسرعة بديهته، انظرالشّعر الشعبي، المجلد الأوّل، علي برهانه، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٦٤.

(٥) بناويت: بنات، يجيبن من الريم:بهنّ شبه من الرئم ويأتين بصفة من صفاته: رايض: يرعى في هدوء وسكينة، سيوح: الأرض المتسعة.

(٦) لريل: تطلق هذه اللفظة في الباديةاللّيبيّة على الغزلان، ولا أعرف من أين جاءت إلاّ اذا كانوا يخلطون بين صغير الدّعام وصغير الغزال، ورغم وجود قصائد بدوية ليبية تذكر الرأل وتعني به الدّعام، طبج: مخلوقات جيدة، منقوح: جميلة ، يعد من الشيءالّذي تم تنقيحه.

لرُّقَبـــــهْ جَـــــدِي أغَـــــرْ واحِـــــي الْحَثْـــــر نَثَـــــرْ[٢]

سَـــــــلِكْنْ رَاسْ وَعَـــــــرْ يَصْـــــعَبْ فِـــــي الْخَـــــتْلاَنْ[٣]

شبه الشّاعر جيد محبوبته بجيد الغزال الصغير الأغر، وهو الّذي يوجد بياض بوجهه، واستمع لصوت من بعيد فنثر وأخذ حذره وأسرع إلى المنطقة الوعرة الّتي تقيه خطر الصّيد.

ويقول الشّاعرالعربّي القديم، امرؤ القيس "ت٥٦٥م" يصف جيد محبوبته في معلقته[٤]:

وجِيـدٍ كجِيـدِ الـرِئمِ لـيْسَ بِـاحشٍ إذَا هـــيَ نصَّـــتْه لا بُمعَطَّـــلِ[٥]

فكلّ من الشّاعرين البدويّين اللّيبّيين والشّاعر العربّي القديم جعل من الرئم مشّبه به لجيد محبوبته وجمالها.

وصف شعر المحبوبة باللّيل والظّلام:

شّبه الشّعراءالشّعر باللّيل لشدّة سواده ، وهو نابع من حبّ العرب للشّعر الأسود الطّويل. يقول في ذلك الشّاعرالبدوّياللّيبّيأحمد رميله[*] في قصيدة زجلّية[٦]:

يـــــــا دَارْ سافِـــــــــي دُورَه عَلَـــى جَبِـــينْ يشَّـــاكَعْ ابْـــيَضْ بحُمـــوَرْه[٧]

كَمـــــنَـــارْ فِـــي فَـــاهِقْ خَـــلاَ مَكْبُـــورَه تجِيـــبْ الْمجِّبـــي فِـــي الظَّـــلاَم الْحَالِـــكْ[٨]

وجّه الشّاعرخطابه إلى الدّيار على عادة القدماء ناسباً تلك الدار إلى محبوبته الّتي وصفها بسدول الشّعر(سافي الدور)والرياح تتلاعب به وهو يغطّي جبين محبوبته الّذي

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١)ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي ، ص١٢١ .

(٢) واحي: من الوحي الّذي يعني به الصوت ويكون في النّاس وغيرهم،انظر اللّسان مادة "وحى" حثر: أيّ شيء حي، نثر: عطس.

(٣) راس وعر: موقع مرتفع وعر الوصول إليه، الختلان: من الختل:وهي الخدعة عن غفلّة من أمره.

(٤) المعلقات العشر الزوزني، ص٥٢.

(٥) من المعلقة: قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل .بسقط اللّوى بين الدخول فحومل.

(*)تمت الترجمة له ، ينظر الشعر الشعبي ج١ ، د.علي برهانه، ص٥٧.

(٦) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٧) سافي دوره: صاحبةالشّعر الطّويل المسترسل الّذي تسفيه الرّياح، يشّاكع: من شكع: لمعان البرق المستمر الشديد، وقد يكون استمدّ هذه الصفة من الغضب والضجر وهو المعنى الأصلي لـ "شكع"انظر اللّسان مادّة "شكع" .

(٨) فاهق: الأرض الواسعة، أرض فيهق وفيحقٌ وهي الواسعة،انظر اللّسان مادّة "فهق" يجيب: يأتي بـ، المجبي: الشّعر الكثيف، لأنّه جبا عنقه أماله.

يلمع بدوره بياضاً تشوبه حمرة، فشبّه الجبين بالنار الّتيأُوقدت بالصحراء، ويلفّها الظلام الحالك من كلّ جهة وهو الشّعرالّذي يلفّ الجبين، في صورة مركّبة جميلة لا تختلف عن الصّورةالّتي رسمها الشّاعرالعربّي القديم بكر بن النّطّاح "ت ١٩٢هـ-٨٠٨م"(١):

بيضاءُ تسْحِبُ منْ يامٍ رَعَها وتغيبُ فيهِ وهْو وحْفٌ أسْحَم

فكأنّها فيهِ نهارٌ ساطِع وكَانّه يلٌ عَليها مُظْلِم

فالصورة تكاد تكون واحدة رغم عدم معرفة الأوّل بالشعر العربّي الفصيح لأنّه لم ينل نصيباً من التعليم وغير مثقّف ثقافة أدبيةوإلاّ قلنا أنّها مقتبسة.

تشبيه الشّعر بالعذق والشّماريخ من النّخل:

كثر التّشبيه بالقنو والعرجون من النخل لكلّ شعر كثيف طويل عندالشّاعرالبدويّاللّيبّي، فهذا الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*) يصف فرع محبوبته قائلاً (٢):

عَلَى الْعاتَقْ مَحْطُوطَ رَبيدْه مَا بيْنْ الشُّوكَاتْ حْصَلْ(٣)

عْجُونْ امنقَّلْ بْجرِيدَه غَاصَبْ وَالدُّكَّارْ اثْقِلْ(٤)

يصف الشّاعر فرع محبوبته الّذي غطّى كلّ منكبيها بسوادهالّذي يشبه سواد النعامة الربداء، ووقع بين شوكتي المِشْبَكالّذي يشدّ به إزار المرأة البدويّة، وهو مِشْبَكمن الحلّي يوضع على الصدر، ونزل الشّعر حصرياً ما بين كتفيها في كثافته كقنو النخل الّذي أثقله

(١) ديوان الحماسة الجزءالثّاني شرح العلامة التبريزي، دار العلم بيروت لبنان،الطبعة الاولى، ص٩٤.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٢) ديوان الشّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي ص٩٠.

(٣) العاتق: المنكب، محطوط: وضع ونزل على المنكب، ربيده: أسود كثيف، والربدة في النّعام سواد مختلط، وقيل هو أن أن يكون لونها كلّه سواداً،انظراللّسان مادّة "ربد"، الشوكات: مِشْبَكان يشده بهما الّحافالّذي ترتديه النساء في البادية ويكون مكانهما الصدر.

(٤) عرجون: يطلق على كلّ الشمارخ منالنّخل مجازا، غاصب: كثيف، دُكار: تلقيح الشمارخ وتأبيرها.

السعف وكثرة البلح وزيادة حجمه، وتم تأبيره فزاد حجم بلحه، ومثله قول الشّاعر محمد سوف المحمودي(*) في قصيدة زجلّية يصف محبوبته(١):

.يِّـــتْ احْـــــزَامْ امْلاَيـــــمْ عَـــى جُـــوفْ مَايَاكُلْشْـــدَيما صَـــايْم(٢)

وَشْـــبَحْ سَـــوَالفْ يِجْحُـــوا بِتْ مَـــايْم عَـــراجِينْ فِـــي رَبْعَـــةْنَخْلْ حَمُّـــورِي(٣)

يذكر الشّاعر حزام محبوبته وشدّ وسطها ونحول خصرها وكأّنها لا تتناول الطّعام أبداً، فهي دائمة الصوم، ثم ينتقل إلى البيت الثّانيالّذي خصّصه لشَعر محبوبته بقوله "سوالف" الّذي يشبه قنونخلة ربع، أيّ لاهي بالطويلة ولا القصيرة، ونوع ثمارها حمراء اللّون في إشارة إلى الحلّيالّذي يلفّ الشّعر.

يقول في مثل هذاالشّاعر العربّي القديم امرؤ القيس "ت٥٦٥م"في معلّقته(٤):

وَ ـــرٍعٍ يـــزينُ الَمتَأْسْـــودَ فـــاحِمٍ أَثيـــثٍ كَقِـــوِ النَّخلـــةِ الُمتعثْكـــلِ

غـــدائره مْستشْـــزِراتٌ إلـــى الُعـــلا تَضِـــلّ العِقـــاصُ فـــي مُثنَّـــى ومُرْسَـــلِ

يصف الشّعراء الثّلاثة فرع محبوباتهم بالشماريخ والعذق الّذي يطلق عليه الشّعراء اللّيبيون با "العرجون"الّذي هو أصل العذق، ولكّنهم أطلقوا الجزء على الكلّ على سبيل المجاز.

تشبيه وجه المرأة بالبدر:

(*) تمت الترجمة له ، ص ٣٦٧.

(١) الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط، ص٨٢.

(٢) ليّت الحزام: من لوى الحزام على وسطها: ملايم: من "الألتآم" فالحزام لا يصلح لغيرها: جوف: جوف المرأة: وسطها، ما ياكلش: لا يأكلّالطّعام، ديما: دائماً.

(٣) الشبح: النّظر، سوالف: الشّعر، يرجح: يتأرجح، تمايم: حلي من فضّة وذهب توضع على رأس المرأة كالتميمة، عراجين، جمع عرجون عدق النحل، ربعة: متوسطة الطول لا هي بالطويلة ولا القصيرة، حموري: ذات بلح احمر اللون.

(٤) جمهرة اشعار العرب ص٤٢.

الشّعرالبدويّللأيبّي يكثر التشبيهات بالبدر والقمر لوجه المحبوبة لدورانه وبياضه وعلّو مكانتها كما يشبه بذلك الشّعرالعربّي القديم، وخاصّة عندما يكتمل القمر في منتصف الشهر يقول الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*) (١):

ضَوِى خَدْ عِيشه بَرقْ سِلَه غَيرْ كَمَقَمْرة اْربعْطَاش فِي فرَارهَا(٢)

يصف الشَّاعر نصوع وبياض خدي محبوبته بالبرق الّذي يصحبه مطر غزير أّما وجه محبوبته فهو كالقمر ليلة الرّابع عشر حيث يكون مكتملاً ويصادف الشهر الثّاني من السنة الميلاديّة شهر فبراير، وهو شهر يكثر فيه العشب والأزهار بمنطقة الجفارة بباطن الجبل الغربي، موطن الشَّاعر فهذا الشهر يكون للقمر معنًى آخر غير كلّ الأشهر. ويقول في مثل هذا الشَّاعرالعربّي القديم حارث بن خالد المخزومي "ت٢١هـ-٦٤٢م"(٣):

يهُ ـك الَبدرُ لـو سـالت بـه الُمـزْ نَ مـن الُحسـنِ الَجمـالِ اَسـتهلاّ

ومثله قول بشار بن برد . "ت١٦٧هـ-٧٨٤م"(٤):

بنـت عشـرٍ وثـلاثٍ قسِّـمتْ ـين غصـنٍ وكثيـب وقَمـرْ

ويقول أبو نواس في ذلك: "ت١٩٩هـ-٨١٣م"(٥):

سقى الله ظبياً مبدي الُغنجِ في الخطْـرِ يميسُ غصن البان من رقّـةِ الخصْرِ

هو الـبدر لاّ أن فيـه مـلاَحةٌ بتْفتير الْحظ لْيسَ للشمسِ والبـدرِ

فالشّعراء الثلاثة وصفوا محبوباتهم بالقمر والبدر لجماله وعلّوه ونصوعه ومكانته عند البدو فهو انيسهم بالصحراء المخيفة ليلاً حيث يمزّق جلابيب الدّجى ، ويصل إليه ليساعده

(*) تم التعريف بالشّاعر.
(١) ديوان الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي، ص٨٧.
(٢) ضوى: يضيء: عيشة: عائشة ، اربعطاش: أربع عشر، فورار: فبراير.
(٣) نصوص من الشعر الاسلامي الاموي، دكتور إحسان النص، ص١٢٨.
(٤) ديوان بشّار بن برد، جمعه السيد بدر الدّين العلوي، دار الثقافة بيروت لبنان، ١٩٨١م، ص١٣٥.
(٥) ديوان ابي نواس، تحقيق بدر الدّين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربيّ بيروت، لبنان، الطبعةالثّانية، ٢٠٠٤م، ص٢١٦.

على السير ليلاً ويساعده في العثور على قطيعة ، وهذا لا يعني أن الرجال فقط يصفون محبوباتهم بالبدر، بل النساء أيضاً يصفن محبوبيهم بالقمر لعلّو مكانته، فهاهي أغنية الرّحى تقول[١]:

اَلْغَـــالِي قَـــرْ وَالْقَمَـــرْ فُـــوقْ وَوْلاَدْ عَمَّـــــــــهْ انجومَـــــــــهْ

وَهْ لْنَـــــا كَمَـــــا وَادِي النِّيـــــلْ يَصْـــعَبْ عَلَـــى مِـــنْ ا يُومَـــهْ

وإن كانت أغاني الرّحى تصلح أن تكون للمدح والفخر ، وأحياناً كثيرة تتغزّل المرأة بحبيبها عبر أغاني الرّحى، فهي تصف علّو مكانته بالقمر وأبناء عمومته بالنجوم في تشبيه بليغ جميل، أمّا الأهل والقبيلة هم كالنيل يغرقون من يأتي في طريقهم، ومن يستطيع دخول النيل أو الوقوف أمامه، ومثل هذا التّشبيه لا يختلف عن قول الشّاعر العربّي القديم النابغة الذبياني تـ "٦٠٥م" وهو يمدح النعمان[٢]:

أَلم تَرَ أنّ الله أعطاكَ سـورَة تَرى كلّ ملْكٍ دُونَها يتَذَبذَبُ

فإنَّكَ شَمسٌ والملوكُ كَواكِبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبدُ منهنّ كوكَبُ

تشبيه عيون المحبوبة بعيون الغزلان والضباء:

شّبه الشّاعر البدوّي اللّيبّي عيون محبوبته بعيون الغزال، فالشّاعر هاشم الخطابية[*] يقول في مقطع من قصيدة زجلّية[٣]:

---

(١) حضور المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النوبري، ص٦٢

(٢) ديوان النابغة الذبياني، شرح الدكتور عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص٢٦، من من قصيدته الّتي يعتذر فيها للنعمان.

اتاني أبيت اللعن انّك لمتني وتلك الّتيأ هتمّ منها وأنصَبْ

(*) تمت الترجمة له ، ص٨٥.

(٣) ديوان الشعر الشعبي ، ج٢ ، ص١٠٢.

عُيُــونْ مِــنْ الطَّــفْ فــي عَفَــا قُرَّاحَــةْ غَــزَالْ اْريلــي بــيْن الــدِّيْور : هَامَــتْ[1]
: هَامَــــــــــــــــــــــــــــــــــتْ[1]

بُوعَقَــدْ فِــي النُّوضَــةْ يــدِيْر مَنَاحَــهْ كَــرَايِينْ وَمْعَــا هَنْ سَــقَاوِيْ حَامَــتْ[2]
حَامَــــــــــــــــــــــــــــــــتْ[2]

يشّبهالشَّاعر عيون محبوبته بعيون الظباء الّتي ترعى نبتة القزح ذات الرائحة الزكّية وهو هائم على وجهه بالبراري والمراعي الخصبة، ثّميعود إلى محبوبته وهي تحاول القيام من مكانّها تسمع لها رنين الحلي والعقود الثمينة كأصوات طيور الكروان حامت على رؤوسها أنثى الصّقر، ويقول في مثل هذا الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي(*) في بيت من قصيدة زجلّية(٣):

عِينَــكْ شَــارْدِمِ الْطَــفْ فُــوقْ ضَــنَاهَا رَاحْ فِــي َــرَار الــرُّويسْ(٤).
الــــــــــــــــــــــــــــرُّويسْ(٤).

فالشّاعر شّبه عين محبوبته بالغزال الشارد بأعلى منطقة "العطف"، باحثة عن مولودها الّذي ضاع بمنطقة "الرويس" فعيناها تكونان أكثر انتباها وأكبر حدقةً وبالتالي فهي أكثر اتساعاً وأجمل، ويقول الشَّاعرالعربّي المخضرم حسان بن ثابت الأنصاري ت" ٥٤هـ-٦٧٣م" في نفس المعنى(٥):

لَهــا عَــيْنُ كَحْــلاءِ الْمَــدَامِعِ مُطْفِــلٍ تُراعِــي نَعامــاً يَرْتعــي الخمائــلِ

(١) يقطف: يقتطف، عفا: ما عفا عنه الرعيحتّى اخضرّ وكبر، لريل: لفظة يستعملها البدو بمعنى الغزال، الديور: من الدارة، الأرض الواسعة، تهامت: هام على وجهه.

(٢) بو عقد: عقود للزينة، النوضة: النهوض، يدير: يصدر، مناحة: أصوات كأصوات النائحات، كرايين: جمع الشَّاعر طائر الكروان على هذه الصيغة، معاهن: معهم أو بالقرب منهم، سقاوى: انثى الصّقر.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) ديوان الشَّاعر محمد عبد الرحمن الحامدي ص٧٣.

(٤) شاردة: صفة من صفات الظباء لشرودها، م العطف: من العطف: وهو اسم موقع، قرار الرويس: اسم موقع بغرب ليبيا.

(٥) ديوان حسان بن ثابت الأنصارى، تحقيق بدر الدّين حاضرى، محمد حمامي، دار الشرق العربيّ بيروت، لبنان، الطبعةالثّانية، ١٩٩٨م، ص١٥٣.

فعين فتاته تشبه عين الظبية المطفل وهي تراقب صغارها خوفاً عنهم، حيث أجاد كلّ منالشَّاعرالبدويّاللّاّيبيّاللّذي وصف عينيمحبوبته بالظبية الّتي أضاعت صغيرها، والشّاعر العربّي القديم الّذي وصف عيون فتاته بعيون الظبية الّتي ترتقب صغيرها خوف الضياع.

تشبيه عيون المرأة بعيون بقر الوحش: فالشّاعر البدويّاللّاّيبّي ضو عبد الناصر الميلوسي(*) شبّه عيون فتاته بعيون بقر الوحش لاتسّاع بهما قائلاً في مقطع من قصيدة زجلّية(١):

ا عْيُونْ حَدَّهْم كِيفْ عِجْلَةْ وحُوشْ مَا هَمُّوشْ مَافَعْمَتَارِيسُهم فِي الجَّلْ(٢).

عْيُونْ حَدَّهْم كَـــ انَ مَا يرفُعــوشْ وَمَا يَحْمِلُوشْ مِنْ الْكُحَلْ مِيزَانهم بالرَّطَلْ(٣).

شبّه الشَّاعر عيني محبوبته في البيت الأّول بعيني صغير بقر الوحش على عادة أسلافه شعراء العربّية ثم وصفهما أيضاً بالمدفعّية الّتي تتمترس بمنطقة جبلّية، ووجه الشبه بين عيني المحبوبة والمدفعية فكلاهما يؤثر في الجهة الّتي وجّه إليها، فعيناها أيضاً قاتلتان، وعيناها تحملان من الكحل ما قيمته رطل في صورة أخرى، ويقول الشَّاعرالعربّي القديم لبيد بن أبي ربيعة ت "٤١هـ٦٦١م" في مثل هذا(٤):

زُجَــلاً كــأنَّ ِ عَــاجَ توضِــحَ وَ هَــا وظِـــاءَوَجْـــرَةَ عُطَّفـــاً آرامُهـــا

فكلاهما وصف عيني محبوبته بعيني بقر الوحش.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) الشّعر الشعبي، ج٢ ، د. علي برهانة، ص١٨٠.

(٢) عجلة وحوش: عجل أو صغير بقر الوحش، ما همدوش: همدت الدّار، وهمدت العين، نامت.

(٣) ما يرفعوش: من الرفع ضد الوضع، ما يحملوش: من حمل الشيء، وهنا يقصد الشَّاعر أن عيني فتاته تحمل من الكحل ما قدره رطل.

(٤) شرح المعلقات العشر، للزوزني ص١٦٥، هذا البيت من معلقة لبيد بن ابي ربيعة.
عفت الدّيار محلها فمقامها بمنىً تأبدّ غُوْلها فِرجامهُا.

تشبيه المرأة بالهلال:

شبّه الشّعراء محبوباتهم بالهلال لحسن الإطلالة حيناً ولرسم الحاجب حيناً آخر، فالشّاعر البدوّياللّيبيّأمين عون الصويعي(*) شبّه فتاته بالقمر في طلعتها البهّية، وشبّه حواجبها بالهلال، وليس أيّ هلال بل هلال عيد الفطر لتطلّع النّاسإليه أكثر من غيره من الشّهور في قصيدة زجلّية قائلاً (١):

جِتْ ظَاهَرة فِي حزَامْ الْحَرِيرْ ... ا ْبنَادَمْ ا ْيحِيرْ وفَ الْقَمَرْضَيِّهَ ا فِي النّهَ ارْ (٢).

وحَاجَبْ كَمَا ا ْهلاَلْ عِيدَ الصَّغِيرْ ... رَاهْ الْبْشِيرْ رَمْضَانْ مَاتْ وَانهى بِالْغَفَارْ (٣).

يرى الشّاعر فتاته وقت خروجها وهي ترتدي وتجرّ أثواب الحرير، الأمر الّذي يحّير ابن آدم في أمره، فهي كالقمر غير أّنه ظهر نهاراً ، ولها حاجبان يشبهان هلال عيد الفطر عقب انتهاء شهر المغفرة ، ويقول الشّاعرالعربّي أبو نوّاس "ت١٩٩هـ٨١٣م" في الهلال والتشبيه به (٤):

تمَّتْ وتّم الحسْن في وجهها ... فكُلّ شيءٍ ماخَلاها محالْ

للنَّاس في الشَّهر هِلالٌ ولي ... من وجهِها كلّ صباحٍ هِلالْ

(*) هو الشّاعر امين عون لبز الصويعي، من قبائل الصيعان عائلة ولاد امحمدالّتي تقطن غرب ليبيا وكان الشّاعر من مواليد ١٩٣٨-ت١٩٨٣م، انظرالشّعر الشعبي، ج٢، وعلى برهانه ، ص١٨٠.

(١) المصدر نفسه ص١٨٠.

(٢) جت: جاءت وأتت، بنادم: بنو آدم، ايحير: من الحيرة، يشوف: ينظر ويرى.

(٣) العيد الصغير: عيدالفطر، والكبير عيد الاضحى، راه: رآه وشاهده، الاغفار، الغفران.

(٤) ديوان ابي نواس، ص٣٨٦.

فالشّاعر يرى الهلال كلّ يوم في وجه محبوبته، لا أوّل الشهر فقط ، فكلّ من الشّاعرين البدوّياللّيبّي والشّاعر العربّي شّبها بالهلال إلاّ أنّ الأوّل كان المشّبه عنده حاجبي فتاته، والثاني كان المشّبه عندماطلّت فتاته البهية.

ثانياً : وصف الإبل:

تناول الشّعرالبدوّياللّيبّي وصف الإبل وافرد لها الشّعراء مساحات واسعة من أشعارهم،حتّى أصبح غرضاً مستقلاً لكثرة تناوله، فوصفوا الإبل كأداة نقل ومصدر رزق، وشّبهوها بالقصور والمراكب والنعام والقطا، ووصفوا لبنها ، وعرقها وعبسها وأصواتها، فمكانة الإبل عند البدو لا تضاهيها مكانة إنّها أهّممتلكاتهم ومعينهم في حلّ هم وترحالهم، لهم في لبنها ولحمها غذاء، ومن وبرها يصنعون خيامهم وبعض الملابس ، ومن جلودها يصنعون أحذيتهم وبعض أثاث بيوتهم، ودارت حروب كثيرة من أجلها بين القبائل العربّية في شال أفريقيا تشبه تلك الحروب الّتي دارت بشبه الجزيرة العربّيةقديماً .لهذا لا تجد شاعراًإلاّ وتطرّق لوصف الإبل تماماً كما وصفها الشّاعرالعربّي القديم، وهذه مجموعة من الأمثلة يلتقي فيها الشّعران، البدوّياللّيبّيالعربّي القديم.

زيادة سرعة الإبل عند سماعها صوت الحادي:

يقول الشّاعرالبدوّياللّيبّي محمد الهاروج في سرعة الإبل(*)(١):

عَ صُوتْ اِيهَ ا تْجُودْ طُرُوبَهْ ـَ مْ فِي الْوطَا رْعهَ ا شَنْتَالَه(٢)

(*)تمت الترجمة له ، ص١١٠.

(١) الشّعر الشعبي ، ج١، د علي برهانة ، ص٩٩.

(٢) هذا البيت من مشاركة الشّاعر محمد الهاروج على مطلع قصيدة الشّاعر ابراهيم بو الجلاوى (شايلنك وانت اللّي شيّاله: الدّنيا قديمة كلّ يوم بحاله) طروب: تطرب لصوت الحادى، الوطا:الأرض، كرعها: قوائمها، شنتاله: اصلا مقلوبة عن نشل: السرعة.

خَبرَهـــا قَطَـــاوي غَطَّـــه مَحْسُـــوَبه عَلِيـــهْ وِيـــنْ يَسْـــمَا اللِّـــي فـــي بِلَـــهْ

وم الـــزَّادْ مـــا عِنْـــدَه وَلاَ سَـــبُّوبْه لاّ جَلَـــفْ دَفِينَـــه وَتَمَـــرْ أُوكَالَـــهْ

تطرب الإبل مع صوت الحادي وتزداد سرعتها ومناسمها تلمس الأرض لمساً خفيفاً – نتيجة الزيادة في السرعة – ويقول الشَّاعرالعربّي القديم عبيد الراعي ت"٩٥هـ، ٧٠٨م" في مثل هذا[١]:

زَجـــلُ الحِـــداءِ كـــأَنّ فـــي حيزومـــه نصـــباً وقضـــعة الحنـــين عجـــولا[٢]

عجـــــــــــــــــــــــــــــولا[٢]

وفي كلّ الحالتين تطرب النوق وتستمع لصوت الحداء وتسرع في حركتها.

حنّت ناقة الشَّاعرالبدوّياللّيبّي الزوي[*]إلى موطنها الأصلي "جخّرةقائلاً[٣]:

هفَّت عَليهـــــــــــا اجْخَـــرْه أُم الْغَـــــــــرُود النَّظَـــــــــايفْ[٤]

تَـــتْ بَـــلاَ قَصَـــعْ جُـــرَّه ذَكَـــــــرَى دَيِّهَ ـــــــا بالزَّنـــــــاَيِفْ[٥]

عزفت ناقة الشَّاعر على الاجترار عندما خطر ببالها موطنها الأصلي، وأخذت تحنّ بأصوات مدوّية طيلة اللّيل، وفي مثل هذا يقول الشَّاعرالعربّي القديم مزرد بن ضرار "ت٢٢هـ-٦٤٢م"[٦]:

تحـــنُّ قـــاحُ الثَّغْبِـــيِّ صَـــبيةً لأوْطَـــانِها مِـــن غيقـــةٍ فالفدافـــدِ[١]

فالفدافـــــــــــــــــــــــــــدِ[١]

---

(١) جمهرة اشعار العرب ، ص١٥٩.

(٢) بيت من قصيدة للشاعر:

ما بال دفك بالفراش مذيلا أقدى بعينك أم أردت رحيلا

(*) هو الشَّاعر حامد بو خليفة الزوي، من قبيلة زوية، عاش أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عاصر الاحتلال الإيطالي لليبيا وهاجر إلى تشاد، وله أشعار جميلة، انظر كتاب الشّعر الشعبي، ج١ ، د. علي برهانه ، ص١٥٩.

(٣) الإبل في الشّعر الشعبي، د.يونس فنوش، مجلس الثقافة العام سرت ٢٠٠٨م، ص١٢٠.

(٤) هفت: خطر ببالها، جخرة: بلد الشَّاعر، الغرود: الأكوام من التمر أو التلال الرمليّة، النظائف: من النظافة والنقاوة.

(٥) قصع جُرَّة: الاجترار، دى: الصوت أيّ صوتها، فدويّ الريح: حفيفها، ودوى الفحل: هديره،انظراللّسان مادّة "دوى" "دوى" زنايف: الأصوات وأصلها "صنف" قلبت الصاد إلى زاى لقرب مخارج الحروف ، بمعنى: انواع الاصوات الّتي تصدر عنها طوللّيل في حنين إلى ديارها.

(٦) المفضليّات، ص٦٧.

وعَـاَعى ابـنُ ثـوبٍ فِـي الرِّعـاء بصُـبّةٍ حيـالٍ وأخْـرى لـم تـرَ الفحـلَ والِـدِ

حيث حنّت لقاح الثعلبي حزنًوشوقاً إلى ديارها ديار بني ثعلبة، ومثله قول سُبَيْع بن الخطيم التيمي تـ"مجهول"(٢):

أَمـا َـرى إبلـي كـأنَّ هُـدْرَها َصَـبٌ بأَيـدِي الزَّامِـرينَ مجُـوفُ

زَجَرهـا لَمَّـا أَنيـتُ بِسـجرِها قَـ ـالحنِـينَ جَـرُّرٌ وصَـرِيفُ(٣)

ففي كلّ الأحوال نرى أنّ الإبل تحنّ ويأخذها الشوق إلى ديارها الّتي تعوّدتعليها وعاشت بها من خلال صور جميلة رُسِمت بالشّعر البدويّاللّيبّي والشعرالعربّي القديم، توضح لنا هذه الظاهرة الّتي يعرفها البدويّ ويأخذه العطف والشفقة عنها، لأنّها تعّبر عنه وعن حّبه وشغفه بدياره هو أيضاً، وقد تكونالإبل وسيلة فقط لنقل ما يدور بخلدالشّاعر عندما يكون بعيداً عن دياره فيجسّدها من خلال نوقه.

صورة خوف الإبل من السوط والعصا وزيادة سرعتها:

يقول الشّاعرالبدويّاللّيبّي محمد عبد الرحمن الحامدي(*) في خوف جمله من العصا فيسرع إلى أن يصبح كالطائر سرعة(٤):

المِنْيـه مَـرِى كُـوت اعْشَـارِى اْمِـن ذُ ـومِي الْمسْـواق ايطيـرْ(٥)

فأمنية الشّاعرجمل من نوع المهارى السريعة العشراويّة ، وهي الّتي تسير ضعف الجمل العادي بعشرة أضعاف أيّ ما يقطعه الجمل في عشرة أيّام ، يقطعه مهرى الشّاعر خلال يوم

---

(١) البيت من: قصيدة الشّاعر:إلاّ يا لقَوْم والسفاهة كاسمها أعائدتي من حُبِّ عوائدي

(٢) المفضليات ، ص٣٦٣.

(٣) الأبيات من فائية الشّاعر: بانت صدوف فقلبه مخطوفُ ونأت بجانبها عليك صَدُوفُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٤) الأدب الشعبي، محمد سعيد القشاط، ص٦٢.

(٥) المنية: أمنية الشّاعر، مهرى: جمل من نوع المهارى سريعة العدو، كوت: يصف البدويّ جمله وحصانه بلفظة "كوت" لفتوتها وصغر سنها خلافاً للمعنى اللّغوي لها وهو قصر القامة، عشارى:الّذي يقطع من المسافات في اليوم الواحد ما يقطعه الجمل العادي في عشرة أيّام ، نومي: أومأت العصا، المسواق:العصا الّتي تستعمل لسوق الإبل.

واحد وخاصّة عندما يشير بعصاه، يسبح كالطائر بالهواء، ويقول الشّاعرالبدويّاللّيبيّ عبدالله العباسي(*) في وصفه للجمل(١):

ا ركْبـــــت عَليـــــه وَنَاشْـــــتَاقْ خَطـــــرْ مَقْعـــــدْ ســـــمَحْ الْعـــــرْذِينْ

إن حَـــــسّ اقْـــــدَامِي وَالْمْســـــوَاقْ ا ْبحَّـــــلْ تْرحِيـــــلَ الشَّـــــاهِينْ(٢)

يِنَسْـــــفْ شِـــــيهْ مَـــــا يِنْظَـــــاقْ ـلَـــــبْ شَـــــمَّرْ وَالْقْطَـــــاعِينْ

فالشّاعرعندما تذكر فتاته جميلة الأنف، أُومأ على راحلته بعصاه ورجليه فأخذت تسير في سرعة تشبه سرعة الصّقر القادم على فريسته، ويقول في مثل هذا الشّاعرالعربّي الفصيح طرفة من العبد . "ت٥٦٤م"(٣):

إِنْ شئتُ لم ترقِـــلْ وَإن شئتأَرقلت مخـــذَ مَلْـــودٍّمِنَ الْـــدِّ مُحْصَـــدِ

فهي رهن إشارته أن أرادها أن تسرع وذلك لا يكلّفه إلاّ سوطاً ملوّياً فتزيد سرعتها وهي خائفة، ويقول في مثل هذا الشّاعرالعربّي كعب بن زهير"ت٢٦هـ-٦٤٦م" (٤).

فـــإِذَرفَ عـــتُ لهـــا الَيمـــينَ ـــزَاورتْ عـــن فـــرجٍ عـــوجٍ بيـــنهنَّ خليـــفُ(٥)

خليـــــــــــــــــــــــــــــــفُ(٥)

وتكُـــونُ شَـــكْواها إذا هـــي أَنجَـــدتْ بعـــد الكَـــلالِ لَمُّـــكٌ وصَـــرِيفُ

وهو كقول الشّاعر مخبل السعدي "ت١٢هـ/٦٣٣م"(٦):

وإِذَا رَعْـــــتُ السَّـــــوطَ أَفْزَعَها تحـــــتَ الضُّـــــلوعِ مُـــــرَوَّعُ شَـــــهُم

وتُســـدُّ حاديهـــا بـــذِي خُصَـــلٍ عُقِـــمَتْ فَنَـــاعَمَ نْبتَـــهُ الْعُقْـــمُ

(*) هو الشّاعر عبدالله على العباسي ولد في جالو سنة ١٨٨٣م تقريباً وهو ينتمي لعائلة عموش من فرع النصيرات، قبيلة المجابرة، تعلّم القرآن في طفولته بضواحي جالو، وفي شبابه امتهن مهنة غرس النّخيل وبيع التمور، عرف عنه قلة اسفاره، وله محاورات شعريّة عديدة مع الشّعراء الّذين عاصرهم وفاته كانت عام ١٩٧٧م، انظر ديوان الشّعر الشعبي، ج ٢، د.علي سليمان الساحلي، ص١٤١.

(١) المصدر نفسه، ص١٥٥.

(٢) إن حس: إن شعر، اقدامي: قدمي، المسواق:العصا الّتي تساق بها الإبل. يرحّل: يرحل وينطلق.

(٣) المعلقات العشر الزوزني، ص١٠٧.

(٤) ديوان كعب بن زهير ص٨٥.

(٥) وهي أبيات من قصيدته: أني ألمَّ بك الخيال يُطيفُ ∴ وقطافه لك ذكرةٌ وشغوفُ

(٦) المفضليّات، ص١٠٦.

لِـَهـــــا مَناسِـــــم كـــــالَمواقِعِ لا مُعْـــــــــرٌ أَشـــــــــاعِ ُرها ولا ُدُرُم[1]

فكلّ المطايا تخاف رفع السوط والعصا ، وتزيد من سرعتها وعدوها ورقلها تشبه الطّائر والصقر من خلال وصف الشّعراء لها في صور متشابهة.

وصف الإبل الحلوب:

يقول الشَّاعرالبدوّياللّيبيّأحمد رميله(*) في إبله وعدد الحلوبات بها:[2]

وَهُـو كَـانْ يَسْـبَجْ فِـي الْقَـدُوْر حَلِيبَـهْ مِـنْ سَـتَّه وسَـتِّهْ وأَرْبَعِـيْن اشْـمالْ

والسَّـاعَه طَـى غَفْلَـه جِـي لاَ رِيبَـهْ وَا وَقْتَهَـا قَـرَّبْ سَـوَا مَـا زَالْ

يكثر اللبن عند الشَّاعر وهو كالنهر لقوله "يسبح" بالقدور، وذكر عدد النوق الحلوب وعددها "٥٢" ناقة عند جمع الست والست والأربعين، حيث زادت النوق الحلوب عند الشَّاعرالبدوّياللّيبيّ عن النوق الحلوب لدى الشَّاعرالعربيّ عنترة بن شداد "٦٠٨م" بعشرٍ ، حيث قال عنترة:[3]

فيهـــا اثْنَـــانِ وأَربعُـــونَ حَلُوبَـــةً سـوداً ككافيـةِ الْغُـرابِ الأَسْـحمِ[4]

الأَسْـــــــــــــــــــــــــحمِ[4]

إِذْ تَسْـتبيكَ بـذي غُـرُوبٍ وَاضِـحٍ عَـذْبٍ مُقَبَّلُـهُ لَذِيـذِ المَطْعَـمِ.

وزاد الشَّاعرالبدوّياللّيبيّ عنالشَّاعرالعربيّ بذكر ((الشّمال))وقد تكون نوقعنترة فُصِلَتْ عن صغارها، وذكر عنترة لون الإبل الّتي تشبه الغراب لشدة السواد لتفضيل العرب هذا اللّون

---

(١) الأبيات من ميمية الشّاعرة: تَكر الرّبابَ وذكرُها سُقْمُ ∴ فصبا ولَيْسَ لِمَنْ صَبا حِلْمُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٢) كتاب الشّعر الشعبي ،ج١، د علي برهانة ، ص٦٠.

(٣) جمهرة أشعار العرب، ص٩٥.

(٤) من معلقته: هل غادر الشّعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهّمِ.

عن غيره من الألوان. والشّاعر البدويّاللّيبيّ صالح أبو مازق(*)يقول في حليب الإبل أيضاً :(١)

أيضاً :(١)

اصْـحَاب الْبِيـوتْ اللِّـي اكْبـارْ عَـوالِـي ـي لَقَحْهُـمْ يـرْوِي الضِّـيفْ غَـرَارَه.

ويقول الشّاعرالبدويّاللّيبيّ عبد المطلب الجماعي (*) في لبن الإبل(٢):

وإنْ كَـانْ رَوْحُـوا بَهـا اللِّـي فَلاَّيـا يَـرْوى حَـلْ وَالجَّـارْ واللِّـي يْجيهَـا(٣)

يْجيهَـا(٣)

وَلْـِ خَلْقهَـا وعزَّهَـا مُولاَيـا ـى حُسَـنْ صُـورْتَها اللِّـي جِـتْ فِيهَـا

والشّاعر البدويّاللّيبيّ بوحويش(*) يقول في مثل هذا(٤):

بقْـدُورْ يَصَّـبَّحُوا فِيـهْ وَحَـلاَلْ حَلِيبَـهْ وَصَـلْ جَـارْ جَـارَه(٥)

كَـمْ هَشَـاشْ جَاتَـه بَمْسَـالْ مَنْبَـتْ سَـاهَبْ اشْـقَارَه

فكلّ الشّعراء ذكروا الإبل وكرم أصحابها الّذينأغدقوا باللبن على القريب والبعيد، ومن الملاحظ أنّ الشّعراء الثلاثة ذكروا الجار وأبعد من ذلكحتّى وصل إلى جار الجار، وهذه صفة يتّصف بها البدوي للوقوف على أحوال جاره ومساعدته، فزمنهم كان زمن عوز وحاجة

(*) هو صالحبو مازق الرفادي من قبيلة العبيدات، ولد بمنطقة التميمي، عام ١٨٧٠م وكانت حرفته الفلاحة وتربية الإبل، وله مساجلات مع بعض الشّعراء، وتوفى عام، ١٩٤٥م، انظر ديوان الشّعر الشعبي ، ج١ ، ص١٥١.

(١) ديوان الشّعر الشعبي ، ج١ ، ص٩١.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٢) ديوان الشّعر الشعبي المجلد الأوّل، ص٤٠.

(٣) روحوا: أيّ عادوا من المراعى، فلاّيا: ترعى بالفلاة، أيّ المفازة والصحراء، يروى: من الري والارتواء من العطش، المحل:أصحاب المحل مجازاً ، يجيها: يأتي إليها

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٤) الإبل في الشّعرالشعبي، ص٢٣٢.

(٥) يصبّحوا: يبدأ حلب النوق صباحاً.

ومن كان له فضل زاد يعطي لمن لا فضل له، أّماالشّاعرالبدوّياللّيبّيعبدالله بوالقوايل(*)فيقول(١):

آذَانَ الصُّبْحَ السَّعْي إنْحَلْ وَقْماً طَارَبْ عَ التَّبهِيلْ(٢)

وَعَادَ الرِّعْيَانْ بهَّلْ وَعَادْ الشُّخَبْ يشِيلْ شَلِيلْ

يشير الشّاعر هنا إلى النهوض باكراً منذ الأذان لأداء الصّلاة في أوقاتها ثّم يتّم حلب النوق من قبل ((الرعيان))، والحليب لغزارة شخبه بالإناء كالشّلّال لكثرته وغزارته ، يقول الشّاعرالعربّي الجاهلي الأعشى "ت ١٩هـ-٦٢٦م" في مثل هذا(٣):

وَهَلْ يُشَدَّنّ مِنْ نُوحٍ بالشَّخْبِ مِنْ دَرَّةٍ صِرَارُ(٤).

أَقْسَمتُ لا نُعْطِيَنْكُم إلاّ عِرَاراً فَذَا عِرَارُ

فلا يغنى الصرار شيئاً إذا كانت النّاقة غزيرة اللبن، فجميع الشّعراء وصفوا وصوروا غزارة اللبن وحاجة النّاسإليه.

وصف الإبل بالاعوجاج:

ورقبة الإبل عوجاء، وقوائمها بها اعوجاج فأصبحت صفة الاعوجاج تلازم الإبل في كلّ من الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي القديم، تقول إحدى الهجاوي الشعبّية في حداء الإبل(٥):

الْبِلْ عُوجَةَ الْعَوَاقِبْ لَيَا شَيَّعتْ مَا تَوَاطِي(٦)

وَتِطْوِي الْوطَاطَ يَعْطَي طَيَّةَ حَصِيرَ الْبَسَاطِ(١)

(*) تمت الترجمة له ، ص١٧٥ .

(١) ديوان الشّعر الشعبي ، ج٢ ، ص١٨٨.

(٢) انحل: فك عقال النوق،تماً طارب: "أصبح طارباً على التبهيل: حل خيط البهال.

(٣) ديوان الاعشى، ص٩١.

(٤) هذين البيتين من قصيدة الشّاعرألم تروا إرماً وعاداً أودى بهااللّيل والنهارُ

(٥) من أدب الرعاة، د.محمد سعيد القشاط، منشورات المركز الوطني للمأثورات الشعبية الطبعة الاولى،١٩٩٩م، ص٣٩. ص٣٩.

(٦) شيعت: رفعت رؤوسها إلى أعلى.

فالإبل إذا رفعت رؤوسها صارت تقطع المسافات وتطوي الطريق كطيّ الفرش والبسط تشبيهاً لسرعتها في صورة جميلة، ويقال في حداء الإبل[٢]:

يَـــا مَعْوَجَـــةْ لَرْقَـــابْ يَـــا مَـــدَّاهْ يَـــا سَـــعْدْ مِـــنْ قَعَّـــدْ وَرَاكْ زْنَـــاهْ[٣]

تعدُّ صفة الاعوجاج للإبل رمزاً للفخر والاعتزاز لامسّبة وعيباً تؤصم به الإبل، ويصفها الشَّاعر هنا أيضاً بطول امتداد خطاها، والسعادة كلّ السعادة لمن دافع عن إبله وذاد عن حياضها بسلاحه ومات دونها[*].

ويقول في هذا الشَّاعرالبدويّاللّيبيّعبدالمطّلب الجماعي[٤]:

عُوجَـــه وعُـــوجْ اْرَ ـــاب مُـــوشْ سَـــقِيمه وَمَـــازَال الْعَـــوجْ دِيمَـــا ايحَـــاذِي فيهـــا[٥]

يصف الشَّاعر الإبل بالاعوجاج عموماً والرقبة والقوائم خصوصاً وهي ملازمة له دائماً ،فالحروب تقام من أجلها بين مغتصبيها ومالكيها وتنتقل إلى القبيلة فالأحلاف وما يترتب عليها من طلب للثأر ،وكلّه بسبب الاعوجاج الملازم على سبيل المجاز، ويقول الشَّاعرالعربّي الجاهلي طرفة بن العبد "ت٥٦٤م"في بيت من معلّقته[٦]:

وإنِّـــي لأُمْـــي الهَـــم عَنـــد احْضَـــارِهِ بَعوجـــاَء مِرَ ـــالٍ ـــروحُ وتغْـــدي

فالشّاعر تذهب همومه وأحزانهبعلّوه راحلة ناقته العوجاء السريعة، ويقول الأعشى "ت٦٢٩م" في هذا الصدد[٧]:

---

(١) حصير البساط: الفرش والبسط.
(٢) الأدب الشعبي في ليبيا، محمد سعيد القشاط، ص١٦٢.
(٣) مداواة: من تمد الخطاء بالمراعي، يا سعد: من البخت والحظ، قعَّد: سحب ورفع بندقيته خلف الإبل، وراك: خلفك، الزند: البندقية مجازاً.
(*) تم التعريف بالشّاعر.
(٤) ديوان: الشّعر الشعبي ، ج١، ص٣٣ .
(٥) عوجه: اعوجاج، موش: اداة نفي، ديما:دائماً، يحاذى فيها: مقترن بها.
(٦) شرح المعلقات العشر، الزوزني، ص٩٥، البيت من معلقة طرفة : لخولة أطلال ببرقة ثَمْهَدِ:تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ.
(٧)ديوان الاعشى، شرحه عمر فاروق الطباع، ص٤٢.
هذه الأبيات من قصيدة الشَّاعر:

وَخَصْمٍ تمنّى فاجتنيتُ بِهِ المُنى وَعْجَاءَ حَرفٍ لَنّ عَنباتُها

عَلالَا بالسّوطِ بَعْكَلاهَا عَلى صَحْصَحٍ تَدْمى بِهِ بخَصَاتُها

وقول الشَّاعرالعربّي القديم المخبل السعدي: "ت١٢هـ٦٣٣م".(١)

وقوائمٌ عوجٌ كاعمدةِ النيانِ عُوالَي فوقها اللّحْمُ

وإذَا رفعتُ السَّوْطَ أَفْزَعَها تحتَ الضُّلوعِ مُرَوَّعٌ شَهُمُ

فالجميع وصفوا الإبل وأطلقوا عليها صفة العوجاء وإن كان القصد مدحها لا ذمها.

وصف الإبل بالقصور:

شبه العرب الإبل بالقصور لضخامتها وارتفاعها وعددها أحياناً، فالشّاعر العربّيالبدويّاللّيبّي حسن لقطع(*)في وصف جمل يحمل هودجاً يقول:(٢)

قَوَّسْ مَعَ كَرُودَهَا قِرافَهْ جِي تقُولْ قَصْر اوْدْ تِحتْ اجْحِفْهَا(٣)

تسير الإبل وهي تحمل الهوادج وبطونها ضامرة كالأقواس وهي تشبه بذلك قصر اليهودي المرسوم بمخّيلة الشَّاعرالّذي لم يشاهده أصلاً، ومثله قول الشَّاعرالبدويّاللّيبّي ساسي عمر مسعود(*)في أبيات من قصيدة زجلّية في وصف جمل له(١):

أَجَدَّ بنَيّا هَجْرُها وشَتَاتُهَا وَحَبَّهلْ لَوْ تُسْتَطَاعُ طِيَاتُهَا

(١) المفضليّات ص١٠٦، البيتان من قصدة الشَّاعر:-
ذَكَرَ الرّباب وذِكرُها سَقَمٌ فَصَبَا ولَيْسَ لِمَنْ صَبا حِلْمُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٢) ديوان الشّعر الشعبي، المجلد الأوّل، ص١٤٦.

(٣)تقوَس: كالقوس، كرمود: الهودج، قرافه: سيور من الجلد تشد بها خشبات الهودج والسيورالّتي تزين الهودج، جحفها: جمع "الجحفة": الهودج.

رَاسَـــهْ وَالجَّرْعُـــوب وَنَفَّـــهْ كِيـــــفْ بَنَيـــــاتْ الجُهَّـــــالِي[٢]

ذيلَه وَالْبَيطـــــــــان وخَفَّه مَـــــافَيهنْ مِ الْعِيـــــبْ امْثَـــــالِي

نَاديتْ رَعَـــــــــيتَهْ ظَفَّه لاذوا بيـــــــه لَيـــــلَ الْـــــوَالِي

شّبهالشَّاعر جمله وهو مرفوع الرأس وسنامه المرتفع ومقدمته بالبنيان الجاهلي الّذي شاهده الشَّاعر من خلال البنيان الأثري بالأراضي اللّيبيّة من بقايا معمار الرومان والحضارات القديمة الّتي تطلق عليها العامة بليبيا بأّنها مبان جاهلّية أيّ قديمة .أّماالصّورة في ذاتها فهي منقولة من الصّورةالعربّية القديمة تواترا ووراثة جيلاً عن جيل والاّ كيف تفسر تشبيه شاعر ليبي لجمله أو ناقته بقصر يهودي وهو لم يعرفه والشعر الجاهلّي يستعمل نفس التّشبيه ، في حين أّنالشَّاعرالبدويّاللّيبّي لم ينل حظّاً من التعليم ولم يسمع بيتاً من الشّعر الجاهلي في حياته .

يقول في مثل هذا الشَّاعرالعربّي ثعلبة بن صُعَيْر بن خزاعي المازني ت "مجهول"[٣]:

وَجْنَـــاءُمُجْفَـــرَة الضُّـــلوعِ رَحيلـــةٍ قَـــى بَـــوَاجِرِ ذاتِ خَلْـــقٍ حـــادِرِ[٤]

تُضْـــــحِي إذَا نَقَّ الَمطِيُّكأنَّهـــــا فَـــدَنٌ ابْـــنِ حَيَّـــةَ شَـــادَه بِـــالأُجُرِ

فناقة الشَّاعر سارت طيلة ليلتها وضحويتها لم يكلّها السير ولم يتعبها، فهي قوّية سمينة تشبه قصر ابن حّية الّذي بناه بالجص.

ويقول في مثل هذا الشَّاعرالعربّي القديم متمم بن نويرة "ت٣٠هـ٦٥٠م"[٥]:

وَقَـــدْ قطعـــتُ الْوصـــلَ يـــوَمخِلاَجِـــهِ وأخـــو الصَّـــريمة فـــي الأُمـــورِ الُمزْمِـــعِ[٦]

مِجِـــدَّةٍ عـــنْسٍ كـــأنَّ سَـــرَاتَها فَـــدَنٌ تُطيـــفُ بـــه النَّبـــيطُ مُرفّـــعِ

(*) ساسي عمر مسعود شاعر من نواحي سرت عاش أوائل القرن العشرين، هاجر إلى تشاد بعد أن استشهد والده وأخوه عبدالله في إحدى المعارك ضد الغزو الإيطالي بالجنوباللّيبيّ، وعاد من تشاد بعد خروج الإيطاليين وعاش بمدينة سبها إلى أن توفى بها، انظر كتاب الشّعر الشعبي، الجزءالثّاني على برهانه، ص١٣٣.

(١) كتاب الشّعر الشعبي، ج١، على برهانة، ص١٤٢.

(٢) الجرعوب: ضخامةجسمه، دفّه: صدره ومقدمته، كيف: أداة تشبيه بمعنى "ك".

(٣) المفضليّات ، ص١١٨.

(٤) هذه الأبيات من رائية الشَّاعر: هل عند عمْرَةَ من بَتَاتِ مُسَافِرِ
ذِي حَاجةٍ مُتَرَوِّحٍ أَو باكِرِ

(٥) المفضليات، ص٣٩.

(٦) الأبيات من قصدية الشَّاعر: صَرَمَت زُنَيْبه حَبْلَ مَنْ لا يَقْطَعُ
حَبْلَ الخَلِيل وللأَمَانة تفجعُ

فهو أيضاً ناقته الصلبة المجدّة في سيرها ضخمة، فسنامها وارتفاعها تشبه قصر العجم المرتفع الفخم، ويقول في هذا أيضاً الشّاعر الجاهلي عنترة بن شداد"ت٦٠٨م" في هذا البيت من معلقته[١]:

وَ فَـــتُ فيهـــا نَـــاقتي وَكأنَّهـــا ... ـــدَنٌ لأقْضِـــحَاجَـــةَ الُمتَلَـــوَّمِ[٢]

ويقول أيضاً أبو داود الايادي الشّاعرالعربّي القديم "ت٥٥٤م"[٣]:

فـــإذَ أقَبلَـــتْ تقـــولُ إكـــامٌ ... شُـــرفاتٌ فَـــوْقَ الإكـــام إكـــامُ[٤]

وإذا أعْرَضَـــتْ تقـــولُ صُـــورٌ ... مـــن سَـــمَاهِيجَ فوقَهـــا آطَـــامُ

وبمثل هذا شّبه الأعشى ناقته وطرفه والكثير من الشّعراءالّذين وصفوا الإبل بالقصور والفدن والمباني الشاهقة الضخمة المرتفعة، وهذا ما انتهجه الشّاعرالبدوّياللّيبّي رغم أّميته والزمن الّذي يفصل بينه وبين الشّاعرالعربّي القديم عموماً .

وصف الإبل بالمراكب والسفن:

يطلق البدو في ليبيا على الإبل بـ"سفن الصّحراء" فهي الّتي تشقّ بحر الرمال وأمواجها المتتالية، كما تشقّ السفن عباب البحار وأمواجه العاتية، لذلك شّبهوها بالسفن، وفي مثل هذا يقول الشّاعرالبدوّياللّيبّي محمد القارح(*)[٥]:

نَبـــاتَ الْقُـــودْ تَلْعـــبْ فـــي الْوَارْ ... تَحَـــايي فـــي مَنَاهِـــلْ غَابيـــاتْ[٦]

مَرَاكِـبْ بَـرْ لِـيـا صَـارَتْ اخْطَـارْ ... اتجـــوَّن عَ الأوْطَـــانْ المبعـــدات[٧]

---

(١) جمهرة اشعار العرب، ص٩٤.

(٢) هذا البيت من معلقته: هل غادر الشّعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهّم.

(٣) الاصمعيّات، ص١٨٨.

(٤) هذين البيتين من قصدية الشّاعر:مَنَعَ النّوم مَاوِىَ النّهَمَامُ وجديرٌ بالهمِّ من لا يَنَامُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٥) الشّعر الشعبي ، ج١، د.علي برهانه، ص٢٣.

(٦) بنات القود: الإبل، تلعب في أدوار: تقوم بمهام، تحايي: تُحْيي، مناهل: آبار، غابيات: عُطّت وخفيت بفعل الرمال والطبيعة. والطبيعة.

(٧) ليا صارت أخطار: إذا حدثت اخطار، تجوّن: تدخل الجون: الأرض المتسعة وقد يكون اشتقاقه من السواد للبعد وسواد الحجارة الحجارة بالصحراء اللّيبيّة، أو من الخضرة الشديدة للعشب بتلك الأراضي، الاوطان:يقصد بها الصّحارى أيضاً، المبعدات: البعيدة.

فالإبل عند الشّاعر كالمراكب بالصحارى الرملّية المخيفة، عندما يداهم الخطر اللّيبيين سواء أكان الخطر من السواحل والبحار عن طريق أساطيل الاستعمار الّذي خبره اللّيبيون وعانوا منه الكثير، وأّم من خطر الجدب والقحط وقلّة الماء والعشب، عندها يلجاؤون إلى الإبل لقطع المسافات الشّاسعةالطّويلة والخطيرةحتّى تصل بهم إلى برّ الأمان بتلك الصّحارى والأودية والجبال البعيدة ، أو إلى أراضي الدول المجاورة لليبيا، والشّاعر كان مهاجراً بالأراضي التشادية لهذا كان يقصد بشعره تلك الّديار.

ويقول في هذا الشّاعر عبد الواحد الجنجان(*) واصفاً مطيته في قصيدة زجلّية(١):

ـــقَّدْ فـــي الْيُـــوَم الْمشَـــهُورْ للِّـــي صُـــبْحيَّةُ ـــ وْم خَمـــيسْ(٢)

لَيـــا بـــوَّجْ كِيـــفَ الْبـــابُورْ ـــــع َرْب ا ْيـــدِير امَّـــاحِيصْ(٣)

انطلق جمل الشّاعر يوم الخميس بسرعة لا توصف قاطعاً بذلك دروب الصّحراء الوعرة الّتي لا محص فيها إلاّ محص الظبي في عدوه وسرعته، فهو في هذه الحالة يشبه السفينة في سرعتها وعدوها عبر أمواج البحار.

ويقول الشّاعر على رحومه الخويلدي(*)واصفاً الإبل عموماً ودورها في قصيدة زجلّية هذا أحد مقاطعها(٤):

ـِحْكِـــي عَـَــى الْخَـــوَّارَه ـا قَـطَّعـتْ مِـنْ بَـرْ شِـين اقْـَارَه(٥)

كَانَـــتْ مَرَاكَـــبْ بَـــرْ لِـلْمَيَّـــاره كـلّ بِيـتْ تَـبْلَطْ حْمَـا فِـي اوَاقَـه.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) الشّعر الشعبي الجزءالثّاني، د. علي برهانة، ص٩١.

(٢) اسّقد: انطلق.

(٣) ليا: إذا، بوّج: كناية عن السرعة،باج البرق يبوج بوجاً وتبوّج إذا أبرق ولمع وانكشفانظراللّسان مادة "بوج" دروب: دروب: طرق صحراوية، ادير: ما فعلته الرّياح بها، اماحيص: اسرع، محص الظبي في عدوه يمحص محصاً: اسرع وعدا عدواً شديداً انظراللّسان مادّة "محص".

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٤) الشّعر الشعبي ، ج٢ ، د علي برهانة ، ص ١٩١ .

(٥) الخّوارة: الإبل، شين: مخيف، قفارة: أرض قفر، الميّارة: جلب المير والمؤنة، تبلط: تضع.

الإبل أداة البدويّ ووسيلة تنقلّه وحمل أثقاله ، قبل أن توجد السّيّارات والطائرات وكلّ أدوات الاتصالات الحديثة، فهي مراكبهم وأداتهم الوحيدة إلى وقت قريب، فكيف لا يصفونها بكل ما هو جميل وقّوي وسريع، فهي كالمراكب بل هي مراكبهم ومركوبهم.

والشّاعر البدويّاللّيبيّ عبد الباسط غنيه(*) يقول في قصيدة المسابقة عندما تطرق لوصف الإبل(١):

يضَلْ يَصَّفْصَقْ كُّهْ وِينْ يَمْدْ خَطَاوِيهْ يُدُ وجَلْ

ـا فْرِقَاطَه فِي غِلِّينْ عَليها بُوهَجَاتْ ازْعِلْ(٢)

مْعَّدْ ضَاقِي فِي الْعِرْذِينْ بخشْمَه فِي الْمِزْن يْطَاوَلْ

شّبه الشّاعر الجمل وهو يسير على مهل منه كالقطعة البحريّة الحربّية الّتيأخذ البحر يتلاعب بها عن طريق أمواجه العاتية.

يقول الشّاعرالعربّي القديم المرقش الاكبر "ت٥٥٢"م في هذا الصدد: (٣)

عَرْفَاءُكالفَحْل جُماليَّةٌ ذَاتُ هَبَابٍ لاَ تَشَكَّى السَّأْم. (٤)

(٤)

بَلْ غَزَتْ فِي الشُّوْلِ تَتّى نَوَتْ وسَوَّغَتْ ذا حُبُكِ كَالإِرْم

:عْدُ إِذَا حُرِّكَ مِجْدَافُها عَدْو رَبَاعٍ مُفْرَدٍ كَالزُّلَم

ويقول الشّاعرالعربّي القديم طرفه "ت٥٦٤م" أيضاً في معلقته:

كَأَنَّ حمول المالكية غُدْوة خَلايا سَفينٍ بالنواصف مِنْ دَدِ

عَوْليَّة أو من سفين ابن يامن يُجَر بها المَلاَّحُ لَوراً او يَهَدِي

ويقول في مثل هذا الشّاعرالعربّي القديم عبيد بن الأبرص ت " ٥٥٥م"(٥):

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) القصائد العشرة الاوائل في دورتهالثّانية، ص٥٣.

(٢) بوموجات: كنية للبحر، زعل: غضب، غلين: عمق الماء.

(٣) المفضليات، ص٢١٦.

(٤) هذه الابيات من ميمنة المرقش : هل تَعْرِفُ الدَّارَ عفا رَسْمُها إلاّ الأثافي وَمَبْنَى الخِيَمْ .

(٥) جمهرة أشعار العرب، ص٨٣.

تأمّلْ خَليلي هَل تَرَى من ظغائنٍ يممةٍ قَدْ تَغْتَدِي وتَروحُ[1]

كَعُومِ السّفِينِ في غَوارِبِ لُجّةٍ تُكَافِي مَاءَ دِجْلَةَ رِيحُ[2]

والقائمة تطول في تعدّد من تناول هذا الوصف، فأغلب الشّعراء العرب وصفوا الإبل بالسّفن، وسار على هديهم الشّعراء البدو في ليبيا.

وصف الإبل بالنعام:

شبّه كلّ من الشّعرالبدويّاللّيبيّ والشعر العربيّ الفصيح الإبل بطائر النّعام، لسواد لونه أو لطول عنقه أو لملازمته للصحراء أو لسرعته، فالشّاعر البدويّاللّيبيّ محمد الأحول القارح(*) في عموديته التائّية الّتيأشرنا إليهاسابقاً في الإبل عموماً[3]:

كَسَّابِينْ مِنْ جَعْد الأَوْبَارْ رَقَّاب الرَّالْ عَزَّ الْكَاسْبَاتْ[4]

قُولْ نَعَامْ تَنْظُرْهَا اكْوَارْ هَيلَه فِي الْفُجُوجُ الْخَالِيَاتْ[5]

فالإبل ترعى بالأودية والصحارى في مجموعات تشبه النّعاملطول رقابها ورعيها في جماعات جماعات دون راع، تجوب الصّحاريالّتي يسكنها النّعام.

ويقول الشّاعرالبدويّاللّيبيّ خالد رميلة(*) في مثل هذا[6]:

وتَبْقَى كَمَا الْغزْلاَنْ مَا فِهَا جَرَبْ تْبقَى كَمَا ظُلْمَانْ قَدَّم حَضِينَهَا[1]

حَضِينَهَا[1]

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٣٠.

(٢) البيتان من حائية الشّاعر: نَأَتْكَ سُلَيمىفالفُؤادُ قريح
ليس لحاجاتِ الفؤادِ مرُيحُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) كتاب الشّعر الشعبي ، ج١، د.على برهانه، ص٢٤.

(٤) جعد الاوبار: الجعد خلاف السبط، فوبر الإبل مجعد، الكاسبات: بمعنى المكسوبات من التكسب وطلب الرزق، وهنا يقصد الإبل افضل ما يقتنيه الإنسان.

(٥)فجوج: الأرض المتسعة.

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٦) ديوان خالد رميلية الفاخري،ص٧٩.

وإلاّ الرِّيْم هَاذَاكْ رتـــعْ السَّهَ بْ عَاتَ ـــا امْغِيْرامْعـــاه بِيَنـــهْ وبِيَنهَ ـــا

فإبلـه سـمينة نظيفـة ، لا جـرب بهـا ، وهـي تشـبه ذكـر النّعاملاّـذي يـدور حـول عشهليحتضن بيضه.

ويقول الشَّاعرالبدويّاللّيبّي عمر القابسي(*) أيضاً في قصيدة زجلّية فاز بها في مهرجان الشّعر الشعبي في دورته الثّالثة(٢):

هـــذي دَارْ اجْـــوَادْ قَـــديمينْ بِيَهَ ـــا لاَ زَمْنـــي الْكَـــلاْم(٣)

عَـــرَبْ فِـــي الْخَـــالِي نَـــزَّالِينْ خَوَايَـــا بِإَبَـــالْ وبِإِغْنَـــاْم(٤)

عَـــرَبْ لِكْحِيلَـــه كَسَّـــابِينْ هِـلْ فِـي فَـجْ تَقُـولْ نَعَـاْم(٥)

فربع الشَّاعر وقبيلته وديارة أهل جود وكرم منذ القدم، ومن صفاتهم أنهم يسكنون النّيار الخالية المخيفة بإبلهم وأغنامهم ، وهنا كناية عن الشجاعة، ويملكون الإبل الكثيرة الّتي ترعى في تلك الصّحارى وهي تشبه طيور النّعام.

والشّاعر العربّي القديم بشامة بن عمرو ت"مجهول التاريخ" يتناول هذه الصّورة(٦):

إذَا أقبلَـــتْ قلـــتَ مَـــذْعُورة مِـــنْ الرُّمَـــدِ تَلْحَـــقُ هْقَـــاً ذمـــولا(٧)

وإنْ أدبـــرتْ قِلـــتَ مَشْـــحُونةٌ لَـــاَعَ لَهَـــا الـــرِّيحُ قِعْـــاً جَفُـــولا

---

(١) قدَّام: إمام وبالقرب من عشّها، حضينها: احتضان بيضها

(*) هو عمر يوسف القابسي شاعر معاصر من قبيلة المغاربة ولد بمدينة اجدابيا سنة ١٩٦٣م متحصل على الشهادة الإبتدائية: فاز بالترتيب الأوّل في مهرجان الشّعر الشعبي في دورتهالثّالثة ٢٠٠٢م، انظرالدّورة التثقيفية الأولى للشعراء المتميزين، ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١١.

(٣) لازمني: يلزمني ذكرها.

(٤) عرب: لفظة تطلق على القبيلة والتجمع وغيرها من باب المجاز.

(٥) كحيله: اسم من اسماء الإبل، همل: ترعى المرعى دون راع. فج: الصّحراء الواسعة، تقول: أداة: تشبيه.

(٦) المفضليات، ص٤٧ .

(٧) من لامية الشَّاعر: هَجَرْتُمامة هَجْراً طَويلا

وَحمّلك الذَّأْيُ عبْئاً ثَقيلاً

فهي مسرعة كالنعامة الّتي تلحق بذكرها ويقول الشّاعرالعربّي المثقف العبدي ت"٥٨٧م".في مثل هذا[١]:

لَعَمْرَةَ وحْشِيَّةً بالبطحاءِ بين مَعرَّفٍ ... يَغُولُ البلادَ سَوْمُها وبريدُها[٢]

بِتُّ وباتَتْ كالنَّعامةِ نَاءِي ... باتَتْ عليها صَفْتِي وقَتُودُها

ويقول الشّاعرالعربّي حسّان بن ثابت "ت٥٤هـ/٦٧٣م"[٣]:

يَبَّعُ في غَسّانَ أكفافَ مُحْبِلٍ ... إلى الْحَارِثِ الْجَولانِ فالّنثُّ ظَاهِرُ[٤]

ظَاهِرُ[٤]

رَبَّتَ لِلرَّحلِ وهيكأَنَّا ... ظَلِيمُ نَعامٍ بالسَّماوةِ نَافِرُ

ومثله قول الشّاعرالعربّي القديم كعب بن زهير"ت٤٢هـ، ٦٦٢"[٥]:

تجاوِب أَصْداءً حِينًا وُيوعُها ... ضَؤُورٌ كَسَّابٍ على الرَّكْبِ عائِلِ[٦]

عائِلِ[٦]

عُذافِرَةٌ تختالُ بالرَّحْلِ حُرَّةٌ ... بُارِي قِلاصاً كالنَّعام الجَوافِلِ

وقول الشّاعرة العربّية ليلى الأخيلية "ت٣٥هـ-٦٥٥م" في بيت يتيم[٧]:

---

(١) المفضليّات، ص١٣٩.

(٢) من دالية الشّاعر:إلاّ إن هنداً أمسَى رَثّاً جَدِيدُها ... وضَنَّتْ وما كان المَتَاعُ يَؤودُها

(٣)ديوان حسان بن ثابت الانصاري، حقّقه بدر الدّين فاخري، محمد حمامي، دار الشرق العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ١٩٩٨م، ١٤١٩هـ، ص٨١.

(٤) من رائيّة الشّاعر: لعَمْرَةَ بالبطحاء بين مَعرَّفٍ ... وبين نَطَاةُ مَسْكَنٌ ومَحَاضِرُ.

(٥)ديوان كعب بن زهير، شرحه وقدّمه عمر فاروق الطّباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص٢٣.

(٦) من لاميّه كعب: أمِنْ أمّ شدادٍ رُسُوم المنَازل ... توهّمتها مِنْ بَعْدِ ساقٍ ووابل

(٧)ديوان ليلى الأخيلية شرحه عمر فاروق الطباع شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، لبنان، ١٩٩٥م، ص٢٣.

رُؤُوسها بأَثْوابٍ فَافٍ فلا تَرَى ... شَبَهاً، إلاّ النّعام لمنفّرا

فكل من الشّعراء اللّيبيين البدو والشعراء القدامى شبّهوا إبلهم جماعات وفرادى بالنعام والظليم والرآل وكأنّهم يعيشون عصراً واحداً وبيئة واحدة وثقافة واحدة وعقلّية واحدة، ولم يختلف إلاّ التاريخ والزيغ عن الأعراب.

تشبيه الإبل بطائر القطا:

شبّه كلّ من الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح الإبل بطائر القطا في سرعته، وورود ه إلى موارد المياه، وخبرته بالصحارى وأماكن المياه، وشبّهواأصوات حمول الإبل بأصوات القطا، وهذا الشّاعرالبدوّياللّيبّي إبراهيم أبو الجلاوى(*) يقول مشبهاً الأصوات الّتي تصدرها الحمول فوق الإبل بأصوات القطا(١):

اتْجِي مِ الجّريدْ اللّي مَناخْ صَباخَه ... عُولِكْثَقَالْ وللجَّفَا حَمَّالَهْ

طَايَا فَرِيدَه عُوتَكْ ضَبَّاحَهْ ... عَقبه عَلَى مَنْهَلْ صَدْرَشَّالَهْ(٢)

شَّالَهْ(٢)

((فعرا الحمول))على ظهر النّاقة يصدر أصواتاً تشبه صوت القطاة الوحيدة الّتي تأخّرت عن سربها لتروي ضمأها بعد أن صدرت الإبل والرّعاة عن مورد الماء.

ويقول الشّاعرالبدوّياللّيبّي خالد رميلة(*)(٣):

هِي اللّي في الشّولْ وقتاً الفَتْ ... غَرَارَهَا يَرطّبْ يَابْسينْ الْبلايلْ

وَهي اللّي تَركَبْ سِيدَهَا إذا مَا عَيَا ... اشيل لْقَرَبْ وتْشيلْ تّى الْعدايلْ

(*) هو إبراهيم بوجلاوي ينتمي إلى قبيلة الفواخر وهي قبيلة تزخر بكبار الشّعراء، والشّاعر من الشّعراء المطبوعينالّذين يقرضون الشّعربعفويّة في جميع المناسبات دون عناء أو مشقّة ولم تذكر المصادر تاريخ ميلاده، أو وفاته، انظر كتاب الشّعر الشعبي، ج١، على برهانة، ص٨٦.

(١) الشّعر الشعبي ، ج١ ، علي برهانة ، ص٩١.

(٢) عروة: عرا الحمل، ضبّاحه: الصوت الشديد، عاقبه:تخلّفت على السرب، نشاله:الّذي يستخرج الماء من الأبار لري لري الإبل.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) ديوان الشّاعر خالد رميلة، ص١٤٠.

هَـي اللِّـي اْ جيـب الْحمـل يـزَّاقْ بِـالْعَوا زَاقَـةْ قَطَـا رَامِيـهْ قِـيظْ الشَّـعَايل[1]

فهي أيضاً تسمع لها صوت الحمل على ظهرها كأصوات القطا الّذي أخذ منه الحر والعطش فأخذه إلى موارد المياه.

وكذلك قول الشّاعرالبدويّاللّيبيّ طارق مصطفى العقيلي[*]في قصيدة زجلّية شارك بها في مسابقة مهرجان الشّعر الشعبي في دورته الخامسة ٢٠٠٤م وحازت على الترتيب الثّاني[٢]:

الْبِـلْ عِـزْ مَنَـابِيعْ الـرُّوفْ وَدَايِـرْ جَلاَّيا لِلْهَ
اشْـدَادَيها لِلْـوَطَنْ اطُّـوفْ تْجُـودْ بِلُومَـاتْ اللاَّيـمْ
ضَـبِيحْ كَتْبِهَ بِـالْمْرُوفْ طَـا شَـعْلاَيا يَطَّمطَـمْ[٣]

فالأصوات الّتي يصدرها القتب وما ردف فوقه من زيادة في الحمل يشبه القطا الّتيتصدر أصواتاً أعجميّة من شدّة الحرّوهيتبحث عن مصادر الماء.

يقول الشّاعرالعربيّ مالك بن حريم الهمداني ت"مجهول التاريخ"في هذا المعنى[٤]:

وأَقبَلإِخـوانُ الصَّـفاءِ أَوضَـعوا إلـى كـلّ أَحْـوَى فـي المَـامـةِ أَفْرعـا[٥]
أَفْرعـا[٥]

ذَكَّرتُ سـلْمى والرِّكابُ كأَنَّهـا طَـوارِدٌ بـين اللُّفَـاظِ ولُطَّعـا.

عندما تذكّر الشّاعر محبوبتهأيقن ألّاوقت لديه للتوقّف، فالركب يسير نحو هدفه بسرعة

(١)تجيب: تأتي بـ، يزّاق: يصدر أصواتاً عالية، الشعايل: من أشعل الذّار وضرمها، والمراد منها الحر.
(*) هو الشّاعر طارق مصطفى العقيلي شاعر معاصر ينتمي إلى قبيلة العقيلي مدينة بنغازي، مواليد ١٩٧٣م، حاز على الترتيب الثّاني في مهرجان الشّعر الشعبي في دورته الخامسة، انظر الدّورةالتثقيفية الأولى للشعراء المتميزين، ص١٥٥.
(٢) الدّورة التثقيفية الأولى للشعراء المتميزين، ص١٦٠.
(٣) ضبيح: الصوت، كتب: قتب، المردوف: هو مارُدِفَ فوق الحمل للجمل أو النّاقة، شعلايا: الحر الشديد، الطمطمه: صدور أصوات غريبة، والطمطان: في لسانه عجمة.
(٤) الأصمعيات، ص٦٣.
(٥) من عينيّة الشّاعر: جزَعْتَ ولم تَجْزَعُ الشّيب مَجْزعا ∴ وقد فاتَ ربعيالشّباب فودَّعا

كسير القطا.

ويقول الحكم الحضرى تـ "مجهول التاريخ" الشّاعرالعربيّ[١]:

زِوَرَّةِ أســـــفارٍ كـــــأنَّ ضُـــــلُوعَها تُـنـــاطِحُ مِـــنْ مِسْـــمار ســـاجٍ مُضـــبَّبِ[٢]
مُضـــــــــــــــــــــــــــــــبَّبِ[٢]

مُحَبَّبَـــــةِ الـــــرِّجْلَيْنِ حَرْفٍكأنّهـــــا قطـــاةمتى يُـــتْمْ لهـــا الخِمْـــسُ تَـقْـــرَب

وأيضاً تقول الشّاعرة العربيّة سعدى الجهينّية تـ "مجهول"[٣]:

يَـــرِدُ الميـــاه حَضِـــيرةٌ وَفيضَـــةٌ وِرْدَ القَطَـــاةِ إذا اسْـــتَمَلَّ الذُّبَّـــعُ[٤]

يُبكّـــرُ الـقِـــدْحَ العنـــودَ ويعتلـــى بـــأُولى الصَّـــحابِ إذا أصـــاتَ الوَعْـــوَع

شّبه كلّ من الشّاعرالبدويّاللّيبّي والشّاعر العربّي الفصيح الإبل بأسراب القطا أو القطاة منفردة، وهي تطلب الماء بعد عطش شديدألّم بهاحتّى زادت أصواته، وأغلب المشّبه به الأصوات الّتي يصدرها القطا.

تشبيه الإبل بالنخيل:

شّبه شعراء البادية في ليبيا الإبل بالّنخيل لارتفاعها حيناً واخضرارهاً حيناً آخر، وتعني شجرة النخل لليبّيين الكثير، فهي مصدر هام من مصادر رزقهم إلى وقت قريب، لذلك شّبه

---

(١) الاصمعيّات ، ص٣٢.
(٢) من بائّية الشّاعر: إلى ابن بلال جوبي البيد ولاجى
بزياقةٍ إن تَسْمَعِ الزَّجْرَ تَعْضَبِ.
(٣) الاصمعيّات ، ص١٠٣.
(٤) من عينيّه الشّاعرة في رثاء أخيها: أمِن الحوادثِ والمنُون أزوَّعُ
وأبيتُ لَيْلي كلَّه لا أهْجعُ

بها البدويّ إبله على طريقة السلف من الشّعراء العرب. يقول الشّاعرالبدويّاللّيبّي جمعة بوخبينه (*)في تشبيه الإبل بالنخيل(١):

ـالْ غَايتِ ـكْ تَـصْـلِ يـهْ فِـي مِشْـوَارِكْ وتَ لْقِيـ ـهْ مِقْبِـلْ مِـنْ دَرَارْ سَـحَابْه.

فِيـهْ تَشْـرِى مَـا تِتْعِـبِـي نَـزَّارَكْ لاتَ لْحَقَ كْخُوفَ ـ ـهْ وَلاَ رِتْ عَابَـ ـهْ.

وَيـن مِـنْ بَعِيـدْ اَ ـابِلِي ظَ ـارَكْ كِيـفْ النَّخِـلْ ا ْشِـيلْ فِيـهْ سَـرَابْهْ(٢)

سَـ ـرَابْهْ(٢)

يوجّه الشّاعر خطابه إلى الإبل عندما تكون على مرمى الّنظر منه ومن الناظر إليها، تكون كالنخيل الّذي يتموّج عن بعد بفعل السراب .

والشّاعر العربّي المسيب بن علس "ت٥٧٥م" يقول في هذا الصدد(٣):

وَ ـدْ أرَى ظَـغْـنـاً أخِيلُ ـا تخْـدِي كَـأنّ زهاءهـا نَخْـلُ(٤)

فـي الآل يَرْعَـ ـا وَيخْضُـها رِيـع كَـأنَّ متونَـه سَـحْلُ

ومنه قول الشّاعرالعربّيالمرقّش الأكبر"ت٥٩٨م"(٥):

دِ يـارُ أَسْـمَاءَ لّتـي بَلَـتْ قَلْبِـي فَـغْنِـي مأوُهـا يَسْـجُمْ(٦)

ضْـحَتْ خَـلاًءتْبَتُهـا ثَدٌ ـوَّر فيهَ ـا زَهْـوه ـاعْتَمْ

ـلْ هَـلْ شَـجتْك الظُّ عْـنُ بـلَكَوٰ كَـأَنَّهنَّ النّخْـلُ مِـنْ مَلْهَـ ـمْ

(*) هو جمعة عبد الرحيمبوخبينة شاعر معاصر، من قبيلة زويّة سكان مدينة اجدابيا، لم ينل نصيباً من التعليم غزير الانتاج وله ذاكرة قويّة يحفظ جميع اشعاره، قال الشّعر في جميع الأغراض، انظر مقدمة ديوان الشّاعر جمعة عبد الرحيم بوخبينه، جمع المادّة رأف الله اصهيبة، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط١، ٢٠٠٧م.

(١) ديوان الشّاعر ، ص٥٢.

(٢) وين: حينما أو عندما، من بعيد: عن بعد، تقابلي: تظهر أمام ناظريك، كيف: أداة تشبيه بمعنى "ك"، شيل: رفعه.

(٣) جمهرة أشعار العرب، ص١١١.

(٤) البيتان من لامية الشّاعر:بكرت لتخزن عاشقاً طفل ∴ وتباعدت وتحزم الوصل

(٥) المفضليات، ص٢٢٥.

(٦) الأبيات من ميمية الشّاعر: هل بالديار أنْ تُجيبَ صَمَمْ

لو كَانَ رَسْمٌ ناطِقاً كلّمْ

ومثله قول الشّاعرالعربّي القديم عبيد بن الأبرص"ت٥٥٥م"[١]:

كـــأنّ أُظعـــانهمْ نخـــلٌ مُوسَّـــقَه سُـــودٌ ذوائبُـــها بالحَمـــلِ مَكْمومَـــه[٢]

فِـيهِنَّ هِنْـدُ لّتـي هَـامَ الفـؤادُ بِهـا بيضَـــاءُ آنِسَـــةٌ بالحُســـنِ مَوســـومَه

التشابه ظاهر وواضح في تصوير الإبل بالنخيل بين الشعرين البدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح، فالإبل هي الإبل والواحات اللّيبّية والبيئة عموماً تتشابه مع البيئة في شبه الجزيرة العربّية من الاعتماد على تربية الإبل ومعرفتهم جميعاً بواحات النّخيل المنتشرة بصحارى شمال أفريقيا كما هي بالجزيرة العربّية.

وصف عرق الإبل:

شّبه الشّعراء عرق الإبل بالقطران والكحل والدبس "الرُّب" لسواد لونه، فالبدوي يعجبه كلّ ما في الإبل من عرق وبعر وزبد الفحل وعبس النوق...إلخ.

والشّاعر البدوّياللّيبّي عبدالباسط غنية[*] في وصف الجمل ضمن قصيدته الزجلية الّتي تحصلت على الترتيب الأوّل بمهرجان الشّعر الشعبي في دورته الثّانية[٣] يقول:

نَـــزَلْ عَرَقَ ـــهْ دَارْ خَـــرَاطِينْ لِـــونَ القُطْـــرانْ يماثَـــلْ[٤]

كَمـــا دَمَعَـــه سَـــالَتْ مِ الْعِـــنْ غَـــنْ فِيهـــا زَوجْ مَكَاحِـــلْ[٥]

شّبه الشّاعر عرق الجمل وهو نازل على رقبته مخلفاً خطوط متساوية ومتعرّجة على وبره بلون العرق الأسود الّذي يشبه ويماثل لون القطران، أو دمعة حسناء بيضاء اللّون

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٩٢.

(٢) من ميمية الشّاعر: لَمَنْ حِمالٌ قُبَيلَ الصُّبح مَرْمومهْ
مُيَمَّمَاتٌ بِلاداً غَيرَ مَعْلُومَهْ.

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) القصائد العشرة الأوائل،الدّورةالثّانية، ص٦١.

(٤) خراطين: من الخرطوم أيّ عرق يشبه الخيوط.

(٥) غبن: غباء : أيّ لم يفطن له، فالعين لوسعها لم تتأثر بكثرة الكحل، مكاحل: وعاء صغير لحمل الكحل.

تحمل عيناها وعائين من الكحل فيؤدّي بذلك إلى آثار سوداء على خدَّي الحسناء، فعرق جمل الشَّاعر يشبه تلك الدمعة على وجنتي فتاته.

والشّاعر البدوّياللاّيبّي سالم عبدالله العبدلي(*) وهو يصف عرق فحل إبله في قصيدة زجلّية(١):

وِيـــنْ مَـــا رَفَـــعْ رَاسَـــهْ وَشَـــلَّطْ ذِيلَـــهْ ـــــتْ إنَّ عُـــوجَ الرّقَـــابْ فَحْلهَـــا

مِيـــزَابْ مِ الْعَـــرَق فُـــوقْ الْعَـــذَارْ طِيلَـــهَ طَلْحَـــهْ إجَّـــارَهْ مِـــنْ صَـــهِيدْ عَسَـــلْهَا(٢)

إلاَّ مَعَـــــلْ مِـــــنْ قَـــــزَازْ رِقِيلَـــــه ـــاللِّى أصْـــحَابَ الْكِيـــفْ تَسْـــتَعْلِهَا

شبه الشَّاعر فحل إبله وهو يضرب بذنبه دبره رافعاً رأسه إلى أعلى،حتّى يثبت للإبل بأّنه هو الأجدر أن يكون فحلاً للنوق، وعرقه يشبه الصمغ الّذي يخرج صيفاً من شجرة الطلح بواسطة الحّر، أو كالتبغ المعسّل الّذي يستعمل حديثاً للتدخين بواسطة "الارقيلة".

يقول في مثل هذا الشّاعرالعربّي عنترة بن شداد"ت٦٠٨م" في معلقته(٣):

وَكَـتْ عَـلَـى جَنْـبِ الـرَّادع كأّنمـا وَكَـتْ علـى قَصَـبٍ أجَـشّ مُهَضَّـم

وكَـــأنَّ رَبَّـــاً أو كُحَـــيْلاً مُعْقَـــداً حَـــشَّ الوَقُـــودُ بـــهِ جَوانـــبَ قُمْقُـــمِ

حيث شّبه العرق السائل من رأسها وعنقها بربّ أو قطران جعل في قمقم أوقدت عليه النّار، فهو يترشح به عند الغليان، والشّعراء البدو جميعاً يتفاعلون مع إبلهم بالصورة نفسها قديماً وحديثاً وإن وجد اختلاف فهو الإعراب وفصاحة الكلمة أحياناً .

(*) هو سالم عبدالله العبدلي شاعر معاصر من قبيلة العبادلة بمنطقة سرت من مواليد ١٩٥٧م شارك في عدد من المهرجانات وفاز بالترتيب الثالث في مهرجان الشّعر الشعبي في دورته الأولى، انظرالدّورة التثقيفيّة الاولى للشعراء المتميزين، اللجنة العليا لمهرجان الشّعر الشعبي، مطابع الزاوية، ٢٠٠٨م، ص١٧.

(١)القصائد العشر الأوائل ، الدّورة الثّانية ، ص٦١.

(٢) ميزاب: ما وضع لتصريف المياه من على السطوح، صهيد: الحرّ الشديد.

(٣) شرح المعلقات العشر، الزوزني، ص٢٤٥.

وصف عبس الإبل:

من حب البدو للإبل يرون أن رائحة عبس الإبل تشبه رائحة المسك والعطور وغيرها من كلّ ما هو زكي عبق الرائحة. يقول في ذلك الشّاعرالبدوّياللّيبيّ محمد القارح(*) في عبس الإبل في قصيدته التائية(١):

عَبْسهَا اذُوحْ فُوحَان الاعْطَارْ نَرَاهَا نَيْ عَالِي شَايلاَتْ

اقُولْ نَعَامْ تَظْرَهَا أكْوَاره هِيلَه فِي الْفَجُوجْ الْخَالِيَاتْ

فعبس إبل الشّاعر تفوح كالعطر وهي تحمل من السنام واللحم الكثير ويكثر العبس بالّنوق السمان لهذا أشار الشّاعر إلى كثرة لحم وشحم نوقه.

ويقول أيضاً الشّاعرالبدوّياللّيبيّ عامر المقرحي(*) في وصف الإبل بقصيدة عمودّية(٢):

عمودّية(٢):

سْع أَلْوَانْ فِي كْحِيلَهْ جَدِيرَه بِيهَنْ فِي الْفَجُوجْ الْمِرْبَعَاتْ

عَبْسهَا حِو لِيَا فَوَّحْ عَبِيرَه أيَحِلْ عَيُونْ عِمِي امْغْضَاتْ(٣)

فإبل الشّاعر توجد بها تسعةٌلا من ألوان الإبل ، وترعى مكاناً متسعاً يكثر فيهاالّربيع والكلأ، يترتّب على ذلك كثرة عبس الإبل الّذي يفوح عبيره، ويبالغ في قوله أن من يشتم

(*) تم التعريف بالشّاعر.
(١) الشّعر الشعبي ، ج١، د.علي برهانة، ص٢٤.
(*) عامر محمد المقرحي، من قبيلة المقارحة. منطقة قيره بوادي الشاطئ، وكان ينتقل بالصحراء محباً للإبل وكثير الشّعر في وصفها، انظر كتاب الشّعر الشعبي ، ج١، د.علي برهانه، ص٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٦.
(٣) فوَّح: اذا انتشر وفاح.

عبس إبله وروائحها الفّواحه تعيد الّنظر لمن فقد نعمة البصر، أّماالشّاعرالبدويّاللّيبّي عبد الباسط أغنية(*) فقد ذهب أكثر من غيره في وصف عبس الإبل (١):

عَبْسهَا مِنْ وِينْ إلى وِينْ عَبيرَه في التّهَّابْ اْيَلْ(٢)

رَوائحْ شَارَعْ عَطّ ارِينْ تَحْ مَا سَكّرْ فِيهْ مَحَلْ

فرائحة عبس إبل الشّاعر تأتي بالضيوف كدليل للتآئه بدروب الصّحارى الشّاسعة، والروائح الّتي يصدرها عبس إبله تفوق روائح شارعٍ كاملٍ من المحلاّت التّجاّرية والحوانيت المخصّصة للعطور وجميعها لم يغلق له باب.

يقول في مثل هذا الشّاعرالعربّي جرير "ت١٤٤هـ٧٣٣م"(٣):

ترى العَبسَ الحَوليَّ جَواً يُكوعِها لها مَسكاً من غيرِ عاجٍ ولا ذَبلِ

فعبس ناقته كالمسك، وهذا ما يراه البدوّي فكل ما يصدر عن ناقته وجمله وإبله جميل، وله رائحة ولون لا يراه غيره ، فغير البدوّي قد يرى من هذه الفضلات نجاسة ورائحتها غير ما يراه البدوّي.

وصف زبد الفحل:

يشّبه الشّعراء الزبد الّذي يخرج من فم الفحل أوان هيجانه بقماشلأبيض اللّون أو زبد أمواج البحار أو أجنحة الطّائر الأبيض. والشّاعر البدوّياللّيبّي عاطف الزوام(*) يصوّر زبد فحل إبله في قصيدة زجلّية(٤):

قَينيَّ يرْزَمْ مَابَاتْ هَدِيرَه مَجْدُوب اْبْنَدْر

(*) تم التعريف بالشّاعر.
(١) القصائد العشر الأوائل الدروة الثانية، ص٥٢.
(٢) من وين إلى وين: كناية عن البعد، الذهّاب: التائه بالصحارى.
(٣)انظر اللّسان مادّة "مسك"
(*) عاطف الزوام شاعر يجيد وصف الإبل لم أجد له تاريخ ميلاد ولا وفاة بالمصادر الّتي تناولت ذكره.
(٤) الإبل في الشّعر الشعبي، ص١٥٠.

رَعَوِيـــــهْ تَقُـــــولْ زَمـــــلاَتْ بَحَـــرْ فـــايِضْ مُوجَـــهْ يُلْفُـــرْ

كِـــرَيط أُذَيَابَـــه صُـــفَّارَاتْ ضَـــرِبْهَ نْ شُـــمَّاش الْعُـــكَرْ

فزبد الفحل عند الشّاعر يشبه القماش الأبيض لنصاعته وكثرته.وشّبه زبد الفحل أيضاً في صورة أخرى بالزبد الّذي يعلو أمواج البحر.

والشّاعر العربّي الفصيح المتنّبي (ت٣٥٤هـ-٩٦٥م) يقول في مثل ذلك[١]:

والَمـــوج مِثـــلُ الفُحـــولِ مُزْبِـــدَة دُر فِيهَـــا وَمـــا بِهَـــا قَطَـــمُ[٢]

الصّورة هي ذاتها ترد معكوسة لدى المتنّبي الّذي يشّبه الزبد الّذي يعلو موج البحر بزبد الفحل.

وصف صرير أسنان الإبل:

يصدر عن الإبل صرير نتيجة احتكاك مقصود لأسنان الفحل خصوصاً فترة التلاقح، وتناول الشّعراء هذه الظاهرة ووصفوها أيضاً كما وصفوا كلّ أوضاع الإبل وتغيّراتها وحركاتها.

وهذا الشّاعرالبدويّاللّيبّي خالد رميله[*] يقول في ذلك[٣]:

فَحْهَـــا إِنْ زَف الْبَنـــادِير وتَمَّـــتْ جَلاَيَـــبْ جَلاَيَـــبْ[٤]

تَصْـــرِيدَة أُنيَابَـــهْ صَـــفَافِير جِيـــبْ قَـــرَنْ مِنْهَـــا ذَهَايـــبْ[٥]

---

(١) ديوان المتنبي، ص٨٣

(٢)البيت من ميمية للشاعر:

أحقُّ عافٍ بدَمعِك المتممُ أَحْدَثُ شَيءٍ عَهْداً بِهَا القِدَمُ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) ديوان خالد رميله، ص٤٠.

(٤) إن: إذا، زف البنادير: ضرب الدفوف، تمت: أخذت النوق تتجمع حوله.

(٥) تصريدة: صرير، صفافير: جمع صافرة، تجيب: تأتي، ذهايب: التائه من الإبل والبشر.

ففحل إبله أن أخذ في الهدير، وأخذت تتجّمع النوق حوله في مجموعات مجموعات، تسمع صرير أسنانه تشبه الصافرة، يستمع لها من كان تائهاً بالصّحارى فيرشده، إلى موقع الإبل وينجو بذلك من الهلاك المحتوم.

والشّاعرعمر يوسف القابسي(*) يقول في زجلّيته(١):

خَلْهَ ـــا وِيـــنْ النَّـــابْ صَـــقَلْ صَـــــفَافِيْر إشَـــــارَاتْ مَـــــرُور(٢)

فَافَـــــهْ عَوْصَـــــاتْ جَهَ ايْـــــل قَدِيمَـــــهْ مِـــنْ عَهْـــد الْيَاشُـــوْر

صوت اسنان الفحل عند احتكاكها كصافرة رجل المرورعند الإشارة بها للمارة من السيارات وأخفافه تشبه قواعد أثرية قديمة من عهد الأشوريين.

والشّاعر البدويّ سالم عبدالله العبدلي(*) كان أقرب إلى الصواب عندما شبّه صرير أسنان الفحل بالبكرة الّتي تستعمل لاستخراج الماء من الآبار في قوله(٣):

زَفْ اخْشَـــــــــــــــــــاَمْه وجشـــــــي ع الْقَابْفَّهـــــا قَدَّامَـــــه

عَـــادَ الْغَـــارْ لِجيَّتَـــهْ تَتْوَامَـــهْ فَ الْخُطـــا مِـــنْ قَبـــلْ لاَ يُوصَـــلْهَ ا

جُـــرَّرْهَـــى مَنْهَـــلْ مَتِـــينْ مَقَامَـــهْ صَـــرَتْ أُنيَابَـــهْ وِيـــنْ مَـــا يُصْـــكُلْهَ ا(٤)

يُصْـــــــــــــــــــكُلْهَ ا(٤)

تصدرعن الفحل حركات في بداية هيجانهتدّل على بداية فترةالتّزاوج وهوأن يرفع رأسه إلى أعلى، ويصدر أصواتاً من أنفه ويجمع القطيع ويلحق آخره بأوله،فالنوق الّتي تم لقاحها تشير بذنبها إلى أعلى وتسرع خطاها أمام الفحل قبل وصوله لها، في إشارة لإتمام عمليّةالتّزاوج

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(١) الدّورة التثقيفيّة الأولى للشعراء المتميزين، ص١١٠.

(٢) وين: عندما، صقل: من صقل وشحذ السيوف.

(*) تمّ التعريف بالشّاعر.

(٣) القصائد العشر الأوائل الدّورة الأولى، ص٦٨ .

(٤) جرارة: البكرة، وجاءت الجرارة من الجرور من الركابة والأبار بعيدة القعر ليستقى منها على بعير، وسميت بذلك لأن دلوها تجر تجر على شفيرها لبعد قعرها، انظر اللّسان مادّة "جرر"، متين: حبله قويّ الفتل، صردت:الصرير الّذي يحدثه من احتكاك اسنانه، يصكلها: مقلوبة عن الصقل وهو شحذ السيوف.

بنجاح وتسمع له صرير أسنان يشبه البكرة الّتي تعملعلى استخراج المياه من عمق قاع البئر. وهو كقول الشّاعرالعربّي الفصيح النابغة الذبياني"ت605 م"[١]:

مقذوفةٍ بدخيسِ النَّحضِ بازِلُها له صريفَ صريفُ القَعْو بالمَسَدِ[٢]

بالمَسَدِ[٢]

كأنَّ رَحْلي قد زالَ النّهَ ـارُ بنا يومَ الجليلِ عَلى مُستأنسٍ وحِدِ

فالصورة تشبه الصّورةالّتي سبقتها في الترقيم من حيث أن الصرير يشبه صرير البكرة، وهكذا تتشابه الصّور بين الشّعراء البدو في ليبيا والشعراء العرب القدامى.

وصف الجمل والناقة بالجنون:

تصف العرب الجمل والناقة السّريعة بالجنون أو أصابها مس من الجن لسرعتها الفائقة، ومن ذلك قول الشّاعرالبدويّاللّيبّي ساسي عمر مسعود(*) وهو يصف جمله[٣]:

رَاكِبْ فِي رَاسَهْ عِفْرِيْ يَزُوْن كِيف الْكُوْر ا خْشَامَهْ[٤]

فَاتْ اْسَفَّدْ كِيفْ الجَّانِي لِيهْ مِدَّه مَاحَلْ اْمَيَامَهْ[٥]

ركب رأس جمله جنّي عبرانّي يهوديّ، لا لغته من لغتنا ولا ديانته من ديانتنا، ولا تسمع له إلاّ صوت يخرج من أنفه يشبه كير الحدّاد، وسرعته أيضاً سرعة جنّي، وسيره لمدّة طويلة لا يعرف الأكل إلى فيه طريقاً، فهو كالصائم.

وهو من قول الشّاعر المخضرم حسان بن ثابت "ت٥٤هـ-٦٧٣م"[٦]:

تحْسِبُ هامَجْدُ ونَةٌ تَ لِي إذ لَفَّعَالالُ رُؤُوسَ الأكَامْ[٧]

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص٣٧.

(٢) هذان البيتان من دالية الشّاعر: يادار ميَّة بالعلياء والسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبَدَ

(*) تم التعريف بالشّاعر.

(٣) الشّعر الشعبي، ج٢، د.علي برهانه، ص١٤٥.

(٤) راكب: ركب الجن رأسه، عبراني: من العبرية أيّ شيطان أو جنّ معتنق للديانة اليهودية، يزون:الصوت الّذي يخرج من أنفه، الكور: كير الحداد، اخشامه: أنفه.

(٥) فات:مر من أمامه، مسفّد : من السرعة، وفياللّغة "سفد" مطاردة الذكر لانثاه من الطير والحيوان، له مدّة: له فترة، فترة، ما حل صيامه: لم يتناول العلف.

(٦) ديوان حسان بن ثابت ص١٧٠.

(٧) من ميميته: ماهاجَ حَسان رُسُوم المقَامْ ومَطْعَنْ الحَيّ ومَبْنَى الخِيَامْ.

وصف كلّ من الشّاعرالبدويّاللّيبّي والشّاعر العربّي الفصيح راحلتيهما بالمجنونة، أو الّتي أصابهما مسّ من الجنّ لسرعة حركتهما وسيرهما وحدَّة طبعهما ونفورهما، إلاّ أّنالشّاعرالبدويّاللّيبّي أضاف إلى هذه الصّورة أنّ الجنّي عجميّ لا يتكلّم العربّية ولا يعتنق الإسلام حسب اعتقاد العامة للجن.

صورة البوّ واستعماله في الشّعر:

البوُّ:هو جلد الحوار يُحشى تبناً أو ثماماً أو حشيشاً لتعطف عليه النّاقة إذا مات ولدها، ثّم يقرّب من أّم الفصيل لترأمه فتدرّ عليه اللّبن(١):

تقول في ذلك المرأة اللّيبّية في أغنية الرّحى(٢):

اْنـــتِ تـُغْـــرَدِي عَـلَـــى بَـــوْ بـــ ـــالْقَشْ مَلْيـــــانْ جَاشَـــــهْ(٣)

وَانـــا غَرِيـــدي عَـلَـــى ضَـــوْ فِـــي الْبِيتْ خَلَّـــــى فَرَاشَـــــهْ(٤)

وجهت المرأة خطابها إلى النّاقةالّتي تحنّ على البوّ معتقدة أّنه فصيلها وتبكيه، أّماهي فبكاؤها على زوجها أو أخيها الّذي يُدْعَى (ضو) بعد أن فارق الحياة وترك مكانه ومتاعه بالبيت، فالحرقة ظاهرة من قول كلماتها الجياشه الحزينه ، وحزنها يزداد كلما رأت النّاقة تبكي صغيرها والشّاعرة العربّية القديمة الخنساء "ت٢٤هـ-٦٤٥م" تقول:(٥)

وَمـا عَجُـولُ علـى بـوٍّ تطيـف بِـهِ ـــا حَـ يَنـــان الان وأســـرار

فهي تشبه قول المرأة اللّيبّية في أغنية الرّحىالّتي تبكى عزيزاً عليها، والخنساء تبكي أخوين عزيزينلا أخاً واحداً .

ومن خلال ما ذكرنا لنماذج من الموازنة في الصّورة بين شعرين يفصل بينهما ما يقارب من الألفية ونصف من الزمن، يتخلّل تلك الحقب أحداثاً هامة غّيرت مجرى التاريخ، منها السّار

(١) انظر لسان مادّة "بوا".
(٢)الأدب الشعبي، القشاط، ص٢.
(٣)تغردي وفي رواية أخرى تحنّى، جاشه: داخله.
(٤) ضو:اسم رجل، خلّى: ترك منه.
(٥) ديوان الخنساء، ص٥٠.

ومنها المحزن ، ومن بينها ما يهّم موضوعنا هذا، وهو التغّير الّذي حدث في اللّسانالعربّي وله مسببات عدّة ومن أهّمها دخول أمم أعجمّية الّدين الإسلامي واختلاطهم بالعرب عن طريق الجيوش والمصاهرة ، واختلاطهم بالمدن والبيوت عن طريق الخدم... إلخ. بعد أن كانت قبائل محافظة لا يعيش بينها إلاّ من يرتضون الإقامة بينهم وبشروطهم وأعرافهم وتقاليدهم، وإن كان الإسلام هو السبب في ذلك فله فضل نشر اللّغةالعربّية على نطاق واسع بعد أن كانت محصورة على شبه جزيرة العرب، فوصلت إلى أقصى الغرب والشرق. وتخلّلت هذه الفترة حروب كثيرة وغزوات واستعمار ومجاعات وأمراض فتّاكة، وهجرات مستمرة أوصلت الجنس العربّي إلى أغلب قارّات العالم، ومع كلّ هذه العوامل نجد أنّ الصّورة في الشّعرالعربّيالجاهلي والإسلامي لازالت محافظة على هويتها وبساطتها من تشبيهات واستعارات وكنايات ومجاز بلونيه.

ويكاد المتتّبع يجزم في أحيانٍ كثيرة بأنّ الصّورةالعربّية القديمة منقولة أو مسروقة لولا درايتنا بأنّالشّاعرالبدوّياللّيبّي– وخاصة منذ منتصف القرن العشرين وما سبقه–لم ينل حظّه من المعرفة والتعليم، ولم يسمع من أشعار العرب وأخبارهم إلاّ قصّة "الزير سالم" أو "تغريبة بني هلال" وأشعارهم باللسان الّدارج، وهي قصص شعبّية خرافّية لا أصل لأحداثها في الواقع ولاحتّى شخوصها.

وأكبر اعتقادي أنّ هذه الصّورةأّما أن تكون وردت لتشابه الطبيعة الساكنة من صحارى وأودية وجبال وأشجار وتشابه الطبيعة المتحّركة من حيوانات أليفة وبرّّية وطيور وزواحف وما إلى ذلك.

والتشابه في الحالة الاجتماعّية من نظام قبلي وسطوة شيخ القبيلة والحروب الّتي تدور بين القبائل بسبب موارد المياه ومواطن الكلأ وطلب الثأر، ومن تشابه المرأة ودورها بالقبيلة.

والتّشابه في الحالة العقلّية من أمّية وعدم انتشار التعليم على نطاق واسع بين أفراد المجتمعين.

أو أن تكون الصّورة انتقلت مع المهاجرين العرب من تلك الدّيار إلى ديار أخرى تشبهها في الطبيعة والبيئة، وعاشوا بتلك الطريقة الّتي كانوا يعتادونها بأرضهم تلك ، ولم يتغّير عليها شيٌء ، وحافظوا على أشعارهم وصورهم بتشبيهاتها واستعاراتها وكناياتها، كما حافظوا على أمثالهم الشعبّية نفسها وعلى عاداتهم وتقاليدهم، ولولا خذلان ألسنتهم لهم بالزيغ عن الإعراب كّنا عشنا أدباً عربّياً جديداً هو امتداد للأدب العربّي الجاهلّي والإسلامّي.

الفصل الرّابع

المستوى اللّفظياللّغوي/ والتّركيبي

المبحث الأوّل : المستوى اللّفظي.

المبحث الثّاني : المستوى التّركيبي للجملة.

الفصل الرّابع

المستوى اللّفظياللّغوي/ والتّركيبي

المبحث الأوّل: المستوى اللّغوي.

الوضع الطبيعي فيالدلالة اللّغوية:التطّوّر، فاللّغة متطّورة الدّلالة في جميع اللّغات كما حدث وأن تطّورت بعضومعاني بعض الألفاظالّتي كانت مستخدمة في العصر الجاهلّي

وصدر الإسلام بل لحقتها تغيرات ومعانٍ جديدة على كلمات قديمة لحاجة الحياة المتطورة مثل: الصّلاة كانت بمعنى الدعاء، والحجّ، والسبت، والتيّمم، والدّولة، والجّنة.(١)

ولكنّ الدّلالة اللّغوية في اللّهجة البدوّية اللّيبّية كانت على عكس ذلك، بل في غالب الأحيان تعود إلى اللّهجات العربّية القديمة، ولا يمكن التّعرف على مدلولاتها إلاّ بالعودة إلى المعاجم.

وكثير من المفردات الّتي ترد في الشّعرالبدوّياللّيبّي لا تستخدم في كلامنا اليومي، ومنها ما لم نستعمله أبداً، ومنها مفردات تعرف مدلولاتها ،ومنها ما لم تعرف بدقّة إلاّ من خلال السياق العام. فكان من الضروري أن أعود إلى بعض المعاجم وكانت النتيجة أنّ أغلب هذه المفردات عربّية فصيحة ، منها ما هو قريب ومستعمل ،ومعروف لدى الطبقة المثقّفة، ومنها ما تجاوزته لعدم كثرة استعمالهم لهذه المفردات. أو لكثرة ترادفها مع غيرها من المعاني، أو لخشونتها ولم يبق لها استعمال إلاّ في المعاجم، خاصة ما ورد بأشعار شعراء عاشوا أواخر القرن قبل الماضي وأوائل القرن الماضي، وعدم معرفتهم بالقراءة والكتابة، أو شعر شعراء معاصرين لا يعرفون معجم هذه المفردات عربّية أم أعجمّية، وغالبيتها غير مستعملة الآن، لذلك استلزم الأمر من العودة إلى المعاجم لنقف على أصول تلك المفردات.

وإذا نظرنا إلى مكان المفردة في الشّعرالبدوّياللّيبّي نجدها تنقسم إلى ثلاث فئات:

١. المفردة المعجمّية غير المستعملة منذ زمن بعيد باللّهجة البدوّية في ليبيا أو بين الطبقة المثقفة وقاعات الدراسة وأروقة الجامعات والمتخصّصين، وبالتالي يصعب معرفة مدلول هذه المفردة إلاّ بالعودة إلى المعاجم.
٢. مفردة توجد بالشعر البدوّياللّيبّي منذ القدم وهم لا يعرفون مدى فصاحتها من عدمه، ولكّنهم ورثوها كما هي، وهي عربّية تعرف بين الطبقة المثقفة والمتخصّصة.

(١) انظر معجم الألفاظ العامية، عبدالمنعم سيد عبدالعال، مكتب الخانجي، القاهرة ١٩٧٢م، ط ٢، ص ٩٢.

٣. مفردة عربّية مشتركة متداولة بين النّاس وتسّمى لغة الإعلام من إذاعات وصحافة، وما يهمنا من هذه المفردات الفئة الأولى، المفردة المعجميّةغير المستعملة: وهي مفردة وجدت بالشعر البدويّاللّيبّي يتداولها الشّعراء بالوراثةجيل عن جيل، ولا تعرف مدى فصاحتها من عدمه إلاّ بالعودة إلى المعاجم والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ قول الشّاعرمحمد عبدالّرحمن الحامدي(*):(١)

عِيْشَــة تَعَاشَــاها رَقْــرَاقَ السَّــرِيْر مَــا بِــيْنْ كُــرْدِي وَالنَّخَــلْ ثُوَّارَهَــا

ُــومِيْنْ نَسْــبَطْ بِــالجَّوَادْ اسِــيْر نِشَــدْ عَلَــى عِيْشَــهْ وِيــنْ اديَارَهَــا

وَلَاقِيــتْ فَــارِسْ مِــنْ قَــدَاكْ خَبِيــرْ نِبِــيْ عَلَــى العُمهُــوجْ سُــودْ انْظَارَهَــا

يشير الشّاعر إلى محبوبته الّتي أكلتها الصّحراء وغابت في دروبها وبالتحديد بين موقعي "كردي" و "النخل" ، وهو على ظهر جواده باحثاً عن ديار محبوبته، وطيلة هذه المدّة لم يجد لها أثراً ولا من يرشده إلى منازلها، ووصفهه ايّاها بـ "العمهوج" وذات "العيون السوداء".

ذكر الشّاعر عدداً من المفردات بهذه الأبيات، فقوله : "السرير"الّذي يعني به الأرض المتسعة من منطقة الجفارة شمال الجبل الغربي مقر سكن الشّاعر وهي أرض متسعة الأرجاء، يقول لسان العرب في معنى كلمة "سرير": أرض سِرٌ: كريمة، الأصمعي: سَرارُ الأرض أوسطه وأكرمه، ويقال: أرض سرير سرّاء أيّ طيبة (٢).

(*)تم التعريف بالشاعر.
(١)ديوان محمد عبدالرحمن الحامدي، ص ٨٦.
(٢) انظر لسان العرب مادة "سرر".

وقول الشَّاعر كلمة "رقراق" الّتي يعني بها البعد أو الأرض المتسعة، يقول لسان العرب في لفظة، رقراق: الرَّقراقُ: ترقرق السراب وتحرّك ، وسراب "رقراق" و رقرقان: ذو بصيص، وترقرق الشئ: تلألأ أيّ جاء وذهب.(١) وهذا هو حال الصحارى.

أّما لفظة "السبط" فيقصد الشَّاعر بها استرسال خطى جواده دون توقف أو تقليل من حركته من باب تشبيهه بالشعر المسترسل على الجسد، وقد يعني بها استرسال سبيب الجواد الطّويل، يقول لسان العرب في مفردة "السبط" السبط: الاسترسال ضد الجعد، الشّعر المسترسل الّذي لا جعودة فيه.(٢)

أّما كلمة "العمهوج" بالبيت الثالث، والتي يقصد بها المرأة الطّويلة الجميلة المتكاملة ذات العينين السوداوين، وهذه اللّفظة يستعملها البدو ، ولكن لا أحد يعرف هل لها أصول عربّية؛ وهي كلمة لا تستعمل بين الطبقة المثقفة ولاحتّ ى أساتذة اللّغة بالجامعات، وبالعودة إلى لسان العرب يقول في لفظة "عمهوج" العمهج والعوهج : الطّويلة من كلّ شيء ويقال عنق عَمْهَجٌ وعمهوج والُعاهجُ: الممتلئ لحماً ، وقيل : التام الخَلْق(٣)ويقول الشَّاعر في مكان آخر من قصائده الرباعية: (٤)

وَانْتِ عَلْ هَّلاَجْ مِن اخْيَارْ الهِيَّاجْ

بَاصُورَكْ يِ رُهَاجْ بِ حْرِيرْ أُو كَتَّانْ

أشار الشَّاعر إلى محبوبته وهي تعتلي الهودج على ظهر فحلٍ من فحول إبله بل من أفضلها، وهو يسير سيراً حسناً في هدوء وسرعة، والهودج في أفضل حالات زينته بأنواع من أفخر القماش الّتي تشبه السَّحاب في صفائها ونقائها، فلفظ: " هملاج " يستعملها الشّعراء

(١) انظر لسان العرب مادة "رقرق".
(٢) انظر لسان العرب مادة "سبط".
(٣) انظر لسان العرب مادة "عمهج".
(٤)ديوان الشَّاعر محمد عبدالرحمن الحامدي ص ٩٦.

البدو في ليبيا ولا يعرفون مدى فصاحتها من عدمه، وهي تستعمل في مكانها الصحيح، يقول لسان العرب : الهملجة والهِمْلاجُ: حسن سير الدابة في سرعة وبخترة.(١)

ويذكر الشَّاعرلفظ: "يرهج" على الهودج الّذي تزّينه أقمشة فاخرة، يقول لسان العرب: الرهج: الغبار، والسحاب الرقيق والمطر.(٢) وتعني عندنا تداخل الألوان الزّاهية الّتي تفتخر بها العروس البدوية.

ويقول شاعر آخر هو الشَّاعر عبدالواحد الجنجان*(٣)

دُونِـــكْ كَـــمْ مِـــنْ دُوْراوقُ ـــوْر اْوكـــــم جبـــــل دَاْر تَضَـــــارِيس

ايبـــان اسْـــوْدْ دَايـــرْ مَثُـــوْر اسْـــوَدْ مِـــنْ لُـــونْ للّيـــل لَـــيس

يذكر الشَّاعر الفواصل الّتي فصلته عن محبوبته وكانت مانعاً من وصوله إليها؛ هي تلك الجبال والمرتفعات الحجرّية السّوداء الّتي تشبه سواد اللّيل.

استعمل الشَّاعر لفظة : "دون" بمعنى قبل، أيّ قبل الوصول إلى أمرٍ ما، يقول لسان العرب: دون بمعنى قبل مثل : دون النهر قتال ودون قتل الأسد أهوال.(٤)

وقول الشَّاعر: " دور – وقور" ، فالدور عند لسان العرب من الدِّور والدَّاراتُ في الرمل، ابن الاعرابي : يقال دَوَّارة "وقوَّارة" كلّ ما لم يتحرك ولم يدر، وللدَّارَةُ كلّ أرض واسعة بين جبال. (٥)

أّما قوله القور فهو من القارة، والقارة عند البدو هي المرتفع من الأرض كالأكمة المنقطعة عن غيرها، يقول لسان العرب في القارةُ: الجُبَيْلُ الصغير، وقال اللحياني: هو

(١) انظر لسان العرب مادة "هملج".
(٢) انظر لسان العرب مادة " رهج ".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٣) الشّعر الشعبي، ج ٢، د.علي برهانة ص ٦٧.
(٤) انظر لسان العرب مادة "دون".
(٥) انظر لسان العرب مادة " دور ".

الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال، وقيل: هي الصخرة العظيمة وهي أصغر من الجبل، وقيل: هي الجبيل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة.(١)

وقول الشَّاعر أيضاً : التضاريس الّتي يعنى بها الأرض الوعرة الصعبة الحجرّية، يقول لسان العرب: الضَّرْسُ: القِدْح في الجبل، والضِّرْيسُ: الأكمة الخشنة الغليظة الّتي كأنها ضُرَيْسةٌ، والضَّريس: الحجارة الّتي هي كالأضراس. وحَرّةٌ ضَرِسة ومضروسة.

والضِّرْسُ: ماخشن من الأكام والأخاشب.(٢)

وبخصوص كلمة: " دمثور " الّتي استعملها الشَّاعر بالبيت الثّاني غير مستعملة في اللّهجة البدوية بغرب ليبيا ولم أسمع بهذه اللفظة، فكان علىَّ أن أعود إلى لسان العرب وجدته يقول : دمثر : السهل من الأرض، وأرض دمثر: سهلة، وأرض دُماثِرٌ إذا كانت دمثاَء.(٣)

وقول الشَّاعر: "طليس فهي معروفة عند البدو بالظلمة الحالكة من اللّيل، ولسان العرب يقول في هذا : الأطلَسُ: الأسود، وذئب أطْلَسُ:في لونه غبرةٌ إلى السواد، وكلّ ما كان على لونه فهو أطلس.(٤) ويستمر الشَّاعر قائلاً :

يَا فَوَّجْ كِيفْ الْبَابُورْ مَعَ دَرْبْ اْدِيرْ امَّاحِيصْ

نْ لِبْلَادْ امْنِينْ اْيْثُورْ اَيَرَّصْ فِي اْمَبْتَهْ خْرِيصْ

يذكر الشَّاعر راحلته ويصفها، فجمله عندما ينطلق بسرعة يشبه المركب البحريّ السريع مع دروب وطرق صحراوّية وهو مسرع وبمجرد خروجه من الدّيار يُقدّر الأماكن الّتي يبيت بها واثقاً وعارفاً مسبقاً سرعة جمله قبل خروجه من الدّيار كناية عن سرعة راحلته.

---

(١) انظر لسان العرب مادة " قور "
(٢) انظر لسان العرب مادة "ضرس".
(٣) انظر لسان العرب مادة "دمثر".
(٤)انظر لسان العرب مادة "طلس".

فذكر الشَّاعر لكلمة " ايفّوج " بمعنى الانطلاق في سرعة عالية، يقول لسان العرب في ذلك: الإفاجة: الإسراع والعدو.[١] وقول الشَّاعر : " الدروب ": يعنى بها الطرق الّتي يسلكها خلال رحلته، يقول لسان العرب في هذه المفردة : أصل الدّرب المضيق في الجبال.[٢]

وقول الشَّاعر لفظ: " أماحيص " وهي كلمة لا تستعمل في اللّهجة البدوية اليوميّة ويعنى بها سرعة الجمل ويقال تمحّص الغزال وكلب الصّيد دلالة على السرعة والقوة، وبعد أن عدت إلى لسان العرب وجدته يقول : محص الضبيُء في عدوه يمحص محصاً :أسْرَعَ وعدا عَدواً شديداً، والمْمحُوصُ وا لَمْحص والمْمُحوصُ والمُحَّصُ: الشديدُ الخلف، وقيل هو الشديد من الإبل.[٣]

وقول الشَّاعر: "يخّرِص" تعني أنّه يُقدّر الأماكن الّتي يبيت فيها قبل انطلاقه من مكانه لمعرفته بسرعة راحلته، يقول لسان العرب: وأصل الخرص التَّظني فيما لا تستيقنه، ومنه خَرْصُ النخل والكَرْم إذا حَزَرْت الثمر؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن لا إحاطة.[٤] وللشاعر كثير من مثل هذه المفردات غير المستعملة أو قليلة الاستعمال ؛ وهي عربيّة الأصل ولا تُعرف إلاّ بالعودة إلى المعاجم. وهذا الشَّاعر عبدالله علي العباسي يقول* [٥]:

بَعْيـــــدَة يَـــــاعِينَ قْهَ ـــــاقْ تهِفّـــــي مَـــــازِلْتِي عَ الْعـــــيْن

اْظَلَّـــمْ جَـــاء دُونَـــهْ رَقَـــرَاقْ سَـــرَابه كِيْـــف النِّيلَـــه شِـــيْن

عَلَـــى لُـــون أخْـــدُود أُم رَهَـــاقْ سِـــرِيرَهْ حَـــافِي عَ الـــرُّجْلِ يْن

(١) انظر لسان العرب مادة "قوج".
(٢) انظر لسان العرب مادة "درب".
(٣) انظر لسان العرب مادة "محص".
(٤) انظر لسان العرب مادة "خرص".
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٥)ديوان الشّعر الشعبي ٢٢، ص ١٥٤.

يشّبهالشَّاعر عيني محبوبته بعيني بقر الوحش، ورغم استحالة الوصول إليها لما دونها من صحارى شاسعة يترقرق بها السراب كالبحار إلاّ أنه يتذكّرها كلّ حين كأنّها أمام عينيه، والشاعر لا يجازف بالرحيل إليها دون راحلة.

وذكر الشَّاعر لفظة "الهقهاق"وهي غير معهودة وغير معروفة باللّهجة اللّيبّية وعندما سألت عن قصد الشَّاعر من هذه المفردة: قيل لي أنّه يعني بها بقر الوحش الّذي كان متواجدا بكثرة بالصحارى اللّيبّية، ويمتاز بسرعته الكبيرة في عدوه لهذا لا يكون صيدهإلاّ بنصب الكمائنحتّى يأتي هو ناحية الصائد. يقول لسان العرب : الهقهقة : شدة السير وإتعاب الدّابّة أو النفس وبذلك تصدق التسمية على المسمى.(١)

وقول الشَّاعر :إتهفّي" بمعنى أتت أو طرأت بمخيلته لا حقيقة أيّ: يتذكّرها كلّ حين وكأنه يراها، يقول لسان العرب:هفّت هافية من النّاس :طَرأتْ وهو نفس المعنى.(٢)

وقول الشَّاعر عبدالهادي بوكارة(*) في أحد أبيات قصيدته الزّجلّية الّتي مطلعها : (٣)

أمْوايَفْ عَلَى عِيشْ نَارَه بَعْ فِي يُومْ حَرْ وَشِيلَه بَعْ شُوفِتِي لِلْقَمْ

حيث يقول في أحد المقاطع :

أمْوايَفْ عَلَى عِيشْ عِنْدَ الطُّلْيَحَه وَصُّوه فَسِيْحَه وين الْمَنَاقِيرْ تَلْحَظْ صَرِيحَه

حيث ذكر الشَّاعر لفظة "صوّه" ويعني بها الأرض قليلة الماء والتي لا نبات فيها، يقول لسان العرب: الصّوَّى ما غلظ من الأرض وارتفع ولميبلغ أن يكون جبلاً . والصّوُّ: الفارغ. وأصوى إذا جفّ. والصُّوى: الحجارة المجموعة الواحدة صُوَّة.(٤)

ويقول الشَّاعر رحومه بن مصطفى(*) واصفاً (وادي بي) الخصيب: (٥)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "هقهق".
(٢) انظر لسان العرب مادة "هفا".
(*) تم التعريف بالشاعر / عبدالهادي بوكارة.
(٣)ديوان الشّعر الشعبي ٢٢، ص ٢٣٣.
(٤) انظر لسان العرب مادة "صوى".
(*)رحومة بن مصطفى من مدينة بني وليد من الشّعراء المجيدين وشارك في عدد من المهرجانات الشعرية وكانت وفاته مؤخراً في الثمانينات من القرن الماضي. انظر الإبل في الشّعر الشعبي ، ص٦٢.

أوْبِـــي اْمَخَضَّـــبْ نَـــصْ اْبـــَضْ عَلَـــى لُـــونْ مَقَـــاطَعْ لَقْشُـــورْ

عَفَـــا مَـــا وَالِـــي فِيـــهْ عَفَـــسْ فِيـــ ـــافِي وَاللَّايِـــــجْ مَحْجُـــــورْ

يصف الشَّاعر وادي بَيْ في عام مطير، والأعشاب بأنواعها المختلفة وألوان الورود المتداخلة الّتي تشبه زخرفة القماش؛ أو كاليد الّتي خُضبت بالحّناء، وتلك الزهور والأعشاب الطبيعية لم تصل إليها قدم بشر أو حيوان إلاّ الحيوانات البرِّية، وكأّنها حُجرت على الجميع.

ذكر الشَّاعر عدداً من المفردات منها قوله: "مخضب" الّتي يعني بها كثرة واختلاف الألوان، وهو لفظ مرتبط عند البادية بزركشة الحّناء على الأكفّ، يقول لسان العرب: الخِضَابُ: مايُخضبُ به من حّناء وكتم ونحوه، وكلّ ما غُيِّرَ لونُه، فهو مخضوبُ وخضيب.(١)

وقول الشَّاعر: "عفا" يعني بها الأرض الّتي لم ترعها الماشية ولم تصل إليها قدم إنسان، يقول لسان العرب: عفا النبت وغيره يَعْفُو فهو عافٍ: كثر وطال، وأرض عافيةٌ: لم يُرْعَ نبتُها فوفر وكثر.(٢)

وقول الشَّاعر: "والي" أيْ: لم يشق الوادي إنسان قط، فالوَلّي يعني بها البشر مطلقاً، ولسان العرب يذكر بأن الوَليُّ: ضد العدّو والواليُّ: الصديق والنصير، الوَلّي: التابع والمحب. وابن الأعرابي قال: ابن العم مَوْلّي وابن الأخت مولّي والجار والشريكُ والحليف.(٣)

وقول الشَّاعر: "عفس" يعني أّنه لم يدسه إنسان قط، فلسان العرب يقول: العفس: الدّوس.(٤)

وأيضاً قول الشَّاعر في مفردة "فيافي" الّتي يعني بها الأرض المتّسعة مترامية الأطراف والتي تعتمد على المطر دون المياه الجوفّية، يقول لسان العرب: الفيف والفيفاء: المفازة

---

(٥) الإبل في الشعر الشعبي ص ٦٣.
(١) انظر لسان العرب مادة "خضب".
(٢) انظر لسان العرب مادة "عفا".
(٣) انظر لسان العرب مادة "ولي".
(٤) انظر لسان العرب مادة "عفس".

لاماء فيها. الليث : الفيف المفازة الّتي لاماء فيها مع الاستواء والسعة وإذا انبتت فهي الفيفاة، وجمعها الفيافي. والفيفاء الصّحراء الملساء وهن الفيافي.(١)

وذكر الشَّاعر مفردة " اللّايج" بمعنى لم يتواجد أحد بتلك الأودية ولسان العرب يقول : لجّة القوم: أصواتهم: والْتَجَّتْ الأصوات: ارتفعت فاختلطت.(٢) وكأنّ الشَّاعر يقصد عدم وجود أصوات بشر بها أيْ: لم يدخلها بشر من باب المجاز.

وقول الشَّاعر : "محجور" أيْ منِعَ البشرُ والحيوانُ من دخول تلك المرابع، يقول لسان العرب: الحَجْرُ، ساكن مصدر حجر عليه القاضي يحْجُر حَجْراً إذا منعه من التّصرّف في ماله. وفي حديث عائشة وابن الزبير لقد قمت أن احْجُرَ عليه : هو من الحَجْر المنع.(٣)

ويقول الشَّاعر خالد رميلة الفاخري(*)(٤).

بَغْو طَالَقْ بهَ بَارِيرْ ... وَّاره اْسَوِّيْ ضَبَايبْ

شَمَارِيخْ رُوسَ الْبعَاثِيرْ ... وُهنَّ تَقُولْ تَلَّاتْ رَايبْ

يصف الشَّاعر الأرض الخضراء ذات الأعشاب الوفيرة الطّويلة الطرّية وهي تشبه الضّوء لبياض الزّهر فيها، وهو يتموَّج كالضّباب، ومنها المائل إلى الأرض حيث يشبه ثمار النّخيل من شطريخ، وتلعب الريح به فيجمع حيناً ويبعثر حيناً آخر، وصف الشَّاعر تلك الأعشاب الخضراء وتعلوها أزهارها البيضاء كأنْ سُكب فوقها اللّبن الرائب لشدة بياض ازهارها.

ذكر الشَّاعر لفظ "بغو" يعني بها الأغصان الغضّة أو الزّهرالرّطب الطريّ. يقول لسان العرب: البَغو والبَغْوة: كلّشجر غضٍّ ثمره أخضر صغير لم يَبْلُغْ. البَغُو: ما يخرج من زَهْرة القتادِ، وكذلك ما يخرج من زهرة الغُوَط والسَّلْم.(١)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "فيف".
(٢) انظر لسان العرب مادة "لجج".
(٣) انظر لسان العرب مادة "حجر".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٤) ديوان خالد رميله الفاخري، يونس عمر فنوش ص ٣٥.

وقول الشَّاعر: "بهارير" يعني بها شدّة البياض الّذي يشبه شدّة الضوء. يقول لسان العرب: ٱبهرار اللّيل طلوعُ نجومه إذا تتامّت واستنارت، وتبهرت السحابةُ: أضاءت، وليلةُ البُهر: الّتي يغلب فيها ضوءُ القمر والنجوم.(٢)

وقول الشَّاعر : "شماريخ" وهو عذق النخلة، ولفظة شمارخ جمع الشّمراخ والشّمروخ، لا تستعملها اللّهجة اللّيبيّة على الأقلّ غرب البلاد والجنوب لا على العثكال ولا على العذق، وقد تكون مستعملة قديماً واندثرت، يشّبه الشَّاعر بها كثرة الأعشاب وزهورها الّتي تميل إلى الأرض. يقول لسان العرب: الشّمراخ والشّمروخ العثكال الّذي عليه البُسْرُ، وأصله في العذق، وقد يكون في العنب. الشمراخُ: عِسْقَبَةٌ من عذقٍ وعنقودٍ. والشمروخ: غصنُ دقيق رَخْصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ.(٣)

وقول الشَّاعر "البعاثير" يعني بها اختلاط النبات وأنواعه واختلاط ألوانه متجّمعة ومتفرقة، يقول لسان العرب: بعثروا متاعهم إذا قلبوه وفرّقوه وبدّدوه وقلبوا بعضه فوق بعض اللّفظ مستعمل في اللّهجة اللّيبيّة لفظاً ومعنىً كغيره من الألفاظ الّتي ذكرها الشَّاعر.(٤)

وقول الشَّاعر "فلات رايب" بمعنى أنّ اللبن الرائب انفلت من بين يديه فسال على الأرض، فكلمة "الرايب" عند البادية هي اللّفظة الفصيحة نفسها إلاّ أنّ البادية لا تتبر. يقول لسان العرب في الأولى أفْلَتَني الشئ وتَفَلَّتَ وانْفَلَتَ، بمعنى، وأفلته غيُره.(٥)

وقول لسان العرب في الثّانية: الّروبُ: اللّبن الرائب(٦)، والفعل راب اللّبن يروبُ ورُوباً، خثر وأدرك، فهو رائب.

يقول الشَّاعر هاشم عبدالكريم الخطابية(*):(٧)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "بغو".
(٢) انظر لسان العرب مادة "بهر".
(٣) انظر لسان العرب مادة "شمرخ".
(٤) انظر لسان العرب مادة "بعثر".
(٥) انظر لسان العرب مادة "فلت".
(٦) انظر لسان العرب مادة "روب".
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٧) ديوان الشّعر الشعبي ج ١، ص ١٠٢.

ـــــ ـــوقَ الْوَســـــــادْ ابْراحَـــــــــهْ الْخَــاطْر جَبــدْ مِــنْ دَارْ طُــوقْ وَشَــاحَهْ

ـونْ مِــنْ يَقَطَّــفْ فِــي عَفَــا قُزّاحَــهْ غزَالْ ارِيلِـــي بِـــينْ الـــدِّيورْ تَـهَ اَمَـــتْ

بوعِقَــدْ فِـــي النُّوضَـــه يــدِيرْ مَنَاحَــه كَـــرَاوِينْ وَمْعَـــاهِنْ سَـــقَاوِى حَامَـــتْ

عندما وضع الشَّاعر رأسه على الوسادة خطرت بباله محبوبته الّتي نعتها بصفة المذكر حيث وصفها بمن وضع الوشاح – لا وضعت –على رقبتها كالطّوق على عادة البادية، يقولون رأيت الغزال والمحبوب، والغالي، والوليف، والعزيز، رفعاً لمكانتها، ويستمر واصفاً ومشّبهاً عينيها الّتي تشبه عيني الغزال وهو يرعى في أرض عفا ذات نبات طويل وتقطف نبتة القزح، ثُم يصف حُلّي محبوبته من الذّهب والفضّة عندما تصدر أصواتاً عند قيامها من مكانها، وهذه الأصوات تشبه أصوات مجموعة من طيور الكاروان تحوم حولها أنثى صقر عظيم.

يذكر الشَّاعر الوشاح والطوق حول الرقبة، فالوشاح معروف لدى الجميع ولكنّ قوله جعل منه طوقاً حول عنقها، يقول لسان العرب: الطوق: كلّ شئ استدار فهو طوق.(١)

وقول الشَّاعر: "يقطف" بمعنى يرعى ويقطف العشب والورود من المراعي، يقول لسان العربقطف الشئ تقطفه قطفاً وقُطفانًا وقَطافًا وقِطافاً : قطعه.(٢)

أّما قول الشَّاعر "قزاحة" فهي نبته تنبت بالبادية وتكثر بالاحراش ترعاها الحيوانات ولها رائحة مميَّزة زكّية، يقول لسان العرب: التقزيح: رأسُ نَبْتٍ أو شجرةٍ إذا تشعَّب شُعْباً مثل برثن الكلب. وقيل :هي شجرة على صورة التين لها أغصان قِصارٌ في رؤوسها مثل بُرْثُن الكلب.(٣)

وقول الشَّاعر "تهامت" بمعنى رعت وذهبت إلى المرعى وحدها، يقول لسان العرب: هامت الّناقة تهيم: ذهبت على وجهها لَرعيٍ كَهَمَتْ، وقيل هو مقلوب عنه.(٤)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "طوق".
(٢) انظر لسان العرب مادة "قطف".
(٣) انظر لسان العرب مادة "قزح".
(٤) انظر لسان العرب مادة "هيم".

وقول الشَّاعر "سقاوى" على أنثى الصّقر قد يكون جاءت من الاسماء الّتي يتيمَّن بها العرب والبدو في ليبيا على أسماء عبيدهم وكلابهم وخيولهم وصقورهم واختيارهم لها اسماء محبوبة عندهم كالفرح والسعد والخير والماء والسحاب....الخ، ولفظة السّقي جاءت من السقي أو السَّحاب، يقول لسان العرب: الأسقية جمع سقي وهي السحابة.(١)

وقول الشَّاعر "حامت" ،أيْ أخذت في الّدوران حول مجموعة من طيور الكاَرَوان، يقول لسان العرب: الحومان: دومان الطّائر يُحوم حول الماء. وحام الطّائر على الشّيء حَوْماً وحوماًنا أيّ دار.(٢)

تقول إحدى أغاني الرحي: (٣)

بـــا نَفَـــسْ رُومِـــي لـِلّرتَـــغْ وَشْـــرَابْه وَلُـــولَا الْعطَـــشْ مَـــا نَشْـــرَبه بِتْرَابَـــهْ

وجّهت هذه المرأة الخطاب إلى الّنفس، في شئ من المرارة، في كناية جميلة حول زواج فُرض عليها وهي غير راضية به، من قولها عليك يا نفس أن ترضي وتتعّودي على شرب الماء غير النقّيالّذي يشوبه التراب والشوائب، ولولا العطش لا يمكن أن يقوم الإنسان بشرب ماء غير نقّي.

فقول الأغنية مفردة "رومي" تستعملها البادية في ليبيا للشّاة والّناقة الّتي تلد وترفض أن تُرضع مولودها، فتوضع منفردة بعيدة عن القطيع وتربط بحبل قصير، وتستعمل لها طرق عديدةحتّى تخاف الوحدة فتعطف على صغيرها وترضعه وتتعّود عليه. يقول لسان العرب في روم: رام الشئ يرومُه رَوْماً طلبه. قال ابن سيده: والمرُام الْطلَبُ. ابن الاعرابي: روَّمتُ فلاًنا ورّومتُ بفلان إذا جعلته يطلب الشئ.(٤)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "سقي".
(٢) انظر لسان العرب مادة "حوم".
(٣) حضور المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري ص ٧٥.
(٤) انظر لسان العرب مادة "روم".

وقول الأغنية "الّرتغ" فهي مقلوبة عن الردغ، وتعني بها الماء والطّين والوحل. يقول لسان العرب : ردغ:وهي الرَّدغُ والّردغةُ والرَّدْغة بالماء: الماء والطّين والوحل الكثير والشديد.(١)

يقول الشَّاعرأحمد رميله الفاخري(*) في مقطع من قصيدة زجلية: (٢)

يـــ ـــــــادَارْ سَـــــــــــافِي دُورَه عَـــى جَبِـــينْ يَشّـــاكَعْ ابْـــيَضْ بِحْمـــوَرَه

كَمـــا نَـــارْ فـــي فَـــاهِقْ خَـــلَا مَكْبُـــورَه نجِيـــبَ الْمَجبِـــي فِـــي الظَّـــلَام الْحَالِـــكْ

يخاطب الشَّاعر ديار محبوبته على عادة العرب، ويذكرها من خلال الّديار واصفا شعرها الطّويل والجبين الأبيض في شيء من الحمرة يشبه الّنار بالصحراء الّتي ترشد إليها التائه خلال ظلام اللّيل الحالك.

فقول الشَّاعر "سافي" يعني بها الشّعرالطّويلالّذي تتلاعب به الّرياح، يقول لسان العرب في مفردة سفا: السفا، مقصورٌ: حُفّة شعر الناصية.وسفت الريح التراب تسفيه سفياً : ذرته، وقيل: حملته فهو سفيٌّ، وتسفي الورق اليبس سفياً .(٣)

وقول الشَّاعر في مفردة "دور" يعني بها الشّعر الغزير الطّويل، يقول لسان العرب: الدائرة: الشّعرالمستدير على قَـْرنِ الإنسان، قال ابن الأعرابي: هو موضع الذؤابة ودائرة رأس الإنسان: الشّعرالّذي يستدير على القَرْنِ.(٤)

واستعمل الشَّاعر لفظة "يشّاكع" من قولهم شكع البرق أيّ لمعان البرق استعملها الشَّاعر من باب التّشبيه، يقول لسان العرب في شكع: استعملت للبرق، من قولهم: شكع شكعاً : عَرِضَ ومال.(٥)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "ردغ".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٢) الشّعر الشعبي ١٢ على برهان ص ٥٧.
(٣) انظر لسان العرب مادة "سفا".
(٤) انظر لسان العرب مادة "دور".
(٥) انظر لسان العرب مادة "شكع".

وقول الشَّاعر "فاهق" بمعنى ما أتّسع من الأرض، بأرض خلا مترامية الأطراف. يقول لسان العرب: الفيهق: الواسع من كلّ شئ، ومفازة فيهق واسعة، أرض فيهق وفيحق، وهي الواسعة. (١)

واستعمال الشَّاعر مفردة " المجبي " أيْ الغائب والتآئه. يقول لسان العرب: الاجباء: أن يغيَّب الرّجل إبله عن الُمصَدَّقِ. يقال جبأ عن الشيء توارى عنه فاجتبيته إذا واريته، وجبأ الضبُّ في جحره إذا استخفى جبي.(٢)

يقول الشَّاعر عبدالباسط أغنيه(*) في قصيدة الوادي الزجلية وهو يصف الجمل: (٣)

.افَ ـــــه اتقُ ـــــولْ قَ نَ ـــــنِ ينْ ـــــى رضَ ـــــافَ ه طَ ـــــابِنْ بمهَ ـــــلْ

منِ ـــــينْ ايِ صِ ـــــيْر الْمِيـــــرْظنين وَيْضَ ـــــوا لْصَ ـــــارْ اوْلْعُقُ ـــــلْ

وَهِ ـــــيْ مِ ـــــنْ تَ زْعَ ـــــبْ لُمَّ ـــــاعِينْ اْبـــــدَر بِذِ ـــــينْ اتْقُ ـــــولْ عَسَ ـــــلْ

شّبه الشَّاعر خفاف الجمل في البيت الأّول برغيف الخبز الدائري الكبير الّذي نضج على رضافة ورماد النّار الحارّ بمهل:ثُم ينتقل إلى ذكر فوائد الإبل في البيتين الثّاني والثالث في تقديم جميل، حيث من المفروض أن يكون البيت الثالث سابق للبيت الثّاني في الفكرة ولكن قدّمه لغرض بلاغي، فَالإبل تعطي اللّبن اللّذيذ وتملأ الأواني عندما يقل الطّعام وينتهي المخزون من الطّعام، ويلوح في الأفق شبح الجوع والموت.

يقول الشَّاعر "قّنان" في وصف خفّ الجمل، وهي نوع من الأرغفة البدوية دائرية الشّكل وتُسمى عند البدو "خبز لملّة" في أغلب مناطق ليبيا ولكن هناك من يطلق عنها "قّنان" بالمنطقة الشرقية من ليبيا. وسُّميت بذلك تشبيها بالمرتفعات الّدائرّية على الأرض سوداء اللّون في مبالغة لحجم الرغيف منها. يقول لسان العرب: القنة الجبل الصّغير، وقيل: الجبل السَّهْلُ

(١) انظر لسان العرب مادة "فيهق".
(٢) انظر لسان العرب مادة "جبأ".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٣) القصائد العشر الأوائل ص ٥٦ – ٥٧.

المستوي المنبسط على الأرض. ولا تكون القنَّة إلاّ سوداء والقّنة : نحو من القارة وجمعها قِنان، قال ابن شميل: القُنَّة الأكَمةُ الململمة الرأس، وهي القارة لا تنبت شيئاً.(١)

وقول الشَّاعر "رضافه" يعني بها مجموعه من الحجارة تسخّن على النّار ثُّم توضع عليها قطعة من العجين دائرية الشّكل ويرد عليها الرماد الحارّ لمدّة من الزمن حتّى تنضج وتسّمى "خبزة ملّه"، يقول لسان العرب: الرّضف: الحجارة الّتي حميت بالشمس أو النّار، واحدتها رَضْفَةٌ يشوى عليها اللحم أيّ مرضوف، تنضج عليه نوعاً من الخبز بالرّضف والرماد ويسّمى خبز الملّة وهي الرماد الحار.(٢)

ويذكر الشَّاعر مفردة "مير" فتعنى عند البدو في ليبيا جلب الطّعام من الأسواق والمدن البعيدة، يقول لسان العرب: المِيَرةُ: الطّعام يمتاره الإنسان، ابن سيده:الميرةُ جلب الطّعام.(٣) وذكر الشَّاعر مفردة "ظنين" بمعنى قليل ، يقول لسان العرب:الظّنون: الرّجل قليل الخير. الظّنّةُ: القليل من الشيء، ومنه بئر ظنون: قليل الماء.(٤)

وقوله : "الأمصار" الّتي يعنى بها القليل من مخزون الطّعام، يقول لسان العرب: من مَصَرَ الشاة أو النّاقة ، يَمصِرُها مَصْراً، ومَصرَّها: حلبها بأطرافه الثلات. والتَّمصُّر: حَلْبُ بقايا اللبن في الضّرع بعد الدرِّ، وصار مستعملاً في تَتَبُّع القّلة والمَصْر: قلّة اللبن.(٥)

وقول الشَّاعر " الْعَلْ" وهي مجموعات من الحفر في الأرض ويدفن بها القمح والشعير بعد أن يلقعليها القش أيْ: التبن من كلّ الاتجاهات ويردّ عليها التراب ويبقى هكذا لعدّة سنوات دون أن يحدث به فساد أو تسّوس، ويؤخذ منها عند الحاجة ويرد عليها التبن والتراب كما كان، يقول لسان العرب: عقائل الإنسان كرائم ماله.(٦)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "قنف".
(٢) انظر لسان العرب مادة "ملل".
(٣)انظر لسان العرب مادة "مير".
(٤)انظر لسان العرب مادة "ظنن".
(٥) انظر لسان العرب مادة "مصر".
(٦)انظر لسان العرب مادة "عقل".

وقول الشَّاعر "تزعب لماعين" يعنى بها أن الإبل تملأالاواني لبناً . يقول لسان العرب: زعب الإناءُ يزعبه زعباً : ملأه، وقطرٌ زاعبٌ : يزعب كلّ شئ أيّ يملؤه. وزعب السيل الوادي يزعبه ُ زعباً : ملأه. وقربة مزعُوبةٌ : مملوءة وزَعَبَ القِربةَ : ملأها.(١)

وقوله لُمَّاعين" يعني بها جمع الماعون وهي أواني البيت. يقول لسان العرب: الماعون: أسقاط البيت كالّدلو والفأس والقدر والقصْعة.(٢)

وهذا الشَّاعر محمد الدهماني التاورغي (*) في وصف الصّقر: (٣)

حَبَارَاتْ دَارَنْ نَخَاخِيْنْ شَالُوا لَهَ صَقْرْ عَادِي

سَحِكْ مِنْ مُواقَيةْ لِذْنِينْ وِينْ مَلاَحَظْهَ إِدَّادِي

أَدْغَمْ طَوِيلْ السَّكَاكِيْنْ بَتَرْ قِيُونَه شِدَادِي

يقول الشَّاعر شهد الصائد مجموعة من الحبارى رماديّة اللّون وهي تشبه دخان النّار، فحمل لها صقر كثير العدوان في اعتدائه على صيده، وعندما شاهد الصّقر تلك الحبارى ضحك بعينيه فرحاً بما شاهده، وهذا الصّقر أدغم اللّون أبتر الذّيل طويل المخالب عظيم الساقين.

يقصد الشَّاعر بقوله " مواقيه" أيْ عينيه، يقول لسان العرب: مُوق العين وُوقُها وُؤقيها ومآقيها: مؤخرها، وقيل مقدمها. وقد يترك همزها فيقال مُوق وماق ويجمعان أمواقاً . ويقال : مُوق على مُفَعل في وزن مُؤبٍ. يجمع هذا مآقي. ومن قال مأقي جمعه مواقي.(٤)

وذكر الشَّاعر أيضاً لفظة بدوية صرفة من قوله: "إدّادي" أيّ تسير سيراً فيه شئ من السرعة. يقول لسان العرب في " دأدأ ": الدّئداء: أشدّه عدو البعير. ودأداً دَأْدأةً وِدِئداءَ

(١) انظر لسان العرب مادة "زعب".
(٢)انظر لسان العرب مادة "معن".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٣)ديوان الشّعر الشعبي، ج ٢ ص ٢٩.
(٤)انظر لسان العرب مادة "موق".

ممدود: عدا أشدّ العدو. وقولهم : فتدأدأ عن فرسه. وَدَأَدَأ الهلالُ إذا أسرع السير. وذلك أن يكون في آخر منزِل من منازِل القمر.(١)

وقول الشَّاعر "أدغم"وهو اللّون الّذي يميل إلى اللّون الأسود. يقول لسان العرب: الدّغمة والدّغُم من ألوان الخيل أن يضرب وجهه وجحافِلُه إلى السواد مخالفاً للون سائر جسده. والدُّغْمانُ بالضّم: الأسود. (٢)

وصف الشَّاعر أيضاً الصّقر بقوله "أبتر" وهو ما قطع ذنبه. يقول لسان العرب: الأبتر: المقطوع الذنب من أيّ موضع.(٣)

يقول الشَّاعر عامر الزوي(*) في بيت من زجلية له : (٤)

عَلَى رَعبُوبْ وِيْنْ تَقَوَّى يَعْقَلْ صَلَايبْ فُوقْ مِنْ مَقْدَارْه

وصف الشَّاعر جمله الأبيض الطّويل الجميل القويّ الّذي يحمل زيادة على حمله، فذكر الشَّاعر لفظة "الرّعبوب" الّتي لا تستعمل عادة في اللّهجة البدوّية في غرب ليبيا وجنوبها، وكان يقصد بها بياض اللّون والطول والضخامة وجمال الجسم. يقول لسان العرب: الرعبوبة: جارية رعبوبة ورُعْبُوبٌ ورُعيبٌ: هي البيضاء الحسنة، وقيل هي البيضاء فقط، وقيل هي البيضاء الناعمة.(٥)

وقوله "يعنقل" أيّ ينقل الثقل في قوة وصلابة، ووقع بها إبدال في حرف القاف بدل الكاف لقرب مخارج الحرفين وأصلها "عنكل". يقول لسان العرب: عنكل: الصُّلْب.(٦)

---

(١)انظر لسان العرب مادة "دأدأ".
(٢)انظر لسان العرب مادة "دغم".
(٣) انظر لسان العرب مادة "بتر".
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٤)الإبل في الشعر الشعبي، يونس فنوس ص ٢٢٥ .
(٥)انظر لسان العرب مادة "رعب".
(٦)انظر لسان العرب مادة "عنكل".

وقول الشّاعر "صلايب" يعني به ما يحمله الجمل من زيادة على حملهفوق ظهره الصلب القوي. يقول لسان العرب: الصلب الظهر ويقال للظهر صُلبٌ وصَلب وصالب. والأصلابُ جمع الصلب وهو الظهر.[١]

تقول أغنية الّرحي [٢]:

مَـــا تشِـــــدْ لِـــــينْ تِلْجَـــــمْ تِـــ ـــرَطْ حِـــــــزَامْ الشَّـــــــرِيحَهْ

وَمَـــا تعِـــــلْ لِـــــينْ تُـــــوجَمْ مَـــــا تعِـــــلْ غِيـــــر الصَّـــــحِيحَهْ

عندما يُشدّ بالفرس يجب وضع اللّجامأوّحتّى لا يجمح ثم وضع السرج وشدّه بعناية، إذاً من أراد اعتلاء الفرس عليه بشدّ اللّجام والسرج ومن أراد الكلام عليه أن يصمت أولّاً حتّى يسمع من الجميع ويتجنب اللّغو في الكلام، وإن تكلم لا ينطق إلاّ بالكلام الجميل، في كناية جميلة تصلح لكل أمر. وملخص القول فإن عزمت فتوكّل، وإن فعلت فلا تفعلإلاّ الحسن.

ذكرت الأهجية لفظة "اللجم" معروف وهي فارسية.[٣] وقولها "وجم" وتعنى بها الصمت والسكوت إلاّ لحاجة الكلام الحسن. يقول لسان العرب: الوجوُم: السكوت على غَيْظٍ والواجُم: الّذي اشتدّ حزنهحتّى أمسك على الكلام.[٤]

والشاعر أبوالقوايل[*] يقول في قصيدة زجلية هذا مطلعها:[٥]

وَادِي جَا مِنْ بَثَّا سَايلْ دَارْ هَوايلْ فُوق الُهوْج أشْجَارَه شَايلْ

يصف الشّاعر وادٍ من أودية أبشّا بتشاد عقب هطول الأمطار الغزيرة وهو يحمل الماء في سيول مفزعة مخيفة جارفاً ما جاء في طريقه من حجارة وأشجار.

---

(١) انظر لسان العرب مادة "صلب".
(٢)لمحات منالتّراثاللّيبيّ، النويرى ص ١٧٦.
(٣) انظرمختار الصّحاح مادة "الجم".
(٤) انظر لسان العرب مادة "وجم".
(*) ابوالقوايل – تم التعريف بالشاعر.
(٥) ديوان الشّعر الشعبي ج ٢، ص١٧٨.

ذكر الشَّاعر في مطلع القصيدة مفردة "هوايل" يقصد بها جمع كلمة "هول" بدلاً من "أهوال" وهو كلّ ما هو مخيف ومفزع. يقول مختار الصّحاح في هول : هاله الشيء أفزعه. والتهويل: التفزيع.(١)

وقول الشَّاعر "شايل" يعني ما يحمله من أشجار فوق سيوله العارمة، يقول مختار الصّحاح في مادة "شول": شُلْت بالجَّرة بالضّم أشول بها شَوْلاً نَفَعتُها. وشال الميزانُ ارتفعت إحدى كفتيه. (٢)

ويضيف الشَّاعر في مقطع من مقاطع زجلّيته:

وَادِي جا يـُطْفُر مِنْ بَشَّا وَاعَرْخَشَّه عَ الجَّالَاتْ عَذَاهوقَشَّه

حَقَّه مَرْكَبْ مَا يتَمَشَّى جَا مِّتكَايلْ خَلّى لِـفْلُوكَاتْ تَقَايلْ

فمجئ هذا الوادي من منطقة أبشّا، يصعب قطعه والدُّخول فيه، ومن يحاول ذلك فمصيره الهلاك، فهو يحمل معه كلّ ما جاء في طريقه من قشّ وبقايا أعشاب وأشجار لا تستطيع المراكب المائّية العمل به أو الدخول إليه، فهو يحطّم كلّ ما يأتي في طريقه.

جاء في المقطع كلمة "يطفر" الّتي يعني بها الشَّاعر قوة تدافع المياه في شدّة وعنف وكأنه يقفز قفزاً، يقول مختار الصّحاج "الطَّفرة الوَثبة(٣). وقول الشَّاعر كلمة "واعر" أيّ يصعب الدخول فيه ، يقول مختار الصّحاح: جَبل وَعْرٌ بالتسكين ومطلبٌ وَعْرٌ. وقد وَعُرٌ بالضّم وعورةُ وتَوعَّر أيّ صار وعراً . (٤)

وقول الشَّاعر "واعر خشّه" فلفظ ""خشّ" يعني بها الدخول إليه، يقول لسان العرب: وخشَّ في الشئ يخشُّ خشّاً واتخشّ وخشخش: دخل.(٥)

وقول الشَّاعر: "عذاه " أيّ ما يحمله الوادي من أوراق الشحر والزرع والحطب. يقول مختار الصّحاح: عذا : هو الزّرعالّذي لا يسقيه إلاّ ماء المطر.(١)

---

(١) انظر مختار الصّحاح مادة "هول".
(٢) انظر مختار الصّحاح مادة "شول".
(٣) انظر مختار الصجاج مادة "طفر".
(٤) انظر مختار الصّحاح مادة "وعر".
(٥) انظر مختار الصّحاح مادة "خشش".

وقول الشَّاعر " متكايل" يعني ممتلئ ماًء جاءت من الكيل. يقول مختار الصّحاح: وكايله وتكايلا إذا كال كلّ واحد منها لصاحبه فهو مكايل بلا همزة. [٢]

ووردت لفظة "لفلوكات" بمعنى السّفن الّتي يصعب عليها دخول هذا الوادي، يقول مختار الصّحاح: بالسفن: السفينة واحدٌ وجمع ويذكّر ويؤنث.[٣]

ولفظة "دقايل" المتعلقة بالفلك يعني بها أعمدة وأشرعة السّفن. يقول لسان العرب: الدَّقل والدَّوقل: خشبة طويلة تشدّفي وسط السفينة يُمدُّ عليها الشراع وتسّميه البحرّية الصاري، وقيل: الدّقَل سهم السفينة وأصله والبدو في ليبيا لا يعرفون السفن والبحار والانهار لأنّ معظم بيئتهم شبه صحراوّية أو صحراوّية.[٤]

والشاعر جلغام ابوشعراية(*) في قصيدة زجلية يصف فيها الإبل:[٥]

مَـــــامِ الْفُـــــــرُوقَ الْبيضَـــــــــا اللِّـــي تجِيـــكْ مِـــنْ قِبْلَـــه أيَّـــامَ الْقِيظَـــه

سَـلِيمة الْمَرافِـقْ فِـي النَّبـاتْ عَرِيضَـه لَمْـعْ اتْقُـولْ اقْمـاشْ فُـوقْ سَـفِينَة

فنوقه فُرَّق بيضاء اللّون ، تأتي من المرعى الخصب من اتّجاه القبلة في حرارة الصيف الشديدة، وإبله سليمة من العيوب، عريضة طويلة ضخمة تلمع كالقماش الأبيض القادم من بلاد الروم على ظهور السفن.

ويعني الشَّاعر بقوله "الفروق" النّاقةالّتي تفارق الإبل عند الولادة. يقول لسان العرب: الفارق من الإبل: الّتيتفارق إلفها فَتَنْتَجُ وحدها، وقيل: هي الّتي أخذها المخاض فذهبت نادَّة في الأرض، وجمعها فُرَّق وفوارق، وقد فَرَقتْ تَفْرُق فرقاً . [١]

---

(١) انظر مختار الصّحاح مادة "عذا".
(٢) انظر مختار الصّحاح مادة "كيل".
(٣) انظر مختار الصّحاح مادة "فلك".
(٤) انظر مختار الصّحاح مادة "دقل".
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٥) ديوان الشّعر الشعبي ج ٢، ص٧١.

وأيضاً قوله "القيظة" يعني بها أيام الحرّ الشديد وهو فصل الصيف. يقول لسان العرب: القيظ: صميم الصيف. وقاظ يومنا: اشتد حرُّه. القيظ: حمارة الصيف من قولهم في الحرّ يتلظّى فكأنه يلتهب من اللظى.(٢)

ثم يقول الشّاعر في مقطع آخر من القصيدة نفسها:

مَـــا مِـــنْ فُـــرُوقْ قَـذُوهَـــا اللِّـــي عُرَهَـــا يَكْمَـــلْ وَمَـــا بَاعُوهَـــا

تَمْـــلَا الزّوِيلِـــي وِيـــنْ مِاَيْهُوهَـــا تَـــلَّالْ شُـــخَيْبَهَا بـــرَّامْ تِطْلَـــقْ عِينَـــه

فالنوق الّتي أشار إليها الشّاعر لا تباع حتّى ينتهي عمرها عند مالكيها، وهي كثيرة اللبن تملأ الأواني ومنها "الزويلي" وهو إناء ينسب إلى مدينة زويلة بالجنوب الشرقي من ليبيا يشتهر بكبر حجمه، ولغزارة اللبن يكون شديد الاندفاع من محلب النّاقة إلى الإناء حتّى يُحدث دوائر بالإناء تشُبه الشلّال شديد الارتفاع وقوة الماء، وما تحدثه من دوائر بالبركة الّتي يصبّ بها الشلّال. وردت لفظة "قنوها" بالأبيات، بمعنى ما تّم اختياره من الإبل لكي تكون من جملة مكتسباتهم. يقول لسان العرب:القِوةُ والقّنوةُ والقِنيةُ والقّنيةُ: الكِسْبةُ قلبوا فيه الواو ياءً.(٣)

وقول الشّاعر "بهلوها" من البهل وهو خيط يربط شمال النّاقة الّتي يمنع فصيلها من الرضاعة. يقول لسان العرب:اسْتَبْهَلَ فلان النّاقة إذا احتلبها بلا صرار. والباهل: الإبل الّتي لا صرار عليها وهي المبهلة. وَبهِلَت النّاقةُ بهَلَ بهلاً: حلَّ صرارُها وترك ولدها يرضعها.(٤)

وقول الشّاعر "شخب" يعني به خروج الحليب من ضرع النّاقة. يقول لسان العرب: الشَّخْبُ والشُّخْبُ:ما خرج من الضرع من اللبن إذا أُحتُلِبَ، والشّخبة، الدّفعة منه، والجمع

---

(١)انظر مختار الصّحاح مادة "فرق".
(٢) انظر مختار الصّحاح مادة "قيظ".
(٣) انظر مختار الصّحاح مادة "قنا".
(٤) انظر مختار الصّحاح مادة "قيظ".

شخابٌ، وقيل : الشُّخب بالضّم من اللبن: ما امتدَّ منه حين يحلب متّصلاً بين الإناء والطُّبي، وقيل الشخبُ صوت اللبن عند الحلب.(١)

والشاعر محمد الاحول (*) يقول في وصف الإبل: (٢)

كَسَّـــابِينْ مِـــنْ جَعَـــد الْأَوْبَـــارْ رقَ ـــابَ الـــرَّالْ عِـــزَ الْكَاســـبَاتْ

قُ ـــولْ نعـــام تْظَرْهَـــا اكْـــوَارْ هَيلَـــه فِـــي الْفَجُـــوجَ الْخَالِيـــاتْ

بْـــهَ ا ايفُـــوحْ فُوحَـــانَ الْاعْطَـــارْ نَزَاهَـــا ذِـــيْ عَـــالِي شَـــايلَاتْ

يفتخرالشَّاعر بقومه لكسبهم وامتلاكهم الإبل وهي أفضل ما يقتنيه البدوّياللّيبّي، ويصفها بالوبر الجعد والرقاب الطّويلةالّتي تشبه رقاب النّعام وهي همل بالصّحارى تحمل من الشّحم واللّحم الكثير نظراً لوفرة المرعى، وروائح العبس منها تفوح كالعطور في أنوف مالكيها ومحّبيها.

يقول الشَّاعر في وصف رقاب الإبل برقاب "الرال" ويعنى بها النّعام. يقول لسان العرب: الرَّأل: ولد النّعام ، وخصّ بعضهم به الحولّي منها.(٣)

ثُم يذكر الشَّاعر لفظة "أكوار" في البيتالثّاني، ويعني بها أنّ الإبل ترعى في مجموعات كبيرة، يقول لسان العرب: الكور من الإبل: القطيع الضخم، وقيل هي مائة وخمسون وقيل مئتان وأكثر والجمع منها أكْوار.(٤)

وقول الشَّاعر "هميله" وهي أنّ الإبل ترعى وحدها دون راعٍ. يقول مختارالصّحاح: أهْملَ الشئ: خلّيى بينه وبين نفسه.(٥)

وقول الشَّاعر"فجوج" وهي عند البدو الشّعب والأراضي الواسعة. يقول لسان العرب: والفجُّ: الَمضرِب البعيد، وقيل: هو الشّعب الواسع بين جبلين.(٦)

---

(١) انظر لسان العرب مادة "شخب".
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٢) الشّعر الشعبي ج ١، د.علي برهانة ، ص ٢٢.
(٣)انظرلسان العرب مادة "رأل".
(٤)انظرلسان العرب مادة "كور".
(٥)انظرلسان العرب مادة "همل".
(٦)انظرلسان العرب مادة "فجج".

وقوله "نَيْ" ويعنى ما تحمله الإبل من لحم وشحم نتيجة المرعى الخصب. يقول لسان العرب: وناء اللحم يئُوء نوءاً ونّياً، لم يهمز نّياً، فإذا قالوا النَّيُّ بفتح النون: فهو الشحم دون اللحم.(١)

والشاعر على محمد الدبسكي(*) يشتكي من ظلم الاستعمار والقحط والأيام في قصيدة زجلية يقول مطلعها:(٢)

أيَّـــامْ عَاكْسَـــه وَارْيَاحهـــا تِتْغَـــارَدْ لَا مْسَـــاعَدْه الصَّـــادِر وَلَا اللَّـــي وَارِدْ

يشكو الشَّاعر في مطلع قصيدته الأيام الّتي تسير عكس ما يريد وما يخطط، حيث لا مطر ولا سحاب إلاّ الّرياح الشديدة المحّملة بالأتربة وهي تربك من يريد الخروج والعودة لعمل ما. فقول الشَّاعر: الّرياح "تتغارد" أيّ تصدر أصواتاً وهي محملة بالأتربة. يقول لسان العرب: التغريد الصّوْتُ. الغَرَدُ بالتحريك والتطريب في الصوت والغناء (٣)وفيللّهجةاللّيبّية يقصد به الصوت المحزن.

وقوله "الوارد والصادر" يعني بها الساعي إلى العمل والعائد منه، والقادم إلى ليبيا من مستعمر والخارج من ليبيا بعد الحرب من باب المجار لورود الإبل الماء وصدورها عنه. يقول لسان العرب في مادة ورد: الوِرْدُ: وُرودُ القوم الماء، والوِرْدُ: الماء الّذي يُرَدُ. والوِرْدُ: الإبل الوارِدة. والموارِدُ: المناهل واحِدُها مَوْرِدٌ. والمَوْرِدةُ: الطريق إلى الماء.(٤)

ويقول لسان العرب في مادة "صدر": الصَّدُر: نقيض الوِرْد، صدر عنه يَصْدِرُ صَدْراً ومَصْدَراً أيّ صدرت الإبل عن الماء. (٥)

اللِّـــي وَرَدْ مَـــا حَصَّـــلْ للِّـــي صَـــدَرْ بِقَرِبتَـــهِ مَـــا وَصَّـــلْ

(*)هو علي محمد الدبسكي شاعر مقل من مدينة الرجبان عاش أوائل القرن الماضي وسجن أبان الحرب العالمية الثانية "بدون تاريخ" ، انظر تغاريد في القرية ص ٩٦.

(١)انظرلسان العرب مادة "نيأ".

(٢) تغاريد في القرية ابوبكر صفر، ص ٩٦ .

(٣)انظرلسان العرب مادة "غرد".

(٤)انظرلسان العرب مادة "ورد ".

(٥)انظرلسان العرب مادة "صدر".

واللّـي حَـرَثْ فِـي مِزْرَعَـهْ مَـا قَصَّـلْ أَيـامْ مِنْكَـدَه فِـي بَعْضَـهَا تَطَّـارْدْ

واللّـي اصَّـمَّرْ مَـا بَغَـى يِتَفَصَّـلْ واللّـي فَصَـلْ مَـا لَايُمـوه مَبَـارَدْ

من الأمور الّتي يشتكي منها الشّاعر عديدة على سبيل المجاز والكناية من قوله: مَنْ ورد إلى موارد المياه لم يتحصّل على أيّ كمّية منه، ومن عاد من المورد إلى الدّيار لم يصل الماء بقربه إلى الدّيار، ومن قام بزرع مزرعته لم ينبت زرعه ولم ينل إلاّ مطاردة الأيّام لبعضها.ثُم يشير إلى الاستعمار الإيطالّيلاّذي خرج ، والانجليزيّ القادم في صورة جميلة كعدم نصل السهم أو السّيف من نصله في إشارة إلى الانجليز، ومن نصل سيفه لم يعد مهما حاول الحدّاد بمبارده في إشارة إلى الإيطاليين.

يقول الشّاعر في مفردة "قربة" الّتي يعني بها وعاء لحمل الماء يصنع من جلود الماعز والوعول. يقول لسان العرب: القِربة من الأساقي. ابن سيده: القربةُ: الوطب من اللبن، وقد تكون للماء، وقيل هي المخروزة من جانب واحد والجمع : قِرباتٌ وقِرِبات وقَرباتٌ والكثير قِرَبٌ.(١) وعند البدو في ليبيا لا تستخدم إلاّ للماء.

وقول الشّاعر "قصّل" وهو ارتفاع الزّرع على وجه الأرض حتّى يصبح قصلاً أو قصيلا ويكون منه علفاً للماشية قبل استخراج السّنابل. يقول مختار الصّحاح: القَصْل القطع وبابه ضرب ومنه سُمّي القَصِيل. وقصل الدّابّةَ علفها قصيلا.(٢)

وقول الشّاعر لفظ " منكده" من الّنكد وهو شّدة العيش وعسره. يقول مختار الصّحاح: نَكِد عَيْشُه أشْتَدّ، وبابه طرِب. ورجُلٌ نكدٌ أيّ عَسِرٌ وجمعه أنْكَاد ومَناكيد، والأنكَدُ: المَشْئُوم.(٣)

وقوله "اصَّمَّر" حدث بها ابدال من السين إلى الصاد لقرب مخارج الحرفين. وتعني التمكن من الشئ أو مكان يصعب الخروج منه فيما بعد، كتمكّن الفأس من عصاه وعدم

(١)انظرلسان العرب مادة "قصل".
(٢) انظر مختار الصّحاح مادة " قصل".
(٣)انظرمختار الصّحاح مادة "نكد".

سهولة خروج العصا من عين الفأس وغيره، في كناية عن تمكّن الإنجليز من ليبيا وعدم الرحيل عنها. يقول لسان العرب: المسمار: واحد مسامير الحديد، تقول منه: اسمَرَّتُ الشئ تسميرَا، وسَمَرْتُه أيضاً .(١)

وقوله "نصل وتنصّل" وهي ضدّ التسمير، بمعنى سهولة خروج الفأس عن العصا. في كناية سرعة خروج الإيطاليين من ليبيا عقب الحرب العالمية الثّانية. يقول لسان العرب: النصل: نَصْلُ السهم وَصْلُ السّيف والسكين والرمح وَنَصَلْته جعلت له نصلاً، وأَنْصَلْته نزعت نِصله. وكل ما أخرجته فقد أَنْصَلته. (٢)

وقول الشَّاعر "مبارد" الّتي استعملها الشَّاعر لبرد الحديدحتّى ينصل عن نصله. وهي جمع مبرد. يقول مختار الصّحاح: بَرَد الحديد بالمِبْرد، والبُرَادَة بالضّم ما سقط منه. (٣)

والشاعر أحمد فردة (*) يفتخر بقبيلته من قوله: (٤)

وظَهَرُوا عَلَى خِيلْ حُسَّارْ مِنْ كلّ دُوَّارْ لِلْعِكْ يَشْهَدُوا اخَلاَطَه
ذَارِي عَلَى شُهَبْ تُضَمَّارْ فِي الْحَرَبْ شُطَّارْ مَايْحِلُوش الْصَلتَه
صَارْ بِينهُمْ سُوقْ مِشْوَارْ لِنْ مَاتَت النّار يشِيَّبْ صَغِير الْقُمَاطَه
هَذَا فِيهْمَهْ وُدْ لَشْفَارْ مَا عَادْ بِيطَارْ فَمَّهْ يَمَاثِلْ قَفَلتَه

يصف الشَّاعرقومه وهم خارجون إلى المعركة على خيول مجهّزة من كلّالدّيار لهم رغبة في دخول المعركة، على خيول ضامرة البطون، سبقت لهم خبرة في دخول الحرب،لا يقبلون الظلم، وبدأت المعركة بين الطرفين واستمرّت تستعر حتّى يكاد يشيب لها الرضيع، ولن تتوقف إلاّ بعد أن أخذ كلّ طرف من خصمه وفلّت فيه السيوف من حصد الرقاب.

(١)انظرلسان العرب مادة "سمر".
(٢)انظرلسان العرب مادة "نصل".
(٣)انظرلسان العرب مادة "برد".
(*) أحمد فردة تم التعريف بالشاعر.
(٤) الأدب الشعبي، الفشاط ، ص ٩٦.

يقول الشَّاعر عن الخيل "حسّار" ويعني بها الانكشاف. يقول مختارالصّحاح: حسر كُمَّهُ عن ذراعه كشفه، والانحسار الانكشاف. وحَسَر البعير أعْيا.(١)

وقول الشَّاعر "العرك" وهي التطاحن والضرب والحرب وأصلها المعارك. يقول لسان العرب: عَرَكْت القوم في الحرب عَرْكًا، وعركتهم الحربُ تعْرُكهم عَرْكًا: دارت عليهم. والمَعْرَكة والمَعْرُكة، بفتح الرّاء وضمّها: موضع القتال الّذي يعتركون فيه إذا التفا الجمعان مَعارِك.(٢)

وقول الشَّاعر يصف الخيول بقوله "شِحْب" لتغيّر لونها وهزلها نتيجة الحرب. يقول لسان العرب: شَحَبَ لَوْنُه وجِسْمُه، يشْحَبُ ويشحُب بالضّم ، شُحُوبًا، وشحُب شُحُوبةً : تغيّر من هُزالٍ أو تحلٍّ أو جوعٍ أو سفرٍ، وقَال: يشحب جسمه إذا تغيّر.(٣)

وقوله في وصف الخيل أيضاً "ضُمَّر"ومفردها ضامر البطن نظراً لخفّة اللحم وفيه دليل على سرعتها. يقول مختار الصّحاح: الضُّمر بسكون الميم وضمّها الهزل وخفة اللّحْم. وقد ضمر الفرس من باب دخل وضُمر أيضاً بالضّم ضُمْراً بوزن قُفْل فهو ضَامِرٌ، وأضمَره صاحبه وضَمّره تضميراً فاضْطَمر.(٤)

وقول الشَّاعر "المساطه" بالسين والصاد يعني بها الزيادة من كلّ شئ، وعند البدو أيضاً قلة الملح في الطّعام. يقول لسان العرب: وماسطٌ: ماء ملح إذا شربته الإبل سَكَ بطُونها. وماسِط: اسم مُوَيْه ملح، وكذلك كلّ ماء ملح يَسْطُ البطون، فهو ماسط.(٥)

ومن قول الشَّاعر: صار "سوق" والمراد بلفظة سوق هنا ليس موضع البيع والشراء، بل المعركة. يقول لسان العرب:سوق القتال والحربِ وسوقَتُه:حَومتُه، وقد قيل : إن ذلك من سَوق النّاسإليها.(٦)

---

(١)انظرمختار الصّحاح مادة "حسر".
(٢)انظرلسان العرب مادة "عرك".
(٣)انظرمختار الصّحاح مادة "شحب".
(٤)انظرلسان العرب مادة "ضمر".
(٥)انظرلسان العرب مادة "مسط".
(٦)انظرلسان العرب مادة "سوق".

وقول الشَّاعر" القماط"ويعني بها خيط يُشدّ به المولود في شكل دائري حول جسمه تحته قماش ناعم حتّى لا تؤثر أظافره ويديه على عينيه وبقّية جسده. يقول مختار الصّحاح: القماط بالكسر حبل يشدّ به الصّبي في المهد.(١)

وقول الشَّاعر: "هفا فيه مهنود لشفار"، يعني السّيف، فقوله "هفاء" أيّ اسرع في قطف الرؤوس كالبرق في السحب. يقول لسان العرب: هَفَا: النّهاب في الهواء وهفا الشّئ في الهواء: ذهب، وهفا الطّائر إذا طَار، والرِّيحُ إذا هَبَّت. (٢)

وقوله "مهنود" يعنى بها السيوف. يقول لسان العرب: الأصل في التّهنيد عمل الهند. يقال : سَيْفٌ مُهَنَّدٌ وهِنْدِيّ وهُنْدُوانِيٌّ إذا عُمِلَ ببلاد الهند وأُحْكِمَ عمله، والمُهَنَّدُ: السّيفالمطبوعُ من حديد الهِنْد.(٣)

وقوله "لشفار" يعنى به حدّالسّيف وحروفها: يقول لسان العرب: شفرات السيوف: حروفُ حَدّها، وشفرة السّيف: حدّه، وشفرتا النصل جانباه.(٤)

وقول الشَّاعر حول السّيف بأنّه غير "بيطار" أيّ قلّة نشاطه وطغيانه المعهود وضرباته القاتلة بعد ما أخذ منه الإعياء؛ وفلّ شفره عقب معركة دامية دامت فترة من الزمن. يقول لسان العرب: البطر: النشاط، وقيل البطر الطغيان في النعمة، وقيل هو أن يتغّير عن الحقّ فلا يراه حقاً، ويقال لكلّ من أَرْهَقَ إنساناً فحمّله مالا يطيقه: قد أبطره ذرْعه. (٥)

من خلال هذه الشّواهد على سبيل التمثيل لا الحصر يتّضح أنّ المفردات في الشّعرالبدويّاللّيبّي هي عربّية فصيحة ، وإن لم يكن يعرف البدويّ في ليبيا أنّ هذه المفردة عربّية، خاصة وأن أغلب المفردات لم تستعمل في الكلام اليومي العادي، وأنّ مجموعة كبيرة

(١)انظرمختار الصّحاح مادة "قمط".
(٢)انظرلسان العرب مادة "هفا".
(٣)انظرلسان العرب مادة "هند".
(٤)انظرلسان العرب مادة "شفر".
(٥)انظرلسان العرب مادة "بطر".

منها معجمية لا يعرف مدلولها إلاّ بالعودة إلى المعاجم وهي حالة متساوٍ فيها المثقف والمتخصص مثل " دمثور، عمهوج، هملاج، آماحيص، هقهاق، آادي، رعبوب، عنقل بمعنى الصلب، دقايل بمعنى خشبة السفينة أو الصاري،" وغيرها. والغريب أنذ هؤلاء الشّعراءفي أغلبهم لم ينالوا نصيبهم من التعلم ولاحتّ ى الاتصال بالمدن والحضر ولا وجود لوسائل الإعلام في ليبيا إلاّ حديثاً، ومن ذكر هذه المفردات من الشّعراء المعاصرين ورثوها عن شعراء سبقوهم وأخذوها عنهم دون التمّعذن في معانيها المعجميذة ومدى مصاحتها من عدمه.وأغلب الظّنذ أن هذه المفردات ورثوها جِيلاً عن جيل منذ هجراتهم من جزيرة العرب وصحاريها وأوديتها إلى صحارى وأودية شمال أفريقيا، وهم خلف إبلهم فلا تغيير يذكر في كلّ من البيئتين: فالحيوانات هي الحيوانات والصّحارى هي الصّحارى والطّقس هو الطقس والطذبيعة هي الطذبيعة والطذيور هي الطيور والحيوانات البرية هي نفسها.وقلّة المياه والتنّقل من مكان إلى آخر، والقبيلة هي القبيلة والحروب الّتي تدور بين القبائل بسبب الإبل والمراعي وموارد المياه تكاد تكون نفسها . إلاّ أنّ التغيير الوحيد هو الزيغ عن الإعراب ولكنة اللّسان في بعض المفردات، والله أعلم.

المبحث الثّاني : المستوى التّركيبي للجملة:

عند التطّرّق إلى جمال التركيب للجملة في لغة الشّعرالبدويّاللّيبّي أو سواه، لا بدّ من التطرق إلى اختيار الألفاظ المعّبرة عن معنى شريف، وهذه القضّية قضّية قديمة، انقسم حولها نقّاد العرب إلى قسمين :

القسم الأّول: أنصار اللّفظ، ويدعون البلغاء إلى العناية به وحده، وأّنهم يرونه وحده سبب قّوة العبارة وبلاغة النصّ فيقوى بقّوته ويضعف بضعفه وعلى رأس هؤلاء الجاحظ، إذ يقول : "..... والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي،

وإنما الشأن في إقامة الوزن وتميز اللّفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك .... " [١]

أمّا القسم الثّاني: أنصار المعنى يقدّمونه على اللّفظ ويدعون البلغاء إلى اختيار أفضله والبحث عنه، وعلى رأس هؤلاء ابن المعتز وابن قتيبة، وعبدالقاهر الجرجاني يقول: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللّفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النّظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وقالوا: لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقة نابية، ومستكرهة إلاّ وغرضهم أن يعتبروا بالتمّكّن عن حسن الإتقان بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبوء عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلتق بالثانية في معناها". [٢]إلى أن ظهر الفريق الثالث الّذي يدعو إلى الاعتدال في شرف المعنى وبليغ اللّفظ وخيرما يمثّل ذلك قول ابن رشيق القيرواني: "اللّفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الرّوح بالجسم، ويضعف بضعفه ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختل اللّفظكان نقصاً .... " [٣]

واللّغة العربيّةتعتبر أحكم اللّغات نظاماً في أوضاع المعاني وسياستها بالألفاظ، وهي أعظمها ثروة وأبلغها على الإطلاق بحيث لا تدانيها لغة أخرى من اللّغات، والعرب لم يدعوا معنًى من المعاني الّتي تتعلّق بالروح والبدن إلاّ ركّبوا أجزاءه وصفاته بألفاظ متباينة تعيد تلك الأجزاء والصفات على مقاديرها. [٤]

نالت اللّغةالعربيّة متسّعاً أكبر في صيغ الكلام وتزيين حواشيه وبلغوا قّمة تنميق الشّعر وإجادته واعتمدوا في كلامهم على الكلمة والإشارة والتفّنن في العبارات وهذا لا يكون إلاّ بكمال صنعة الألفاظ. فأصبحت القرينة مخالفة لظاهر اللّفظ كقولهم عند المدح: "قاتله الله ما أشعره" فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه. [٥]

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب،الدكتور أحمد بدوي،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٣٥٧–٣٦٦.
(٢) المرجع نفسه ص ٣٥٧–٣٦٦.
(٣) العمدة ابن رشيق، ج١، حققه محمد محي الدّين عبدالحميد، دار الجبل ط ٤، ١٩٧٢م، ص ١٢٤.
(٤) تاريخ الأدب العربيّ مصطفى صادق الرافعي ج ١، ص ٢٢٧.
(٥) المرجع السابق ج ١ ، ص ٢٢٩.

وما يسري على اللّغةالعربّية الأّم يسري على فروعها، واللهجة البدوية في ليبيا تسير على هذا النهج من إيماءات وإشارات وكنايات وغيرها. وهذا لا يكون إلاّ بقدرة اللّغة وتطّورها، ودقّة التعبير وقصدها إلى الهدف.

والشعر البدوّياللّيبّي يحمل من الروعة والجمال وإصابة الهدف، والدقّة في التعبير والأصالة في التفكير بما لا يقلّ عن الشّعرالعربّي الفصيح قّوة وأصالة ودقّة وقصداً إلى الهدف، فالتجربة هي نفسها في كلّ زمان ومكان، والتربة الّتي أنبتت أولئك هي نفسهاالّتي أنبتت هؤلاء.

ولغة الشّعرالبدويّ جزء أساسي من اللّغة الأّم خضعت لظروف ومتغيراتمعقّدة، ومع ذلك فإنّ هذه اللّهجة لا تنفصل عن الأّم في البناء اللّغويّ ولا في البناء الفكريّ، وما يحدث من تغّيرات تخضع للقدرات الصوتّية الّتي تتفاوت بين البشر، وهي ظاهرة إنسانية.

تقول أغنية الرحي :[1]

الْعِينْ لِـ لْعِينْ مِيـــــــــــــــزَانْ الْقَـــبْ لِـ لْقَـــبْ رَاجَـــعْ

أَبنـــادَم يِجِيـــوه لَحْسَـــانْ وَيْبِعـــــدُوه الْمَوَاجَـــــعْ[2]

الْمَوَاجَـــــــــــــعْ[2]

من خلال الّنظر إلى أعين الآخرين تعرف ما يكّنه الآخر من حبٍّ وودٍّ أو كرهٍأو بغضٍ فالأعين كالموازين للبشر، والقلوب تميل إلى بعضها أو تبتعد، فكثيراً ما يميل القلب إلى الآخر دون مسبق معرفة ويصدق غالباً "سبحان الله"، وهكذا هو حال المحّبين، وعلى كلّ حال فالبشر يميلون إلى عمل الخير والقرب والتودّد ويبتعد عن الإنسان الّذي تصدر عنه أعمال الشر والتجريح.

(١) حضور المرأة في المأثور الشعبي أحمد النويري، ٢ ١٢٩.
(٢) بنادم: بني آدم. لحسان: من الإحسان وعمل الخير.

فالبيتان يحملان من الأفكار ما تحمله قصيدة كاملة في مفردات معّبرة قوّية جزلة مُفْهِمة لمعنى شريف، لختبرت الكلمات بعناية ودقّة متناهية وامتزاج بين كلّ من اللّفظ والمعنى فيصورة جميلة تحمل من الحكم والمعاني الكثير. وهذه أغنية أخرى تقول: [١]

زِيـــنَ النَّخَـــلْ فِـــي الْعـــرَاجِينْ وَزِيـــنَ الْمـــرَا فِـــي السَّـــوِالَفْ

وزِيـــنْ الـــذَّهَبْ فِـــي الْمـــوَازِينْ إِنْ كَـــانْ طَـــاحْ فِـــي اْيـــدِينْ عَـــارَفْ

فالأغنية ترى جمال النّخيل في حمل ثماره الكثيفة الجّيدة الجميلة وثمار النخل تعدّ وجبة رئيسة لسكّان البادية اللّيبّية ، وتلك الثمار تزّين النخل بلونها الأصفر الذهبي وهو كالقلادة حول جيدها، وجمال المرأة في شعرها الكثيف الطّويلالّذي يزيدهاجمالاً وزينة، والذّهب تزداد قيمته وجماله وزينته لمن يرتديه بزيادة وزنه، فكلّما كان أكثر وزناً كان أكثر قيمة خاصة عندما يقع في أيدي من يحسن تقديره.

يحمل هذان البيتان الكثير من الحكم وإنهما يجريان على الألسن مجرى المثل، ولا تقف على المعاني المحدّدة للمفردات بل تتعدّاها إلى كنايات ومجاز، إضافة إلى حسن التقطيع فكلّ شطر مقسوم إلى وقفتين زادتا من جمال الأبيات، وتقول أخرى:[٢]

رَاهـــي الحَـــذيَرْهَنـــذِيَرْه وَدّار التَّخطّـــي خَطَاهَـــا[٣]

لَـــوْ كَـــانْ رِيـــت الصَّـــغِيَرْه رَاهِـــي الْكَبِيـــرَهْ حَـــذَاهَا[٤]

من توخّي الحذر كمن أنذر نفسه من الوقوع في الخطأ، والأماكن الّتي تتواجد بها الأخطاء هي الخُطى الأولى الّتي تؤدّي إلى المعصية والفساد والهلاك، وعند وقوع صغير الأمور لا بدّ وأن تكون كبيرة، شأنها شأن الكائن الحّي.

(١) هجاوي الرّحي، عبدالسلام شلوف ، ص ٤٣، وذاكرة قرية، محمد سعيد محمد ، ص ١٣٩.
(٢) المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري، ص ١٢٨.
(٣) الحذيرة: الحذر، نذيرة: الانذار، التخطي: مواقع الاخطاء.
(٤) ريت : رأيت، حذاها: بالقرب منها ومحاذية لها.

كما يحمل هذان البيتان حكمة تتناقلها الأجيال لسهولة حفظها، واختيار المفردات بدقة وعناية في تراكيب خاصّة تؤدّي المعنى المراد وأكثر، مع حسن السياق وجمال التقطيع. وهذا البيت يتردد كثيراً، ويجري مجرى المثل [١] :

اَلْعَيْن تَشَجْ وَالْقُول تَوازِنْ وَالْوِذِنْ تَسْمَعْ والقلوب مَخازَنْ[٢]

فالعين للّنظر، تعطي للعقل ما شاهدت وما جمعت من معلومات وإشارات، ويقوم العقل بدوره بدراسة تلك المعلومات ويقدرها ويضع الحلول، والأذن دورها كالعين تسمع وتعطي المعلومات الّتي تلقتها إلى جهاز العقل لكي يختار ويحذف ما يشاء ، ويرسم الخطط بناء على المعلومات الّتي تحصَّل عليها عن طريق الحواس، أّما القلوب فهي وعاء ومخزن كلّالأسرار، إّنها صناديق مقفلة تحمل من المعلومات والأسرار ما لا يحمله صندوق حديديّ أو خشبي، فكلّ إنسان يحمل في ذاكرته القديم والجديد، والجميل والقبيح، والسارّ والمحزن، وهذا البيت اليتيم يحمل معانٍ وحكماً كثيرة ، ويجري مجرى المثل في مفردات قليلة جميلة رُكّبت تركيباً خاصّاً في حلّة جميلة وتقطيع رائع.

وهذه أغنية رحى أخرى تقول: [٣]

أَنا الْعَيْنْ وَانتْ حُوَ ظَرْهَا وأَنا اليَّدْ وَانْتُ حو الأَصَابَعْ

وأَنا الأَرَضْ وَانْتُ حو مَطْرَهَا بَلاكُم تصِيفألْمَرَابَعْ

تصّور المرأة نفسها بالعين ، وإخوتها وأبناء عمومتها ووالديها بالنظر الّذي تبصر به العين، فما فائدة العين بدون الّنظر؟ وتصّو ر نفسها باليد واخوتها أصابع اليد، وأّي يّد بدون أصابع – وإن وجدت – لا قيمة لها، ثُم تصور نفسها في صورة أخرى بأنها الأرض وإخوتها المطر الّتي تحيي الأرض بعد موتها، فبدون الماء لا معنى لأرض قاحلة جادبة لا ماء فيها وبالتالي لا حياة فيها، يالَجَمال هذين البيتين لما يحملانه من روعة البيان ودقّة التصوير

(١) المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري، ص ١٢٨.
(٢) تشبح : تنظر، الوذن: الأذن.
(٣)لمحات منالتّراثاللّيبيّ، أحمد المسماري، ص ٧٨.

وقّوة المعنى وشدّة الاختصار وبلاغة التركيب واختيار المفردة، وجمال الصياغةوحسن التقطيع، وهذه أخرى تقول: [1]

اَجَـــا بَهَ ـــا جَـــرِي مِلْحَـــاحْ جَـــرَى لِـــينْ طَاحَـــتْ أَقْدَامَـــهْ[2]

اَمْشِـــي لَهَـــا مَشِـــي مِرْتَـــاحْ وِقُـــولْ يَـــا الِلـــهْ السَّـــلَامَة

يحث هذان البيتان على الزهد والقناعة في العمل، على أن يكون دقيقاً محكماً دون السعي والجري وراء الحياة من غير تفكير ودقّة في العمل، والعبرة بالكيف لا بالكّم، فالإنسان يجب أن يسعى في هدوء وتمهّل وتفكير، فلا فائدة من العبث لأجل جمع المال فقط، فالكثير جرى وراء الدّنيا ولم ينل إلاّ التعب.

هذان البيتان يحثان على عدم التّسرّع في كلّ الأمور الحياتّية والدعوة إلى إتقان العمل والتمهلّ فيه، في مفردة قوية تحمل معنًى شريفاً يقبله العقل، وتدعو له العقول النّيرة السليمة.

وتقول أغنية رحى أخرى:[3]

وِدَّكْ لِيَـــا جَـــاوَرَكْ جَـــارْ عِيـــكْ مَـــا طَّلَـــعْ السِّـــيَّه

ووِدَّكْ مِـــن الْعَقـــل قُنطَـــارْ وِالـــزِّينْ تَتّـــى وقِيَّـــه

تدعو هذه الرباعية إلى الإحسان إلى الجار ومعاملته المعاملة الحسنة وتقديم كلّ أنواع المساعدات له، وعدم إيذائه، وكذلك الدعوة إلى الإتّزان والحكمة وإعمال العقل، أّما الجمال فيكفي منه القليل . والمرأة تقاس بعقلها ودينها لا بجمالها، فهذا المعنى الشريف والدعوة الصادقة إلى العقل وحسن المعاملة في قول عاّم يدخل تحته كلّ ما هو جميل من العمل في مفردات قليلة مختارة بدقة وحكمة وضعت في مكانها المناسب فامتزج الشّكل بالمضمون مكوناً صورة جميلة في إيجاز تحمل حكمة تتناقلها الأجيال جيلاً عن جيل.

---

(١) صورة المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري ، ص ١٣١.
(٢) ملحاح : في إلحاح ، طاحت : وقعت من التعب.
(٣)صورة المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري ، ص ١٣١.

وتقول أغنية رحى أخرى:[١]

لاِّ ـــــي شَـــــبَّر نَـــــذْرُعو لَـــــهْ سَـــــوَاء حَـــــرَبْ وِالاَّ عَـــــوَافي[٢]

واللاِّ ـــــي يسَـــــلَّفْ جَمَـــــاتْ مَـــــرْدُودْ لَـــــهْ الْكِيـــــلْ وَافِـــــي[٣]

تدعو الأغنية إلى الرّد بالمثل وزيادة . على الصديق والعدّو في كلّ الحالات، سواء حالات السلم أو حالات الحرب . فمن أخذنا منه كيلاً نردّ له الكيلة كيلين كما نعامل الصديق حسب ما يقدّمه وزيادة، ونعامل العدو بالردّ عليه قدر معاملته وزيادة.

والأبيات تحمل من الإيجاز في المعنى الكثير، فهي تدعو إلى مكافأة الآخر بالمثل وزيادة في حالات السلم والحرب. فيسالم من يسالمه ويعادي من يعاديه، فيعطي للصديق والجار أضعاف مضاعفة من عمل الخير، زيادة على ما قدّمه، فمن عمل لأجل السلام يقدّم له الحماية والدفاع عنه ويقدم له مساعدات معنويّة ومادّية تساعده على الحياة الكريمة وكل ما يدخل تحَته عمل الخير، فكل هذه المعاني الجميلة قدّمت في الفاظ قليلة تؤدّي المعنى كاملاً في انسجام بين اللّفظ والمعنى ونظم محكم وحسن تقطيع ووقفات داخل كلّ شْطر من شطراته الأربع لأجل الزيادة في الموسيقى وخفّة الأغنية.

والشاعر أحمد الرمشاني يقول في حسن التقطيع في أحد مقاطع قصيدته الغزلية[٤]:

يَاسِـــــــــــــــي حَدْ بِرِّيدْه لِـــي عَقَـــلْ مَابَـــاشِ الْمَنَـــامْ اْيصِـــيدَه[٥]

اْيصِـــــــــــــــيدَه[٥]

رِيـــــمَ الْهَ وِيـــــدْه بُ وَمَـــــالِجْ فِيـــــدْه قَـــــلْ بَالْوِكِيـــــدْه حُبَّنَـــــا وَغَلاَنَـــــا[٦]

جَـــرَسْ فِـــي الْظِيـــدَه يَشَـــغْلَكْ تِنْكِيـــدْه جَرَارِيـــرْ مِيـــدْه فُـــوقْ بُ وِمْلْيَانَـــه[١]

(١)المصدر نفسه ص ١٣١.
(٢) شبر :أعطى شبراً، نذرعو له:نعطو له ذراعاً، عوافي: من العافية أيّ السلم.
(٣) جمامات: من الجم: ملي المكيال.
(٤)الشّعر الشعبي ج ٢، د.على برهانه ص ١٤٩.
(٥) بنريده: أريدها.
(٦) بالوكيده : بكل تأكيد.

وجّه الشّاعر خطابه إلى صديقه أحمدالّذي تكرّر اسمه بالمطلع وبعض المقاطع على عادة العرب، وقد يعني نفسه بالخطاب، لأن اسم الشّاعرأحمد، قائلاً أّنه يريد محبوبته إلى درجة أن هجره النوم من الفراق والوجد، فهي تشبه ريم الصّحارىإلاّ أّنها تحمل من الحُطّي كالدملج والأسورة الّتي تشبه الجرس في صوته، وكانت العرب تضعحرساً في رقبة الشاة الكبيرة بين الغنم. فعندما يسمع الراعي صوت الجرس ليلاً يفطن إلى أنّ الغنم قد تغادر مبيتها، فشّبه حُطّي محبوبته عند قيامها من مكانها بجرس قليدة الغنم الّتي تتزّعم القطيع.

ويشّبه مرة أخرى صوت حُطّيها بالبكرة الّتي يستخرج بواسطتها الماء من بئر (ابومليانة) المعروف بوفرة مياهه، وهو بئر يغطّي مدينة طرابلس بالمياه قديماً .

نلاحظ في كلّ من البيت الثّاني والثالث وقفات داخلّية في كلّ شطر، بحيث ينقسم الشطر إلى جزئين ينتهي كلّ جزء منها بقافية داخلية من نوع قافية المقطع كقوله: "هويده – ايده – الوكيده" وقوله في البيت الثالث: " القليده – تتكيده – ميده " وهذه الوقفات أضافت إلى المقطع قافية زيادة على قافية المقطع وقافية المطالع في آخر كلّمقطع أثّرت في موسيقى المقطع وزادت في الإيقاعات مازاد من جمال التركيب قد يفتقد إليه الفصحاء.

ويقول في مقطع آخر:

بَبّــــــــاس لْلِميزُونَــــــــــــــهْ ظَنّــــ كْ صِــــيفَه سَــــرَتْ وإلّا دُونَــــه[٢]

مَسْــــمَح عِيُونَــــه وَالْحَطَــــقْ وقْرُونَــــه تَقُــــولْ مهْ رجْوُنَــــه لَاجْ فِــــي شُــــطْبَانه[٣]

مَــا الْمَلَــفْ لُوَنَــه شِــفّتَه قَرْعُونَــه مَضْــحَكْ اسْــذُونه تَبــرْ فِــي مِيزَانَــه[٤]

---

(١)القليدة: الشاةالّتيتقود القطيع، تتكيده: من النكد، جرارير: جمع جرارة وهي بكرة توضع على البئر لاستخراج الماء بواسطة الحبال، مِيدة: الحوضالّذي تتجمع فيه المياه من البئر، بومليانه: بئر يغذي مدينة طرابلس بالماء.

(٢) الميزونه : أنواع الحلي من الّذهب والفضّةالّتي تباع بالموازين، مصيفه: مكان يقضى فيه فصل الصيف.

(٣) مهرجونه: كناية عن الغزال.

(٤) الملف: نوع من القماش الفاخر، قرعونه: ورد شقائق النعمان بالاسم المحلي.

يشبه هذا المقطع سابقه في حسن تقطيع أبياته فكلّ شطر يتكّون من جزئين تنتهي بقافية المقطع نفسه حرف "النون" فقوله في الشطر الأوّل من البيت الثّاني: "عيونه – قرونه" وكأنّ كلّ جزء شطر لوحده، ولكنّ الشّاعر قصد الرفع من وتيرة الموسيقى بالأبيات، وكذلك الشطر الثّاني من البيت الثّاني: "جونه" الّتي قسّمت الشطر إلى جزئين هي من نوع قافية المقطع، ثُّم يعود إلى قافية المطلع في قوله: "شطبانه". وكذلك الحال في البيت الأخير" لونه – قرعونه – سنونه".

وينتقل إلى المقطع الّذي يليه:

يَاسِـــــي حَمَـــــدْ يَاشَـــــا طَـــــرْ ... وِلَفَتِـي مَـا ظَلَّـتْ مِـنْ فَـاطِرْ[1]

فَـــاطِرْ[1]

رِيـــَم الْقَنَـــاطِرْ بِـُوغَثِيـــثَ اْسَـــاطِرْ ... طِيـــفَ الْخـــَواطِرْ لَا لِفَـــي لَاجَانَـــا[2]

بَـــرَقَ إِنْ تَنَـــاطِرْ فِـــي السَّـــحاب الْمَـــاطِرْ ... مَلَـــفَ الشَّـــَواطِرْ خَـــدْهَا مَشْـــكَانَا[3]

استعمل الشّاعر الطريقة نفسها في أغلب أبيات القصيدة الطّويلة الّتي اخترنا منها هذه المقاطع، حيث جعل أغلبها تتبع طريقة التشطير وكثرة القوافي والموسيقى الداخلية كقوله: " القناطر – مساطر – الخواطر" وقوله في البيت الثالث: " تناطر – ماطر – الشواطر" حيث التزم هذه الطريقة رافعاً من وتيرة الموسيقى والإيقاع الراقص مما مّيز القصيدة عن غيرها من هذا الوزن، ورغم التزامه بهذه التشطيرات لم يخلل بالوزن والمعنى الشريف والألفاظ المعّبرة المنتقاة بعناية في انسجام بين اللّفظ والمعنى في عاطفة جياشه يشعر بها المتذّوق والمتتّبع، ولما نالته هذه القصيدة من شهرة وإن كانت الوحيدة المحفوظة للشاعر، فالموسيقى

(١) فاطر: الرّجل الدارك العاقل.
(٢) القناطر : قناطر الرمال المرتفعة، غثيث: شعر محبوبته.
(٣) مشكانا: لفظ تطلق على المحبوبة.

والتناسب بين التشطيرات وتساويها ودقة تراكيبها وإيقاعها الموسيقي وقدرة بنائها وعاطفتها الجياشة والعذوبة، والرشاقة في أحلى مظاهرها هي من ساعد على حفظها وبقائها في ذاكرة النّاس منذ زمن بعيد دون تسجيل أو تدوين.

والشاعر خطاب عقبه (*) يقول في غزلّيته: (١)

كَـــانَ تَـــاقْ عَـلِـيـــكْ بَشَـــرَهَا فِـــــي رُومِـــــي وَرْدَا وَخَلَايـــــلْ(٢)

بَـــارِقْ فِـــي مِزْنَـــه بِمطَرَهَـــا سَـــيِّلْ كـــلّ اوْطَـــانْ مَحَايـــلْ(٣)

ضَـــيَّه يـُوقَـــدْ كِيـــفْ قَمَرْهَـــا وخُرْصَ وْهِلَّـــــه وَقَفَ ايـــــلْ(٤)

عِـــينَ اللّـــي طَابَـــت قَرَّهَـــا تَصَـــكَّكْ فِـــي اجْـــرَاسْ وَلَايـــلْ(٥)

كُوهِيَّـــــه حَنَّـــــتْ دَابِرْهَـــــا مِـــــن رَاس الـــــدّوَّار الصّـــــايلَ(٦)

يصف الشّاعر لون بشرة محبوبته وهي ترتدي القماش القادم من بلاد الروم تشبه لمعان البرق في مزنة ممطرة ، عمّ خيرها كلّ الأرض القاحلة الجدباء، ووجهها الأبيض الدائري الجميل يشبه ضوء القمر غير أنّ وجهها يختلف عن القمر بالزينة الّتي تلفّه من كلّ جانب كالاقراط والقلائد من الذّهب والفضّة، وأن عينيها تشبهان عينى طائر الحبارى الّتي وقعت بين مخلبي الصّقر، أو كعيني الصّقر الكبيرتين الّتي عملت بطائر الحباري كلّ عمل، ومخلبيه مضرجتين بالدماء كالحّناء.

فالابيات ومفرداتها المعّبرة القوّية والمعنى المصور في أروع صوره تتناسب واللفظ في قافية خفيفة بصدر الأبيات وقافية أقوى وأشدّ بعجزها ، فجاءت قافية الصدر خفيفة هادئة

(*) تم التعريف بالشاعر.

(١) ديوان الشّعر الشعبي ج ٢، ص ٤١.

(٢) رومي: قماش من بلاد الروم. وردا: رسوم الورود على القماش، خلايل: مشبك من ذهب.

(٣) أوطان : الأرض، محايل: محل أيّ أرض عطشى.

(٤) خرص:قرط، هلّه ونفايل: نوع من الحلي تزين رأس المرأة وجيدها وصدرها.

(٥) طابت نقرها: كناية عن الصّقر.

(٦) كوهية: نوع من الصقور، الدوار: مجموعة من طيور الحبارى.

سهلة تعانق المعنى، وصف فيها محبوبته وبشرتها وهي كالبرق في مزنة ماطرة، وهي من ناحية أخرى كالقمر في ضوءه وهدوءه، وتزينها أقراط وقلائد زادت من جمالها، وعيناها كعيني طائر الحبارللّذي وقع بين يدي صقر، أو كعيني أنثى الصّقر الواسعتين الجميلتين، ثُم يأتي بقافية العجز في صورة أقوى لأّنها تصف المشّبه بهلامحبوبته كقوله: " الصّقر الصائل – والاجراس – والأرض العطشى – ولمعان المعادن الثمينه" في لفظ يناسب المعنى، وحسن تقطيع في موسيقى جميلة خاصّة بصدر الأبيات الّتي يحمل كلّ منها جملتين موسيقّيتين وتحمل كلّ جملة جواباً على الجملة الأولى بصدر البيت، فقوله: "كان تاق" ويأتي بقوله: "عليك بشرها" أيْ بشرتها الجميلة هي الّتيظهرت لك، ثُم قوله بصدر البيت الثّاني، "بارق في" وهي جملة يسكت الشّاعر برهة أو يقف عقبها إلى أن يقول بالجملة الموسيقية الثّانية: "في مزنة بمطرها" ويأتي بصدر البيت الثّالثبقوله في الجملة الموسيقية الأولى: "ضّيه يوقد" ويجيب في الجملة الثّانية مشبها الضوء المتقد: "كيف قمرها" أيْ بضوء القمر، ويأتي بالصدر الرّابع في جملته الموسيقّيةالأولى: "عين اللّي"يقف قليلاً ثُّم يجيب "ابت نقّرها" وقوله في صدر البيت الخامس : "كوهّيه" في جملته الموسيقّية الأولى، ما بال الكوهّيه؟ ويجيب مسرعاَ بقوله : "حّت دابرها" وينتهج هذه الطريقة في جمله الموسيقية معّبراً عن كلّ جملة بجواب سريع ينهي اللبس مسرعاً في تناغم موسيقيبين لفظ جميل ومعنى متين في صور ولا أجمل منها، والقصيدة كتلة من الموسيقى والإيقاعات يساعد علىالتّرنم بالأبيات وكأّنها قطع من الألحان الجميلة الّتي تساعد الشّاعر والراوي أن يترنم بها في ألحان تكاد تنطق وحدها.

الإيجاز

يميل العربّي بطبيعته والبدوي خاصة إلى الإيجاز في القول، والإيفاء بالمعاني الكثيرة تحت الفاظ قليلة، ويفي بالغرض مع الإبانة والإفصاح، وإذا نقص التعبير عن قدر المعنى فذاك هو الإيجاز الذي ينقسم إلى نوعين : إيجاز قصر وإيجاز حذف.(١)

أوّلا : إيجاز القصر: هو ما تزيد فيه المعاني عن الألفاظ الدالة عليها بلا حذف.(٢)وهذا النوع من الإيجاز ذكرنا منه الكثير بهذا المبحث خاصة أغاني الرحى سالفة الذكر، ومن مميزات هذه الأشعار تكثّف المعاني مع قلّة في الألفاظ وذلك لحاجة الحكمة أو المثل، لأنّ الكثير منها يجري مجرى المثل، ومنها رسائل مختصرة إلى محبوب أوأخأو أب لحاجة أو دفع لضرر عن ُضام أو أسير ، أو من وقع تحت الظلم أو إبنة ظُلمت في بيت زوجها و هي في حاجة أبيها أو إخوتها، ترسل بيتاً أو بيتين يحملان معان كثيرة تسير بها الركبان إلى أن تصل الرسالة إلى من تريد، وهذه إحدى أغنيات الّرحى تقول:(٣)

سُـــبْحَانْ مِـــنْ خَـــالَق الْحَـــب فِـــــي رَاسْ زِيتُ ـــــــونْ عَـــــــالِي

يابِنَـــــتْ دَارِي عَلَـــــى السَّـــــبْ كَـــــلَام الْمَواعِيـــــــدْ غَـــــــالِي

يقدم هذان البيتان نصيحة لفتاة في رسالة مفتوحة من أّم أو عّمة أو خالة بأن تحترم كلمة والدها أمام الجميع، وأن ترفع رأسه، ولا تلحق ذويها سبّ الآخرين لهم، في جملة قصيرة تحمل من الكلمات القليل ولكّنها تحمل من المعاني الجليلة الكثير الكثير فقول الأغنية: "داري على السبّ" تحمل تحتها كلّ ما هو جميل وكلّ مايعّبر عن احترام وتقدير الآخرين وتقديم المساعدة للمحتاج وأن تعمل بكلّ إخلاص واحترام في بيت الزوجّية، وفي نفس الوقت أن تبتعد عن الأعمال والأقوال الّتي لا تستأنس إليها الّناس وهي جملة عاّمة يدخل تحتهاكلّ عمل الخير والبعد عن السوء من قول وعمل.

---

(١)انظر المدخل إلى دراسة البلاغة العربيّة، د.السيد أحمد خليل، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٨م ص ٢١٦.

(٢)انظر علوم البلاغة، د.أحمد المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٨٢م ص ٢١٨.

(٣) هجاوي الرحى، عبدالسلام شلوف ص ٤٤.

وقول أخرى: [1]

ـاَعـ ـــــل الْخِيـــــرْ هَيِّيـــــهْ ـِـــــالْفَرْحْ تَزْهَـــــى أيَّامـــــه

ـفَا عَـــــل الشَّـــــرْ عَيِّيـــــهْ ـَـــــوَلِّي طَـِيـــــه النَّدَامـــــه

وردت كلمتا الخير والشّر، وكلّ منهما تجمع تحتها عشرات ومئات الأوامر والنواهي والإغراءات والتحذيرات والأقوال والأفعال ، والآيات والأحاديث وأقوال العلماء والفقهاء والقادة والرجال الخيريين، ففعل الخير لا يحصى ابتداء من إحياء الروح الّتي حرّم الله قتلها إلاّ بالحق إلى تحويل حجارة عن الطريق أو كلمة تدل على الخير، وكذلك الشر من فعل الكبيرة إلى كلمة سوء أو بين هذا وذاك. فأيّ اختصار أكثر من هذه الأبيات.

وهذه أخرى تقول: [2]

كَلِمَـــة الْملِيحَـــه خُوذَهَـــا وعْطِيهَـــا ـايَبـــه وَإيَّـــاكْ تُلْفَـــظْ بِيهَـــا

فالكلمة الجميلة يحب الإنسان بطبيعته أن يسمعها وبالتالي عليه أن يلفظ بها ويقدمها إلى الآخرين، وكلّ ما يدل على فعل الخير من نصيحة إلى مساعدة الآخرين والتقليل من حزن مكلوم أو كلمة للمصالحة بين النّاس أو كلمة تدخل السرور على قلوب الحائرين والمحزونين. عليه أن يكثر منها، والكلمة السّيئة الّتي تؤدّي إلى التفرقة بين النّاس وتسيء لهم وتكون سبباً في عمل يضرّ بهم، على الإنسان الابتعاد عنها، فمجرد ذكر لفظتين في هذا البيت قُدّم الكثير من المعاني فلفظة " الكلمة المليحه" من الملاحة والحسن، وقوله "الخائبة" المعطوفة على الكلمة المليحة وحذف المبتدأ "الكلمة" وبقيت لفظة "الخائبة" وهي صفة ولكّنها أتت بالغرض حيث يدخل تحتها كلّ ما هو مسيء وغير مرغوب فيه.

وقول أخرى: [1]

---

(١) هجاوي الرحي، عبدالسلام شلوف ص ٥٢.

(٢) من تراث الشّعب، أحمد النويري ص ١٠.

كْمَيــانْ سَــرَّكْ خِيــرْ مِــنْ تَطْلِيعَــه والصَّــــــبْرْ مَكِيفَــــــه دَواء لِلِّيعَــــــه

فكلّما احتفظ الإنسان بسرِّولم يُفشه كان في مأمن من ألسنة النّاس، وكلمة "السّر" شاملة تعنى كلّ ما تحمله القلوب عن النفس وعن الآخرين، ابتداء من الأسرة الصغيرة إلى الأقارب والأصدقاء ،الّذين كانوا يثقون فيه ويفشون أسرارهم له، فبمجرد إفشاء هذه الأسرار قد تعرضه أو تعرّض غيره للخطر والسبّ والشتم، فعلى الإنسان أن يصبر على إيذاء الآخرين مهما كان نوعه ولا يضطره أن يفقد صوابه ويتكلم عنهم بما يؤذيهم أو يؤذيه، وكلمة الصّبر أيضاَ مفردة عامة تعني الكثير فالصبر على المرض وعلى الحاجة وعلى ظلم الآخرين وعلى الأحزان ومصائب الدهر، دواء لها جميعاً .

وأخرى تقول: (٢)

ذُصْبْرْ عَلَى هُــــــــلْ لِيَّام فَضْــــحَكْ مَــــع اللِّــــي جَفَــــاذِي

وَنْشِــــي عَلَــــى الشُّــــوكْ حَفْيــــانْ ـــــينْ تَنْعَــــلْ يَــــا زَمَــــاذِي

فكلمتا "هول ليَّام" من مضاف ومضاف إليه عامة شاملة يدخل تحتها كلّ ما هو غير سار ومحزن من فراق ومرض وحاجة وقلّة حيلة ومع كلّ ما لحق هذه المرأة،إلاّ أنّها صابرة محتسبة متجلّدة، تضحك مع العدو والصديق رغم ما تعانيه، وتكابد وتثابر وكأنّها تمشي على الأشواك حافيةحتّى تعود الأمور إلى نصابها وينصفها صبرها، كم هي جميلة هذه الأبيات ومختصرة لفظاً ومسهبة معنى، والعرب تميل إلى الاختصار والاقتصاد في الكلام شعراً أو نثراً وهذا النوع من الايجاز هو سبب حفظ هذه الأبيات وسرعة تنقلها.

ثانياً:إيجاز الحذف:

---

(١) المصدر السابق ص ١١٢.

(٢) حضور المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري ص ٨٠.

وهو ما قصد فيه إلى إكثار المعنى مع حذف شئ من التركيب، ودلالة القرينة عليه، والحذف يتم بحذف كلمة أو أكثر وحذف جملة أو أكثر، وحذف المفرد أوسع مجالاً من حذف الجملة.(١)

ومن أمثلة ذلك، قول أغنية الّرحى: (٢)

ماجَابهَ ـــــا جَـــــرِي مِلْحَـــــاحْ جَـــرَى لِـــينْ طَاحَـــتْ اقْدَامَـــه

بِـــي لَهَـــا شِـــي مِرْتَـــاحْ قُـــولْ يَـــا اللهْ السَّـــلَامَه

حذف لفظ "الّدنيا" وهي مبتدأ. وأصل الكلام : "الّدنيا ماجابها جرى" أّيالّدنياوما تحمله من خيرات لا تأتي بالسعي والجهد الزائد عن الحدّوالّذي يكون بدون دراسة وعقل، بل يتحصّل الإنسان على نصيبه من الّدنيا بالتمّهلّ والعمل المدروس الدقيق، وحُذف الفاعل في الشطر الثّاني وهو الإنسان، وأصل الكلام: "جرى الإنسانحتّى أخذ منه التعب وكلّت قدماه" والّدال على المحذوف في كلّ من الشطر الأّول والثاني من البيت الأّول تدل عليه القرينة في المعنى المعتاد عند سماعه لدى البدو.

وقول أخرى: (٣)

يَـــوم الثَّنَـــاء مَـــا يَهَـــابُوْه كِيـــفَ الْوِلَـــدْ كِيـــفْ سِـــيَدْه

بِزْنَـــادْ مَـــدْهُوْنْ بِالزِّيـــتْ جُـــوْهْ وَعْلَـــه جَدِيـــدْه

تشيد المرأة هنا بوالدها وإخوتها، الّذين لا يقومون بعمل إلاّويُثْنى عليهم من خلاله بالصورة الحسنة والمدح، فهم في المعركة متساوون لا فرق بين الأب والأبناء وكلّ منهم يحمل بندقية جديدة شُبِّعت بزيت الزيتونحتّى لا تتآكل ولا ينال منها الصدأ ويدفعون ثمناً لها الجواهر والذّهب أو العملة الجديدة.

(١) علوم البلاغة، أحمد المراغي ص ٢١٨.
(٢) حضور المرأة في المأثور الشعبي، أحمد النويري ص ١٣١.
(٣) لمحات منالتّراثاللّيبيّ، أحمد المسماري ص ٨١.

فالمحذوف المبتدأ وتقديره " الأب والإخوة"وأصل الكلام:"أبي وإخوتي لا يخافون دخول المعارك" والمحذوف يدل عليه المعنى المعروف والمتداول بين البادية حول مدح المرأة لأسرتها في أغلب أهاجي الرّحى.

وتقول أغنية الرّحى أيضاً : (١)

كَلِمه الْمليحَه خُوذَهَا واعْطِيهَا والْخَايبَه إيَّاكْ ظْ بِيهَا

حذف شبه الجملة من الشطر الأوّل وتقديرها " من الآخرين" وأصل الكلام: الكلمة الطيبة خذها من الآخرين. وأعطها للآخرين، وحذف المبتدأ في بداية الشطر الثّاني وتقديره "الكلمة " وقوله الخائبة أيّ من الخيبة وهي وأصل الكلام : والكلمة السّيئة لا تلفظ بها. والدال على المحذوف عطف الجملة على الجملة السابقة الّتي ذكر المبتدأ بها، فإيجاز الحذف هنا أبلغ من ذكر المبتدأ مرّة ثانية ويعّد تكراراً لكلمة واحدة في أكثر من جملة ويدل عليه السياق.

وقول أخرى: (٢)

يَا مَبْعَد اللِّي وَرَاهَا وَيَا مَقْرَب اللِّي يَرِيدْه

رَقِيق الْكَتَب فِي عُوَاهَا كَمَا طِيرْ فَاقِدْ فَرِيدْه

الكلام هنا يدور حول الإبل الّتي استعاظ عنها بالضمير الهاء، فهي لسرعتها تترك خلفها أراضي شاسعة وقرب الدّيارالّتي تريد الوصول إليها وصوت القتب على ظهورها كصوت الطّائرالّذي فقد قرينه في عشّه. فحذفت مفردة "الأرض" والتقدير "بعدت الأرض خلف ظهور الإبل"وحذفت منها الإبل أيضاً وقام مقامها الضمير الهاء لدلالة المعنى المعروف والمتداول بين أهل البادية. وحذفت كلمة "الدّيار" من الشطر الثّاني، والتقدير: يالقرب الدّيارالّتي تريد الإبل الوصول إليها.

وأغنية رحى أخرى تقول في حذف شبه الجملة: (١)

(١) من تراث الشّعب، أحمد النويري ص ١٠.
(٢) لمحات منالتّراثاللّيبيّ، أحمد المسماري ص ١٦٦.

.اعِـــــل الْخِيـــــرْ هَيِّيـــــهْ ـِـــــالْفَرِحْ تَزْهَـــــى أيَّامَـــــهْ

فَا عَـــــل الشَّـــــرْ عَزِّيـــــهْ ـَـــــوَلِّي عَلِيـــــه النَّدَامَـــــهْ

ذكرنا هذين البيتين في إيجاز القصر لدلالة لفظتي الخير والشر ولوجود إيجاز حذف بهما وجب توضيحه.حيث حذف شبه الجملة من الشطر الأوّل "بفعل االخير" والتقدير: فاعل الخير هنّية بفعل الخير، أيّ بفعله للخير، وكذلك الحال في الشطر الأوّل من البيت الثّاني، حيث حذف الجار والمجرور "بفعله" والتقدير: فاعل الشر قم بتعزيته بفعله الشر.

والشاعر مصطفى عبيد الهوني (*) يرثى مدينة المرج عقب زلزال ألم بها: (٢)

وَجْعِ ـي الْمـرْجْ لَكِـنْ ويـشْ فَيـدي مَـ ـــــرَاد اللهْ رَبَّ الْعَـــــالَمِيْنْ

كَـانْ بَكِيـتْ مَـا يِنْفَـعْ غَرِيـدِي جَعْلْنَـــا اللهْ بِـــين الصَّـــابِرِيْنْ

يشكو الشَّاعر المصاب الجلل ولكن ما باليد حيلة ولا يفيد البكاء والعويل لأنّ إرادة أللّه كانت فوق الجميع ويدعو اللهالصّبر.

حذف المضاف وهو الفاعل " حال " والتقدير: وجعنى حال المرج وقام مقامه المضاف إليه فدلّت القرينة على المحذوف.

وهذا المثل أيضاً في حذف المفعول به، تقول الأغنية: (٣)

ـــيْنْ تُنظَـــرْ وَالْعُقُـــولْ تَـــوَازَنْ والـــوذن تَسْـــمَعْ والْقُلُـــوبْ مَخَـــازَنْ

تّم حذف أكثر من مفعول به في هذا البيت، فالمفعول به الأوّل "الأشياء" والتقدير: العين تنظر الأشياء كلّها، والمفعول به الثّانيلّذي حذف "الأمور" والتقدير: العقول توازن الأمور الّتي وصلت إليها وتستخلص منها الأفضل، وحذف المفعول به الثّالث "الكلام" وتقديره: الأذن تسمع الكلام، وحذف المضاف إليه وتقديره: القلوب مخازن الاسرار، فزادت كلّ هذه الكلمات المحذوفة من جمال البيت في حسن تقاطيعه وبلاغته وزيادة في المعنى.

---

(١) هجاوي الرحي، عبدالسلام شلوف ص ٥٢.
(*) تم التعريف بالشاعر
(٢) ديوان الشَّاعر مصطفى عبيد الهوني، ص ١٥٢.
(٣) من تراث الشّعب، أحمد النويري، ص ١٤٧.

وقول أغنية أخرى: [1]

إِنْ كَـــــانْ رَبِّـــــي عَطَـــــاكْ يِعِينَـــكْ عَلَـــى الـــدَّهْرِ دِيمَـــا
تَرمِـــي عَصَـــاتَكْ مِـــن اْيـــدِيكْ عُوجَـــــاء تَـــــوَلِّي سَـــــقِيمه

فمن كان اللّه عوناً له على صروف الدهر وأعطاه من فضله، وكلّ الأمور تكون سهلة وبسيطة لا يشقى في الدّنيا أبداً، وإن وضع عصاه العوجاء من يديه تعود سليمة مستقيمة أو يراها الآخرون كذلك، والمحذوف المفعول به في الشطر الأوّل "الخير" والتقدير: "أعطاك ربِّي الخير،" وقد يكون المحذوف أكثر من جملة، فالعطاء متعدد، فالرزق عطاء والأولاد عطاء والرأي السديد عطاء والحكمة عطاء، والحظّ الوفير من كلّ شيء عطاء أيضاً، وهكذا يكون المحذوف أكثر من جملة.

وهذه أغنية أخرى تقول: [2]

مَـــا تَشَـــدْ لِـــينْ تِلْجَـــمْ تَـــ ـــرْبَطْ حِـــزَامْ الشَّـــرِيحَه
وَمَـــا تَعَـــلْ لِـــينْ تُـــوجَمْ وَمَـــا تَعَـــلْ غِيـــرْ الصَّـــحِيحَه

حذف المفعول به من الشطر الأوّل وهو "الجواد" والتقدير: لا تقرب الجواد وتشدّه إليك إلاّ وتضع اللّجام بفمه، وحذف المفعول به أيضاً من الشطر الأوّل من البيت الثّاني وهو "الحديث" والتقدير: لا تعل الحديث إلاّ بعد أن توجم عنه وتسمع أولاً ثُم تتكلم بالمفيد المختصر.

وهذه أخرى تقول: [3]

الْبِيـــتْ لَـــوْلَا أَسْـــتَارَه تَشِـــيلَه اَرْيَـــاح الْهَبَايـــبْ
والنَّجَـــعْ لَـــولَا اكْبَـــارَه مَـــا يِنْعَـــدَلْ فِيـــهْ خَايـــبْ

(١) هجاوي الرّحى، عبدالسلام شلوف، ص ٣٠.
(٢) لمحات من التّراث اللّيبيّ، أحمد المسماري، ص ١٧٦.
(٣) هجاوي الرّحى، عبدالسلام شلوف، ص ٣٣.

فبيتالشّعر لولا أستاره الّتي تمنع دخول الرّياحإليه لحملته الرّياح واقتلعته وذهبت به، والقبيلة المترابطة لولا كبارها وعقلائها ومشائخها لما اعتدل فيها السفيه الطائش الّذي لا يقدّر الأمور، والمحذوف أكثر من جملة وتقديره:لولا كبار السّنّ ومنعهم المهاترات بين أفرد القبيلة، وردّهم للمظالم وأخذ حقّ الضعيف من القوي والدفاع عنهم وحمايتهم والذود عن الدّيار ورعاية ممتلكاتهم وتحمّل أخطاء الآخرين لما ارتدع واعتدل الشّباب من أبناء القبيلة والطامعين فيها من غير أبنائها.

فإيجاز الحذف بكل أنواعه سواء كان المحذوف مفرداً أو جملة أو عدداً من الجمل يرفع من قيمة النّظم والنثر العربّيين وبلاغة القول، حيث شاهدنا بلاغة الحذف في هذه الأبيات مع زيادة في المعنى وتكثيفها أمام قلة المفردات وعدم الاخلال بالجملةوالتّركيب والسياق العام للإعراب وإن كان لا يعرف الحركات لكّنه يقدّر المعنى، وكذلك يساعد الحذف على خفّة الوزن وسهولة حفظ النّصّ وتنقّله من مكان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل لما يحمله من حكمة ومضرب للأمثال والاستشهاد بها في أحاديثهم.

والحذف بأنواعه يعدُّ لوناً من ألوان التخفيف في الكلام واختصاره انصياعاً مع النفس العربّية البدوّية وبخاصّة في نزوعها الدائم إلى حبّ الاقتصاد والاختصار في الكلامحتّى لايمل السامع ولا ينصرف عن المتكلّم فتنفصم عرى العلاقة الكلامّية، وينقطع التواصل بين طرفي الخطاب، ولذلك أثني على الحذف في الكلام.

التّقديم والتّأخير.

يقوم بناء الجملة العربّية على نظام خاص يحدّده علم النحو، فالجملة الفعلّية مثلاً هي الّتي تبدأ بالفعل ثُمّ الفاعل فالمفعول به أو ما يعرف بالمتعلقات، وتبدأ الجملة الاسمّية بالمبتدأ ثُم الخبر ثُمالمتعلّقات إذا كان لها داع في الكلام.

وقد تخرج الجملة عن هذا البناء فيقدّم ما كان مؤخّراً، ويؤخّر ما حقّه التّقديم، وعرفت العرب بالتقديم والتأخير في الأدب العربّيشعراً ونثراً، يحدثالتّقديم في الكلام وهو في

المعنى مؤخر، أو تأخيره وهو في المعنى مقدّم انطلاقاً من مبدإ أساسيّ، هو أنّالتّقديم والتأخير لا يحصل عادةإلاّ لغرض بلاغيّ مقصود، لأنّه يعدّ خرقاً عن للنّمط المألوف لتركيب الجملة العربيّة باعتبار الأصل. (١)

والشعر البدويّاللاّيبيّ لا يختلف كثيراً عن الشّعرالعربيّ الفصيح حيث يكثر بهالتّقديم والتأخير، ومن أمثلة ذلك:

قول الشّاعر رويعي موسى صالح الفاخري (*) في قصيدة عموديّة:(٢)

ذَلُولَاتْ مِنْ نُوس الضّيوفْ اكْلَابَهْ وكْلِن امَّاسَه مِ الْسَنْ أُوكَالْ

أشار الشّاعر إلى الممدوح في كناية جميله قديمة، حيث كلاب الممدوح يعتريها الجبن والذل نظراً لكثرة ضيوفه، فقُدّم الخبر "ذلولات" على المبتدأ "الكلاب" والتقدير: كلاب الممدوح ذلولات أيّ يعتريها الجبن أمام الضيوف، وإن كان المبتدأ والخبر يعرفان من السياق العام للكلام لا بالحركات الإعرابيّة، والغرض البلاغيّ من تقديم الخبر شدّ الانتباه إلى الكرم ومكانته عند الممدوح.

والشاعر ميلاد المشاي(*) يقول في هذا الصدد: (٣)

لَابَسْ لَمَالِجْ رَاجَلِكْ يَاعِيشَهْ وزِيدِي عَطِيه الْخُرصْ وَنَادِيشَهْ

يشير الشّاعر إلى ظاهرة وضع بعض الرجال سواراً من نحاس بأحد اليدين اعتقاداً بأنّه يقي الإنسان من البرد، فتناول الشّاعر علاج هذه الظاهرة بتوجيه الكلام للرجال عموماً في رمزيّة اسم إحدى النساء "عائشة" لكي يعير زوجها المزعوم "رجل عيشة" مشبّهاً هذا النوع من الرجال بالنساء لوضع دملج أو أسورة للزينة بيديه، والشاهد في البيت: تقديم الخبر على

(١)انظر ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، د.أحمد الزمر، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ١٩٦٩م، ص٢٤٤.
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٢)الدّورة التثقيفية الأولى للشعراء "المتميزين" اللجنة العليا لمهرجان الشعراء الشعبي ، ص ١٣.
(*)تم التعريف بالشاعر.
(٣) ديوان الشّاعر ميلاد المشاي، ص ١٨٢.

المبتدأ "رجل عائشة": والتقدير: رجل عائشة مرتدٍ دملج، والغرض البلاغيّ منه التهكّم والسخرية من هذا النوع من الرجال.

وفي مكان آخر يقول الشَّاعر نفسه: (١)

صَـــــادِقْ عَلِيـــــكْ كَلَامِـــــي ـــذَّرتْ ذِي وعَلِّيـــتْ فُـــوقْ مَقَـــامِي

نَـــــي فَرَّجَتْهَ ـــــا قُـــــدَّامِي مِـــنْ دَرَجَـــة الُمْحَـــدَارْ والتَّصْـــعِيدَه

يمدح الشَّاعر أحد أبناء منطقته لأنّه قدّم له مركوباً وهو في أمسّ الحاجة إليه، لصعوبة التنقل بالمنطقة الجبلّية الّتي يقطنها قائلاً: كلّ ما أقوله وأشير به من مدح فهو ليس تقرّباً أو تودّداً أو تملّقاً أو نفاقاً، بل قول صدق لأنّك رفعت من مكانتي، وأتاني الفرج عن يديك بعد أن كنت أصعد الجبل مشياً على الأقدام.

والشاهد من الأبيات تقديم الخبر بالشطر الأوّل من البيت الأوّل "صادق" على المبتدأ "كلامي" والتقدير: كلامي صادق، والغرض البلاغيّ منه التوكيد على صدق الشَّاعر فيما قاله حول الممدوح.

يقول الشَّاعر المهدي الحزين (*) في قصيدة يحاسب فيها نفسه على ما اقترف من ذنوب في الدّنيا قبل الآخرة قائلا: (٢)

حِجَّـــــه بطُـــــولْ حَيَـــــاتِي ـــنْ يُـــومْ مِـــيلَادِي لِـيـــوْم امَّـــاتِي

ِـــي ذُنُكَـــرَه نَلْقَـــى الشّـــاهد اِتِـــي فِـــي حِجَّـــه صَـــحِيحَه وُقْعـــه بِيـــدِيَّا

ـــعِيفَاً ظَلَمْتَـــه جَـــابْنِي لُعَـــاتِي ـــوْلَى الُمَـــالِي مَـــا عَلِيـــه خَفِيِّـــه

(١) ديوان الشَّاعر ميلاد المشاي، ص ٢٠٢.
(*) تم التعريف بالشاعر.
(٢) الشّعر الشعبي ج ٢، د.علي برهانه، ص ٢٠٤.

يقول : وجدت عند الحساب أمامي وثائق تحمل كلّ أعمالي من الولادة إلى الممات، وكلّما حاولت إنكار جريمة أجد الشّاهد يحمل وثائقه الصحيحة الّتي أعترفت بها جوارحي، وتقدّم كلّ من له حقّ عندي إلى أخذ حقّه منّي عند ربّ العالمين.

والشاهد في الأبيات تقديم المفعول به "ضعيفاً" على فعله بالشطر الأوّل من البيت الأخير، والتقدير: ظلمت ضعيفاً، ووروده هنا نكرة تعني كلّ من ظلمته طلب حقه منّي، والغرض البلاغي من التّقديم: الضّعف والتحسّر والنّدم.

والشّاعر حسن الأقطع (*) يتغزّل في محبوبته "رجعة":(١)

رَجْعَـــــه يَـــــاخُوتِي خَلَّتْنِـــــي كِيـــــف الْمْجـــــُوب الْعِيسَـــــاوِي(٢)

رْجَعـــــه لَـــــوْ بِنْـــــدِيْر عَطَتْنِـــــي قَـــــى تَتْقَـــــرّعْ فِـــــي الجَّـــــاوِي(٣)

يكرّر الشّاعر اسم محبوبته في أغلب الأبيات في حرقة وعاطفه جياشة للفراق والهجر، فتركته كالّذي أصابه مسّ من الجنّ فأصبح يرقص على قرع الدّفوف عند "حاملي الورد" أو الطريقة العيساوّية الصوفّية المعروفة، وإن أخذ أحد هذه الدفوف لأخرج من جوفه "الجاوي" وهو نوع من الأبخرة، وهي أيضاً يستعملها أصحاب هذه الطوائف الصوفّية.

والشاهد في البيتين تقديم المفعول به "البندير" والتقدير " لو أعطتني رجعه بندير"، والغرض البلاغي من التّقديم إظهار شدّة التعلّق وشدّة اللّوعة والوجد. والشاعر ميلاد المشاي(*) يقول في وصف فتاة من جميلات قبيلته:(٤)

اسْـــــوَدْ هَـــــذَبْ مِسَّـــــاطْر يَجْـــرَحْ اْيضَـــيَّقْ يـــالَطِيف الْخَـــاطْر

وخّـــدَّكْ كَمَـــا بَـــرْق السَّـــحاب الْمَـــاطْر رَمَشْ عَقَـــاب للّيـــل فِـــي النُّهِيـــدَه

(*) تم التعريف بالشاعر.

(١) الشّعر الشعبي ج ٢، د. علي برهانه ، ص ٢٢٤.

(٢)خلّتني: تركتني، المجدوب: الجدب عند الزوايا الصوفية طريقة الرقص على الدفوف، عيساوي: طريقة من الطرق الصوفية. الصوفية.

(٣) بندير: إطار ونوع من الطبول تقرع عليه الفرق الصوفية، تتقرع: هو صوت خروج الهواء من المعده عن طريق الفم، الفم، الجاوي: نوع من الأبخرة تستعمل بتلك الزوايا، ويتبركون به.

(*) تم التعريف بالشاعر.

(٤) ديوان الشّاعر ميلاد المشاي، ص ٢٢٥.

يصف الشَّاعرأهداب محبوبته بالطول والاستقامة، وحذف اسم محبوبته وقام مقامه صفة من صفاتها وهي الّتي تحمل أهدابًا سوداء طويلة في سطور متناسقة مؤثّرة في قلب الشَّاعر، وكذلك لمعان خدّيها الّذين يشبهان البرق في لمعانه وهو يتخلّل مزنة ماطرة ليلاً مما تزيده لمعاناً .

والشّاهد تقديم الصفة "أَسْوَد" على الموصوف وهو "الأهداب" والمعنى: هدب محبوبته الأسود متناسق وطويل، والغرض البلاغي من تقديم الصفة العناية بها واختصاصها دون أيّة صفة أخرى.

والشاعر سعيد شلبي(*) يقول في وصف الإبل والبادية: (١)

وَلَا يَعْرِفُ وَهَا تَ نْ فِي هُوكْرَهَا ... نَا مَنَازِلْهُمْ اسْمَاحْ بِهُ وَادِي

فِي دَارْ قَاحَزْهِمْنهَ نَا بَعِيدْ بَحْرَهَا ... وَلِا عُمْرْ جَاهَا مِ الدّولْ أَعَادِي

فالإبل لم تتعوّد على تناول العلف والقشّ من أيدي أصحابها في مكان واحد دون أن ترعى ، بل تتنقّل من مكان إلى آخر بالأودية والصحارى ترعى في بوادي وربوع ساداتها البعيدة عن البحر حيث لا تصل إليها أيدي الغزاة الإفرنج وغيرهم.

والشاهد هو تقديم المضاف إليه "أهل" على المضاف "منازل" والتقدير: منازل أهل الإبل جميلة، وكذلك تقديم الجار والمجرور بالبيت الثّاني وهو "منها" عن عامله "البحر" والتقدير: ديار أصحاب الإبل بعيدة من البحر.

وأغنية الرّحى تقول: (٢)

الْحَقْ دَايرْ مَرَاحِيلْ ... جَمِيعْ الْخُرُمْ جَايَبَاتَهْ

وَالْكَذِبْ مَوْلَاهْ عِرْيَانْ ... وَكَانْ لَابِسْ عَبَاتَهْ

(*) تم التعريف بالشاعر سعيد شلبي، ولد ١٨٨٠ – ١٩٦٤م.
(١) ديوان الشّعر الشعبي ج٢ ، ص، ٢٠٤.
(٢) حضور المرأةفي التّراث، أحمد النويري، ص ١٣٠.
(*) تم التعريف بالشاعر.

تحثّ الأغنية النّاس على توخّي الصدق لأنّه ملحوظ من الجميع ، وظاهر أمام الأعيان كالقوافل الكثيرة الّتي تملأ الدّنيا من كلّ الاتجاهات – والقوافل تعني للبدو الكثير– فعن طريقها يُجلب لهم الطّعام والملبس والماء لهذا يتمثّلون بها، وصاحب الكذب عارٍ وإن كان مرتدياً عباءةً.

والشّاهد تقديم المضاف إليه" الكذب" على المضاف "مولاه" بالشطر الأوّل من البيت الثّاني، والتقدير: ومولى الكذب عريان، أيّ صاحب الكذب عار.

يقول الشّاعر ميلاد المشاي(*) في مطلع قصيدة غزلية: (١)

شَبَاذُقَّرْ زِينَهُمْ عَاجْبِهُمْ عَلَى العِينْ يَالُوا فَايحَاتْ اسْخُبْهُمْ

يصف الشّاعر مجموعة من الفتيات وهنّ يملأن أوعيتهنّ وأواني جلب الماء من مورد المياه وأخذهنّ التيه والغرور بجمالهنّ وتفوح منهنّ رائحة تملأ المكان.

والشاهد من المطلع تقديم الجار والمجرور "على العين" على عامله الفعل "يملأ" والتقدير: الفتيات يملأن الماء من العين، والغرض البلاغي لتقديم الجار والمجرور على عامله لأجل التّخصيص وإظهار مورد الماء.

والشاعر امحمد الرمرام السوكني(*) يصف حفيدته الصغيرة مدللاً إيّاها:(٢)

لُوحَه تَغْلَبْهَنْ بِالزِّينْ سِوَاء مِيِّه وإلّا مِيتِينْ

****

بِنْتْ وَمْذُوبَه وعَنْدْ أَهَالِيهَا مَحْبُوبَه

مِنْ بِي جِتْنَا مَكْتُوبَه وحْنَا بِيهَا فْرَحَانِينْ

(١) ديوان الشّاعر ميلاد المشاي، ص ٢١٣.

(*) امحمد الرمرام السوكني نسبة إلى قريته سوكنة بالمنطقة الوسطى من ليبيا، وكان شيخاًفقيهاً كبيراً واماماً لمسجد سوكنة العتيق، وشاعراً معروفاً عالج مختلف ضروب الشّعر المعروفة إلى جانب المدائح النبوية "مجهول تاريخوفاته". انظرالشّعر الشعبي ج١ ص ١٤٤.
الشّعر الشعبي ج ١، برهانه ص ١٤٤.

فالطّفلة صالحة تتفّوق على كلّبنات جيلها بالجمال، سواء كثرن أو قلَ لْن، وينتقل إلى المقطع الّذي يلي المطلع واصفاً إيّاها بالأدب وتمتاز بمحّبة الآخرين لها، وهي هدّية أخصّهم الله بها وهم يملأهم الفرح والسرور بوجودها بينهم.

والشّاهد هو تقديم الجار والمجرور "بيها" على "فارحين" والتقدير: نحن فرحين بها، والغرض البلاغي من تقديم الجاّر والمجرور إعلان وإظهار الفرحة بها دون غيرها من أفراد الأسرة.

من خلال هذه الأمثلة يتّضح أّنه لا يختلف الشّعرالبدوّياللّيبّي عن الشّعرالعربّي الفصيح من حيث بناء الجملة وبلاغتها وقدرتها على الوصول إلى المستمع والقارئ في مستوى لا يقلّ عن القصيدة العربّية الفصيحة من ناحية اللّفظ القويّ والمعنى الشريف، ومن ناحية تركيب الجملة البدوية وإيجاز القصر والحذف، والتقديم والتأخير في قصائد تسّرالسامع والقارئ وتأخذ بالألباب وقد تتفّوق في بعض المواطن على القصيدة العربّية الفصحى.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة المحصورة في الشّعرالبدوّياللّيبّي وعلاقته بالشعر العربّي الفصيح، ومن أهّم ما توصّلت إليه.

أّنالشّعرالبدوّياللّيبّي هو وليد الشّعرالعربّي الفصيح ولا يختلف عنه إلاّ من جهة الزيغ عن الاعراب، وللبادية أسباباها في ذلك فهي ظاهرة بدأت منذ انتشار الإسلام في أصقاع المعمورة. أّماالشّعر من حيث هو نظم تحكمه نظم وشروط فلا يختلف عنه إلاّ في بعض النواحي الشكلية البسيطة ولنذكر أوجه التشابه بين الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح الّتي توصلت إليها:

١. أغراض الشّعرالبدوّياللّيبّي تكاد تكون هي نفسها في الشّعرالعربّي القديم اللهمإلاّ بعض أشعار المناسبات الّتي تطلبتها الحياة كالمدائح النبوية وأذكار الزوايا الصّوفّية.

٢. الشّعرالبدويّاللّيبّي يشبه الشّكل الهندسي للقصيدة العربّية القديمة وبخاصّةٍ الشّعرالبدويّ العموديّ منه، أّما القصيدة الزجلّية فهي وليدة الموشّح الأندلسّي والقصيدة الزجلّية العربّية في المشرق العربّي والمغرب العربّي، ولكّنه يخالفه في الجزالة والقّوة والوزن والقافية، فالشعر البدويّاللّيبّي سواء أكان عموديّاً أو زجلّياً فهو لا يخرج عن بحور الشّعر الخليلية، السهلة الخفيفة الراقصة الّتي تتوفر فيها الموسيقى بكثرة، وإن زاد الشّعرالبدويّاللّيبّي بعض التشطيرات أو تفعيلات داخل البيت أو المقطع الواحد من القصيدة الزجلّيه لرفع وتيرة الموسيقى في الشّعرالبدويّاللّيبّي لاعتماده على اللحن والغناء والترنم به في الأعراس.

٣. والصورة الّتي هي عماد موضوعنا تكاد تكون نفسها في الشّعرالعربّي الفصيح خاصّة الجاهلي منه، فهناك صور لا زالت محافظة على هويتها كما هي دون تغيير في اللّفظوالتّركيب والتّصوير، وسبب ذلك يعود إلى تشابه الطّبيعة بين شبه جزيرة العرب وصحاري شمال إفريقيا، فالأودية هي الأودية والسهول هي السهول والروابي هي الروابي والأحراش هي الأحراش والإبل هي الإبل الّتي جاءوا بها من شبه الجزيرة العربّيةفي هجراتهم المتوالية واعتمادهم الكلّي عليها، وهكذا هو الحال في الخيول والأغنام والماعز، ثُّم الحيوانات البرّّية هي نفسها وبنفس مسّمياتها، ورحلات الصّيد تكاد تكون هي لولا تغير في أسماء المواقع. والمرأة البدوية تحمل ملامح جدّاتها من جمال وعادات وتقاليد، والمجتمع القبلي لا زال محافظاً على هوّيته من سطوة شيخ القبيلة والحروب الدائرة بين القبائل حول موارد المياه والمراعي لهذا عاشت الصّورة المنقولة منذ ذاك الزمن دون تغيير يطرأ عنها. وكابدت كلّ هذه القرون من الزمنحتّ ى وصلت إلينا اليوم.

٤. وكلّ هذا يعود بنا إلى المفردة اللغوية الّتي ظهر لنا وتأكد أّنها لا زالت محافظة على هوّيتها العربّية المعجمّية ، ومنها ما يتعدّى اللّغةالعربّيةالّتي اجتمعت عليها الأّمة إلى لغة القبائل العربّية قبل الإسلام لوجود بعضها لم يتداول في كتب الأدب ولم نعرف

مدى عروبته إلاّ بعد العودة إلى المعاجم الّتيأثبتت عروبتها وهذا أكثر ما فاجأني، وإن وجد اختلاف فهواختلاف في القدرات الصوتّية من ناحية نطق بعض مخارج الحروف وما حدث فيها من إمالة أو تفخيم وغيرها.

أّما المستوىالتّركيبي للجملة البدوّية في الشّعرالبدوّياللّيبّي، هي الجملة العربّية، فالجملة الاسمّية هي الجملة الاسمّية والفعلّية كذلك، وأيضاً ما يتخلّلها من إيجاز قصر وإيجاز حذف وتقديم وتأخير، والتفاوت بين الجملتين في الشّعرالبدوّياللّيبّي والشعر العربّي الفصيح هو الزيغ عن الإعراب.

فهرس الأعلام

الحرف	الاسم	الصفحة
أ	إبراهيم ابوالجلاوي	288
	ابراهيم عبدالمجيد الحبوني	232
	إبراهيم الموصلي	11
	ابن خلدون	١٦-١٩-٢٠
	ابن رشيق	٣٣٠
	ابن سيده	٢٨
	ابن غرلة	١٧
	ابن قتيبة	١٣٠
	ابن المعتز	٣٣٠
	أبو الأسود الدؤلي	١٣
	أبوبكر بن قزمان	١٦-١٧
	أبوالحسن بن علي الشاطي	١٨
	أبوحنيفة	١٠
	أبو داود الايادي	٢٨٢
	أبو عبدالله أحمد بن عبد ربه	١٥
	أبو عبدالله بن الخطيب	١٥

	أبو عمر بن العلا	٨
	أبونواس	٢٥٧-٢٧١
	أحمد أبوعائشة	١٤٨
	أحمد بن دله	١٦٩-٢٥٢-٢٥٣
	أحمد الخويلدي	٨٤
	أحمد رِقّه الشايب	٩٢
	أحمد الرمشاني	٩٨-٢٦٣-٣٣٦
	أحمد رميلة	١٩٨-٢٣٢-٢٦٤-٢٧٦-٣١٤
	أحمد الشريف	٦٩
	أحمد علم الدّين	٣٦
	أحمد فرده	١٢٥-١٥٣-٣٢٦-٢٠١
	إشناس الترلي	١٢
	الأعشى	٢٦٢-٢٨٧-٢٧٩
	إمحمد الرمرام	١٩٧-٣٥٣
	إمحمد قنانة	١٨٧-٢١٤-٢٤٢-٢٤٨
	إمحمد كريميد	٤١-٢٠٤-٢٠٦
	امرؤ القيس	٢٥٧-٢٦٤-٢٦٦
	أمين عون ليز	٢٧١

الحرف	الاسم	الصفحة
ب	بشامة بن عمرو	٢٨٦
	بشر بن مروان	١٠
	بشار بن برد	١١-٢٥٧
	بكر بن النطاح	٢٦٥
	بلال ان رباح	٨
	بوحويش	٢٧٧
	بورويله المعداني	٢٤٥
ث	تعلبه بن صعير المازني	٢٨١
ج	الجاحظ	١٠-١١-٣٣٠
	حبريل البرعصى	٧٣
	جرير	٢٨-٢٩٤
	جلفام بوشعرايه	٢٢٢

	جمال عبدالناصر	٧١
	جمعة بوخبينه	٢٩٠
	الجوهري	٣٠
ح	حارث بن خالدالمخزومي	٢٥٧
	حبيب عبدالمولى	٢٢
	الحجاج بن يوسف الثقفي	١٠
	حسان بن ثابت	٢٨-٢٦٩-٢٨٧-٢٩٨
	حسن الاقطع	١٣٤-٢٨٠-٣٥٠
	الحسن البصري	١١
	حسن محمد البوسيفي	١٧٧
	حسين الحلافي	٢٤٤
	الحكم الحضري	٢٨٩
	حميد الدبو	١٤٧
خ	خالد حمزه	٢٠
	خالد بن صفوان	١١
	خالد رميله	٢٢٢-٢٨٥-٢٨٨-٢٩٦-٣١١
	خالد عبدالله القسري	١١
	خطاب عقبه خطاب	٩١-٣٣٨
	خليفة بن عسكر	٧١
	خليفة الكردي	٢٥٢-٢٥٣
	الخنساء	٢٩٩

الحرف	الاسم	الصفحة
د	ديك الجن	٢٦١
ر	رجب أحمد بوحويش	١٨٣
	رحومة بن مصطفى	٢٤٦-٣٠٩
	رحومة الخويلدي	٣٩-١٧٤

	الرويعي صالح الرويعي	٣٤٨-٢٤٩-٤٠
س	ساسي عمر مسعود	٢٨٠-٢٩٧
	سالم العبدلي	٢٩٢-٢٩٦
	سُبيع الحطيم التميمي	٢٧٤
	سعدى الجهينية	٢٩٠
	سعيد بن خليفة بن عبدالله	١٧٢
	سعيد شلبي	٣٥١
	سلمان الفارسي	٨
	السيد خميس	١٧
ش	شبل شاعر أولاد مهلهل	٢٠
ص	صالح بومأزق	٢٧٦
	صفي الدّين الحلى	١٦
	صميدة رحومة الخويلدي	١٠١
	صهيب الرومي	٨
ض	ضو عبدالناصر الميلوسي	٣٦-٤٢-١٥٦-١٧٠
	ضو العساس	١٩٩-٢٠٣
ط	طارق مصطفى العقيلي	٢٨٨
	طرفه بن العبد	٢٦٠-٢٧٥-٢٧٩-٢٨٤
ع	عاطف الزوام	٢٩٥
	عامر الزوي	٢٧٣-٣١٨
	عامر المقرحي	٢٩٤
	عباده القزاز	١٤
	عبدالباسط غنية	١٢٩-٢٤٢-٢٥٠-١٥٧-٢٨٣-٢٩٢-٢٩٤-٣١٥
ع	عبدالحفيظ البوسيفي	٧٧

عبدالرحمن ابونخيلة	١٠٠
عبدالقاهر الجرجاني	٣٣٠
عبدالكريم الخطابية	١٠١
عيدالله بن سليمه الغامدي	٢٦٠
عبدالله بن محمد المرواني	١٤
عبدالله بن يزين الحضرمي	١٠
عبدالله ابوالقوايل	٢٢٥-٢٧٧-٣٢٠-٢٣٢
عبدالله الزناتي	٢٨-٢٩
عبدالله الحسن بن أحمد	١٢
عبدالله الصغير الرجباني	٢٤٣
عبدالله العباسي	٢٧٤-٣٠٨
عبدالمطلب الجماعي	٢١٨-٢٤٦-٢٧٧-٢٧٩
عبدالنبي بالخير	٢٣١
عبدالهادي بوكارة	٢٢١-٣٠٩
عبدالواحد الجنجان	٢٨٣-٣٠٥
عبيد بن الأبرص	٢٨٤-٢٩١
عبيد الراعي	٢٧٣
عبيد الله بن زياد	١٠
عروة بن حزم	٢٦١
عطا الله بوزناد	٢٤٣
عظيم العنابي	٢٠٨-٢٢٠
علي برهانه	
علي بن إبي طالب	٣٥
علي بن عبدالله الطالب	٢٣-١٦٦
علي بن الهيثم	١٠

ع	علي بوفلاقة	٨١
	علي حميدة	٦٦
	علي الخويلدي	٢٨٣
	علي فرج الجهاني	١٨٨
	علي محمد الدبسكي	١٦٣-٣٢٤
	عمران العبدلي	١٩٦
	عمر بن عبدالعزيز	٢٨٥-٢٩٦
	عمر بن معد يكرب	٢٥٩
	عمر القابسي	٢٨٦
	عمر المختار	٧١
	عمرو الجنجان	١٠٨-٢٦٣
	عناية سالم عبدالنبي	١٥٣
	عنترة بن شداد	١٥٦-١٧٦-١٨١-١٩٣
	عيسى بن المدوري	١١
غ	غسان السليطي بن كليب	٢٨
	غومه خليفة المحمودي	٧٥-٢١٦
	الغناي غنية	٢٩-١٠٧
ف	الفرزدق	٤٤
	فضيل الشلماني	٧٢-١٤١
ق	القري	٢٢
ك	كعب بن رهير	٢٧٥-٢٨٧
	الكميت	٤٤
ل	لبيد بن أبي ربيعة	٢٧٠
	ليلى الأخيلية	٢٨٧
	مالك بن حريم الهمداني	٢٨٩

م	المأمون	١٠
	المتنبى	٢٩٥
	متيم بن نويره	٢٨١
	المثقف العبدي	٢٨٦
	محمد بوغماز	٢٨٦-٩٦
	محمد درمان	٢٠٦-١٢٦
	محمد الدهماني التاورغي	٣١٧-١٣٠
	محمد سعيد القشاط	٢٦٢-٢٦١-١٩٤-١٩٢-٣٧
	محمد سوف المحمودي	٢٦٦-٢٠٦-٧٦
	محمد الشاوش	٢٤١
	محمد عبدالرحمن الحامدي	٣٩-٩٧-١٨٢-١٩٠-٢٠٢-٢٠٧-٢١٨-٢٣٨-٢٤٠-٢٥٩-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٧-٢٦٩-٢٧٤-٣٠٣
	محمد عثمان القذافي	٢٤٧
	محمد فكيني	٣٩
	محمد القارح	٢٨٢-٢٨٥-٢٩٣-٣٢٣
	محمد المرزوقي	٣٣
	محمد الهروج حموده	٢٧٢-١٠٢
	مخبل السعدي	٢٨٠-٢٧٥
	مدغليس	١٨-١٧
	المرقش الأكبر	٢٩١-٢٨٤
	مزرد بن ضرار	٢٧٣
	مسعود الحجام	٣٩
	المسيب بن علس	١٩١
	مصطفى عبيد الهوني	٣٤٥-٢١٧-١٦٠-١٣٥-٧٤

	المعتصم بالله	١٢
	المعتصم بن صمادح	١٥
	مفتاح بوعميه الفاخري	١٨٩
	مفتاح رجب صبره	٣٥
	مقدم بن معافي القبرى	١٤
	مهدي بن مهلهل	١١
	المهدي محمد الحزين	١٤٢-٣٥٠
	المهدي مفتاح جلغم	١٥٧
	موسى حموده	١٥٦
	ميلاد المشاي	٦٨-١٠٣-١٠٤-١٣٧-١٤٥-١٧٨-١٩٤-٣٤٩-٣٥٢
ن	النابغة الذيباني	٢٦٨-٢٩٧
	نصيب بن رباح	١٦١
	النعمان بن المنذر	١٦٨
هـ	الهادي بوكاره	٢٥٨
	هاشم الخطابية	٢٦٨-٣١٢
	هبه بوريم القرقعي	١٦٢
و	الوليد عبدالملك	١٠
ي	يخلف بن راشد	١٧
	يوسف باشا القره ماللي	٢٥